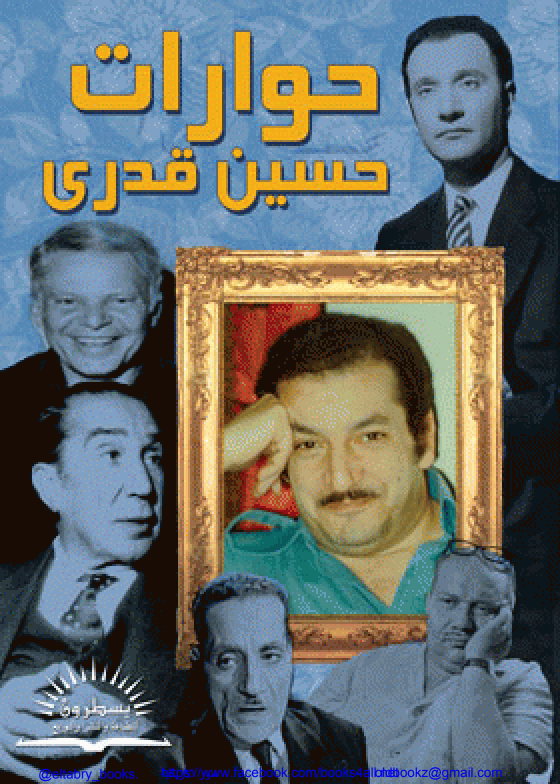

حوارات
حسين قدرى
سطور

حوارات

حسـين

قـدرى

دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

الإهـداء

حوار واحد من بين الحوارات العديدة التى أجريتها فى حياتى الصـحفية – ٥٧ عاماً و ٣٩ حواراً – لم أضمنه هذا الكتاب .. لأن صاحبه ، على عظم مركـزه الدينى وموقعه الكبير الهائل – وهو ليس مصرياً على أى حال – دلق فوق رأسى طناً من اللغة العربية لمدة ساعة كاملة لم يلتقط فيها أنفاسه ؛ لم أخرج منه بجملة واحـدة مفيدة أفهم أنا – أو القارئ – منها شيئاً له أى معنى .. لكن بـاقى الحـوارات التـى يتضمنها هذا الكتاب أنا شديد السعادة والفخر بها وأتصور أنها كانت ركيزة فى عملى الصحفى يشفع لى فى دخول الجنة ؛ إذا كان مسموحاً للصحفيين والكتاب بدخول الجنة أصلاً !! ..

إلى كل هؤلاء الذين أثروا حياتى الصحفية بالحوارات التى أجريتها معهم ؛ أهدى هذا الكتاب ، مع كل التقدير والإعزاز والمودة ..

حسـين قـدرى .

مقدمة

أقر ، وأعترف ، بأن فكرة هذا الكتاب (مقتبسة) من أستاذى وصديقى الأديب والناقد الكبير الأستاذ " يوسف الشارونى " .. أهدانى يوماً ما نسخة من كتاب جديد له بعنوان (حوارات مع يوسف الشارونى) ؛ وحين قرأت الكتاب وجدت أنه قد جمع فيه مجموعة الحوارات التى أجريت معه على امتداد حياته الأدبية – ومن بينها حوار أجريته معه أنا شخصياً ونشرته فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) – لخصت حياته الأدبية كلها وكأنها (سيرة ذاتية) لكن بأقلام الآخرين .. وقتها ومضت فى ذهنى الفكرة : لماذا لا أفعل ذلك أنا أيضاً ، لكن بصورة إلى حدٍ ما مختلفة : لماذا لا أنشر الحوارات التى أجريتها أنا على امتداد حياتى الصحفية ، وهى طويلة ، ٥٧ سنة حتى الآن ، مع كبار نجوم الفن والأدب والرياضة والتشكيليين فى مصر وفى العالم العربى .. فهى تلخص شكل حياتنا الأدبية والفنية لجيلنا من الصحفيين الذى كان من حظه أن عاش أهم وأثرى وأغنى وأزهى فترة ثقافية وسياسية فى تاريخ مصر فى القرن العشرين : فترة الخمسينيات والستينيات وأوائل السبعينيات ..

وعدت إلى مكتبتى الحافلة ومجلدات الصحف والمجلات التى عملت فيها ونشرت فيها فى تلك الفترة ، فى مصر ، وفى أمريكا وأوروبا التى عشت فيهما ٣٨ سنة حتى الآن ؛ فخرجت منها بهذه الحوارات التى بين أيديكم الآن .. أرجو أن تعجبكم

حسين قدرى .

٦ ساعات مع عبد الوهاب ..

قضيت نصف يوم مع عبد الوهاب .. عبد الوهاب يكون سعيداً جــداً كأنــه شاب فى العشرين حين ينجح له لحن جديد ويختلف عليه النقــاد .. يســعد لمــديحهم ويتجاهل شتائمهم ، بل لا يقرأها أصلاً .. ويعتبر كل ما يكتب عنه مديح وثناء .. وهو فى الحقيقة كذلك .. فرغم كل ما كتب ويكتب عنه خلال الخمسين عاماً الماضــية إلا أنه لا يختلف إثنان فى ذلك : لازال هرم الموسيقى والغناء العربى فى الشرق كله ..

ومع الهرم قضيت ٦ ساعات بعد إذاعة لحنه لأم كلثوم ، لأنقل عنه أخبــاره الجديدة .. وماذا بعد ..

* * *

سألنى عبد الوهاب وهو يرتدى ملابسه إستعداداً للنزول :

- هل قرأت ما كتب عن (إنت عمرى) !؟ ..
- كله ..
- وما رأيك !؟ ..

فابتسمت ولم أجب .. فالتفت إلىّ ليسألنى :

- ساكت ليه !؟ ..
- ليس رايى هو المهم .. أنا أنتظر رأيك أنت ..

وفى سيارة عبد الوهاب فى الطريق من بيته فى الزمالك إلى مبنى الإذاعــة فى ماسبيرو ؛ قال لى :

- فى الحيقة حاجة يمكن تندهش لها ؛ فأنا معود نفسى من زمان إنــى أقرأ كل ما يكتب فى الصحف عن أغنياتى وألحانى فى حالة من إثنين : إما أن يكــون كلام موضوعى وكلام مدروس وموزون .. كلام ناس عاقلين .. يعنى أن يكون ثنــاء ومديح علىّ .. فكل إنسان بطبعه ميال إلى المديح والثناء .. بيشجعنى ويرفع معنوياتى .. أما الكلام اللى بيتكتب كده لمجرد إنه يبقى فلان شتم محمد عبد الوهاب أو قــال أن موسيقاه وألحانه مش كويسة ، فالكلام ده أنا مش بأقراه .. حاعكر دمى وأعكر مزاجى ليه .. على العموم ، النقاد كلهم المرة دى – وأقصد بالنقاد الناس اللى لهــم رأى لــه قيمته – كلهم إستقبلوا (إنت عمرى) كويس أوى ، يمكن أكتر من أى أغنية تانية لى.

قلت له ونحن نصعد سلم الإذاعة :

- لكن بعض الملحنين الشبان هاجموا الأغنية بشدة ..

وضحك عبد الوهاب جداً وهو يهز رأسه متعجباً :

- الملحنين الشبان اللى إنت بتقول عليهم دول اللى هــاجموا الأغنيــة ؛ دول آخر ناس ممكن يتكلموا عن (إنت عمرى) .. قول لى ليه ..

- ليه !؟ ..

- لأن التلاتة الوحيدين اللى هاجموا الأغنية ؛ دول بالــذات لحنــوا لأم كلثوم وعملوا لها لحن وإتنين وتلاتة ، ومفيش حاجة منهم ضربت ونجحــت النجــاح الكبير اللى نجحته (إنت عمرى) .. التلاتة قالوا : " طيب ما إحنا كان ممكن نعمــل كده " .. طيب يا إخواننا ما عملتوش ليه !؟ .. هو حد كان منعكم !؟ .. مــا كانــت أم كلثوم فى إيديكم ، ماعملتوش كل اللى نفسكم فيه ليه !؟ .. أنا أفهم اللى يقول كده حــد يكون لسه لم تتح له الفرصة للتلحين لأم كلثوم ، فنقول معلش ، يمكن لو كات لفرصة أتيحت له كان عمل .. لكن اللى لحنوا لأم كلثوم دول مفروض مايجيبوش سيرة أبــداً بعد كده ..

سألت عبد الوهاب وهو يشرب ربع كوب من الماء غير المثلج :

* وماذا بعد النجاح الكبير .. ماذا ستكون الأغنية الجديدة التى ستلتقيان فيها معاً !؟ .

– شوف يا حسين .. بصراحة أى كلام فى هذا الموضوع يعتبر سابقاً لأوانه .. لكن على أى حال فطالما إن الحواجز الى كانت موجودة بيننا قد زالت فأى إحتمالات بعد ذلك موجودة .. يعنى قد ألحن لها مرة فى كل موسم ، وقد ألحن لها مرتين ، ويمكن أكتر ويمكن أقل .. لكن الذى لا شك فيه هو أن التعاون بيننا أصبح موجوداً ، وهذا هو المهم ..

الأستوديو مكيف الهواء ، والجو فى الخارج شتاء ؛ لذا خلع عبد الوهاب البالطو والكوفية ، فظهرت الرقبة البلاستيك التى لازالت تحيط بعنقه بأمر الأطباء .. سألته :

- كنت قد قلت لى فى آخر مرة إلتقينا فيها أنك (بتفكر) فى أن تلحن أغنيات (فرانكو آراب) .. فهل لازلت تفكر ، أو أنه قد آن الأوان لهذا التفكير أن يخرج إلى حيز الوجود !؟ ..

وتمهل عبد الوهاب كأنما هو متردد فى الإجابة ، لكن يبدو أنه أخيراً توكل على الله وقال :

– فعلاً قرب يحصل .. وأنا كان عندى من فترة طويلة كلمات كويسة لأغنيات بلغات أجنبية كتبها شاب صعيدى من ملوى إسمه " عمر الريجى " .. وكانت المشكلة إنى مش لاقى الصوت اللى يغنيها بالشكل اللى أنا عايزه ؛ لغاية ما وجدته أخيراً فى المهندس الشاب " سمير الإسكندرانى " .. شاب قعد فى أوروبا كذا سنة وعاش فى جو هناك وتأقلم به .. عملت له أغنيات (فرانكو / آراب) عبارة عن جمل موسيقية شرقية عليها كلمات باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية .. بدأنا بأغنية عن النيل وسحر مصر ونخيلها على موسيقى (الخيام) بتاعتى .. وسأعيد التوزيع

الأوركسترالى لها غير اللى وزعه فى لندن الموسيقى مستر " لاف " .. وأرجو أن أتمكن من إذاعتها قريباً ..

وإنتهى عبد الوهاب من عمل مونتاج (إنت عمرى) فاختصرها من ساعتين و١٣ دقيقة إلى ساعة وربع فقط .. فرفع منها حوالى ساعة كاملة !! ..

وعدنا مرة أخرى إلى سيارته لنعود إلى بيته فى الزمالك .. فى الطريق قلت له :

* فتحت على نفسك بابين جديدين فى وقتٍ واحد : أم كلثوم ، والفرانكو / آراب)

- نسيت الثالث : الأوبريت ..

* فعلاً .. إيه أخبار (هدية لإثنين) الأوبريت اللى إنت بتلحنه !؟ ..

- خلصت فعلاً الفصلين الأول والثانى من الأوبريت ، وباقى الفصل الثالث .. وبنجتمع باستمرار أنا وإحسان عبد القدوس كاتب قصة الأوبريت ، ويوسف السباعى اللى بعمل له المعالجة المسرحية ، وحسين السيد اللى نظم الأغانى والأزجال ، وعبد الحليم نويرة مدير المسرح الغنائى .. بنجتمع علشان نضع التفاصيل والخطوط النهائية للأوبريت ..

* يعنى ينتظر أن نشاهد أول أوبريت من تلحينك هذا الموسم !؟ ..

وأجاب عبد الوهاب بشكل قاطع :

- هذا الموسم حتماً لأ .. لكن المفروض أو المتفق عليه حتى الآن أن يفتتح المسرح الغنائى به

* * *

وصلنا إلى بيت عبد الوهاب ونزل من السيارة وطلب من سائقه أن يوصلنى إلى مكتبى .. قلت له مشاكساً :

- أقول لك على خبر جديد عنك !؟ ..

قال مندهشاً :

- خبر جديد عنى أنا !؟ .. يعنى خبر أنا ماأعرفوش !؟ ..



* لأ ، تعرفه .. بس ماتعرفشى إنى أنا أعرفه ، أو إن أى حد غيرك يعرفه !!

– شوقتنى .. إيه !؟ ..

* إمتى حاتكمل تسجيل القرآن بصوتك !؟ ..

وضحك عبد الوهاب وقال :

– مش حاسألك عرفت الحكاية دى إزاى ، لكن الخبر صحيح .. أنا بالفعل مسجل عدة سور من القرآن بصوتى .. وكل ما أكون فى ستوديو مصر بأسجل سورة أو سورتين من القرن وأتركهم عند " نصرى عبد النور " مهندس الصوت بالأستوديو .. وناوى بإذن الله فى الصيف ده أكمل تسجيل القرآن كله بصوتى .. وعلى فكرة ؛ بأسجله تلاوة وتجويداً وترتيلاً ، يعنى مش مجرد قراءة ..

* * *

* لحن جديد لأم كلثوم ..
* وألحان (فرانكو / أراب) لأول مرة ..
* وأوبريت لأول مرة ..
* ثم القرآن الكريم بصوت عبد الوهاب لأول مرة ..

يبدو أن عام ١٩٦٤ هو عام محمد عبد الوهاب ..

نشر فى مجلة (بناء الوطن) القاهرية – العدد ٥٨ – بتاريخ ١ أبريل ١٩٦٤

ألبوم الذكريات

محمد عبد الوهاب ، (الفلتة) ، أو الظاهرة التى نادراً ما تحدث .. الفنـــان الذى فرضه فنه ليكون علامة واضحة فى تاريخنا الموسيقى والغنائى ، المتطور دائماً ، المجدد دائماً ، الذى يغير أثواب موسيقاه ويبدل ألوانها وخطوطها وإتجاهاتها لتتواءم مع أذواق ورغبات المستمعين المتلقين على مدى ثلاثة أجيال حتى الآن ..

عبد الوهاب هذا ، موسيقار كل عام ، موسيقار الـــ ٣ أجيال الماضية ؛ كان لى معه هذا اللقاء ..

* * *

كنت أجلس مع الموسيقار الكبير نلتمس دفء الشمس فى شرفة شقته المطلة على النيل فى الزمالك .. وكعادة عبد الوهاب حين (ينجلى) يحكى وينطلق ، وينقل الحديث من الشرق إلى الغرب ، ومن الموسيقى إلى الطعام ، ومن السياسة إلى الحب ، ومن الحاضر إلى الماضى .. وعند الماضى توقف عبد الوهاب طــويلاً وســرحت عيناه من خلف نظارته إلى ما وراء الأفق البعيد .. وتاه منى عبد الوهاب فى زحمـــة الذكريات ، واسترخى فى مقعده الطويل ، ثم راح يحكى وهو لا ينظر إلـــىّ وكأنـــه يتذاكر ماضيه ويحكى لنفسه عن نفسه .. أحيانا بصفة المتكلم ، وأحياناً بصفة الغائب ، وكأننى غير موجود معه ..

- صحيح .. الإنسان تصنعه ظروفه ، أو تضطره ، إلى أن تلتقط له كثير من الصور فى مناسبات عديدة .. هذا الإنسان يكون له نوع آخر من الذكريات ، تستطيع أن تسميها (ذكريات مصورة) أو (ذكريات بالصور) ..

منذ عدة أيام وأنا أقلب فى أدراج مكتبى فى البيت ؛ وجدت مظروفاً لصور لى كان منسياً فى هذا الدرج منذ سنوات .. وقلبت فى الصور ؛ فإذا بى أجد نفسى أعيش حياتى كها من أول وجديد .. وجدت نفسى أخوض فى أعماق ماضىّ وأعود أكثر من ٤٠ سنة إلى الوراء .. عدت طفلاً مرة أخرى ..

وجدت صورة لمحمد عبد الوهاب الطفل ، محمد عبد الوهاب الصبى الصغير بأعوامه الإثنى عشر التى يثور عليها ولا يعترف بها فيحاول أن يبدو أكبر من عمره الحقيقى .. يحاول ذلك بالياقة المنشاة والكرافتة والكم المنشى ، ويمسك فى يده (منشة) ، رغم أن ولا واحد من الجالسين معه فى الصورة وجميعهم أكبر منه فى العمر بأكثر من ضعف عمره كان يمسك بـ (منشة) فى يده .. وحتى إذا جاز لهم أن يفعلوا فلا يجوز له هو بأعوامه الإثنى عشر ..

وجدت عبد الوهاب الطفل ، فى نفس الصورة ، يجلس بين قدمى الرجل الذى إحتضنه وتبناه ، المرحوم " عبد الرحمن رشدى " .. الذى كان يدفع بى إلى وسط العمالقة الممتازين فى فنهم ، لكى أندمج فيهم وأكون قريباً من العبقريات ، فأتشرب منهم بالفن الصحيح ..

فى ذلك الوقت ، سنة ١٩٢٢ ، كانت الفرق المسرحية تمثل مسرحياتها وأوبريتاتها فى بيوت الباشوات والأعيان .. وكنت أعمل مع فرقة " عبد الرحمن رشدى " أغنى بين الفصول الأغانى التى كان يغنيها الكبار فى ذلك الوقت .. ولم يكن غريباً أن يغنى عبد الوهاب الطفل لحن الشيخ " سلامة حجازى " (عذبينى فمهجتى فى يديكى ، وأؤمرينى فالقلب طوع يديكى) .. فى هذه الصورة تجد أيضاً عمر وصفى وعبد العزيز

* * *

وعدت أقلب فى الصور حتى وصلت إلى صورة أخرى .. صورة لى مع فتاة شابة ..

فى سنة ١٩٢٣ كان الطفل محمد عبد الوهاب لا زال يتشبث بالبدلة الكاملة ، الغامقة ، والياقة المنشاة والكم المنشى والكرافتة ، بل وزاد عليه الطربوش الطويل الذى لا يناسب عمره الصغير ويكاد رأسه أن يغرق فيه ؛ يريد أن يبدو كبيراً دون أن يدرى لماذا .. هل لأنه كان يعتقد أن تقدم السن به ، ولو فى المظهر ؛ سيمكنه من إستيعاب قدر أكبر من الحياة والمعرفة ، أم لأن هذه هى سمة الصغار فى هذه المرحلة من العمر ..

السيدة أو الفتاة التى كانت مع عبد الوهاب فى الصورة والتى يمسك بيدها بكل جدٍ ووقار كرجل كبير ؛ إسمها " فاطمة قدرى " .. وفى ذلك الوقت كانت مثل " شادية " الآن ، تغنى الأغانى الخفيفة ، فى الوقت الذى كنت أنا أغنى فيه الأغانى الجادة والقصائد .. ولم أكن ألاقى إعجاباً من الجمهور إلا لأنهم كانوا يشاهدون طفلاً صغيراً يغنى على المسرح ، أما أغانيه فى حد ذاتها فلم تكن تعجبهم وقتها .. كانت الحرب العالمية الأولى قد إنتهت منذ فترة قريبة والناس لازالوا يعانون من آثارها ، فانصرفوا عن سماع الأغانى الجادة وأقبلوا على سماع الأغانى الخفيفة التى إنتشرت فى ذلك الوقت وكانت أشهر مطرباتها هى " فاطمة قدرى " هذه .. وتزامل الإثنان : عبد الوهاب وفاطمة قدرى فى (فرقة على الكسار) التى قدمت فى ذلك العهد – عام ١٩٢٣ – مسرحيات (إحم) و(إش) و(ولو) و(راحت عليك) .. بينما كانت (فرقة عبد الرحمن رشدى) تقدم الروايات الجاد المترجمة ، مثل (الموت المدنى) و(البدوية) و(النائب هالير) .. ولذلك فشلت هى و(فرقة على الكسار) معاً ..

ويتأمل عبد الوهاب – الكبير الآن – الصورة قليلاً ثم يضعها أمامه فجأة ، مقلوبة ، ويده لا تزال فوقها ، ويستطرد وهو مازال فى إستغراقه :

– وتمر الأيام ويكبر الطفل محمد عبد الوهاب ويصبح عمره أكثر من ٥٠ سنة ، ولا يعرف شيئاً الآن عن فاطمة قدرى ولا أين سارت بها الحياة ..

يستطرد عبد الوهاب :

وأعود للتقليب فى مجموعة الصور التى وجدتها فى المظـــروف فـــى درج مكتبى .. وتمر السنوات من خلال الصور حتى أتوقف عند صورة ألتقطت فى ربوع لبنان سنة ١٩٣٠ .. سنة ١٩٣٠ يكبر عبد الوهاب ويصبح فى العشرين ، ورغم ذلك لازال متمسكاً بمظاهر الوقار ، ومن هذه المظاهر العصا فى يده .. وأتعرف بـــأمير الشعراء " أحمد شوقى " الذى يحتضننى ويرعانى ، ويصحبنى معه كل عام إلى لبنان التى

هناك ، وفى هوتيل (الجبيلى) بالذات فى (علاى) لحنت لحنين من أشهر ألحانى : (مريت على بيت الحبايب) و(كتير يا قلبى الذل عليك) .. وهناك أيضـــاً فى لبنان تعرفت بالشاعر " بشارة الخورى / الأخطل الصغير " .. ويعجبنـــى مطلـــع إحدى قصائده فأطلب منه باقى القصيدة ، لكنها لم تكن قد إكتملت بعد فى ذهن الشاعر .. وتمضى ٤ سنوات قبل أن أتلقى رسالة من " الأخطل الصغير " وفيها باقى القصيدة .. القصيدة التى مطلعها

الهوى والشباب والأمل المنشود
توحى فتبعث الذكر حيا
الهوى والشباب والأمل المنشود
ضاعت جميعها من يديا

وثبت لى أن إحساس الفنان لا يخيب أبداً ؛ فمازالت هذه القصيدة تذاع إلـــى اليوم محتفظة بجدتها وجمالها وكأنها لحنت وغنيت بالأمس فقط ..

* * *

المحرر : " فاطمة خليل قدرى " سارت بها الحياة وطرق الحظ بابها حتى أصبحت أشهر ممثلات عصـــرها وأطلق عليها لقب (سارة برنارد الشرق) ولقب (حبيبة الطلبة) ، وأصبحت نجمة سينما كبيرة قامت ببطولة واحد من أشهر الأفلام فى تاريخ السينما امصرية ، فيلم (العزيمة) .. " فاطمة خليل قدرى " هـــى نفســـها " فاطمة رشدى " !! .. إنتهت الملحوظة) ..

ومضيت أقلب فى مجموعة الصور ، وكل صورة تشدنى إليهـا بمناسـبتها وظروفها .. حتى توقفت مرة أخرى عند صورة ، هى الصورة الوحيدة فى ألبومى ، وفى هذه الصورة حياة بأكملها .. حياة محمد عبد الوهاب .. فقد كان الشاعر شـوقى فى حياة المطرب الصغير محمد عبد الوهاب حياة أخرى كاملة ..

هذه الصورة لها مناسبتان :

حين تزوج " على " إبن المرحوم " أحمد شوقى " فى فترة الإئـتلاف ، أراد سعد زغلول مجاملة شوقى وحامد العلايلى – والد العروس – الذى كان من زعمـاء حزب (الأحرار الدستوريين) ، فطلب سعد باشا أن يحضر للتهنئـة فـى السـاعة الخامسة مساءً قبل ضجة الفرح ، على ألا يكون أحداً موجوداً .. وحين جاء لم يكـن موجوداً إلا أربعة فقط : شوقى ، وحامد العلايلى ، وعبد الرحمن الجـديلى سـكرتير سعد زغلول ، وأنا .. وكان شوقى يكره التصوير ولا يحب أن تلتقط له صور .. لكن " الجديلى " قرر ألا يجعل هذه الفرصة تمر دون صورة تذكارية ؛ فجاء بمصور دون علم شوقى ، وأدخله عليهما فى الصالون وكانا يجلسان متجاورين .. وأراد " الجديلى " أن يلطف الجو حتى يسمح شوقى للمصور بالتقاط الصورة ، فقـال : " الآن إجتمـع الخلودان : خلود السياسة وخلود الشعر .. ولن نترك هذه الفرصة تمر دون أن نسجل هذا الإجتماع بصورة تذكارية " .. فقال سعد زغلول وقد أخذه التأثر : " بـلاش كـلام فارغ يا جديلى .. خلود سياسة إيه .. بكرة سعد زغلول يتنسى ويبقى الخلود الحقيقى .. خلود الفن " .. وأمسك سعد زغلول بيد شوقى يحاول تقبيلها ، لكن شوقى سحب يده ، وتمسك بها سعد ، وتجاذبا إلى أن تمكن سعد من تقبيل يد شوقى ، فتعانقا ..

وينتهز عبد الوهاب الفنان الفرصة بعد إنصراف سعد زغلول فيطلـب مـن شوقى أن تلتقط له صورة معه ، وقد كان .. وهى الصورة الوحيدة التى تجمـع بـين شوقى وعبد الوهاب ..

* * *

وأعود إلى تقليب الصور .. وتمر كل واحدة منها أمامى وهى تطوى معها فترة من الزمن ، من عمرى ، حتى أصل إلى صورة أشعر كأنها قوة قاهرة تجذبنى إليها .. يا الله .. سبحان الحى الباقى .. ستة إجتمعوا فى عام ١٩٣٤ فى ستوديو [أوفا] فى برلين .. وتمر ثلاثون عاماً ، ويذهب خمسة منهم إلى لقاء ربهم ، ولا يبقى منهم إلا واحد فقط ، وهذا الواحد هو أنا !! ..

عادت بى هذه الصورة ٣٠ سنة إلى الوراء ، وذكرتنى بخلق السينما فى مصر ، السينما الناطقة التى لم تكن قد دخلت إلى مصر بعد ، وفكرت أنا فى إدخالها .. وكان المرحوم طلعت حرب الذى كانت تربطنى به صلة كبيرة لدرجة أننى كنت أعتبره أباً روحياً لى .. كان المرحوم طلعت حرب قد أنشأ (ستوديو مصر) وقتها لتقديم (جريدة مصر الناطقة) المصورة ، وأفلام الدعاية لشركات بنك مصر .. وكان ممكناً أن يخرج فيلمى الناطق من هذا الأستوديو ؛ لولا أننى كنت مقتنعاً تماماً بأن ستوديو مصر وقتها لم تكن قد إكتملت له العناصر التى تكفل للفيلم النجاح المرجو .. وخشيت أن يغضب منى طلعت حرب لو عملت فيلمى فى مكان آخر .. فذهبت إليه ووضعت الأمر بين يديه وسألته إن كان يغضبه أن أصنع فيلمى فى أوروبا !؟ .. لكن المرحوم طلعت حرب أجابنى بأن الذى يغضبه هو أن يقدم عبد الوهاب عملاً فنياً لا يرضى عنه ولا يكون فى المكانة اللائقة به ..

ويذهب عبد الوهاب مع (إخوا بيضا) أصحاب شركة الإسطوانات التى كانت معروفة بإسمهم (بيضافون) ؛ إلى ستوديو [أوفا] فى برلين ، ولا نتمكن من العمل فيه ، فيعود مع أبطال الفيلم إلى باريس ، ومن ستوديو [كلير] بباريس خرج أول فيلم لعبد الوهاب : (الوردة البيضاء) ..

* * *

رأس البر ، وأسمهان ، والجندول ، وسنة ١٩٣٩ ..

المطرب محمد عبد الوهاب أصبح عمره الآن ٢٩ سنة ، وأصبح له إسم كبير فعلاً فى عالم الطرب ، وصيف يقضيه فى رأس البر فى ضيافة الصحفى الكبير

" محمد التابعى " .. وهناك مرض عبد الوهاب .. وفى أشد فترات مرضه هبط عليه النصف الأول من لحن أغنيته المشهورة (الجندول) .. إستغرق تلحين نصفها الأول ٥ دقائق ، وإستغرق تلحين نصفها الثانى عاماً كاملاً !! ..

وأسمهان .. أسمهان كانت تحيا حياة غريبة جداً وقتها .. كانت تغنى وتشرب ، وتشرب وتغنى فى وقتٍ واحد .. حتى أشفق مطربنا الشاب عليها فنصحها بألا تكثر من الشراب ، فقالت له : " إتركنى ، فأنا أشعر أننى سأموت فى شبابى " .. وفعلاً ماتت أسمهان فى عز شبابها !! ..

* * *

ويبتسم عبد الوهاب والسعادة تملأ وجهه كله حين يرى هذه الصورة : صورته وهو يغنى ويضع على رأسه (كاب) لضابط فى القوات المسلحة ..

هذه الصورة لها ذكرى أيضاً من أجمل ذكرياتى .. كنت قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بسنوات عديدة بعيدة قد توقفت عن الغناء شخصياً فى حفلات عامة وفى المناسبات .. وبعد الثورة لم أغنى للجمهور فى مكان عام إلا مرتين فقط : كانت الأولى فى نادى ضباط الجيش وغنيت (كل ده كان ليه) .. والثانية المرة التى غنيت فيها فى ميدان عابدين نشيد (ناصر ، كلنا بنحبك ، ناصر ، وحانفضل جنبك ، ناصر ، يا حبيب الكل يا ناصر) .. غنيت أمام الآلاف من المواطنين فى ميدان عابدين الفسيح المتسع .. وكانت حناجر وقلوب الآلاف المحتشدة هى الكورس الذى ردد ورائى نشيد (ناصر) .. وغلب الحماس والإنفعال أحد ضباط القوات المسلحة وكان يقف إلى جوارى ؛ فخلع الـ (كاب) من فوق رأسه ليضعه على رأسى أنا .. وسعدت جداً بهذا الشعور وكأنه وسام أو شهادة تقدير من قواتنا المسلحة ..

وسكت عبد الوهاب فجأة وهو يتناول صورة أخرى ، ويظل يتأملها فترة طويلة وقد أوشكت الدموع أن تصعد إلى عينيه ، لكنه يغالب نفسه وهو يقرأ سورة (الفاتحة) بصوتٍ خافت لا يكاد يصل إلى أذنى .. ويقول عبد الوهاب بصوته الخافت المتهدج:

- ست الحبايب .. أكبر حب فى حياتى .. كانت الصدر الحنون الذى أهرب إليه فى أزماتى ، وكنت أجد عندها دائماً الطمأنينة والراحة والإستقرار والإسترخاء .. كنت أعود بين يديها طفلها الصغير محمد ، وأنسى معها كل شئ إلا أننى محمد وهى أمى .. ويوم ماتت أمى ست الحبايب أحسست رغم المئات من الأصدقاء الذين كـانوا حولى كأن روحى أنا تنسحب منى وأحسست بالبرد والصقيع يلتفان حول قلبـى فـى داخلى ، أحسست بوحدة قاسية وبأننى يتيم كبير عمره أكثر من ٥٠ سنة !! ..

(صورة عبد الوهاب فى المستشفى بعد أن إعتدى عليه وضـربه على رأسه واحد مختل إنتظره أمام باب العمارة وهو نازل) ..

وعبد الوهاب الرشيق ، الحساس المرهف ، الشاعرى ، يكره رؤية ما يثيـر مشاعره أو ذكرياته التى لا يحب أن يستعيدها أو يتذكرها .. صدمته هذه الصورة .. كان قد نسيها وأبعدها تماماً عن فكره .. لكنه يراها الآن تقف أمامـه فجـأة لتـذكره بمناسبتها :

- المجنون .. منه لله .. الله يسامحه على أى حال فقد أفادنى من حيث لا يشعر .. فقد كانت آلاف القلوب التى إلتفت حولى فى محنتى هى نفسها دواء وشفاء .. وآلاف الآلاف من الخطابات والبرقيات التى وصلتنى أيامها .. كانت كل رسالة منهـا جرعة حياة تنصب فى داخلى وتجعلنى أقوى مما كنت .. وكـان العطـف والرعايـة والحب التى لقيتها وأنا فى المستشفى ، ثم بعدها وأنا فى بيتى ، كلها جعلتنى أعود شاباً من جديد .. أحسست أن علىّ ديناً يجب أن أعيش لأرده لملايين القلوب التى تأثرت من أجلى وملايين الشفاة التى دعت لى بالشفاء .. ولازلت أسدد هـذا الـدين إلـى الآن ، وسأظل أسدده طول عمرى ..

ويصمت عبد الوهاب قليلاً ، ثم يستطرد بصوتٍ خافتٍ حالم :

ما أجمل أن يشعر الإنسان الفنان فى أزماته بأن قلوب الناس حوله ترعاه ..د.

* * *

(صورة لعبد الوهاب جلساً وحده تماماً فى قاعة الأستوديو وحوله مئات الكراسى شاغرة تماماً ولا أحد فى المكان إلا هو)

- بالضبط ، هذا أنا .. بعد أن أسجل اللحن الجديد مرة ومرتين وثلاثة و١٠ مرات ؛ أفضل أن أكون فى الأستوديو وحدى تماماً هكذا وأن أستمع إلى اللحن المسجل ، مرة ومرتين وثلاثة وعشرات المرات .. ومخى كله يتحول إلى آلة موسيقية كبيرة تحس بالجملة ، بالنغمة ، بالحركة ، وبالنشاز أيضاً .. أختار من هنا وأختار من هناك .. فأنا (موسوس) طول عمرى .. والوسوسة فن الفن - فى رأيى - ليست عيباً ، بالعكس ؛ هى ميزة .. هى محاولة دائمة مستمرة للوصول للأحسن .. والذى يرضى عن نفسه مغرور وتعبان .. وقد إعتدت أن أنقد نفسى قبل أن ينتقدنى الآخرون .. ودائماً لا أشعر بالرضاء الكامل عن أعمالى الفنية ، وحين أسمعها بعد فترة أحس أنه كان من الممكن أن تكون أفضل من ذلك ..

* * *

- ماكدبشى اللى سمها (ست الكل) ، فهى ست الكل فعلاً .. الفنانة الكبيرة القديرة المتمكنة (فلتة) عصرها وزمانها .. شخصية صوتها وأداؤها ثروة فنية كبيرة نادرة ..

مرات عديدة كان مقدراً لنا أن نجتمع فى عمل فنى واحد : ألحن لها وتغنى لى .. ولكن فى آخر لحظة كان المشروع يتعثر ويتوقف فى كل مرة .. وهكذا قدر لنا أن يظل كل منا يمضى فى طريقه بمفرده ولا نلتقى إلا بعد أكثر من ٤٠ عاماً من بدء ظهورنا على الساحة الفنية .. ثم تكون (إنت عمرى) هى التى فتحت لنا الباب الذى ظل موصداً عمراً طويلاً .. وبعدها (على باب مصر) و(إنت الحب) و(أمل حياتى) .. وسنظل نلتقى ونلتقى دائماً .. والجايات كتير بإذن الله ..

* * *

- وإذا كانت هناك أزمات قد مرت بى شعرت خلالها بمدى حب الناس لى وتقديرهم والتفافهم حولى ؛ فإن هذا اليوم هو يوم حياتى كلها ، الذى شعرت فيه أن

الدولة نفسها ، مصر كلها ، تتوج حب الناس وتقدره وتترجمه .. شعرت بـــأن الفـــن الصادق المخلص الأصيل قطعاً يلقى تجاوباً صادقاً مخلصاً أصيلاً هو الآخر .. ويوم قلدنى جمال عبد الناصر الوسام فى عيد العلم شعرت وقتها بأننى أتلقى شهادة تقـــدير رسمية من الدولة نفسها لكفاح حياتى .. وكانت هذه اللحظة هى أمل حياتى كلها ..

نشر فى مجلة (بناء الوطن) القاهرية – العدد ٨٠ – فى ١ فبراير ١٩٦٦

عبد الوهاب ، وشوقى ، وأم كلثوم ..

دائما أقول لنفسى كلما كنت ذاهباً للقاء محمد عبد الوهاب : ما الجديد الــذى لم يقله بعد كل هذا العمر الطويل ؛ أكثر من ثلاثة أرباع قرن ، للصــحافة !؟ .. لــم يجمع الصحفيون على حب فنان كما أجمعوا عليه ، ولم يكتبوا عن فنان كما كتبوا عنه .. ودائماً كنت أجد عند عبد الوهاب جديداً لم يقله ، ولو إلتقى عبد الوهــاب بعشــرة صحفيين فى يوم واحد لخرج كل واحد منهم بحديث مختلف تماماً وموضوع مختلــف تماماً ..

* * *

يشترك عبد الوهاب مع أم كلثوم فى أشياء ويختلف عنهــا فــى أشــياء .. يشتركان فى أن كليهما قد ولد فى مطلع القرن العشرين ، هما إذن أبناء جيل واحد .. هو خرج من حوارى حى (باب الشعرية) أكثر أحياء القاهرة شعبية ، وهى خرجت من أزقة قرية (طماى الزهايرة) واحدة من أصغر قرى الســنبلاوين ولا أظــن أن إسمها مطبوعاً على خريطة مصر .. يشتركان فى أن كليهما دق أبواب الفن بإلحــاح وهو دون العاشرة من العمر .. يشتركان فى أن كليهما كان صبوراً ودؤوباً ومصــراً على أن يقطع المشوار من تحت السفح بكثير إلى فوق القمة بكثير .. بنت (طمــاى الزهايرة) غنت فى [أوليمبياد] باريس ، وإبن (باب الشعرية) لفت ألحانه وموسيقاه الدنيا كلها .. يشتركان فى كل منهما قد لقى من التكريم فى حياته ما لم يلقه أى فنــان

آخر قبلهما : أم كلثوم لها شارع كبير بإسمها فى تونس ولها (فرقة أم كلثوم للموسيقى العربية) وتمثال فى دار الأوبرا المصرية ، وعبد الوهاب له (مسرح محمد عبد الوهاب) فى نفس الشارع الذى شهد بداياته الفنية ، شارع عماد الدين ، ومنحه الجيش المصرى رتبة (لواء) فى القوات المسلحة ، ومنح أيضاً درجة الدكتوراة الفخرية ، وله تمثال فى دار الأوبرا المصرية فى الجزيرة ..

ومن هنا نبدأ مع محمد عبد الوهاب ..

* * *

لا أظن أن فناناً عربياً قدم للموسيقى بثراء ما قدم " محمد عبد الوهاب " ..

فى بداية مشواره الفنى بدأ كـ (أصغر) ما يمكن أن يبدأ فنان ما طريقه الطويل : بدأ وهو فى العاشرة من عمره ، وعرف طريقه إلى الصالات وخشبات المسارح وهو فى هذه السن المبكرة جداً .. فعركته الأيام وصقلته وصهرته ومرسته وزودته بالخبرة والتجربة .. ووهو فى السن التى كان فيها أترابه يلعبون فى الشواع والحوارى والأزقة وكل اهتماماتهم منحصرة فى اللعب واللهو ؛ كان " عبد الوهاب " الطفل يقف على خشبات مسارح (عماد الدين) ليغنى أمام الجمهور ..

ثم يلتقطه أمير الشعراء " أحمد شوقى " ليتبناه فنياً ويدفع به أمام جمهور غير الجمهور الذى اعتاده ، جمهور يجعل منه (مطرب الملوك والأمراء) كما أطلق عليه فى تلك الفترة .. وينزل أمير الشعراء العظيم من عرش إمارته ليكتب لـ " عبد الوهاب " ، ولـ " عبد الوهاب " وحده ، أزجالاً غنائية يغنيها بصوته فتضيف إليه وترفعه كما رفعه ارتباط إسمه بإسم " شوقى " ..

ويبلغ من حب " شوقى " له وعطفه وحنوه عليه أن إسم " محمد عبد الوهاب " كان آخر ما نطق به وهو يموت حين قال لمن حوله : " سلموا لى على محمد " !! .


أم كلثوم


أحمد شوقى

ويأتى عصر انتشار الإسطوانة فى مصر وفى العالم العربى ، ذلك العصر الذى يلحق به من سبقه إبتداءً من " ألمظ " و" عبده الحامولى " ومن جاء بعدهما ، فيحمل مد الإسطوانة " عبد الوهاب " إلى شواطئ بعيدة جداً فى كل أنحاء الوطن العربى ..

ثم تأتى السينما بشاشاتها الفضية الصامتة ثم الناطقة ، وكان طبيعياً ألا يتعامل (المطرب) عبد الوهاب مع السينما الصامتة ، لكنه كان أول من غزا السينما الناطقة بفيلمه (الوردة البيضاء) ليكون أول فيلم عربى غنائى ناطق عام ١٩٣٣ .. ورغم أن الأفلام التى مثلها " عبد الوهاب " فى السينما قليلة لا تعد على أصابع اليدين ؛ إلا أنها نقلته ونشرته صوت وصورة إلى كل مكان فى المشرق وفى المغرب العربيين ، وجعلت أغنياته وألحانه تتردد فى البيوت وفى الشوارع وعلى ألسنة كل الناس ، حتى أن " عبد الوهاب " أصبح (موضة) عصره فى الثلاثينيات والأربعينيات ؛ فقص الشباب شعورهم وسوالفهم مثلما كان يفعل " عبد الوهاب " وفصلوا ثيابهم مثلما كان يلبس ووضعوا أيديهم فى جيوبهم بالطريقة التى كان يفعلها بها ، وأصبحت (وردة الحب الصافى) هى رمز المحبة بين العاشقين منذ غناها " عبد الوهاب " ..

وأيضا جاء مع بداية ظهور " عبد الوهاب " وانطلاقه بداية عصر الصحافة الفنية فى مصر وانطلاقها .. والصحافة المتخصصة فى أى مكان فى العالم يهمها أن تخلق (نجماً) لكى تتحدث عنه : فترتفع به ويرتفع بها .. لكــن الصــحافة الفنيــة المصرية والعربية لم تكن فى حاجة إلى أن تخلق نجماً لأن " عبد الوهاب " كان قــد أصبح نجماً بالفعل لا ينتظر خلقاً جديداً ، فاحتضنت الصحافة الفنية والعربية " محمد عبد الوهاب " وأعطته الكثير ، وبادلها هو المودة ، ولعب ذكاء " عبد الوهاب " دوراً كبيراً فى ذلك واستطاع أن يمد الجسور بينه وبين الصحفيين فى كل بلد وفى كل دار صحفية ، لا يكتفى بصداقة الكبار إنما يشعر أصغر صحفى فى أصغر مجلة أو جريدة بأنه صديق شخصى لــ " عبد الوهاب " ..

وجاء الراديو أيضاً : الإذاعة ، بانتشارها فى كل شبر فــى أنحــاء الأرض تحمل صوت " عبد الوهاب " إلى كل فلاح فى حقله وإلى كل عامل فى مصنعه وإلى كل ربة بيت فى مطبخها وكل سائر فى طريق وكل مار فى شارع ، فجعلت " عبــد الوهاب " وصوت " عبد الوهاب " وألحان " عبد الوهاب " تسرى فى كل مكان لا أقول كالنار لكن كالنسيم يرطب القلوب ويفتحها للحب وللحياة .. وتعددت الإذاعات فى كل بلد عربى وتعددت فى مصر مركز الإشعاع الفنى العربى : البرنامج العام وصــوت العرب وإذاعة السودان وإذاعة الشباب والشرق الأوسط والبرامج الموجهة بكل لغات العالم ، وكل هذه القنوات والموجات تذيع وتنشر أغانى وألحان " عبد الوهاب " لنفسه وللآخرين ٢٤ ساعة فى اليوم .. حتى أنه يوجد برنامج فى إحدى إذاعــات القــاهرة إسمه (ما يطلبه المستمعون من أغنيات محمد عبد الوهاب) ، وكان المقياس الذى لا يكذب على مدى انتشار أغانى وألحان " عبد الوهاب " هو عائد (حق الأداء العلنى) التى تحصله من العالم كله جمعية المؤلفين والملحنين بباريس والذى يأتى اسم " محمد عبد الوهاب " دائماً على رأس قائمته طوال السنوات الخمسين الأخيرة ، وحتى أنه فى بعض السنوت كان نصيب " عبد الوهاب " وحده منه يعادل نصيب بــاقى الملحنــين مجتمعين !! ..

* أستاذ عبد الوهاب أحمل لك التهنئة أسرة جريدة [المنار] اللندنية لحصولك على الإسطوانة البلاتينية .. ونود لو نعرف قصتها منك شخصياً ..

– أشكرك وأشكر أسرة [المنار] كلها على تقديركم وأرجو أن أكون أستحقه .. شوف يا سيدى قصة الاسطوانة البلاتينية تفاصيلها أن شركة (٣؛ ٣) وهى عبـــارة عن إتحاد يضم ١٥٨ شركة عالمية للإسطوانات تبلغ مبيعاتها حوالى ٩٠٠ مليون جنيه إسترلينى فى السنة .. شئ خطير جداً .. يعنى كأنها دولة ، لأن دخلهـــا يزيـــد عـــن ميزانيات بعض الدول .. شركة (٣؛ ٣) عندها تقليد أنه حين يصل رقم مبيعـــات اسطوانات أحد مطربيها إلى درجة معينة : مليون اسطوانة أظن ، تعمل له اســـطوانة ذهبية تهدى إليه .. هذا التقليد مقصود به الناحية المادية من حيث أرقام بيع اسطوانات هذا الفنان ، والناحية الثانية من حيث التأثير المعنوى للإنتاج الفنى لهذا الفنان ..

وهناك مرحلة أكبر أو درجة أعلى وهى الاسطوانة البلاتينية التى أعطيت مـــن قبل لفنان عالمي واحد قبلى وأنا الثانى بكل تواضع .. وأظن أن أول من حصل عليها مطرب فرنسى قد يكون " موريس شيفالبيه " وقد تكون المطربة " إديث بياف " لســـت أذكر تماماً .. وأرادت شركة (٣؛ ٣) أن تقدم لى الاسطوانة البلاتينية تقديرا منهـــا لملحن ومطرب وفنان عربى كان له هذا الأثر المادى والمعنوى .. والكلمة المطبوعة فى الإهداء على الإسطوانة معناها كبير جداً أخجل من ذكره ، لكن مضمونه هـــو أن هذه الاسطوانة أهديت لمن أثرى فنه وأسعد العالم أو الناس بفنه وأثر فى عصـــره .. شئ من هذا القبيل .. وعرضوا علىّ أن يقام الحفل الذى تسلم لـــى فيـــه الإســـطوانة البلاتينية فى قاعة [رويال ألبرت هول] فى لندن أو فى أحد فنادق لندن الكبيرة ، فلما عرض علىّ ذلك وجدت فى داخلى حاجز نفسى يجعلنى أطلب أن يقام هذا الإحتفـــال فى القاهرة بدلاً من أن يقام فى أى بلد أجنبى ، يقام فى بلدى أنا بما أنها تقـــدم لفنـــان عربى وليس أوروبياً فمن الأفضل أن تقام فى وطنه هو .. وإقترحـــت ذلـــك علـــى المسؤولين فى شركة (٣؛ ٣) فرحبوا به ترحيباً كبيراً جداً وتصورت أن الرئيس " أنور السادات " لو شرف بحضوره هذا الإحتفال فتكون السعادة مضـــاعفة .. فقابلـــت

الرئيس " أنور السادات " بنفسى فى استراحته بالقناطر الخيرية وتكلمنا كثيراً عن الفن والفنانين ثم عرضت عليه الموضوع فكانت سعادته كبيرة جداً لمبدأ إهدائى الإسطوانة البلاتينية أولاً ، ولكونى ثانى فنان عالمى يحصل عليها ، ثم أيضا للطلب الذى طلبته وهو أن يقام الإحتفال بتسليمى الإسطوانة هنا فى مصر .. ووعدنى الرئيس السادات بأن يحضر الإحتفال ويلقى فيه كلمة .. وفعلاً مشينا فى هذا الترتيب ، لكن للأسف فى آخر لحظة نظراً للظروف السياسية سافر الرئيس السادات إلى الولايات المتحدة فى نفس اليوم المقرر أن يتم فيه الاحتفال ، لكنه أناب عنه السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية .. وأقيم الاحتفال وكان موفقاً والحمد لله .. وجاء من لندن لحضور الإحتفال سير " جون ريد " رئيس مجلس إدارة (٣؛ ٣) ومعه حوالى ٣٠ فرداً من مساعديه ومعاونيه ..

* * *

* وهل الإسطوانة بلاتينية فعلاً !؟ ..

– الإسطوانة عادية ، لكن القرص الداخلى المفروض ألا تدور عليه الابرة مصنوع من البلاتين .. والإسطوانة موضوعة عندى فى البيت الآن ..

* أستاذ عبد الوهاب .. كرمت كثيراً جداً فى مصر وفى دول أخرى كثيرة غير مصر .. هل كانت الإسطوانة البلاتينية هذه تحمل لك معنى خاصاً !؟ ..

– طبعاً ، تحمل معنى الشمول الأكثر والعمومية والإنتشار الأكثر والدخول إلى قلب البلاد الأوروبية .. يعنى دون شك إذا لم تكن شركة (٣؛ ٣) قد شعرت وهى تقرر إهدائى الإسطوانة البلاتينية بأن قرارها هذا نتيجة خبرة ودراسة وتقييم مضبوط وعن جدارة لما أهدتها إلىّ .. وحين يجئ هذا التقدير من شركة أوروبية عالمية تقيم فناناً عربياً فذلك دليل على أن الموسيقى العربية نفسها وفى ذاتها قد أصبحت لها أهمية ، ليس فقط فى البلاد العربية لكن أيضا فى البلاد الأوروبية ..

* * *

* ذلك يوصلنى إلى سؤال كنت أنوى أن أسأله لك : لماذا لم تصبح أغانينا وموسيقانا عالمية حتى الآن ، فى حين أن الموسيقى الهندية ، مثلاً ، أصبح لها مستمعيها فى كل مكان فى العالم ..

– موسيقانا أصبحت عالمية إلى حد ما وغير عالمية بالمعنى الكبير .. يعنى أصبحت عالمية من جهة أنك تجد الآن أن كثيرا من الجمل الموسيقية الموجودة فى أغانينا أو موسيقانا بتؤخذ ويؤلف عليها كلام بلغات أوروبية : الإنجليزية أو الفرنسية أو الروسية أو اليونانية .. وأنا عندى أشرطة تسجيل أجنبية عليها موسيقى من موسيقانا عليها كلام أفرنجى : (إنت عمرى) مثلاً فيه مطرب يونانى بيغنيها .. مثلاً : المقدمة الموسيقية للأغنية التى لحنتها للمرحوم (عبدالحليم حافظ) بعنوان (نبتدى منين الحكاية) غنت على موسيقاها مطربة فرنسية ، فى أمريكا سجلوا (القمح) كاملة من أولها لآخرها بكلام أفرنجى .. وأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل .. صحيح أنا لا أستطيع أن أقول إن موسيقانا وأغانينا أصبحت عالمية كاملة لأن ذلك معناه أنه يتعين أن يؤخذ العمل الفنى كله كاملاً من أوله لآخره وليس مجرد جمل موسيقية منه فقط .. الآن تؤخذ جمل فقط من أعمالنا الفنية ، لكن أن تؤخذ أغنية كاملة من أولها لآخرها أو عمل فنى من أوله لآخره فذلك لم يحدث حتى الآن ، لكنه على أى حال وقطعاً فى الطريق .. فما دام علم الموسيقى والمعاهد الموسيقية بدأت تنتشر والشباب يتعلمون فنحن إذن على الطريق .. لأننا كنا ينقصنا العلم ، وكل الأعمال الفنية المصرية الكبيرة التى عملت كان ينقصها العلم ، لأن الموهبة وحدها فى الموسيقى ليست كافية للوصول إلى العالمية ..

* ذلك أيضا يقودنى إلى سؤال كنت أنوى أن أسأله لك : هل الفنان والموسيقى الجيد شرط أن يتخرج من معهد الموسيقى !؟ ..

– لا ، ليس شرطا طبعاً .. يجوز فنان متعلم فى بيته (متعلم من منازلهم) .. وعلى سبيل المثال الأديب العظيم عملاق الأدب العربى المرحوم " عباس محمود العقاد " ليس معه من الشهادات غير الإبتدائية فقط ، وطبعا الإبتدائية لم تفده بشئ لأن

ملايين الناس معاهم الإبتدائية أيضاً ولم يصبح كل منهم " عباس العقاد " ، لكنه وصل إلى ما وصل إليه لأنه كان يريد أن يتعلم وعلم نفسه بنفسه .. وفى الموسيقى " أنــور منسى " مثلا لم يتخرج من معهد الموسيقى وإنما تخرج من بيته وأصبح أعظم عازف كمان فى عصره ..

* وسيد درويش وكامل الخلعى وعبده الحامولى وغيرهم ..

– كلهم متخرجين من منازلهم ، ولو أن هؤلاء لا نستطيع أن نقــول عــنهم متعلمين أو علموا أنفسهم ، هؤلاء كانوا موهوبين فقط ، وفى زمانهم لم يكــن هنــاك تعليم موسيقى ولم يكن ضرورياً أن يكون الملحن فاهم (هــارمونى) فلــم يتعلمــوه وعذرهم معهم ، لأنه لم تكن على أيامهم معاهد موسيقية ، يعنى لهم عذرهم فى أنهم لم يتعلموا ، لكننى لا أشك فى أن الشيخ " سيد درويش " لو كان على وقته فيــه فــرص ليتعلم الموسيقى أو كان فيه على أيامه معهد للموسيقى فلم يكن قد تردد قطعا فــى أن يتعلم الموسيقى ..

* * *

* أستاذ عبد الوهاب : المعركة المفتعلة الدائرة الآن حول عرش أم كلثــوم ، ما رأيك فيها !؟ ..

وتساءل عبد الوهاب مندهشاً كأنه يسمع هذا الكلام لأول مرة :

– يعنى إيه معركة حول عرش أم كلثوم !؟ .. هو فيه معركة حول أم كلثوم !؟ ..

* يعنى بيقال إن وردة هى التى ستخلف أم كلثوم ، لأ فايزة أحمد هى التى ستخلف أم كلثوم ، لأ

– لأ .. غير مقبولة المناقشة ، لأنه أولاً لا يوجد شئ إسمه فلان يخلف فلان .. يعنى ايه يخلف فلان !؟ .. يعنى يقلده مثلا !؟ ..

* لأ .. يعنى يحتل نفس مكانته الفنية ، أو بمعنى أقرب يرثها !! ..

- يحتل مكانته فى لونه شئ ، أو يحتل مكانته كمطرب أو مطربة شئ آخـــر .. يعنى إفرض أن هناك مطربة ليست على طريقة أم كلثوم لكن فى نوعهـــا أو فـــى لونها على مستوى كبير جداً يجعلها ممتازة فى هذا اللون ، فتبقى لها عظمتهـــا ولهـــا كفاءتها ولها جمالها ، لكن أن نقول (تحتل) لا .. إذا كانت كلمة (تحتل) مقصـــود بها أن تكون بنفس (قيمة) أم كلثوم ونفس (مســـتوى) أم كلثـــوم فممكـــن ومـــش ضرورى تقلد أم كلثوم .. لكن إذا كانت ستقلد أم كلثوم فلا يمكن أن تصبح شيئا له أى قيمة ، إذا كانت ستقلد أم كلثوم ، طيب ما أنا أجيب إسطوانات أو أشـــرطة أم كلثـــوم نفسها وأسمعها شخصياً وبلاش اللى بتقلد دى أسمعها ليه .. أسمع الأصل اللى هـــو أم كلثوم فى الأداء وفى الخبرة وفى الصوت العظيم وال وال وال .. ولن تكون فى هـــذه الحالة فى حاجة إلى أنها تقلد أم كلثوم لأنها ستكون لها مكانتها الشخصية ، لكنها حـــا تبقى فى (مكانة) أم كلثوم من حيث التقدير ومن حيث التقييم ومن حيث الجودة ومن حيث الفن .. لم نسمع أن أم كلثوم خلفت منيرة المهدية أو أن منيرة المهدية خلفت ألمظ .. كل واحدة منهن كانت عظيمة فى عصرها دون ارتباط أو مقارنه بمن كانت قبلهـــا أو من جاءت بعدها .. أنا مثلاً لما ظهرت هل قلدت صالح عبدالحى !؟ .. يمكن لـــو كنت قلدت صالح عبد الحى لضربنى المستمعون وماكنتش قطعا بقيت عبد الوهاب .. هو المهم إنى أكون عبد الوهاب ، ويا إما عبد الوهاب ده كويس أو وحش ..

* ما الذى فقده الفن بوفاة أم كلثوم !؟ ..

وعلى الفور يرد عبد الوهاب كأن الإجابة كانت جاهزة على لسانه أو كأنه كان يتوقع هذا السؤال وجهز له الإجابة سلفاً :

- فقد ، دون شك ، لوناً معيناً رصيناً ، صوتاً قوياً قادراً له نبـــرات ســـليمة جميلة بالقفلات المصرية ، الصيغة الرقيقة التى تختص بها الصفة المصـــرية ، بنـــت البلد المصرية الصوت الواضح الجرس الرنان القوة ، الصوت القوى الذى يعطى كل ما عنده ويعطى لك شوية زيادة كمان ، يعنى و(يتوصى) كما يقول التعبير المصرى .. الألفاظ الجميلة الواضحة التى لا تحتاج أن تجعلك تسأل : (هى بتقـــول إيـــه) ..

الصوت (الجرس) عادة ما بيكون قاسياً وحاداً على الأذن ؛ لكن أم كلثوم صوتها فى الوقت اللى هو فيه (جرسى) لكنه كان حنوناً ، صوت (جرسى) وفى الوقت نفسه فيه الوصول إلى القلب وهذه مسألة نادرة .. ولو أن أم كلثوم لم تصل إلى ذلك من بداية حياتها الفنية .. فى بداية حياتها كان صوتها (جرسى) ولا يدخل إلى القلب ، وظلت لمدة ١٥- ١٦ سنة من حياتها صوتها تسمعه على أنه صوت عظيم وقادر ولم يأت مثله ، صوت ربنا أعطاه كل الموهبة ؛ لكن أن يدخل القلب فذلك لم يأت إلا بعد الخبرة والإحساس والزمن والتعب والمرض والإرهاق والإتصال بالناس وبالجماهير وبأحاسيسهم ، بالحب إذا كانت أحبت ، بالفشل فى حبها إذا كانت فشلت ، بالنجاح فى الحب إذا كانت نجحت ، بـ (الغلب) إذا كانت إتغلبت فى حياتها ، إنصهرت ، كل هذه العوامل الزمنية جعلت منها أم كلثوم القوية القادرة اللى ربنا أعطاها صوتاً لا نظير له وأعطاها القدرة وفى الوقت نفسه مغلفة بالإحساس والخبرة والرقة والحنو ..

* إسمح لى أستعير جملة من كلامك .. قلت : (صوت لا نظير له) .. أصوات منيرة المهدية وألمظ وكل المطربات اللاتى لم يسمعهن جيلى ؛ هل أصواتهن لم تكن قريبة من صوت أم كلثوم !؟

باستنكار كبير يرد عبد الوهاب :

- لأ لأ لأ ، خالص ، دول حاجة تانية خالص ، دول حاجة (عوالمى).. دول كانوا (عوالم) أى (راقصات أفراح) و(مطربات أفراح) .. أنا برضه لم أحضر ألمظ ولا منيرة المهدية ، لكن أصواتهن فى الإسطوانات شئ (عوالمى) خالص ..

أقاطع عبد الوهاب :

* لم تحضر منيرة المهدية !؟ .. كان لدىّ تصور أنك غنيت أمامها على مسرحها !! ..

يستدرك عبد الوهاب وهو ينظر إلىّ ممتعضاً من وراء نظارته :

– يعنى ، حضرتها كده وأنا ولد (قطقوط) صغير.. كان صوتها حلو حقاً لكنه كان صوت (عالمة) .. يعنى كانت ست مشخلعة شكلها جميل (مدندشة) ، ولابسة العقد اللى شكله مش عارف إيه وحاطة تاج على رأسها ، حاجات كده .. لكن أم كلثوم كانت غير كده ، لم تكن ست (ملعب) أو بتحاول أن تعطى هذا التأثير لكن كانت ست (بتقول) ، ست زعيمة ، تقف على المسرح تغنى زعيمة ، هو كده التعبير بالضبط : زعيمة .. وبعدين إنت فكرتنى بحاجة أخرى كمان : أم كلثوم لم تكن تغنى بصوتها فقط لكنها كانت بتغنى بجسمها أيضاً ، ولذلك كانت أغانيها التى غنتها فى الحفلات أمام الناس تختلف كثيراً جداً فى أذنك وأذن المستمع عن أغنياتها المسجلة فى الأستديو ، لأن الناس عندما تتجاوب مع أم كلثوم وأم كلثوم تتجاوب مع الناس بتخلى الناس (تهيج) ، مش على الغناء بس ، لكن كمان بتهيج على الحركة ، على الإيماءة ، على هزة الكتف ، على الرقبة ، على الرجل ، على الصدر ، على الضحكة على الإبتسامة .. كل ده كانت أم كلثوم بتعمله بمقدرة وتمكن .. يعنى مثلاً حافكرك بحاجة : آخر أغنية عملتها أنا لها كانت (ليلة حب) بتقول فيها (ما تعذبناش) ، فقالت أول مرة (ما تعذبناش) والناس سمعتها من أم كلثوم خلاص ، وتصادف بعدها إن واحد من جمهور المستمعين اللى قاعدين فى الصالة يبدوا أنه كان سكران ومبسوط شوية زيادة ، فجاء من آخر الصالة لغاية ما وصل قدام المسرح وقعد يعمل حركات كده ، فلما قالت أم كلثوم (ما تعذبناش) مرة تانية قالتها بشكل خاص وشاورت بإيديها للراجل السكران ده بما معناها : " يا أخى ما تقرفناش أو ما تتعبناش أو ما تضايقناش " .. الحركة دى جعلت الناس هاجت وفضلت تسقف ، طيب ما هى (ما تعذبناش) دى قالتها قبل كده الناس ما سقفتش ليه !؟ .. عايز أقول إنها كانت بتستعمل ذكاءها وبتستعمل (الليونة) اللى ربنا خلقها فى جسمها وبتمثل فى الغناء لدرجة أنها تجعل الناس تسعد بحاجتين : بآذانها وبعيونها ..

* هل كانت أم كلثوم بتعمل هذه الحركات بشكل طبيعى يعنى حركات عفوية والا حركات مدروسة بتتمرن عليها !؟ ..

– منها ما هو مدروس ومنها ما هو عفوى .. يعنى هل هى كانت عارفة إن فيه واحد ثقيل حا ييجى يطلع عينها فتقول له (ما تعذبناش) بالشكل اللى هى قالتها به فالناس تتجاوب معها بالشكل ده !؟ .. طبعا لأ ، أشياء مثل هذه لم تكن مرسومة ، ومن غير شك أنها لم تقف أمام مرآة وتمثل هذه الحركات وتشوف حايبقى شكلها ايه .. أم كلثوم حين وصلت إلى القاهرة سنة ١٩٢٢– ١٩٢٣ على قدر ذاكرتى .. أنا فى الوقت ده برضه كنت ولد صغير بجلابية أو ببنطلون قصير وباجرى فى الشارع .. كانت أم كلثوم عندها ٢٢ سنة ٢٣ سنة وكان مر عليها ١٣–١٤ سنة بتغنى فى الأرياف فى القرى وفى النجوع وفى حفلات العمد ومأمورى البوليس اللى كانت تقام لواحد مأمور بوليس حا يتنقل من مركز (شبرا النملة) لمركز (شطانوف) مثلاً .. غنت غنت غنت ، والحفلات دى أكسبتها علاقة بالناس ، فبقت وهى تغنى تلاقى الحركة دى بسطت الناس فتعملها تانى ، مرة تجد أن الناس لم تتجاوب مع حركة أخرى فبذكائها لا تفعلها ثانية ، مرة تجد أن الناس إنبسطت لما بتقفل وتضحك ، مرة الناس إنبسطت لما بتقفل وتروح راجعة للوراء ، ومع الزمن كل هذه الأشياء دون أن تدرسها لبستها هذه الحركات ودخلت جواها بحكم الممارسة العملية وأصبحت جزءًا من تكوين شخصيتها الفنية ..

* * *

* أستاذ عبد الوهاب : لو أن أسمهان قد أمد الله فى أجلها ، فهل كانت ستنافس أم كلثوم على القمة !؟ ..

– لأ .. أم كلثوم برضه أكبر ..

* وبعد وفاة أم كلثوم : أى مكانة كانت تحتلها أسمهان بعد أم كلثوم !؟ ..

– أسمهان كان لها صوت فيه نبرة جديدة لكنها ليست واقفة على أرض أم كلثوم وتختلف عن أم كلثوم .. كل قيمة أسمهان فى أنها نبرة حلوة جديدة ، شوية ألماظ بتتكسر متبعترين حلوين .. وليست واقفة على أرض أم كلثوم ، لكنها واقفة على أرضها هى الخاصة بجمال ومقدرة ، لكن كقدرة : أم كلثوم أقدر ، كموهبة أم كلثوم

أوهب ، كعطاء أم كلثوم أكثر عطاءً .. وبعدين لو أن أسمهان كانت عاشت كانت ستموت فنياً لأن أسمهان كانت حياة عريضة وليست عايشة للفن وحده .. كانت تسهر طول الليل وكانت بتشرب .. أم كلثوم كانت بتعتبر أن سلوك الفنان جزء من عمله وكانت بتنام قبل الساعة ١١ مساءً كل يوم وتستيقظ من بدرى الساعة ٨ – ٩ صباحاً وتقعد فى الهواء الطلق .. مثلاً كان البيض بيتعبها لأن كان عندها مرض الكبد والمرارة ، فكانت عندما تكون حا تغنى تقعد ١٥ يوم قبل الحفلة لا تأكل البيض .. ولما تغنى وبعد أن تنتهى الحفلة تعود إلى بيتها وتكلمنى الساعة ٤ صباحاً لكى تسألنى : النهاردة حا تسمح لى بكام بيضة !؟ .. بما معناه : هل أجدت فى حفلة الليلة !؟ .. فإذا كانت أجادت أقول لها تقدرى تأكلى ٥ بيضات مثلاً ، ولو كانت (نص نص) أقول لها ٤ بيضات ، ولو كانت أقل أقول لها ٣ بيضات فقط ، وهكذا ، حاجة كده زى الدرجات وزى نمر التلامذة ..

* حتى ولو كانت الأغنيات التى غنتها فى الحفل ليست من ألحانك !؟ ..

– طبعا .. إحنا كنا أصدقاء ، حتى من قبل أن تبدأ تغنى لى ..

* مع أنه كانت هناك فكرة سائدة عند الناس أنه كانت بينكما جفوة بسبب التنافس !؟ ..

– فى البداية كانت بيننا (جفوة فنية) .. لما كنت أنا بأغنى على المسرح وهى يتغنى على المسرح .. كانت (جفوة منافسة) ، فلما بطلت أنا أغنى على المسارح أو فى الحفلات وأصبحت ملحناً فقط وأغنى فى التسجيلات فقط ، راحت هذه الجفوة وأصبحنا أصدقاء وحبايب ، وتقعد تكلمنى فى التليفون بالساعات ونتكلم فى كل حاجة .. وهى كانت ست عندها المقدرة فعلا انها تتكلم فى كل حاجة ، الله يرحمها ..

* * *

محمد عبدالوهاب يعلن أنه يعد لمفاجأة خطيرة – هكذا وصفها – ويروغ بذكائه المعهود من كل محاولات كشف النقاب عن هذه المفاجأة .. أسأل عبدالوهاب :

* لماذا توقفت عن الغناء على المسرح وفى الحفلات !؟ ..

– أنا توقفت عن الغناء على المسرح لأن رسالتى كانت تختلف عن رسالة أم كلثوم ، أم كلثوم كانت عبارة عن صوت جميل يسعد الناس ..

– كتر خيرك .. لكن بالنسبة لى فبجانب الصوت كانت الناس تنتظر منى أن أطور الموسيقى .. كانت شاغلانى جدا مسألة تطوير الموسيقى .. ركبنى شيطان إسمه تطوير الموسيقى ، وبدأت الناس تسألنى وتعتبرنى مسؤولا أمامها عن مسألة تطوير الموسيقى ، فكانت الناس لما تروح تسمع محمد عبد الوهاب لا تسمع صوتاً وطرباً فقط ؛ لكنها كانت تنتظر دائماً من عبد الوهاب أن يصنع شيئاً جديداً ويقدم شيئاً جديداً .. هذه كانت مسألة مهمة وكان صعب جداً أن تعطيها للناس على المسرح من خلال حفلة كل شهر ، لكن كان ممكن أن تعطيها للناس فى تسجيل .. وبالإلحاح فى إذاعة هذا التسجيل ستتقبل الناس هذا التطوير بالتدريج حتى يألفوه ويعتادوه .. يعنى مثلاً أنا لما غنيت أغينة (الجندول) تصادف أننى رحت مدينة طنطا بعد أسبوع من ظهورها – ظهور أغنية (الجندول) وليس ظهور مدينة طنطا طبعاً – والناس عايزانى أغنى (خايف أقول اللى فى قلبى) .. طيب ليه !؟ .. لأنهم حفظوها : طقطوقة وصغيرة والناس عرفتها ، لكن (الجندول) حاييجى يعمل لنا مقدمة موسيقية وتطور ومش عارف إيه واحنا مالنا ومال ده ، ما تسمعنا الحاجات اللى احنا عارفينها وواخدين عليها .. فالحكاية دى عملت عندى عقدة وأصبح أمامى أحد أمرين : إما أن أدخل المسرح كخطيب لا يهمه إلا أن يرضى الجمهور ، أو أدخل كمؤلف ، كأديب ، عامل حاجة متطورة وأكون معرضاً لتقبل الجمهور أو عدم تقبل الجمهور لما أقدمه له .. ففضلت ألا أدخل للجمهور لكى أنافقه وأقول له ما يريد هو .. لكن من خلال التسجيلات والإسطوانات والراديو أستطيع أن أقول للجمهور ما أريده أنا .. ويمكن لو كنت ظللت أغنى أمام الجمهور لغاية الآن كنت غنيت لهم (السح الدح إمبو) وكنت بقيت حاجة خطيرة !! ..

* * *

* (صوت الفن) تبنت أحمد عدوية مطرب (السح الدح إمبو) وعملت له إسطوانات ، مع الفكرة السائدة عنه أنه صوت هابط ومسف وغناؤه ليس لـــه أى معنى ..

- غير صحيح .. غير صحيح أن (صوت الفن) تبنت أحمد عدوية ولـــم تعمل له شرايط أو إسطوانات ولا تسجيلات ولا حاجة أبداً ..

* والكلام الذى يقال عكس ذلك ..

- مجرد كلام .. ما أنت صحفى وعارف .. إنت بتصـــدق كـــلام الجرايـــد برضه..

* طيب بالمناسبة ، ما رأيك فى أحمد عدوية !؟ ..

- كويس ..

* كويس هذه ليست كافية ، ليست رأياً ، وخاصة من محمد عبد الوهاب ..

- كويس فى لونه .. ولد بلدى ساكن فى بولاق ، بتاع خيار أو بياع واقف على عربية ترمس ، مصرى دمه خفيف زى السكر ..

* لكن هل هو بيقول شيئاً فعلاً !؟ ..

- آه .. بيقول اللى بيقوله ده ..

* وهو اللى بيقوله ده له معنى !؟ ..

- ألم تسمع إعلان (خضر العطار) اللى بيغنيه أحمد عدوية !؟ ..

* سمعته ..

- مالها (خضر العطار) دى !؟ .. ما هى حلوة ..

* طيب (خضر العطار) هذه هل لها معنى !؟ .. إنها إعلان عـــن رجـــل عطار وبيقول حاجة محددة ومفهومة ولها معنى ، لكن (شـــيل الـــواد مـــن الأرض حط الواد فى درج الكومودينو حط الواد فى البنك) ، ده معنـــاه إيـــه !؟..

– لأ ، إحنا نفصل بين الكلام وبين الصوت .. أحمد عدوية كصوت صوت مصرى دمه خفيف (سمباتيك) .. واد مصرى إسمه " بلية " أسمر ومسمسم ودمه خفيف وعاوج اللاسة ، واد شكله ظريف وجديد ..

* يعنى مجرد حاجة غير معتادة وغير مألوفة .. لكن هل من الممكن أن يصبح فناناً كبيراً فى يوم من الأيام !؟ ..

– فى نوعه وفى لونه كده حلو ، يعنى مش ممكن يغنى زى فريد الأطرش أو يقلد عبد الحليم حافظ .. هو كده حلو فى لونه ده ولا يزيد عن ذلك ..

* * *

* بمناسبة أحمد عدوية : لحنت مرة منولوج لشكوكو كان مطلعه (يا جارحة قلبى بقزازة لماذا الحب ده لماذا) ، ولحنت مرة أيضاً أغنية لفؤاد المهندس كان إسمها (أنا واد خطير) .. هل كان ذلك أيضاً نوعا من التطوير فى فن عبد الوهاب !؟ ..

– لأ طبعاً .. لكن وقت أن لحنت هذه الأغنيات لم تكن بهدف الفن قدر ما كانت بهدف (الهزار الفنى) ليس إلا ..

* هل تفتح بابك للأصوات الجديدة لتتبناها وترعاها فنيا وتلحن لها !؟ ..

– ليس عندى الإستعداد لاستقبال كل من يعتقد فى نفسه أنه صاحب صوت حلو وهو عكس ذلك تماماً .. فالغناء فى الحمام غير الغناء للناس ، لكننى أرحب بالصوت الجميل وأكون سعيداً به ..

* لو قلنا أنك توقفت عن الغناء أمام الجمهور للأسباب اللى قلتها وهى مسألة مواجهة (مزاج) الجمهور : لماذا إذن توقفت أيضاً عن الغناء بصوتك شخصياً فى تسجيلات إذاعية أو إسطوانات !؟ ..

– أنا لا زلت أغنى ، لكنى أغنى بمزاج .. أصبحت المسألة عندى مسألة أغنية بمزاج .. الملحن ده رجل مسكين لا ينام .. تصور مثلاً أننى أدخل سريرى لكى أنام الساعة ١.٣٠ بعد منتصف الليل وأنام للساعة ٦ صباحاً يعنى كلهم ٣ أو ٤

ساعات فى اليوم .. أغنى فين إذن !؟ .. إنت عارف المغنى مفروض يعمل إيه !؟ .. مفروض أنه ينام ١٢ ساعة فى اليوم ..

* طيب ما تنام ١٢ ساعة فى اليوم ، حد حايشك !؟ ..

وينفجر عبد الوهاب ضاحكاً وهو يسألنى مندهشاً :

– يا سلام .. كدهه .. ببساطة كده .. طيب إدينى حاجة تخلينى أنام ١٢ ساعة فى اليوم وأنا أعطيك كل حياتى .. مكانشى (الفاليوم) ظهر ولا (الميجاسين) ظهر ولا كانشى (الترانكسين) إخترعوه ولا كانشى (الميجادين) طلع ..

* يعنى أنا أتصور أن الفنان ملك جمهوره الذى يحبه ولا يستطيع أن يتجاهل رغبة هذا الجمهور فى أن يستمع ويستزيد من فن فنانه المفضل ، وكذلك الجيل الجديد يستمتع بعبد الوهاب قدر إستمتاعنا نحن بك ..

– فيه ناس كثير من الشباب الآن رجعوا يسمعوا الفنانين القدام .. إنت عارف أم كلثوم فى أواخر أيامها كانوا أكثر مستمعيها فى سن كام !؟ .. فى سن بين الـ ١٦ والـ ٢٠ سنة .. لكن أنا بكل تواضع أقدر أقول إن ده بدأ يحصل معاها من يوم ما غنت لى (إنت عمرى) .. قبل (إنت عمرى) كان جمهورها كله مخضرمين جداً وعواجيز جداً .. المراهق فيهم عمره ٦٠ سنة .. لكن من يوم ما غنت (إنت عمرى) بدأ الشباب يسمعها لدرجة أن هى نفسها كانت بتقول لى : " تصور يا محمد إنه الآن أغلب المستمعين بتوعى ١٥-١٦ سنة " !!

* * *

* هل تذكر آخر مرة غنيت فيها أمام الجمهور !؟ ..

– فى خلال الـ ٣٠ سنة الأخيرة غنيت أمام الجمهور مرتين فقط ، والمرتين كانتا بمناسبات تستاهل وتستحق أن أكسر القاعدة التى ألزمت نفسى بها .. المرة الأولى كانت عندما غنيت أغنية (كل ده كان ليه) فى حفلة عملها نادى ضباط الجيش فى أحد إحتفالات أعياد الثورة فى ٢٣ يوليو ، وشفت أنا أن أبسط شعور ممكن إنى أبديه لثورتنا هى أن أغنى فى عيدها فى حفلة نادى الضباط .. وغنيت فعلاً..

أما المرة الثانية التى غفنيت فيها امام الجمهـــور فكانـــت غريبـــة شـــوية .. فالمفروض أننى حين ألزم نفسى بعدم الغناء أمام الجمهور فى حفلات عامة ؛ يبقى بعد السنوات الطويلة التى إبتعدت فيها عن مواجهة الجمهور والغناء قدامـــه ؛ أنـــى لمـــا أرضى أغنى بعد كده قدام ناس إن الناس دول يبقوا جمهور ضيق جداً ومحدود جدا و(سميع) و(خلاصة) ..يعنى باختصار يكون جمهوراً خاصاً ممتازاً يستحق أنى أخرج عن إصرارى على عدم الغناء قدام الناس .. لكن اللى حصل إنى بعد المـــدة الطويلـــة جداً التى رفضت فيها الغناء أمام الناس فى الحفلات وفى المسارح ؛ إنى رضـــيت أن أغنى قدام الناس فى : الشارع !! .. وكان جمهورى هو كل الناس ، كل النـــاس بـــلا استثناء : اللى ببدلة واللى بجلابية واللى بأوفرول واللى بـــ (عفريتة) واللى بقميص وبنطلون واللى (حافيين) حتى .. كان جمهورى فى اليوم ده تلامذة وعمال وموظفين وميكانيكية وبياعين وستات بيوت وأى ناس كانوا ماشيين فى الشارع ساعة ما كنـــت بأغنى .. كان اليوم ده لما غنيت فى أحد أعياد ثورة يوليو فى وسط ميدان عابـــدين ، اللى هو الآن ميدان الجمهورية ، وغنيت ناشيد (ناصر كلنا بنحبك ناصر ، وحانفضل جنبك ناصر ، يا حبيب الكل يا ناصر) .. غنيت على منصة خشب نصبت فى وسط الميدان ووقفت أمام عشرات الألوف من الناس اللى كانوا ماشيين بالصدفة فى الميدان وفى الشوارع المحيطة به والقريبة منه وتجمعوا علشان يغنوا معايـــا ويـــرددوا علـــىّ ويكونوا هم (الكورس) الطبيعى التلقائى اللى بيردد ورايا نشيد (ناصر) ..

ولا أنسى فى ذلك اليوم أنه حدثت لمسة أثرت فى نفسى جداً ؛ فقد بلغ الحماس أثناء القاء النشيد والجماهير بعشرات الألوف بتهز الميدان هز بحناجرهـــا وأصـــواتها القوية ؛ إن واحد من الضباط الذين كانوا يقفون بالقرب منى أخذه الحماس والإنفعـــال فخلع الـــ (كاب) العسكرى من على رأسه ووضعه على رأسى أنا وأنـــا بـــاغنى ؛ فشعرت لحظتها كأن هذا الـــ (كاب) وسام بتضعه قواتنا المسلحة على صدرى ، لأن ذلك كان أبلغ تقدير وتعبير ببساطة جداً بيعبر عن أن الغنوة اللى بيغنيهـــا الفنـــان إذا استطاعت أن تلعب دورها فى إشعال الحماس فى قلوب الجماهير فيبقى هـــذا الفنـــان

نفسه جندى بالضبط لا يقل عن أى جندى فعلاً فى ميدان القتال لأنه بذلك يكون بيقوم بنفس الدور تماماً .. والا إيه !؟ ..

* * *

* لو قلنا أنك توقفت عن الغناء أمام الجمهور للأسباب التى ذكرتها وهى مواجهة (مزاج الجمهور) ؛ فلماذا توقفت أيضاً بعد (النهر الخالد) عن الغناء بصوتك شخصياً فى الأشرطة والإسطوانات وفى الإذاعة !؟ ..

– أنا ما زلت أغنى ولم أتوقف عن الغناء ، لكننى أغنى بمزاج .. وحين أجد أغنية تستحق أن أعود بها بعد فترة الإنقطاع الطويلة فسوف تكون أنت أول من يسمعها منى ..

* أستاذ عبد الوهاب : ما الذى فقده الفن بوفاة عبد الحليم حافظ !؟ ..

– من المؤكد أن الفن فقد بوفاة عبد الحليم حافظ حضور مغنى خفيف الظل على قلب الجمهور .. وبغير شك فإن صوت عبد الحليم كان صوتا مؤدياً ليس هناك أى خلاف على مستواه ، لكن من أهم مميزات عبد الحليم فى نظرى هو أنه جعل بينه وبين الناس ود ، حب ، تعاطف .. يعنى عبد الحليم قدر ينقل الكباريه على المسرح .. إنت عارف كباريهات باريس ولندن !؟ .. الكباريهات اللى الواحد يقعد يتعشى فيها وفيها (بيست) صغير للرقص ، وبعد ما الناس تخلص رقص يطلع ولد مغنى أو بنت مغنية لطيفة تمسك الميكروفون وتغنى للناس ، وممكن واحد من الجمهور يقوم يغنى معاها ، وممكن تتكلم مع الناس وهى بتغنى ، عارف الكباريهات دى !؟ ..

– عارفها ..

– عبد الحليم نقل هذا اللون إلى المسرح .. يعنى كان يقف على المسرح يتكلم مع الناس ويمسك الميكروفون ويكلم الناس ، يقف مع الناس ، يروح ماسك الطبلة أو (الطار) وضارب له ضربتين عليهم ، يجيب كرسى ويروح قاعد يشرب كوباية ميه ، يلاغى الناس .. هذه العلاقة اللى حصلت بينه وبين الجمهور ، ولأن هو نفسه كان دمه خفيف .. المفروض أن المغنى يقف يغنى بس ما يتكلمش وما يتحركش ،

خصوصاً فى الأغانى الجادة الرصينة ؛ إلا إذا كان واحد دمه خفيف على الناس والناس بتتقبل منه هذا .. ليس هناك شك فى أننا فقدنا بوفاة عبد الحليم التعاطف الذى يوجد بين المطرب وبين الناس الى هذه الدرجة اللطيفة المستحبة ..

* * *

* بمناسبة الكباريهات فى باريس وفى لندن ؛ لقد تركت فى لندن فناننا الشعبى الكبير محمد عبد المطلب يغنى أغانيه الشهيرة فى كباريه لندنى ..

وبدت الدهشة الشديدة على ملامح عبدالوهاب :

– هايل ، مدهش ، الحمد لله إنك إنت طمنتنى ، لأنى كنت أظن أن عبد المطلب مريض أو يعالج فى لندن ، حيث وصلتنى منه برقية من لندن يهنئنى فيها بالإسطوانة البلاتينية ، فافتكرته فى لندن بيتعالج .. الحمد لله طمنتنى عليه .. لكن بتقول إنه بيغنى فى لندن !؟ .. بيغنى بالإنجليزى !؟ ..

* بيغنى بالعربى طبعاً ، هو " طلب " بيعرف إنجليزى !؟ .. أستاذ عبد الوهاب تفتكر لو مطربينا يغنوا فى البلاد الأوروبية وفى العواصم الأوروبية إبتداءً من عبد المطلب لغاية محرم فؤاد ؛ هل يجعل ذلك الأغنية المصرية تنتشر فى أوروبا !؟ ..

– لأ .. لأنهم بيغنوها للعرب .. العرب إتنقلوا فى باريس ، اتنقلوا فى لندن ، اتنقلوا فى روما وواشنطن ونيويورك .. هؤلاء جمهور عربى بدلاً من أن يسمعوا المطربين العرب فى الاسطونات بيروحوا الكباريهات أو الأماكن التى يغنى فيها المطربون العرب ويسمعوهم فيها وينبسطوا من أنهم بيشوفوا المطربين العرب اللى بيعرفوهم أو بيسمعوا عنهم ، بيشوفوهم شخصياً وتبقى المتعة متعتين : بيسمعوا المطرب ويشوفوه .. زى أم كلثوم مثلا لما راحت غنت فى باريس .. أم كلثوم بجلالة قدرها وبكل عظمتها وفى عز مجدها لما راحت باريس علشان تغنى هناك ؛ مين اللى ممكن يكون راح علشان يسمعها !؟ .. مش ممكن يكونوا غير العرب برضه : جزائريين ومراكشيين وتونسيين وبتوع شمال أفريقيا كلهم ، وفيه ناس راحوا لها من

المغرب لباريس بالطائرات علشان يسمعوها ، ده غير ان باريس نفسها فيهـــا مليـــون جزائرى ومغربى وتونسى وهكذا .. وإذا كان فيه فرنسيين راحوا يسمعوها فقطعا كانوا يتعدوا على الأصابع ، وراحوا من باب الفضول أو من بـــاب العلـــم بالشـــئ .. إذن فالمطربون العرب الذين يغنون فى أوروبا إنما يغنون للعرب ، ويبقى مفـــيش حاجـــة زادت ومفيش حاجة جدت ، وليس هناك جمهور أوروبى جديـــد أضـــيف لمســـتمعى الأغنية العربية ..

عبد الوهاب يستطرد فى حديثه :

- لكن ، متى يمكن للأغنية المصرية أو العربية أن تنتشر فى أوروبـــا كلها وتبقى عالمية !؟ .. ذلك لن يحدث الا حين يأتى شباب دارسين للموسيقى ويعملوا الأغانى المعقولة ، أى ليست أغانى الساعة ونصف الساعة .. وذلك لـــيس معنـــاه أن الأغانى الطويلة كلام فارغ ، أبداً ، هذه كلاسيكيات لازم تكون برضه موجودة ، لكـــن لازم يكون فيه الى جانبها أغانى لا تزيد مدة الأغنية عن ٤ دقائق ٥ دقائق ، وتكون لها إتصال بالعالم الأوروبى من حيث الإطار ومن حيث شكل الأغنية ومن حيث لحنها .. مثل " داليدا " مثلاً عندما غنت أغنية بتقول فيها (سالمة يا سلامة) لـــ " سيد درويش " ونجحت نجاحاً كبيراً جداً فى أوروبا ، لماذا .. لأنها معمولة بذوق أوروبى عملها شاب أوروبى كان عايش فى مصر ، والإثنين متعلمين ومثقفين فنياً وموسيقياً ، عملا جملة حلوة وأدخلا فيها (سالمة يا سلامة) نجحت وضربت وأصبحت فى منتهى الإنتشار ..

* هل كان انتشار الأغنية بسبب الجملة الموسيقية السهلة الموجودة فـــى وســـط الأغنية (سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة) ؛ أم بسبب الأغنية نفسها !؟ ..

- بسبب (التوليفة) كلها على بعضها : كيف أدخلت (سالمة يا سلامة) فـــى وسط هذه (التوليفة) ، و" داليدا " غنتها بالعربى ، فبقى هناك تساؤل : ما هى الجملة اللى بتقولها !؟ .. وبتعرف الناس الإجابة بأن دى جملة عربية معناها كذا ، وتبتـــدى الكلمة العربية المغناة تتسلل إلى الأذن الأوروبية خطوة خطوة وبالتدريج ومن خلال ألحان سهلة الوصول إلى المستمع الأوروبى ..

* أنت شخصيا عملت حاجة زى كده من قبل ..

- لا أذكر ..

* أذكرك أنا : عملت شيئا قبل ذلك لـــ " سمير الإسكندرانى " فى أغنية عن (النيل) ..

- نعم بالضبط ، عملت فعلاً عدة أغنيات بالشكل ده لـــ " سمير الإسكندرانى " ، فكرتنى ، وراح إشتغل بيهم وغناهم فى أوروبا وفى سويسرا ونجحوا نجاحاً كبيـــراً ووصلنى عنهم حق أداء علنى كبير ..

* كان لك دائما رأى فى أصوات المطربين المصريين وكنت دائما تقــول أن عبد المطلب ومحمد قنديل وعبدالغنى السيد هم من أحسن الأصوات الرجالى فـــى مصر.. لو سألتك عن أحسن خمسة مطربين بيغنوا فى مصر الآن !؟ ..

- أمتنع عن الإجابة !! ..

* لماذا !؟ ..

- أمتنع عن الإجابة !! ..

* والأصوات النسائية !؟ ..

- أيضاً أمتنع عن الإجابة !! ..

* وبالنسبة للملحنين !؟ ..

- أيضاً أمتنع عن الإجابة !! ..

* * *

* فريد الأطرش : ماذا فقدنا بوفاته !؟ ..

- فقدنا مطرباً رصيناً يغنى أغان شرقية صميمة ، وأقـــدر أقـــول عـــن فريـــد الأطرش إنه (بدأ متطوراً وإنتهى محافظاً) .. يعنى عمل بالعكس : بدلا مـــن يبـــدأ رصيناً وينتهى بتطور يمشى مع الزمن ؛ فريد بدأ بالعكس : بدأ بـــ (تانجوهات) زى (يا زهرة فى خيالى) و(لحن الخلود) و(وياك وياك) ، كانت حاجـــات متطـــورة

وصغيرة وسريعة ، ثم إنتهى إلى (الربيع) و(أول همسة) و(أضنيتنى بالهجر) و(عدت يا يوم مولدى) . وتمسك بالرصانة الشرقية للنهاية ..

* هل تمسكه هذا – فى تقديرك – كان خطأ !؟ ..

– لأ ، كان لوناً . ولا أستطيع أن ألومه عليه ، لأنه يجوز أنه لو لم يكن موجوداً لافتقدناه ، من كنا سنسمعه بهذه (القفلات) وبهذه الطريقة وبهذا الصوت ، وهذا اللون يحبه جداً إخواننا الشوام ، فى لبنان والشام والأردن بيحبوا اللون الذى كان يقدمه فريد الأطرش ..

* هل هم يحبون هذا اللون من فريد الأطرش لأنه كان شامياً أصلاً من سوريا !؟.

– لأ ، لكن لأنهم يحبون هذه الأشياء الرصينة ..يعنى فى سوريا بشكل عام يحبون التواشيح ، عندك حلب مثلاً ، تعتبر كمدينة مصدرة للتواشيح والأدوار القديمة والحاجات الرصينة ، وتجد البيوت العادية هناك بيوت الأسر العادية والعائلات العادية كلها على علم بهذه الأدوار القديمة .. تجد ست البيت تغنى والزوج يعزف على العود وبنت البيت تضرب الرق ، وهؤلاء ليسوا محترفين ، لكن ذلك جزء من تكوين البيت الحلبى ، ولو طلع منهم حد محترف يكون أصله من بيت حلبى عادى .. وحكاية (القدود الحلبية) مشهورة جداً ..

* * *

* أستاذ عبد الوهاب هل قل إنتاجك فى السنوات الأخيرة !؟ .. يعنى حتى سنوات مضت كنا فى كل موسم نسمع لك عدة ألحان جديدة بأصوات عبد الحليم حافظ ونجاة وفايزة أحمد ويمكن شادية أحيانا ويمكن وردة ..

– طيب ما أنا فايزة أحمد لسه عامل لها أغنية السنة الماضية ، أغنية (وقدرت تهجر) ..

* وإنتاجك الجديد !؟ ..

– مفاجأة .. إكتب بس زى ما باقول لك كده : مفاجأة خطيرة !! ..

* مفيش مفاجأة خطيرة غير أنك تكون أنت شخصيا ستغنى ..

قال عبد الوهاب ضاحكاً متخابثاً :

- لأ ، وجايز حاجة تانية ..

* صوت جديد مثلاً !؟ ..

- مفاجأة خطيرة وبس !! ..

وملت على أذن عبد الوهاب هامساً :

* طيب قول لى ولن أقول لأحد !! ..

ويرد عبد الوهاب على الفور :

- فشر .. ده ميكروفون جهاز التسجيل بتاعك بيننا أهه .. إكتب مفاجئة جديدة وبس ..

* * *

* مشروع فيلمك التليد الذى نسمع عنه من ثلاثين سنة ، يعنى من بعد فيلمك الأخير (لست ملاكاً) وإحنا كل سنة بنسمع إن عبد الوهاب سيعود للشاشة قريباً بفيلم يحكى قصة حياته ، ماذا عنه !؟ ..

- شوف يا سيدى ، من ١٠ سنوات تقريباً عملت تمثيلية مسلسلة فى الراديو فى إذاعة الشرق الأوسط كان إسمها (شئ من العذاب) اللى مثلت معى فيها " نيللى " .. وكانت هذه أول وآخر مرة أمثل فيها فى الراديو ، بعدها عرض علىّ إنى أمثل للسينما نفس الدور الذى قمت به فى الراديو .. وفكرت فى هذه المسألة كثيراً ، لكن برضه رجعت فى الآخر وإعتذرت عن تمثيل الدور فى السينما ، ليس لأن الدور لا يعجبنى والا كان من باب أولى إنى أرفض أمثله فى الإذاعة أصلاً .. لكننى لم أستطع إقناع نفسى بالعودة إلى التمثيل فى السينما مرة أخرى فى الوقت الحالى ..

والعرض الذى عرض علىّ لكى أعود إلى التمثيل فى السينما لم يكن شيئاً جديداً علىّ فقد كانت هذه هى المرة الألف أو أكثر التى أتلقى فيها نفس العرض من يوم ما إبتعدت عن السينما ، لكني رفضت كل هذه العروض لأن ذلك كان موقفاً إستقريت عليه مع نفسى منذ أكثر من ٣٠ سنة ، من يوم ما عملت آخر أفلامى (لست

ملاكا) وظللت ثابتاً على موقفى هذا طوال الــ٣٠ سنة الماضية ولم يكن فيه إستثناء ، غير مرة واحدة فقط لما المرحوم أنور وجدى طلب منى أن أغنـــى أغنيـــة (عاشـــق الروح) فى فيلم (غزل البنات) ، وكنت مجرد بأغنى الأغنية فى الفيلم مش أكثر من كده ، يعنى لا أمثل فى السينما .. لكن على العموم أنا بأعمل الآن ٣٠ حلقة للتليفزيون .. وهى ليست مذكراتى لكن تقدر تقول إنها عرض لقصة حياتى ..

* ستمثلها أنت شخصياً !؟ ..

- نعم ..

* ومن سيقوم بدورك وأنت فى مراحلك الأولى !؟ ..

- قطعا حانجيب ولد صغير يعمل دورى وأنا طفل ..

* أقصد وأنت شاب !؟ ..

- أنا أيضاً ..

* من كتب هذه الحلقات !؟ ..

- إحسان عبدالقدوس ..

* والمخرج !؟ ..

- حسين كمال .. وحايخرجها (فيديو) وليس سينمائياً ..

* * *

* أتهمت فى فترة من الفترات بـــ (الإقتباس) من الموسيقى الأجنبية .. هـــل هذا الإتهام لازال قائماً !؟ ..

رد عبدالوهاب متفلسفا باللغة العربية الفصحى تماماً :

- والله هذا شرف لا أدعيه وتهمة لا أنفيها !!

* أفهم من ذلك أنك تقتبس فعلاً !؟ ..

- لا أقتبس ، لكننى أتأثر ..

* مثلما نتأثر نحن ككتاب بكتابات الآخرين ، لكن ذلك لا يكون معناه أننا ننقل منهم !؟ ..

– بالضبط ، وأعنى أنك لا شك تتكلم الآن بلغة غير التى كان يتكلم بها أبــوك وغير التى كان يتكلم بها جدك ، لماذا !؟ .. لأن تعيش فى عصـــر مختلـــف ، لأنـــك تأثرت بهذا العصر وإذا لم تتأثر تبقى متحجراً وتبقى رجلاً يمشى فى سنة ١٩٧٨ وهو يرتدى الطربوش والمونكل ويمسك المنشة وعايش بنفس الصورة التى كان عليها جدك سنة ١٩٢٨ مثلاً ، من ٥٠ سنة ..

* * *

* أستاذ محمد عبد الوهاب : هل أنت سعيد لأنك " محمد عبد الوهاب " !؟ ..

– أنا يعنى متهيأ لى إنى سعيد على تعيس . أصل " محمد عبد الوهاب " توليفة كده غريبة ..

* أذكر أنى سألتك مرة : ما الذى ينقصك لتصبح أكثر سعادة أو لتكتمل سعادتك !؟ .. ما هو الشئ الذى أنت مستعد أن تتنازل عنه فى مقابل شئ آخر تحصل عليـــه فتكتمل سعادتك !؟ ..

– وقلت لك إيه يومها !؟ ..

* لا أذكر..

– لو سألتنى نفس السؤال اليوم أرد عليك أقول لك : لا أعرف .. لأن أنا كـــل حاجة عندى حلوة .. الفوضى عندى جميلة جداً والنظام عندى جميل جـــداً ، الحـــب عندى جميل جداً والكرة عندى جميل جداً ، يعنى أفرض أن صديقا لى أساء لى سألعن أبوخاشه وأكسر دماغه وأبقى سعيد إنى عملت فيه كده .. الفـــن عنـــدى حلـــو جـــداً والهروب من الفن حلو جداً .. الصعود إلى السماء فى أوقات الخيال والتحليق جميـــل جداً ، والهبوط إلى الأرض بكل وحاشتها جميل جداً .. لو تسألنى أستغنى عن مـــاذا فى كل ذلك !؟ .. أقول لك لا أستطيع أن أستغنى عن شئ منهم .. هل أســـتغنى عـــن السماء !؟ .. لا يمكن ، لا أستطيع .. عندما أكون باعمل فى عمل فنى بابقى فعلاً فى السماء وبابقى محلقاً مع النجوم ولست على الأرض ولا أشعر بالأرض من حولى أبدا وبأشعر أن الأرض دى تافهة جداً .. وبعد أن أنتهى من العمل الفنى وأرجع من السماء

اللى كنت فيها بابقى عايز أبقى (بتاع أرض) وأعيش الحياة العادية للناس العاديين .. فتيجى حضرتك تسألنى أستغنى عن ايه !؟ .. أقول لك لا أستطيع أن استغنى عن أى شئ .. هكذا حياتى ، " محمد عبد الوهاب " ده توليفة غريبة الشكل لكنهـا عاجبـانى ويعجبنى كل شئ فيها ولا أستطيع أن أستغنى عن أى شئ أبداً منها ..

* هل تشعر أن هنالك شيئاً ما ينقصك !؟ ..
- أه طبعا .. لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ..
* ما هو الشئ الذى تشعر أنه ينقصك !؟ ..
- لن أقول لك ، دى حاجات فى قلبى وما أقدرشى أقولها !! ..

* * *

أُقول لعبد الوهاب متسائلاً :

* مجنون ليلى !؟ ..

فيرد عبد الوهاب بطريقة القافية المصرية :

- إشمعنى !! ..

* أصبحت باباً ثابتاً فى الصحافة المصرية والعربية منذ أكثر من ١٥ سـنة ، أصبحت إشاعة .. (مجنون ليلى) الأوبريت الشهيرة التى وعدت بأنك سوف تقـدمها على المسرح ؛ أسمع هذا الوعد من قبل إشتغالى بالصحافة وما زلت أسمعه طيلة الـ ٣٠ عاماً الماضية حتى الآن دون أن يتحقق أو يخرج إلى النور .. هـل أوبريـت (مجنون ليلى) هذه حقيقة أم إشاعة !؟ ..

ويهز عبد الوهاب كتفيه وهو يقول :

- إسأل الحكومة ..

وأتساءل مندهشاً :

* أسأل الحكومة ليه !؟ .. مالها الحكومـة !؟ .. الحكومـة لا حـا تلحـن ولا حاتغنى..

- يظهر حضرتك معلوماتك ناقصة ..(مجنون ليلى) يعنى مسرح ، يعنى فرقة موسيقية مكونة من ٤٠ عازف ، يعنى إمكانيات ، يعنى مصاريف ، يعنى فلــوس .. عبد الوهاب مهمته انه يلحن وبس ، يعمل موسيقى وبس ، يعمل عمل فنى كبير وبس .. لكن باقى المسائل التنظيمية دى مفروض إن الدولة هى اللى تعملها مش أنا ..

* وهل الدولة أو الحكومة قصرت فى المسألة دى !؟ ..

- شوف ، باختصار: (مجنون ليلى) كأوبريت إكتمل تلحينه عندى تمامــاً ، والمسؤولون الذين فى أيديهم إخراج (مجنون ليلى) إلى النور للناس عنــدهم خبــر بالحكاية دى منذ عدة سنوات وبس .. أنا تنتهى مهمتى عند الإنتهاء من تلحين العمــل الفنى ، لكن كل التفاصيل بعد ذلك ليست مهمتى أنا ، ومفروض أن أحداً غيرى يهــتم بيها ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية على حلقتين ، فى العددين ٢٥ و ٢٦ بتاريخ ١٥ – ٢٢ / ٤ / ١٩٧٨ ..
وفى مجلة [الشرق الأوسط] – العدد ٢٥ – بتاريخ ٢٦ / ٢ / ١٩٨٧
توفى محمد عبد الوهاب فى٤ مايو ١٩٩١..

حوار من طرف واحد ..

مع " يوسف بيه المصرى " !! ..

مع يوسف وهبى أنت لا تتكلم ولا تسأل ، تستمع فقط .. يوسف بيه يقوم بكل العمل .. يعرف فقط ما تريد ، وبعد ساعة أو ساعتين أو أكثر ؛ تقوم من عنده وقد حصلت على كل ما تريد ..

* * *

ميناء (ميلانو) فى إيطاليا ، العام ١٩١٨ ، فجر يوم من أيام شهر يناير الأوروبى شديد البرودة شديد الضباب .. الباخرة القادمة من الإسكندرية تلقى مراسيها .. فى زحمة الركاب الذين يتدافعون نحو سلم النزول ؛ فتى وحيد صغير فى السادسة عشرة من العمر يحمل حقيبته الثقيلة ويخطو متردداً نحو سلم الباخرة .. فلم يكن يعرف أحداً فى إيطاليا ، ولا حتى كلمة واحدة باللغة الإيطالية تساعده على أن يتعرف على أحدٍ هناك .. وجنيهاته الأربعة اليتيمة التى خرج بها من مصر يثير جزعه مجرد التفكير فى ماذا سيفعل بعد أن تنفذ .. ومع ذلك فقد كان هذا هو الطريق الذى أراده واختاره لنفسه .. وأخيراً ها هو وجهاً لوجه مع إيطاليا التى عاش عمره الصغير يحلم بها ؛ فما باله يتردد الآن فى النزول من الباخرة !؟ ..

وحسم الفتى الصغير أمره ونزل مسرعاً على سلم الباخرة ، ليلقى بنفسه فى أول تاكسى يصادفه ويقول للسائق : " إلى (إدن) من فضلك " .. فيلتفت السائق إلى الراكب الصغير مندهشاً ويقول له : " ليس فى ميلانو كلها فندق بهذا الإسم " .. فيرد الفتى المصرى : " أعرف .. أنه ليس فندقاً .. إنه مسرح " !! ..

وفى الخامسة صباحاً ، وقبل أن ينقشع الضباب والفجر ؛ كان الفتى المصرى الصغير " يوسف عبد الله وهبى " يضع حقيبته أمام باب الممثلين الخلفى لمسرح (إدن) ويجلس عليها ، ينتظر مستقبله !! ..

* * *

إعتبروه الولد الفسدان فى العائلة .. كان عاراً كبيراً أن يتعلق بحرفة التمثيل واحد من أبناء " عبد الله باشا وهبى " مفتش عموم رى القطر المصرى ويصبح (مشخصاتى) .. فقد كان إبن الأكابر تلميذاً متفوقاً فى مدرسة (الناصرية الإبتدائية) ، مدرسة أولاد الذوات فى حى السيدة زينب .. ولم تبدأ (لوثة الفن) تصيبه إلا بعد أن التحق بالمدرسة (السعيدية الثانوية) فى الجيزة .. لذا فصلته المدرسة بعد فترة لم تطل .. فألحقته أسرته بمدرسة (مشتهر الزراعية) ليتخرج مهندساً زراعياً – أحسن من مفيش خالص – ولكنه وهو تلميذ فى (مشتهر الزراعية) يلتقى بفنان مصر الكبير " عزيز عيد " ويتعرف به .. ويكتشف " عزيز عيد " أن إبن الباشا لديه الموهبة الحقيقية .. وكان وقتها يشكل فرقة جديدة ينافس بها (كشكش بيه) نجيب الريحانى ، فضم الفتى يوسف إلى الفرقة الجديدة كممثل ، وملحن !! .. وفعلاً لحن الصبى يوسف وهبى أغلب ألحان مسرحية عزيز عيد (حنجل جوجو) وإشترك فيها بالغناء والتمثيل مع " روزاليوسف " ودولت أبيض وحسن فايق وإستيفان روستى ..

وكان طبيعياً والصبى يوسف لا دراية له على الإطلاق لا بالتلحين ولا الغناء أن تسقط (حنجل جوجو) وتفشل فشلاً ذريعاً .. وصدم الفشل أحلام الشاب الصغير ، وسمع من المحيطين به أنه تنقصه الدراسة ليكون ممثلاً ممتازاً .. فليكن إذن .. ولكن



هذه الدراسة بالذات لا يمكن أن تكون فى مصر تحت سمع وبصر أسرته .. والنهضة الفنية فى إيطاليا إذ ذاك كانت فى أوجها .. ولو .. ولو كانت فى الصين ..

وحمل الفتى الصغير حقيبة ملابسه وأعوامه الستة عشرة ، وجنيهاته القليلة التى لم يبق منها بعد أن دفع ثمن تذكرة الباخرة إلا أربعة جنيهات فقط .. وهرب إبن الباشا قبل إمتحان دبلوم الزراعة بأسبوع واحد ، ليبحث عن مستقبله فى عالم الفن ، فى إيطاليا ..

* * *

ونعود إليه وهو يجلس على حقيبته أمام الباب الخلفى للممثلين فى مسرح (إدن) فى ميلانو بإيطاليا فى فجر ذلك اليوم .. كانت يده فى جيبه تقبض بشدة على الورقة الوحيدة التى جاء يغامر بها على مستقبله فى إيطاليا : عنوان معهد للتمثيل والموسيقى إسمه [كونسيرفاتورى فيلو دراماتيكا ميلانيزى] خلف مسرح [ماندونى] .. ولم تكن أيامه هناك سهلة فى بداياتها ؛ فقد أضطر إلى أن يعمل أى شئ ليعيش .. متل دور كومبارس فى فيلم إسمه (الجهنمى) ، ثم دوراً صغيراً فى فيلم آخر إسمه (الإبن الغريب) ، وبعدهما دور أكبر قليلاً فى فيلم (عيون الثعبان) .. ثم بدأوا يهتمون به ويكتبون إسمه فى إعلانات الأفلام .. ولم يكتبوا " يوسف وهبى " إنما كتبوه (رمسيس بيه المصرى) !! ..

وفى معهد [كونسيرفاتورى فيلو دراماتيكا ميلانيزى] يلتقى الشاب المصرى باثنين كان لهما فى حياته أثر كبير : الأول أستاذه " إميليو كيانتونى " الذى أعجب به فتبناه فنياً وضمه إلى فرقته ليعمل بها فى خلال الأجازات الدراسية .. والثـــانى ، أو الثانية ، هى زميلته الأمريكية الحسناء " لويز لند " التى كانت تدرس الغناء الأوبرالى ، فأحبها وأحبته ، وكاد أن يترك دراسة التمثيل ويتحول إلى مغنى أوبرا من أجلها .. وتزوج يوسف ولويز خلال دراستهما بالمعهد .. ويتخرج يوسف من المعهـــد ســـنة ١٩٢١ بعد أن إستطاعت أدواره فى السينما الإيطالية أن تجعله مشـــهوراً جـــداً فـــى إيطاليا ، فيضمه " كيانتونى " إلى فرقته .. ويستمر يوسف مع زوجته الأمريكية " لويز " فى إيطاليا ، ويرتب نفسه على أن يعيش هناك باقى عمره ، لولا ......

لولا برقية تصله من والدته فى مصر .. فقد مات الباشا الكبير سنة ١٩٢٣ ، والأم التى غاب عنها إبنها خمسة أعوام كاملة تتحرق شوقاً إلى رؤيته ، وأيضاً ميراثه الكبير ينتظره ليتسلمه !! ..

ويعود يوسف إلى مصر فى أجازة قصيرة يزور فيها أسرته وأصدقاءه قبـــل أن يعود إلى إيطاليا .. لكنه مرة أخرى يلتقى بالرجل الذى شهد وشجع أحلامه الأولى فى التمثيل : عزيز عيد .. ويجدد هذا اللقاء كل الذكريات القديمة ، وتبعث مرة أخرى فكرة تكوين فرقة مسرحية قوية تصنع أمجاداً للمسرح المصرى ..

وأفتتح (مسرح رمسيس) فى ١٠ مارس سنة ١٩٢٣ .. ونجح نجاحاً هائلاً إستمر ١٠ سنوات كاملة .. وكانت العائلات والأسر المصرية الكبيرة تقبل على حجز بناوير المسرح كلها بمبلغ ٤٤ جنيهاً ، فى مقابل مشاهدة العرض مـــرة واحـــدة كـــل أسبوع .. وظهرت سوق سوداء ومضاربة وسباق على حجـــز (البنـــوار رقـــم ١) الملاصق لخشبة المسرح .. لدرجة أن المليونيرة " عائشة هانم فهمى " دفعـــت ٤٠٠ جنيه لكى يصبح (البنوار رقم ١) من حقها هى طول الموسم لا يجلـــس فيـــه أحـــد غيرها !! ..

* * *



وتفتتح (فرقة رمسيس) موسمها الثانى عام ١٩٢٤ بمسرحية (راسبوتين) .. ولهذه المسرحية قصة .. فقد سافر يوسف وهبى ليمضى أجازته فى أوروبا كالمعتاد ، ودعى يوماً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع (الويك إند) فى قصر اللورد [دوفرن] بالقرب من [وندسور] فى لندن .. وهناك إلتقى بشاب قدموه له : البرنس " يوسوبوف " زعيم المؤامرة التى قضت على راهب روسيا الدجال [راسبوتين] .. ووجدها يوسف فرصة لا تعوض ؛ فوطد صداقته بالأمير الشاب حتى قص عليه قصة [راسبوتين] الحقيقية بكامل تفاصيلها .. وفى خلال أسبوع واحد فى لندن كان يوسف قد كتب مسرحيته الشهيرة [راسبوتين] كاملة ..

وأراد الشاب الطموح بعد النجاح الكبير الذى حققته فرقته فى موسمها الأول أن يؤكد إسمها وسمعتها الفنية أمام جمهوره بأن يفتتح موسمه الثانى بمسرحية [راسبوتين] على مسرح دار الأوبرا .. لكن وزير الأشغال " مرقص حنا " الذى كانت دار الأوبرا والتمثيل عموماً فى مصر يتبعان وزارته ؛ رفض .. وكانت الحجة فى الرفض أن دار الأوبرا مخصصة لعروض الفرق الأجنبية وحدها فقط .. وإقتنع يوسف بهذه الحجة وسافر مرة أخرى إلى أوروبا يستكمل أجازته .. وهناك لحق به تلغراف من أخيه إسماعيل وهبى يخبره فيه بأن جورج أبيض الذى كان قد هاجر من مصر إلى لبنان قد عاد إلى مصر مرة أخرى وكون فرقة مسرحية جديدة ضم إليها

بعض ممثلى فرقة يوسف وهبى ، مثل حسين رياض وسونيا إبراهيم وغيرهما .. ليس ذلك فقط ؛ بل أنه طلب أن يعمل على مسرح دار الأوبرا ووافق الوزير " مرقص حنا " على طلبه !! .. ثار يوسف وهاج ، وأرسل من لندن تلغرافاً شديد اللهجة إلى الوزير ، وعاد فى أعقابه ليستقبله فى ميناء الإسكندرية شقيقه إسماعيل ويخبره بأن الوزير فى الإسكندرية الآن .. وطلبا معاً مقابلة الوزير لكنه رفض مقابلتهما مــرتين .. وكانــا يعلمان أنه ينزل فى فندق (سان ستيفانو) ؛ فانتظراه يوماً هناك وإعترضا طريقــه ، وثارت بينهم جميعاً مناقشة حادة .. وحينما حاول حرس الوزير إبعاد يوسف وهبــى وشقيقه طارت الكراسى فوق الرؤوس وتحول فندق (سان ستيفانو) الأرســتقراطى إلى قهوة بلدى فى حى الحسينية .. ولولا تدخل المرحوم " حمد الباسل باشا " صــديق الوزير وصديق والدهما المرحوم " عبد الله باشا وهبى " فى نفس الوقــت ، لتطــور الموضوع إلى أكثر من ذلك ..

وإنتظر يوسف حتى إفتتح جورج أبيض موسمه على مســرح دار الأوبــرا بمسرحية (جودونوف) ؛ ثم إفتتح يوسف موسمه بمسرحية [راسبوتين] على مسرح رمسيس ، الذى مكانه الآن مسرح الريحانى فى شارع عماد الدين / محمد فريــد الآن .. وكان قبل أن يشتريه يوسف سينما إسمها سينما (راديوم) ..

* * *

الموسم الرابع لفرقة رمسيس قدمت فيه مسرحيات : (نيــرون) و(الجــاه المزيف) و(الذبائح) .. وكان يوسف وهو فى الرابعة والعشرين يحاول أن يقدم فى كل مسرحية واحداً أو واحدة من تلاميذه الذين تبناهم فنياً ودربهم وصقلهم .. فقدم فى مسرحية (الجاه المزيف) وجهاً جديداً : شابة صغيرة إسمها " مفيدة محمد غنيم " .. ولم يعجب يوسف إسمها فأطلق عليها الإسم الذى أشتهرت به بعد ذلك حتى أصــبحت واحدة من رواد السينما فى مصر : عزيزة أمير !! ..

وأراد أن يقدم وجهاً جديداً آخر فى مسرحيته (الذبائح) فحــدثت مشــكلة : كانت السيدة " روزاليوسف " فى ذلك الوقت هى نجمة مسرح رمسيس الأولى وأفضل

ممثلة إعتلت خشبة المسرح ؛ إلا أنها أصرت فى مسرحية (الذبائح) على تمثيل دور فتاة عمرها ١٤ سنة ، ولم يكن سنها يتفق مع هذا الدور .. وكانت هناك صبية صغيرة فى فرقة رمسيس عمرها ١٦ سنة رأى يوسف أن الدور يناسبها .. وثارت بطلة الفرقة " روزاليوسف " وأصرت على ترك فرقة رمسيس إذا لم ينزل يوسف على رأيها وتلعب هى هذا الدور .. وحدث ذلك فعلاً ، وأخذت معها أحمد علام وانضما إلى فرقة نجيب الريحانى ..

وكانت مسرحية (الذبائح) هى أول دور بطولة على المسرح تلعبه الصبية الصغيرة التى كانت سبباً فى خروج " روزاليوسف " من فرقة رمسيس : أمينة رزق ..!!

* * *

سنة ١٩٣٠ لم تعد فرقة رمسيس مدرسة للمواهب الجديدة فقط ؛ بل حاولت أيضاً تجميع كل الكفاءات المسرحية الممتازة فى صفوفها .. ولما كان رأى يوسف وهبى دائماً فى جورج أبيض أنه صاحب الفضل الأول على المسرح الدرامى فى مصر ؛ فقد سعى – بعد كل ما كان بينهما من صراع فنى وتنافس – على ضم جورج أبيض إلى فرقة رمسيس .. وحدث ذلك فعلاً .. ومثلا معاً عدة مسرحيات : عطيل – فى سبيل التاج – عنتر – الوطن – الولدان الشريدان – جاك الصغير .. وبلغ من إحترام وتقدير يوسف وهبى لجورج أبيض أنه بالرغم من أنه صاحب الفرقة إلا أنه كان يكتب إسم جورج أبيض فى كل إعلانات وأفيشات الدعاية قبل إسمه ، وقدر له أجراً ٥ % من مجموع دخل الفرقة ، فكان أجر جورج أبيض يصل إلى ٤٠٠ جنيه فى الشهر ، وهو أكبر أجر فى الفرقة ، تليه السيدة روزاليوسف ٧٥ جنيهاً وحسين رياض ٧٠ جنيهاً وأحمد علام ومختار عثمان ٦٠ جنيهاً – مرة أخرى بجنيهات سنة ١٩٣٠ ، والكلام ليوسف وهبى ، والجنيه فى ذلك الوقت يساوى ١٠ من جنيهات هذه الأيام ، وكانت الـ ٦٠ جنيهاً تشترى بيتاً – وذلك غير المكافآت والمنح التى كانت تصل إلى مبالغ كبيرة .. فبالنسبة لحسين رياض مثلاً وصل مجموع المكافآت التى

حصل عليها خلال عمله فى فرقة رمسيس إلى أكثر من ١٠٠٠ جنيه ، ولمــا إنتقــل حسين رياض إلى الفرقة القومية سنة ١٩٣٥ قدروا له مرتباً ٢٥ جنيهاً فقط !! ..

ولم يستمر إتحاد يوسف وهبى وجورج أبيض أكثر من موسم واحد ، هــو موسم ١٩٣٠ ، ثم إختلفا وإنفصلا بسبب محاولات الدس والتفرقة ..

وإشترك يوسف وهبى مع الصحفى المعــروف – زمــان والآن – حبيــب جاماتى فى كتابة مسرحية (باجى سقا) التى عرضت فى خلال أيام حكمه لإيــران ، ونجحت نجاحاً كبيراً ..

* * *

ولم ينفصل مسرح رمسيس عن أحداث مصر كذلك ، بل كان سريع التجاوب معها والإنفعال بها .. كما حدث فى قصة المليونير المصرى الشاب " على فهمى كامل " الذى أطلقت عليه زوجته الفرنسية الأفاقة الرصاص فى فندق [سافوى] بلنــدن .. وإستطاع محاميها الإنجليزى " سير مارشال هول " أن يحصل لهــا علــى البــراءة بمرافعة شهيرة إتهم فيها الشاب الشرقى بأنه غير متطور أو متمدين ، وأنــه وحــش مفترس يرتدى الثياب الأوروبية !! ..

وكتب يوسف وهبى مسرحيته الشهيرة (أولاد الذوات) رداً على مرافعــة " سير مارشال هول " إتهم فيها النساء الأوروبيات بالإنحلال وعدم التقيد بالقيم الخلقيــة .. وفجرت (أولاد الذوات) غضب الأجانب المستوطنين فى مصر ، وكان لهم فــى ذلك الحين سطوة وسلطان لا نهاية لهما .. وإنهالت رسائل التهديد والسب على يوسف وهبى من كل مكان ، حتى من لندن ومن بــاريس ، وكتبــت جريــدة [لابــورص إيجيبسيان] تهاجم يوسف وهبى فى مقالتها الإفتتاحية المخصصة دائماً لأحداث الساعة السياسية ..

وشجع كل هذاالهجوم يوسف وهبى على أن يحول (أولاد الذوات) إلى فيلم سينمائى بنفس الإسم .. وزيادة فى إبراز الواقعية فى الفيلم أحضر من فرنسا ممثلتهــا الشهيرة فى ذلك الوقت " كوليت دارفى " لتمثل دور الزوجة الفرنسية الأفاقة " جوليا "

، التى ضبطها زوجها المصرى فى أحضان عشيقها الأجنبى ، فكان كل دفاعها أنها قالت ببساطة أنها كانت تعرف عشيقها قبل أن تتزوج الزوج المصرى .. فقال لها يوسف وهبى جملته الشهيرة : " ١٠٠٠ عرفوكى قبل منى و ١٠٠٠ عرفوكى بعد منى .. يا جوليا يا مرات الكل يا مزبلة " !! .. ثم أغلق على الزوجة وعشيقها باب غرفة النوم حيث ضبطهما ، وأشعل فيها النار ليحترقا فى وسطها .. وحين تندلع النيران وينتبه الناس لها فتبدأ أجراس المطافئ فى الرنين ؛ يقول يوسف للزوجة وعشيقها جملته الثانية التى أشتهرت بعد ذلك أيضاً وسارت على ألسنة الناس فى كل مكان : " سامعين أجراس الحريقة دى .. ده صوت زينب اللى بيدوى فى ودانى وبيقول : روح الله يسامحك " !! ..

* * *

وصور أغلب فيلم (أولاد الذوات) فى باريس ، لأن الأفلام الناطقة لم تكن قد دخلت مصر بعد .. لكن تصوير الفيلم أستكمل فى مدينة رمسيس .. ومدينة رمسيس هذه لها قصة كبيرة .. فإنه إذا كانت الدولة الآن تسعى إلى إنشاء (مدينة للفنون) فإن يوسف وهبى قد سبق الدولة فى تنفيذ فكرة المدينة التى تجمع كل الفنون ، وكان ذلك ١٩٣٠ على مساحة قدرها ١٧ فداناً فى الأرض التى هى مدينة الأوقاف الآن .. وتكلف إنشاؤها ٥٠٠ ألف جنيه بجنيهات ذلك الحين ، نصف مليون جنيه .. وكانت تشمل : أول سينما مكشوفة فى الهواء الطلق (صيفى) تقام فى مصر ، سعة ٤٠٠٠ مقعد – مسرح كبير ٣٠٠٠ مقعد لفرقة رمسيس – ومسرح أصغر قليلاً عملت عليه منيرة المهدية أيامها – ولونابارك ومينة ملاهى – وكباريه – وستوديو سينما – ومحطة إذاعة محلية كان يديرها شقيقه إسماعيل .. فشنت حكومة توفيق نسيم باشا – التى كانت فى الحكم وقتها – الحرب على يوسف وهبى لتنتزع منه المدينة ، وإستطاعت ذلك فعلاً بعد أن فرضت وزارة الأوقاف صاحبة الأرض المقام عليها المدينة على يوسف وهبى أن يشترى الأرض الـ ١٧ فداناً بـ ٦ آلاف جنيه .. لكن يوسف لم يستطع توفير الـ ٦ آلاف جنيه المطلوبة لأنه كان قد أنفق كل ما يملك فى

إنشاء المدينة ، فأشهرت الحكومة إفلاسه وإنتزعت منه المدينة وهدمت كل مـا بنـاه يوسف وهبى عليها !! ..

وتلقى يوسف وهبى الصدمة – أو الصفعة – الثانية من حكومات ذلك الوقت ؛ حين شرعت الدولة فى تكوين فرقة حكومية للتمثيل سـنة ١٩٣٥ بإسـم (الفرقـة المصرية) .. وكانت أقوى فرقة مسرحية موجودة وقتها – ومنذ سنة ١٩٢٣ – هـى فرقة رمسيس .. ففكرت الدولة فى أن تضم فرقة رمسيس بكامل هيئتها لتصبح هـى الفرقة الحكومية وكفى الله الممثلين شر المنافسة .. وزار الشاعر الكبيـر " مطـران خليل مطران " الذى عين مديراً لفرقة الدولة ؛ زار يوسف وهبـى وعـرض عليـه إنضمام فرقته إلى الفرقة المصرية .. ووافق يوسف وهبى على حل فرقته والإنضمام بها إلى فرقة الدولة ، وأقنع أفراد فرقته بذلك .. لكن ما أن إسـتقال أعضـاء فرقـة رمسيس ووقعوا عقود الإنضمام إلى الفرقة المصرية حتى تلقى يوسف وهبى الصفعة المشهورة التى أثمرت النتيجة المقصودة منها تماماً : فقد عرض خليل مطران علـى يوسف وهبى مرتباً قدره ٤٠ جنيهاً ، بعد أن كان يوسف قد خسر فى السـرح منـذ إنشائه لفرقة رمسيس ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه !! .. وطبعاً رفض يوسف الإنضـمام إلـى الفرقة المصرية بعد أن كان قد إنضم إليها فعـلاً أغلـب أعضـاء فرقـة رمسـيس وإستسلموا للوضع الجديد ؛ إلا القليلين منهم ، أمثال : أمينـة رزق وعلويـة جميـل ورفيعة الشال ومختار عثمان ومحمود المليجى وعلى رشدى ومنسى فهمى وبشـارة واكيم ولطفى الحكيم وزكى إبراهيم .. فكون يوسف منهم فرقة رمسيس الثانية ، وضم إليها عناصر شابة أعطاها الفرصة لتمثل لأول مرة ، وكان منهم : فاخر محمد فاخر وحسين صدقى وعبد العليم خطاب وزوزو نبيل وأمينة نور الدين وسلوى علام وسعيد خليل وأمينة شريف وراقية إبراهيم ، التى كان إسمها فى ذلك الوقت " راشيل ليفـى " بحكم أصلها اليهودى ، وكان مرتبها فى فرقة رمسيس الثانية ١٥٠ قرشاً فى الشهر !! ..

* * *

وعاد يوسف وهبى إلى الفرقة المصرية مرة ثانية ، وخرج منها مرة ثانية .. وحين جاءوا ليفاوضونه ليعود للمرة الثالثة كان قد تلقى فى المرتين السابقتين دروساً قاسية ولم يشأ أن يكرر ما لقيه من قبل من دس ومعاكسات ودسائس وتدخل المسئولين الحكوميين فى شئون الفرقة .. كان يريد إستقلالاً كاملاً فى إدارتها .. فعلق عودته على شرط غريب كان الأول من نوعه ، والأغرب منه أن المسئولين قد وافقوا على شرطه : إشترط أن يأخذ الفرقة كلها لتعمل لحسابه ، وأن تأخذ الدولة نسبة فقط من الأرباح ، إذا حدثت أرباح !! .. وكان أول قرار ليوسف وهبى حين تولى إدارة الفرقة هو زيادة مرتبات كل العاملين فيها بنسبة ٧٥ % .. وأدى هذا إلى إرتفاع معنويات أعضاء الفرقة وتجدد حماسهم ..

وبدأت الفرقة موسمها بمسرحية (الخيانة العظمى) التى كشفت الستار عن قضية الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين .. وما أن عرضت المسرحية فى ليتها الأولى حتى ثار القصر الملكى وهاج وماج .. فقد إعترض واحد من الأمراء على عرض المسرحية وإتهمها بأنها تعنيه هو بالذات !! .. ورفض يوسف أن يوقف عرض المسرحية أو يعدل فيها .. فتكونت لجنة برئاسة " أحمد الموافى " رئيس النيابة لمشاهدة المسرحية .. ولم توافق اللجنة على إيقافها !! ..

وبعد (الخيانة العظمى) قدمت الفرقة المسرحية الإستعراضية الضخمة (٧٠ سنة) التى عرضتها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ بأشهر قلائل .. وكانت (٧٠ سنة) تحكى تاريخ الإستعمار والإحتلال البريطانى لمصر من يوم وطأت أقدامه أرض الإسكندرية فى عام ١٨٨٢ حتى يوم عرض المسرحية ، وظهرت فيها كل الشخصيات القومية التاريخية التى برزت بنضالها فى تاريخنا الحديث : أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى وعبد العزيز جاويش .. وتجاوب الجمهور تجاوباً كبيراً مع هذه المسرحية لدرجة أن الستار كان يسدل ويرفع كل ليلة ١٦ مرة يرد فيها الممثلون على التحية العاصفة لجمهور

المشاهدين ، ووصل الحماس فى النهاية إلى أن الجمهور كان يصعد إلى خشبة المسرح ليحتضن الممثلين ويقبلهم ويرفعهم على الأعناق !! ..

وظلت (٧٠ سنة) تعرض وتشعل حماس جمهور المشاهدين كل ليلة ، ولم تتوقف إلا باشتعال حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وفرض الأحكام العرفية وحظر التجول .. وكان من ضمن قرارات الحاكم العسكرى فى ذلك الحين إيقاف عرض (٧٠ سنة) !! ..

٨ ساعات مرت علىّ الآن فى صومعة عملاق المسرح العربى يوسف وهبى فى قصره بالهرم ، مرت دون أن ننتبه لحظة واحدة إلى مرور الوقت إلا حين دقت ساعة الحائط الكبيرة تعلن الثانية بعد منتصف الليل .. وتعبت أنا ولم يبد على الفنان الكبير أى أثر للتعب أو الإرهاق .. فهو لا يمل أبداً الحديث عن ذكرياته فى (المرسح) .. فهو عالمه الذى عاش له ووهبه كل أيامه وعمره وحياته كلها .. ورغم أن يوسف وهبى قد ترك بصماته واضحة فى كل ميادين الفن عندنا ؛ إلا إذا ذكر إسم يوسف وهبى قفزت إلى الأذهان على الفور مواقفه الخالدة على المسرح ، وجمله وعباراته التى لا زالت حتى الآن على ألسنة حتى الذين لم يروا يوسف وهبى على المسرح : ياللهول – إخرج يا عدو الله إخرج عليك اللعنة – روح الله يسامحك – جوليا يا مرات الكل يا مزبلة – السلم حا يقع ..

وأنتهز فرصة إنقطاع خيط الذكريات مؤقتاً لأسأله سؤالاً طالما سمعته على شكل تشنيعة على يوسف وهبى :

إشتهرت فى كل مسرحياتك وأفلامك فى السينما بأنك قبل أن تضع كلمة (النهاية) على الفيلم أو المسرحية تكون قد قتلت – أو على الأقل سجنت – كل أبطال الفيلم أو المسرحية ، حتى إنتشرت عنك تشنيعة تقول أنك فى آخر مسرحياتك بعد أن قتلت كل الأبطال نزلت إلى الصالة وقتلت بعض المتفرجين أيضاً !! ..

ويضحك العملاق كثيراً ضحكة طويلة من أعماقه :



- وفى الحقيقة أنه قد حصل فعلاً أننى قتلت ذات مرة ٣ متفرجين بصحيح .. لم أقتلهم كجزء من المسرحية المعروضة لكن بإندماجى الشديد فى التمثيل .. ففى إحدى مسرحياتى كنت أثور لأمرٍ ما فألتفت فجأة إلى ما وراء الجمهور فى آخر المسرح وأصرخ بأعلى صوتى فى رعبٍ شديد : (السلم حا يقع .. السلم حا يقع) .. وبلغ من إندماجى أن بعض المتفرجين فى الصفوف الأولى ظنوا أننى قد خرجت عن دورى وأن هناك سلماً سيقع حقيقة وينهدم المسرح فوق رؤسهم ؛ فقفزوا من أماكنهم يلتمسون باب الخروج ، وتبعهم بقية جمهور المتفرجين كلهم ، وتزاحموا جميعاً على باب الخروج فسقط عدد منهم على الأرض وداستهم الأقدام ، فلقى ٣ منهم حتفهم صرعى إندماجى الشديد فى التمثيل .. وهكذا أصبحت التشنيعة حقيقة ..

* * *

ويعود يوسف وهبى إلى مقعده ويسرح بذهنه بعيداً عنى ، بعيداً جداً ، أكثر من ١٣ سنة إلى الوراء .. إلى أيام أن قامت فى مصر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ومدت يدها لتعدل كل الأوضاع المقلوبة ، وتضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، وتكلف الشخص الصحيح بالمهمة الصحيحة ..

يروى :

وتشكلت برئاسة الطيار الشاب " وجيه أباظة " – محافظ البحيرة الآن – لجنة لإثارة الوعى الثورى .. إلتقينا فى التفكير فى أن أسرع طريق للوصول إلى قلوب الناس وأفكارهم ، هو الفن .. فحشدنا جميع فنانات وفنانى مصر فى إستعراض فنى هائل إستمر ٣٠ يوماً متتالية فى صالة المعرض الصناعى بالجزيرة التى تتسع لـ ٦٠٠٠ مشاهد فى وقتٍ واحد ، لم يكن يخلو فيها مقعد واحد فى أى ليلة .. وتفرع من هذه المجموعة بعد ذلك عدة مجموعات من الفنانين الذين آمنوا بالثورة فراحوا يدعون لها فى كل مكان فى مصر – التى لم تكن قد أصبحت جمهورية بعد – فقامت (قطارات الرحمة) من الإسكندرية وبورسعيد والقاهرة إلى جميع أقاليم مصر .. وكنا نحتشد على مسارح الأقاليم كل ليلة عشرات من الفنانين نبث الثورة وندعو لها من خلال كلماتنا وأغانينا ..

وإن كان لى أن أفخر بواحد من أيامى على المسرح ، فهو ذلك اليوم الذى قطعت فيه البرنامج الذى كان يقدم على مسرح حديقة الأندلس فى ليلة ١٨ يونيو عام ١٩٥٣ لأعلن سقوط حكم الملك أحمد فؤاد الثانى آخر ملوك أسرة محمد على ، وأعلن قيام أول جمهورية فى مصر .. فمن فوق خشبة المسرح كان لى شرف أن أكون أول مواطن مصرى ينقل إلى ملايين مواطنيه هذا الخبر الذى يحدث مرة واحدة فى حياة أى أمة ..

أمارات الحسرة والألم تبدو واضحة على وجه فناننا الكبير وهو يتأمل الصورة التى جمعته مع " سيسيل ب . دى ميل " منذ نحو ١٠ سنوات :

– يبدو أن مصر أكثر إغراءً وإجتذاباً للسينمائيين الأجانب من السينمائيين المصريين .. جو مصر الرائع وشمسها الدائمة ومناظرها الخلابة وآثارها وتاريخها الشامخ وتاريخها الحديث .. كل هذه الخامات والإمكانيات الضخمة الهائلة لم يستطع واحد من السينمائيين المصريين الإستفادة منها بالقدر الذى إستفاده منها زملاؤه الأجانب .. وإن كان .....

ويتوقف يوسف وهبى عن الكلام وهو يهز رأسه فى حسرة وألم :

- وإن كنا فى النهاية ما نكون مخدوعين فى هؤلاء الأجانب .. كما حدث مع المخرج الأمريكى الكبير " سيسيل ب . دى ميل " حين جاء إلى مصر فى عام ١٩٥٦ ليخرج فيلمه الضخم (الوصايا العشر) .. ورحبت به حكومة الثورة أجمل ترحيب وقدمت له كل المعاونات وإمكانيات النجاح اللازمة وأكثر .. ثم كانت النتيجة فى النهاية أننا خدعنا جميعاً فى مقاصده ، إذ ظهر عند عرض الفيلم أنه يتضمن دعايات صهيونية ..

وعلى قدر الفترات الطويلة التى قضيتها من حياتى فى أوروبا سائحاً ومتجولاً ومقيماً وزائراً عابراً ؛ لم تكن هناك فترة من حياتى أقسى من تلك التى قضيتها فى لندن فى عام ١٩٦٢ .. فقد كنت فيها مريضاً تحت العلاج .. علاج قاسى وصعب كان المرض نفسه أسهل وأرحم منه .. وكان الأقسى من العلاج والمرض كليهما وحدتى وغربتى بعيداً عن وطنى وعملى فى المسرح والسينما .. وكانت طاقة النور الوحيدة التى تضئ حياتى هناك وتخفف عنى هى رعاية الرئيس عبد الناصر وعطفه وحنانه وحبه ورعايته الدائمة لى ، وأمره بأن يكون علاجى مهما طال على نفقة الدولة .. وكانت هذه اللفتة الحانية منه هى البلسم الذى أزال كل آلامى مجتمعة ورفع معنوياتى ، وأعادنى إلى مصر لآخذ مكانى فى الصف مرة أخرى ..

ليس ذلك فقط ؛ بل تفضل فأكد تقدير الدولة وتكريمها للفن وللفنانين بأن كان عطفه كبيراً حين إختارنى مع السيدة الفنانة العظيمة أم كلثوم وعملاق الموسيقى محمد عبد الوهاب لنكون أول ٣ فنانين يحصلون على أوسمة من الدولة .. فمنحنا وسام الإستحقاق من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦١ ، وبعدها كان الإغداق على كل الفنانين .. كل مجيد مخلص منهم يترقب إسمه فى عيد العلم ، ليحصل على شهادة من الدولة بأنه أخلص فى خدمة فنه فاستحق تقديرها ..

ولم تكتف الدولة بالرعاية التى أولتنى إياها أثناء مرضى فى الخارج ، ولا بالوسام الذى شرفتنى بأن أكون واحداً من أول ٣ فنانين يمنحونه ؛ بل أضافت إلى مكرمتيها هاتين مكرمة أخرى أكبر ، لم أكن أتوقعها فى حياتى ولا خطرت لى على

بال يوماً .. حين أطلقت إسمى على مسرح محافظة الأسكندرية .. فإن فنان المســـرح يحيا عمره كله يناضل من أجل أن ينشئ لنفسه مسرحاً (أهلياً) يحمل إسمه فيبـــاهى بأنه قد فعل شيئاً ، حتى لو كان هذا الشئ من ماله الخاص ، وكل واحد بفلوسه حـــر يفعل ما يشاء .. لكن أن تكرم الدولة فناناً حياً فتطلق إسمه على واحدٍ من مســـارحها فهذا والله ما لم أستطع أن أتخيله يوماً ما ، ولا فى الحلم .. وها هو قد تحقق لى مـــا هو أكثر من الحلم .. فالحمد لله رب العالمين أننى قد نلت كل ما أردت ، وأكثر ..

نشر فى مجلة (بناء الوطن) القاهرية – العدد ٨٢ – بتاريخ أول أبريل ١٩٦٦

توفى يوسف وهبى فى١٧ أكتوبر ١٩٨٢ ..

يوسف السباعى ..
أنت متهم !! ..

قلت ليوسف السباعى بمجرد أن دخلت مكتبه وقبل أن أجلس :

- يوسف السباعى .. أنت متهم !! ..

قال وقد فاجأه كلامى :

ـ خير إن شاء الله .. متهم بماذا !؟ ..

قلت :

* إنها تشنيعة ..

– وماذا تقول هذه التشنيعة !؟ ..

* تقول أن صديقان دخلا إحدى دور السينما فى القاهرة ، وحين بدأ عرض الفيلم قرأ أحدهما فى المقدمة أو (التترات) أن مؤلف قصة الفيلم هو الكاتب الأمريكى " إرنست هيمنجواى " ؛ فقال لزميله مندهشاً : " غريبة أوى الحكاية دى .. ده ثالث فيلم أشوفه الأسبوع ده للكاتب إرنست هيمنجواى " .. فرد عليه زميله هامساً : " أصل إرنست هيمنجواى هو سكرتير عام المجلس الأعلى للفنون والآداب فى أمريكا " !! ..

وضحك يوسف السباعى ، ضحك طويلاً كأنماأعجبته التشنيعة ..

قلت له :

* ماذا تقول فى هذه التشنيعة !؟ ..

– أقول أنها تشنيعة كويسة ..

* أقصد رأيك فيما تعنيه هذه التشنيعة !؟ ..

وكف يوسف السباعى عن الضحك وإعتدل فى جلسته وقد إكتسى وجهه بطابع الجد .. ثم إنفجر قائلاً :

– لقد سمعت هذه التشنيعة من قبل أكثر من مرة بتنويعات مختلفة .. وأنا أعرف أن التشنيعة يطلقها إنسان ذكى .. لكن هذه التشنيعة بالذات تدل على غباء صاحبها .. وأول دليل على غبائه أننى على إستعداد لأن أترك له مقعدى كسكرتير عام المجلس الأعلى للفنون والآداب لأى مدة يريدها ، وأرى كم قصة سيكتبها للسينما ، وكم من المنتجين سوف يتهافتون عليه .. وموضوع هذه التشنيعة سبق أن طرقه زميلى رئيس تحرير مجلتك بالذات ، مجلة (الإذاعة) ، الأستاذ حلمى سلام ، بعدة غمزات .. وقد ناقشته صراحة فى غمزاته .. فقد كان يلمح دائماً إلى أن أصحاب المناصب الفنية إما أن يتركوا مناصبهم أو يتركوا الإشتغال بالفن .. وكان يتخذ من مدحه لنجيب محفوظ لأنه قرر ألا يكتب للسينما وهو مدير للرقابة على المصنفات الفنية ، وسيلة لغمز الآخرين ، وأنا منهم .. وقد قلت للأستاذ حلمى سلام كلاماً أحب أن أعيده الآن حتى يقرأه الجميع ..

قلت له أن هناك فارقاً بين العمل فى جهة تنفيذية تشرف على مصائر الفنون ، والعمل فى لجان تضع تخطيطات عامة .. وأن اللجان التى أعمل بها ، ومن بينها لجنة السينما فى المجلس ، ومجلس إدارة مؤسسة دعم السينما ؛ تضم الكثير من المشتغلين بالفن ممن لا غنى للفن عنهم .. من بينهم المخرجون أمثال عز الدين ذو الفقار ، والممثلون أمثال فاتن حمامة ، والديكوريست أمثال ولى الدين سامح ، والمنتجون أمثال حسن رمزى وحسين صدقى .. وإذا قلنا لهؤلاء جميعاً إما أن يكفوا عن الإشتغال بالفن أو يستقيلوا من هذه اللجان ؛ يكون علينا أن نحرم اللجان من

كفاءتهم ، أو أن ننتزعهم من ميدان العمل بالفن ، وذلك ما لا يراه منطـق .. وقلـت أكثر من ذلك : أننى على إستعداد فى أى وقت لأن أترك مناصبى واللجان التى أعمل بها ، لأننى أعتقد أن إنتاجى كفنان أجدى على الفن ..

* * *

يستطرد يوسف السباعى :

– ثم نعود بعد ذلك إلى صلب التشنيعة .. صاحبها الذكى لم يفكر فـى أن هناك كثيراً من الفنانين يتهافت عليهم المنتجون تهافتهم علـىّ ؛ رغـم أنهـم ليسـوا سكرتيرى المجلس الأعلى للفنون والآداب .. فاتن حمامة مثلاً ليست سكرتيراً للمجلس .. نسى صاحب التشنيعة الذكى أن عبد الحليم حافظ ليس سكرتيراً لمجلـس الفنـون والآداب .. عز الدين ذو الفقار ، الذى تهافت عليه المنتجون لدرجـة أنـه مشـغول ومرتبط لعدة سنوات قادمة وأنه لا يوجد لديه وقت لأى عمل جديد .. عز الـدين ذو الفقار هذا ليس سكرتيراً لمجلس الفنون والآداب .. وأكثر من ذلك ؛ فمنذ بضعة أعوام تهافت المنتجون على أبو السعود الإبيارى ولم يكن هناك مجلس للفنون والآداب فـى ذلك الوقت حتى نتهم أبو السعود الإبيارى بأنه كان سكرتيراً له .. ونسـى صـاحب التشنيعة الذكى أن تهافت المنتجون علىّ يمكن أن يكون ، ببساطة ، لأننى كتبت قصة فيلم (رد قلبى) وعرض لمدة ٧ أسابيع ، وأننى كتبت قصة فيلم (بـين الأطـلال) وعرض لمدة ٨ أسابيع ، وأننى كتبت قصة فيلم (أم رتيبة) وحقق أرباحـاً خياليـة لدرجة أن الفيلم الوحيد الذى حقق أرباحاً مثله هو فيلم (كوفـاديس) .. وكـل هـذه الأفلام كتبتها قبل أن يكون هناك مجلس أعلى للفنون والآداب ..

* * *

يسترخى تماماً يوسف السباعى مرة أخرى على كرسيه وهو يستطرد :

ونسى صاحب التشنيعة الذكى هذه الأسباب كلها وقال أن هيمنجواى أخرجت له قصتان للسينما لأنه سكرتير المجلس الأعلى للفنون والآداب فـى أمريكـا ، فهـل هيمنجواى هو سكرتير مجلس الفنون والآداب فى أمريكا فعلاً !؟ .. وتسـاءلت أنـت

لماذا أقبل المنتجون علىّ بعد أن عينت سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للفنون والآداب ؛ وليس بعد أن أخرجوا لى (رد قلبى) و(بين الأطلال) و(أم رتيبة) .. وليس عندى رد على ذلك إلا ما قلته من أن أى متسائل ، أو صاحب تشنيعة ، أو نكتة ، يعتقد أن الكرسى السحرى لسكرتير مجلس الفنون والآداب يجلب تهافت المنتجون ؛ فليتفضل بالجلوس عليه ويرينا كم قصة سيكتبها ويأخذها منه المنتجون ..

وسكت يوسف السباعى أخيراً .. سكت والغضب يغلى فى صدره ويطفو على ملامح وجهه .. سكت وإسترخى فى مقعده وراح ينظر إلىّ بإمعان كأنه يريد أن يرى أثر كلامه فى نفسى ، أو كأنه يرانى لأول مرة ويكتشف وجودى فى مكتبه .. ثم قال أخيراً :

- هه .. عندك تشنيعات تانية !؟ ..

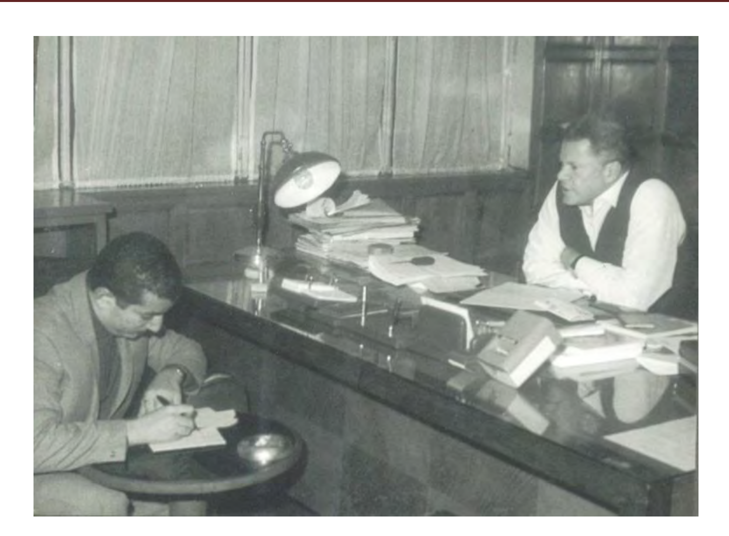
قلت :

* ليست تشنيعات ؛ إنما بعض الأسئلة الصغيرة .. كاتب القصة فى العادة يتخيل لبطلة قصته صورة معينة رسمها فى خياله ، ويتصرف ويتحرك مثلها فى قصته .. وغالباً ما تتشابه بطلات قصص الكاتب الواحد ، على الأقل فى الشكل الخارجى ، حتى أنها تسمى (بنات أفكار) الكاتب .. من تعتقد أنها الممثلة المصرية التى تشبه إلى حدٍ كبير (بنات فكارك) !؟ ..

يتنهد يوسف السباعى تنهيدة طويلة قبل أن يجيب :

- الوصف بتاعى بيكون دائماً عن بنت صغيرة فى الحجم ، عمرها ١٦ سنة ، رقيقة ، وعيناها خضراوان .. والشكل الأقرب لبطلات روايات الكاتب بيكون غالباً من طابع مميز فى ذهنه مر به فى تجربة حب وهو صغير ، فيلتصق فى خياله ويظل متصوره على طول .. الوصف ده فى الممثلات المصريات الآن بينطبق على الممثلة الصغيرة زبيدة ثروت ..

* * *



* لماذا لا تقيم مصر مهرجاناً دولياً للسينما ، كمهرجانات (فينيسيا) و(كان) و(سان سباستيان) و(برلين) .. ما الذى ينقصنا لنقيم مهرجاناً مثل تلك المهرجانات !؟ ..

– سيقام فعلاً فى سينما ريفولى فى ٢٨ فبراير (مهرجان دولى للسينما) تشترك فيه ٢٦ دولة أرسلنا ندعوها للإشتراك .. وسوف تشترك كل دولة بفيلم واحد فقط .. ولم يقع الإختيار حتى الآن على الفيلم المصرى الذى سيمثل مصر فى هذا المهرجان .. وسيكون المخرج الكبير الأستاذ محمد كريم هو مدير عام المهرجان ، والأستاذ جمال مدكور سكرتيراً عاماً للمهرجان ..

سألته :

* مشكلة أصحاب دور العرض السينمائى .. هناك الآن إثنان يتنازعان السيطرة على دور العرض فى مصر ويكونان شبكة إحتكارية لها .. واحد منهما يمتلك أكثر من ٤٠ دار عرض ، والثانى يمتلك أقل قليلاً من هذا الرقم .. ويتحكمان عن طريقهما فى المنتجين والموزعين .. هل هناك وسيلة للرقابة على هؤلاء والحد من سيطرتهما ، لمصلحة السينما فى مصر ولمصلحة الفيلم المصرى !؟ ..

ويرد يوسف السباعى فى لهجة قاطعة :

– إن خير وسيلة هى التى نحن بسبيلها الآن فعلاً .. وهى عمل العقد الموحد الذى يضمن عدم سيطرة المحتكر ، بتحديد نسب الأرباح لكل من المنتج والموزع .. كما أعتقد أن قوة المنتج والموزع معاً يمكن أن يقضى على سيطرة صاحب ومحتكر دور العرض .. وهناك فكرة أخرى نفكر فيها الآن فعلاً ؛ وهى إقامة دور جديدة للعرض السينمائى تكون ملكاً للدولة ..

* * *

* على أى أساس تختار مؤسسة دعم السينما الأفلام التى تساهم فى إنتاجها ..؟!

– لقد وضعنا مبادئ عامة للفيلم ، من النواحى الفنية والقومية ، والإنسانية أيضاً .. وهناك لجنة مهمتها فحص المشروعات المقدمة وعرضها على مجلس الإدارة .. وبعد ذلك فالمؤسسة تساهم بـ ٥٠ % من تكاليف الفيلم بعد مراجعة دقيقة لميزانيته ، على أن يقوم المنتج بوضع نصيبه من الميزانية فى البنك بحيث لا يزيد عن عن ٢٠ ألف جنيه ، وتدفع المؤسسة فى نفس البنك مبلغاً يعادل مبلغه ، وينفق من المبلغين معاً على الفيلم حتى ينتهى المبلغان المودعان فى البنك فيدفع المنتج بقية نصيبه والمؤسسة بقية نصيبها ، ويكتمل إنتاج الفيلم ..

* أغلب ما كتبته أخذته السينما فعلاً ؛ فما هى قصتك الجديدة التى لم تمثل بعد وتتمنى أنت أن تراها على الشاشة !؟ ..

– (طريق العودة) .. أحب أن أراها على الشاشة .. ولو أنها تحتاج إلى إمكانيات ضخمة .. فهى أول قصة تصور الحرب بطريقة واقعية وتعرض تفاصيل ودقائق لم تعرض من قبل .. وقد أخذ رمسيس نجيب هذه القصة .. ولأول مرة سوف تجتمع فاتن حمامة ولبنى عبد العزيز فى فيلم واحد ..

* السؤال الأخير : ما هى القصة التى لم تكتبها حتى الآن !؟ ..

– القصة التى فى ذهنى الآن عن جماعة إنطلقوا فى صاروخ إلى الفضاء ودخل فى منطقة اللا جاذبية ، ولديهم أجهزة للسيطرة على الأرض وتوجيه البشرية ..

وتقوم حرب ذرية تفنى البشر جميعاً ولا تتبقى إلا جماعة محدودة .. وتقضى جماعة الصاروخ وقتها فى توجيه الباقين على الأرض وإنشاء عالم جديد مثالى ..

ونظرت فى ساعتى فوجدت أننى قد أخذت أكثر من ٣ ساعات من وقت يوسف السباعى ؛ فأسرعت أجمع أوراقى وبعد لحظات كنت على الباب الخارجى للمجلس الأعلى لفنون والآداب ، الذى يشغل يوسف السباعى فيه منصب سكرتيره العام

نشر فى مجلة (الإذاعة) قبل أن يصبح إسمها مجلة (الإذاعة والتليفزيون)

العدد ١٢٩٥ بتاريخ ١٩٦٠/١/٩

توفى يوسف السباعى – لقى مصرعه فى قبرص – فى ١٨ فبراير ١٩٧٨ ..

الوحى والإلهام
كذبة كبيرة !! ..

قال لى يوسف السباعى :

- كلام فاضى .. مين اللى قال كده !؟ ..

قلت :

* كلهم يقولون ذلك ..

كان ذلك عندما سألت يوسف السباعى عن متى يجلس ليكتب ، وهل للوحى والإلهام ساعات محددة يزوره فيها !؟ ..

يستطرد يوسف السباعى :

- إن اللحظة أو الوقت الذى يسمونه وقت الوحى والإلهام ليس دائماً وليس له مواعيد محددة .. وإنما هو فقط ساعة وصول الفكرة ، مجرد اللحظة التى تقفز فيها الفكرة إلى ذهن الكاتب .. قد أكون نائماً ومستغرقاً فى النوم فأصحو فجأة فى الساعة الرابعة صباحاً لأكتب ، ليس لأكتب القصة نفسها ؛ وإنما لأكتب (فكرة القصة) ، مجرد الفكرة .. قد أكون راكباً سيارتى ذاهباً إلى مكانٍ ما ؛ وأشهد منظراً فى الطريق يجعل فكرة ما تقفز إلى ذهنى ، مجرد الفكرة ، فأركن السيارة على حنب وأخرج ورقاً وقلماً وأسجلها فوراً .. أما بعد ذلك فالباقى ، إلى حدٍ ما ، وبعد طول الممارسة ، يعتبر عملاً نصفه أدب ونصفه هندسة ورسم .. النصف الأول هو ما يتعلق بخيال الكاتب ،

والنصف الرسم هو تخطيط القصة ، وضع خط لها تنتظم فيه وقائعها وأحداثها واحــدة بعد الأخرى حتى تصل إلى الحادثة الأخيرة .. وبعد ذلك تأتى المرحلة الثالثة ؛ وهــى مرحلة أنا أعتبر أنها ولابد وأن تؤدى كواجب يومى ، كمية من العمل لابد وأن تنجــز كل يوم .. فإذا جلس الكاتب بعد ذلك ليملأ هيكل القصة بالحوار وبالوصف وبالتحليــل ساعتين كل يوم فهو ليس محتاجاً فى هذا الوقت إلى وحى أو إلهام ، كل ما يحتاجه هو تفرغ تام وهدوء وإنقطاع لهذا العمل عدد معين من الساعات كل يوم حتى ينهيه ..

المسألة إذن كما ترى لا يدخل فيها الوحى والإلهام إلا فترة بسيطة جــداً فــى أولها ؛ أما بعد ذلك فالباقى سهل ..

* * *

سألت يوسف السباعى :

* ومتى تجد – أنت شخصياً – بين زحام مشاغلك ؛ الوقت للكتابة !؟ ..

– فى أى وقت أجد نفسى فيه غير مشغول أو مــرتبط بمواعيــد ؛ أخــرج أوراقى وأقلامى لأبدأ فى الكتابة .. ولو أننى لا أحب الكتابة فى فترة بعــد الظهــر .. وفيما عدا ذلك فإننى أهرب إلى أى مكان هادئ وأظل أكتب وأكتب حتى يــأتينى مــا يشغلنى ..

وقد كان يوم الجمعة – زمان – هو يومى الذى أخصصه للكتابة ، لأنه اليــوم الوحيد الذى لم يكن لدىّ عمل فيه .. فلما كثر علىّ العمل فى السنوات الأخيرة أصبحت أبغض الكتابة يوم الجمعة لأنه أصبح يوم راحتى الوحيدة .. وهكذا أصبحت الآن أكتب فى أى يوم وفى أى ساعة ..

عدت أسأله :

* الأديب بعد أن يصل إلى درجة معينة من الشهرة ويتكالــب الناشــرون ، والقراء من ورائهم ، على إنتاجه ؛ فيجد نفسه مطالباً بــ (كمية) كبيرة من الإنتاج ، كيف يستطيع أن يحققها !؟ ..

وأجاب يوسف السباعى :

– الأديب حين يجد صعوبة فى تلبية كل ما يطلب منه ؛ يضطر إلى أن يعمل أكثر من طاقته وأكثر مما يتحمل ذهنه .. وقد حدث معى فى وقت من الأوقات أن وصلت إلى وقتٍ كتبت فيه إلى درجة الإرهاق ، فتوقفت عن الكتابة مرة واحدة ، وكان ذلك منذ سنوات .. وجدت نفسى فجأة كالطالب الذى أرهقته كثرة المذاكرة والإمتحانات ، فكره بعدها أن يرى كتباً أو أوراقاً وأقلاماً ، ولن تستطيع قوة على الأرض أن تقنعه بمعاودة المذاكرة مرة أخرى .. وقد أفادتنى الفترة التى إنقطعت فيها عن الكتابة فاستطعت أن أكتب ، بعد شهرين ، وكنت فى لندن ، ٩ فصول من روايتى (ليل له آخر) وفصلاً من أوبريت (هدية لإثنين) ..

ثم يأتى الوجه الآخر للمسألة التى تتكلم عنها ، وهى كون أن الأديب المعروف مطالب بكثرة الإنتاج .. هذا الأديب طالما أنه رضى أن يجلس ليكتب فهو ولاشك يشعر تماماً بمسؤليته ويجعلها مسؤلية محببة جميلة ، فهى تشعره بقدرته ومكانته .. والواقع أن من أشق الأعمال التى من الممكن أن يمارسها شخص ما هى عملية التأليف ، رغم ما فيها من متعة خلال عملية الكتابة ذاتها ، ورغم ما فيها من متعة التقدير بعد ذلك ، إذا إستحقت التقدير .. ومن أشق الأمور على الفنان أو الكاتب الذى يتمتع بالشهرة أو بإعجاب الناس أن يكف عن الكتابة من تلقاء نفسه .. لأنه يكره أن يموت وهو حى ..

* * *

عدت أسأل يوسف السباعى :

☐ اليوم ٢٤ ساعة فقط ، وأنت اليوم تحمل عدة مناصب كبيرة : سكرتير عام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وسكرتير عام المؤتمر الآسيوى الأفريقى ، ونادى القصة ، وجمعية الأدباء ، ورئيس تحرير مجلة (آخر ساعة) .. كيف تجد مع كل ذلك الوقت الكافى للكتابة !؟ ..

وضحك يوسف السباعى وهو يجيب :

– بأن أشعر نفسى دائماً بأننى مطالب فى كل يوم بكمية معينة من الكتابة ، فأخلو إلى نفسى ساعتين فى أى وقت كل يوم لأكتب الكمية المطالب بها .. هذا إلى

جانب أننى تعودت دائماً على كمية كبيرة من الكتابة باستمرار .. فعندما كنت أكتب فى مجلة (مسامرات الجيب) كنت أكتب إلى جانب القصة الأسبوعية أكثر من نصف صفحات المجلة كل أسبوع .. صفحتى الوسط ونقد السينما وأفكار الكاريكاتير وصفحات الأزياء أيضاً .. وفى الوقت نفسه كنت مدرساً فى الكلية الحربية أعد المحاضرات التى سألقيها على الطلبة ، أو فى سلاح الفرسان أحضر الطوابير اليومية .. وبعد ذلك كنت أشرف على تحرير مجلة (الأستوديو) أيضاً ..

ثم زادت كمية الكتابة بقصة أسبوعية أخرى كنت أنشرها فى جريدة (الكتلة) ، ثم يوميات ومقالات مختلفة لصحف مختلفة .. إلى جانب سيناريوهات الأفلام السينمائية وحوارها ، وكتبى القصصية التى أخرجتها ، ثم قصصى الطويلة .. وهكذا عودت نفسى منذ البداية على كمية كبيرة من العمل دائماً .. فلما تركت المناصب العسكرية حلت محلها المناصب الأدبية والسياسية .. وجاء عمل محل عمل وكمية الكتابة هى هى لم تتغير ..

* * *

سألت يوسف السباعى :

* هل يسعدك كثيراً أن تكون : يوسف السباعى !؟ ..

ونظر إلىّ يوسف السباعى نظرة طويلة كأنما يحاول أن يستشف غرضى من السؤال .. فلما رأى البراءة فى عينىّ أجاب وهو يضحك :

بصراحة ؛ طبعاً أنا سعيد .. والكاتب الذى يقول لك أن شهرته لا تسعده فهو كاذب ومدعٍ .. فليس هناك إنسان لا يسعده أن يكون مشهوراً ومعروفاً ، على أن يكون محبوباً طبعاً .. وأنا أسعد جداً حين أمشى فى الشارع فينظر الناس إلىّ أو يتهامسون .. وسعدت أكثر مرة حين عدت من سفر فى الخارج إستغرق عدة شهور ، وكنت أسير فى أحد شوارع وسط القاهرة فخرج شاب من محل تجارى وأقبل علىّ بلهفة وحب وإخلاص صادقين ليقول لى : " الحمد لله على السلامة يا أستاذ يوسف .. وحشتنا أوى " .. إن هذه اللمسات الصغيرة هى غذاء الفنان حين يشعر أنه قريب من قلوب الناس

الذين يقرأون له .. خصوصاً وأنا لست ممثلاً فـــى الســـينما ولا واحـــداً مـــن نجـــوم التليفزيون ،، فلا شك أن هذا الذى رحب بى إنما يفعل ذلك لما أكتبه وليس لشـــكلى أو حركاتى ..

نشر فى مجلة (عالم الفكر) العدد ٣ – بتاريخ أكتوبر ١٩٧٥ ..
أغتيل يوسف السباعى فى قبرص فى ١٨ / ٢ / ١٩٧٨ ..

لم ينظر إلى السلطان !! ..

إحسان عبدالقدوس إستطاع ولا شك ليس فقط أن يصنع لنفسه إسماً بارزاً فى الصحافة المصرية والعربية ، بل استطاع كذلك أن يفرض إسمه على تاريخ الصحافة المصرية .. فعلى امتداد الـ ٢٥ سنة الأخيرة كان إسم إحسان عبدالقدوس يرمز دائماً إلى شجاعة الرأى وحريته والصمود فى الدفاع عنه مهما كانت النتائج ، إبتداءً من قضية الأسلحة الفاسدة قبل الثورة المصرية ، إلى إختلافه مع الثورة المصرية نفسها بعد قيامها .. وإحسان أيضاً صاحب مدرسة جديدة فى كتابة القصة والرواية المصرية الحديثة ، ويكفى أنه الكاتب المصرى الوحيد الذى طالب بعض النواب فى أحد برلمانات مصر بمنعه من الكتابة ، والكاتب المصرى الوحيد الذى حاولوا قتله عدة مرات ، كان أقربها حين دهسته سيارة أمام بيته فى الزمالك منذ عدة سنوات ..

إحسان عبدالقدوس – فى تقديرى – هو الكاتب الصحفى المصرى الذى حين يكتب ينظر إلى الورق بكلتا عينيه ، بعكس الكثيرين الذين وهم يكتبون ينظرون إلى الورق بعين ، وبالعين الأخرى إلى السلطان !! ..

مع إحسان عبدالقدوس كان هذا الحوار ..

* أستاذ إحسان عبدالقدوس .. أنت الآن متجه إلى نوع من القصص السياسية ، تلك التى تنشرها فى (الأهرام) .. هل ذلك خط جديد بالنسبة للعمل الصحفى الأدبى السياسى فى مصر ، وهل سبقك أحد إلى هذا اللون من الأدب السياسى !؟ ..

– هو ليس خطأً جديداً بالمعنى ، لكنك تستطيع أن تسميه (نوعا من التطور) فى إنتاجى الأدبى .. لأننى فى الحقيقة لا أفتعل القصد ، لكننى أكتب بتأثير إنفعال معين أو فكرة معينة تخطر لى .. وليس هناك شك فى أن أى فكرة تدخل فيها العنصر السياسى .. وإذا عدت إلى قصصى القديمة المعروف عنها أنها قصص عاطفية مثل (الخيط الرفيع) مثلاً ، وهي قصة فيها خط سياسى واضح ، ومثل (لا تطفئ الشمس) و(أنا حرة) و(فى بيتنا رجل) ؛ تجد أنه حتى قصصى العاطفية فيها خط سياسى واضح ..

والذى حدث فى السنوات الأخيرة أن الأحداث والتطورات السياسية فى العالم العربى أصبحت موضوعات قائمة بذاتها .. يعنى ممكن أن القصة التى تشمل فرد تكون كلها سياسية .. وذلك ما جعل الناس تتصور أننى (بدأت) أكتب قصصا سياسية مؤخراً ، لكننى فى الواقع منذ بداية كتابتى تماماً وأنا أكتب القصص السياسية .. إنما نتيجة التطورات الأخيرة فى العالم العربى ، حدث نوع من التركيز السياسى الأقوى مما كان عليه فى قصص زمان ..

* * *

* أستاذ إحسان : أين (روزاليوسف) !؟ ..

إحسان عبدالقدوس يهز رأسه ويضحك :

– روزاليوسف مصيرها مصير كل الصحافة المصرية التى أممت فخضعت لصاحب رأس المال الجديد الذى هو (الدولة) .. وروزاليوسف لها طابعها الذى لا تستطيع أن تعيش بدونه وهو حرية النقد ، يعنى حرية المعارضة .. فروزاليوسف منذ أن صدرت وهى تأخذ موقف المعارضة ، أو على الأصح موقف البعيدة عن أصحاب المصالح أو أصحاب السلطان ، بعيدة عن ممالأة الحاكم ، وذلك هو سبب إستمرارها منذ صدورها عام ١٩٢٥ لغاية اليوم ، وهى طول عمرها لم تكن مؤسسة إقتصادية ولا تعتمد على أى قوة مالية أو (تمويل) ؛ إنما تعتمد فقط على قوة قرائها ، نتيجة أنها دائما تأخذ موقف الرفض للموجود ، موقف المعارضة .. لكن بعد تأميم روزاليوسف

مرت عليها فترات طويلة لم تكن تستطيع فيها أن تأخذ هذا الموقف .. كانت الرقابة الشديدة جداً وتدخل الحكومة شديداً جداً ضد أنها تأخذ موقف نقدى شديد فى مواجهة الأحداث السياسية ؛ فهبط توزيعها تماماً وأصبحت تعيش على حساب الدولة التى هى صاحبة المؤسسة الآن ، وكما كانت الدولة تدفع لكل المؤسسات الصحفية أصبحت تدفع أيضا لروزاليوسف .. وفى الفترة الأخيرة حدث فى الحقيقة أنهم بدأوا - لأن الرئيس السادات متربى فى روزاليوسف - بدأ يعيد لروزاليوسف (بعض) خطوط شخصيتها ، فأعطاها الحق فى أن تتخذ موقفاً يسارياً أقرب إلى الماركسية .. فطبعاً إستردت قوة المعارضة وقوة الرأى لأن مصر ليست ماركسية .. بعد ذلك عزل الماركسيين من روزاليوسف ، لكن الدولة لا زالت حتى اليوم تعطيها الحق فى أنها تكون معارضة ..

* * *

* إذا سمحت لى أن أتوقف عند كلمة معيلة فى كلامك ، تقول (عزل الماركسيين) .. كيف يتأتى أن يقال إن عندنا فى مصر حرية صحافة ؛ ثم ببساطة جدا تعين الدولة رئيس مجلس إدارة المؤسسة الصحفية وتعين رئيس تحرير ، وحتى سكرتير التحرير يعين !؟ ..

- لكى نقول حرية صحافة ينبغى أولاً أن نفسر ما هى (حرية الصحافة) .. فى الواقع أن (حرية الصحافة) هى (حرية رأس المال الصحفى) ، يعنى صاحب الجريدة الذى يملك إصدارها هو الذى (حر) .. كان هناك فى الماضى حرية أكثر لأن أصحاب الصحف كانوا متعددين ؛ صاحب صحيفة يسارى وصاحب صحيفة يمينى وصاحب صحيفة مؤيد وصاحب صحيفة معارض .. إنما الحرية دائما هى حرية رأس المال الصحفى .. فإذا نظرت إلى وضع الصحافة المصرية الآن : من هو صاحب رأس المال الصحفى !؟ .. هو (الدولة) .. لم يعد هناك إلا صاحب رأسمال واحد هو (الدولة) .. ففقدت الصحافة (التعدد السياسى) وفقدت الحرية الصحفية التى نراها فى صحافة الدول الأخرى .. من الذى يعين المحررين فى أى جريدة !؟ .. حتى عندكم فى جريدة (المنار) فى لندن !؟ .. صاحب رأس المال ، صاحب الجريدة هو الذى

يعين رئيس التحرير ويعين المحررين .. وفى مصر هكذا : حين لا يعجب رئيس التحرير الدولة تشيله ، ويعجبها رئيس تحرير آخر فتحطه .. وبالنسبة لروزاليوسف جاء وقت أرادت فيه الدولة أن تعين لها رئيس تحرير ماركسى فعينت " صلاح حافظ " لأنه ماركسى ، وبعد فترة صاحب رأس المال اللى هو (الدولة) لم يعد يريد أن يكون رئيس تحرير روزاليوسف ماركسياً فعزل " صلاح حافظ " وعين مكانه واحد آخر ليس ماركسياً.

إن حرية الصحافة ليست هى (حرية الفرد الصحفى) أبداً ، لأن هذا (الفرد الصحفى) يريد رأسمال لكى يعبر عن رأيه .. الحرية دائماً هى (حرية رأس المال الصحفى) ، وكلما كان رأس المال الصحفى حراً كلما كانت هناك حرية صحافة .. واحد معاه ألف جنيه فقط ويريد أن يصدر مجلة صغيرة يقول من خلالها ما يريد دون أن تتدخل الدولة لتضع له شروط أو مواصفات خاصة للسماح بإصدار جريدة أو مجلة ، فيبقى هو صاحب المجلة أو الجريدة وهو (حر) فيها ، وتبقى عندنا ٢٠ مجلة و ٢٠ جريدة كل واحد فيها يقول براحته وعلى حريته وكل واحد منها يعبر عن إتجاه مختلف ، فتتعدد الآراء وتتعدد الإتجاهات .. وهنا يأتى دور (حرية الفرد الصحفى) فيكون أمام الكاتب ٢٠ جريدة و ٢٠ مجلة ومن حقه أن (يختار) الصحيفة التى يكتب فيها والتى يستطيع من خلالها أن يعبر عن رأيه الشخصى وإتجاهه الشخصى .. زمان كان الكاتب الذى لا يريد أن يكتب فى (الأهرام) يكتب فى (المصرى) ، كاتب ضد إتجاه (أخبار اليوم) ومع إتجاه (صوت الأمة) مثلاً ..

* الصحافة الحرة بمعناها الصحيح .. أين توجد !؟ ..

– الدولة التى تحكمها نظم ديمقراطية إمكانية حرية الصحافة فيها أكثر مما فى الدول التى تحكمها نظم ديكتاتورية ، سواء ديكتاتورية فردية أو ديكتاتورية النظام .. فى فرنسا وفى إنجلترا وفى أمريكا توجد حرية صحافة أكثر مما فى روسيا أو تشيكوسلوفاكيا أو ألمانيا ، لاختلاف النظم .. حرية الصحافة هى إنعكاس لنظام الحكم القائم فى الدولة ؛ إذا كان نظام ديمقراطى بمعنى أنه يتيح تعدد الأحزاب ويتيح تعدد

الآراء ويتيح إنتخابات رئاسة الدولة ، تكون الصحافة فيها أكثر حرية .. لكن النظام الذى يرفض تعدد الأحزاب ولا يسمح إلا بحزب واحد وحاكم واحد ؛ فتكون الصحافة فيه صورة لهذا النظام ، فتضيق حريتها ..

* * *

* عودة نظام الأحزاب فى مصر .. ما رأيك فيها !؟ ..

- لغاية لآن النظم أو الأحزاب التى قامت أحزاب مختارة من السلطة الأساسية التى هى سلطة الدولة ، الدولة هى التى إختارت الأحزاب الثلاثة الموجودة وهى التى (عينت) زعامات هذه الأحزاب ؛ فاختارت الدولة " ممدوح سالم " رئيساً لحزب الوسط ، و" مصطفى كامل مراد " رئيساً لحزب اليمين ، و" خالد محيى الدين " رئيساً لحزب اليسار .. فصدرت كل الأحزاب بإسم الدولة رسمياً .. لذا فلم تستقبل هذه الأحزاب إستقبالاً شعبياً صادقاً لأن الناس لم يستقبلوها على أنها أكثر من نوع من إعادة تنظيم الإتحاد الإشتراكى .. يعنى شكل جديد للإتحاد الإشتراكى الذى لازال قائماً ، لكن على صورة أحزاب هذه المرة ، حتى أنها فى البداية سميت (منابر) .. وهناك إتجاه لتوسيع الأحزاب لأنه سمح بأحزاب من خارج الإتحاد الإشتراكى القديم ، هى حزب (الوفد) ، وذلك يعتبر تطوراً كبيراً جداً فى التنظيم السياسى فى مصر ..

* هل كانت الدول تستطيع (ألا تسمح) بقيام حزب (الوفد الجديد) !؟ ..و بمعنى آخر هل قام حزب (الوفد الجديد) غصباً عن الدولة !؟ ..

- الدولة وضعت شروطاً ليس من حقها أن تضعها لتكوين حزب .. يعنى إشترطت أن يكون الحزب يضم ٢٠ نائباً فى مجلس الشعب ، وهذه مسألة غير ميسرة .. واشترطت أن يعبر أى حزب جديد عن كذا وكذا وكذا من مبادئ الثورة ، إلى باقى الشروط التى وضعتها الدولة لقيام أى حزب ، مما يعتبر حداً كبيراً جداً على قيام الأحزاب ، لكن حزب (الوفد الجديد) يحتمل جداً أن يستطيع التطور بالقانون حتى يستطيع أن يعبر عن رأيه .. لكن قانوناً : ممكن أن تحل الدولة حزب (الوفد الجديد) فى أى لحظة !! ..

* يعنى حين نظمت الدولة فى مصر مسألة قيام الأحزاب كان مقصوداً عـــدم السماح بقيام حزب (الوفد الجديد) أو أية أحزاب أخرى جديدة غير الأحزاب الثلاثـــة التى خرجت من جراب الإتحاد الإشتراكى !؟ ..

– ليس بالضبط ، لكن هو ألا يقوم حزب لا توافق الدولة على قيامه .. بمعنى أنه لو قام حزب شيوعى الآن فلن توافق الدولة عليه ..

* وهل ذلك من حق الدول الديمقراطية !؟ ..

– لا ، ليس من حق الدولة الديمقراطية ألا توافق على قيام أى حزب ولا أن تضع شروطاً لقيام أى حزب ..

* * *

* أستاذ إحسان عبدالقدوس .. لماذا قام حزب (الوفد الجديد) !؟ ..

– لا شك أن الوضع السياسى فى مصر محتاج جداً إلى تشـــكيلات جديـــدة ، وحزب الوفد وجد شعبية كبيرة جداً ، ليست حباً فى الوفد فى حد ذاته ، لكنهـــا ملـــلاً وزهقاً وقرفاً من الوضع القائم ومن الخسائر الكبيرة جداً التى تسببت العهود السابقة فيها ، والتى جعلت الناس تتطلع إلى أى محاولة جديدة وأى تنظيم لا تشم فيه رائحة الدولة ، وذلك هو ما جعل (الوفد الجديد) يأخذ شعبية كبيرة جداً ، لأنه لم يخرج من حضـــن الإتحاد الإشتراكى ..

* هل كان للفكرة القديمة عند الناس عن حزب الوفد القديم بزعامة النحـــاس باشا ، دخل فى استقبالهم للوفد الجديد !؟ ..

– لا ، ليس حباً فى الوفد القديم وإنما كراهية فـــى معاويـــة كمـــا يقولـــون ، يتمسكون بالوفد كراهية فى الوضع القائم ، والإخوان المسلمون الآن والتنظيمات الدينية لها شعبية كبيرة بين صفوف الطلبة ..

* لماذا إذن لم يعلن الإخوان المسلمون أنفسهم كحزب !؟ ..

– لغاية الآن لم يعلنوا أنفسهم كحزب ، إنما سوف يعلنون أنفسهم كجمعية أو كهيئة كانت قائمة قبل الثورة ، وألغتها الثورة ، وتعود الآن ، لكن ليس من حقهـــم أن

يعلنوا أنفسهم كحزب إلا إذا إنطبقت عليهم الشروط التى وضعتها الدولة لقيام أى حزب جديد ..

* * *

* صحف المعارضة التى نراها الآن فى مصر : (الأحرار) و(الأهالى) ..

– المعارضة فيها محدودة ، هم بيعارضوا بعض فقط .. حزب اليمين بيعارض حزب الوسط وحزب اليسار يعارض الحزبين الآخرين بشدة وبقسوة وبتجريح ، لكن ليس لأى صحيفة منها أن تعارض النظام القائم ، فلا تستطيع واحدة منها أن تقول إن النظام الموجود خطأ أو تطالب بتعديل الدستور بشكل أساسى ، فلازلنا لم نصل بعد إلى هذا المستوى من المعارضة ..

* يعنى هل نستطيع أن نقول إن الصحف المعارضة قد صدرت لتكون نوعاً من (التنفيس) عن الشعب ، لكنها ليست معارضة حقيقية !؟ ..

– قطعاً .. والذى لا شك فيه أن الحرية فى مصر الآن مختلفد إختلافاً كبيراً جداً عما كانت عليه أيام جمال عبدالناصر .. من ناحية أن اليوم الناس تستطيع أن تتكلم بصراحة جداً .. بمعنى أن الناس تستطيع أن تتكلم إذا لم تستطع أن تنشر ، يعنى نستطيع أن نقول إنه توجد الآن (حرية كلام) متاحة أكثر من جمال عبدالناصر ..

* ما هو شكل الإختلاف بين صحف المعارضة الموجودة فى مصر الآن ، وبين صحف المعارضة قبل الثورة ، أى قبل عام ١٩٥٢ !؟ ..

– قبل الثورة كانت حرية الصحافة مطبقة ، أى واحد يستطيع أن يصدر صحيفة ، اليوم لا .. اليوم كل الصحف صادرة (بإذن) ، ولأنها تمثل أحزاباً : الصحف الرئيسية الثلاث فى مصر : (الأهرام) و(الأخبار) و(الجمهورية) كلها تمثل رسمياً حزب (الوسط) أو الحزب الحاكم ، لأن رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير فيها جميعها أعضاء فى حزب الوسط !! .. (الأهالى) تمثل حزب (التجمع الوحدوى) ، (الأحرار) تمثل حزب (الأحرار) ، فكلها صحف قائمة على أحزاب .. يعنى مثلاً أنا شخصياً لست عضواً فى أى حزب ، فهل أستطيع أن أصدر جريدة !؟

.. لا يمكن .. لكن قبل الثورة كان ذلك ممكناً ، وكانت تسعة أعشار الصحف فى مصر رؤوس أموالها لبنانية ، ولم يكن هناك إعتراض على وجود هذه الصحف أو على مصدر تمويلها : (الأهرام) و(المقطم) و(دار الهلال) كانت كلها لبنانية .. ومع ذلك فقد كانت (روزاليوسف) مصرية ، وكانت (الملايين) مصرية ، و(الصرخة) مصرية ، و(مصر الفتاة) مصرية ، وعشرات أخرى غيرها .. أقصد أن رؤوس الأموال لم يكن عليها إعتراض ولم يكن أحد يسأل من أين لك رأس المال الذى تصدر به صحيفتك ..

* * *

* بعد زيارة الرئيس السادات لإسرائيل ، وبعد كل المقابلات واللقاءات بين المسؤولين المصريين والمسؤولين الإسرائيليين فى إسرائيل وفى مصر وفى خارج إسرائيل وخارج مصر ؛ ما هو الموقف الآن فى تقديرك !؟ .. هل أثمرت الزيارة نتيجة ما أو لازلنا عند نفس النقطة التى كنا عندها قبل الزيارة !؟ ..

– أنا أعتقد أننا فسرنا هذه الزيارة تفسيراً خاطئاً وقدمناها للرأى العام تقديماً خاطئاً .. الزيارة قامت أساساً على أنها (تجربة) ، (محاولة) لا أكثر ، لأنها لم يسبقها أى إتفاق ، إنما هى فكرة قامت على أساس محاولة تحطيم الجدار بين العرب وإسرائيل ، ثم نبدأ نرى كيف تكون النتيجة متفق عليها مقدماً قبل الزيارة .. أنا كتبت بعد أن تمت الزيارة وقلت لا تنسوا أننا لازلنا فى حالة الصفر ، ونبدأ علاقتنا بإسرائيل من نقطة الصفر ، هى مجرد (تجربة) ، ولغاية اليوم لم ينتج أى شئ عن هذه التجربة .. ولو توقفنا الآن فى التجربة عند هذا الحد فستعتبر تجربة فاشلة من ناحية إستعادة الحقوق العربية ومن ناحية إقامة علاقات جديدة بيننا وبين إسرائيل ، لكنها أيضا ناجحة من ناحية أخرى هى إكتساب رأى عام عالمى جديد عرف أن إسرائيل هى الأقوى وإنها هى التى لا تريد السلام ، لأن أكثر من ذلك لا يستطيع أى عربى أن يفعل أكثر مما فعله السادات ، إنما لا نستطيع أن نقول إن هناك أى نتيجة عملية قد وصلنا إليها نتيجة هذه الزيارة ..



* أستاذ إحسان عبدالقدوس .. لأنك من الجيل الذى عاصر ما قبل قيام إسرائيل وعصر قيام إسرائيل ، وعاصر كل مراحل التفكير الإسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ؛ هل لديك أى قدر من التصور أن إسرائيل ممكن أن تعطى شيئا !؟ ..

– من تلقاء نفسها مش ممكن ، لأن إسرائيل تعتبر نفسها بين البلاد العربية دولة عظمى ، عندها قنبلة ذرية ، وتعتبر نفسها فى مستوى أعلى وأن إسرائيل ليست مجرد الثلاثة ملايين يهودى الذين يعيشون فيها لكنها تمثل ١٧ مليونا من اليهود يحكمون العالم ؛ لذا فهى تتخاطب مع العرب بالضبط كما كانت إنجلترا تتخاطب مع العرب أيام الإحتلال الإنجليزى .. وحين نستعيد فى ذاكرتنا السياسية ما حدث بيننا وبين إنجلترا أيام الإحتلال نذكر أنه كانت بيننا وبينها مفاوضات بدأت سنة ١٩١٩ وانتهت سنة ١٩٥٤ ، يعنى ٣٥ سنة كاملة ، ولم تنجح المفاوضات فى النهاية لأى سبب إلا لأنه كان هناك ضغط من أمريكا على إنجلترا وظروف متغيرة فى مصر .. لذا ، فيجوز أن تستمر المفاوضات بيننا وبين إسرائيل أيضاً ٣٥ سنة أخرى قبل أن تنتهى إلى نتيجة ما ، إذا لم يكن هناك عليها ضغط أقوى ، إلا إذا آمنا بأن هناك طريقاً آخر غير طريق المفاوضات !! ..

* فى حديث أجرته معك مجلة عربية غير مصرية منذ نحو سنة ، قلت إنك لا تكتب فى الوقت الحالى لأنك لا تريد أن تكتب .. هل كان ذلك صحيحاً وقتها !؟ .. والآن !؟ ..

– مرت فترة لم أكن فيها متوقفاً عن الكتابة لكننى كنت متوقفاً فقط عن النشر .. كنت أكتب وأضع ما أكتبه فى أدراج مكتبى فى البيت لأن الظروف كلها لـم تكـن فاتحة نفسى للنشر .. فى الوقف نفسه فإن الكتابة بالنسبة لى متعة شخصية ، أسعد حين أكتب لأنه فى ليس لدى شئ آخر لأفعله ، لا أنا غاوى طاولة ولا غـاوى كوتشـينة ؛ فكانت الظروف هى التى تمنعنى من النشر ..

* أية ظروف !؟ ..

– الظروف السياسية ، من ناحية الوضع السياسى .. كنت قد إختلفت شـوية زى العادة يعنى ، لأننى كنت قد إعتدت ألا أبقى كثيراً فى مكان واحد .. لازم أتخانق فأتشال وأتحط كما قلنا قبلاً !! ..

* والآن !؟ ..

– لأ .. الحمد لله الآن أنا حر .. فى السنتين الماضيتين كنت غزير الإنتـاج ، فأصدرت ٤ كتب فى سنتين ما بين مجموعات قصصية وقصة طويلة إسمها (ونسيت إنى إمرأة) ، ذلك الإنتاج الغزير أعقبه نوع من الإجهاد والإنهاك ، فى الأدب ولـيس فى السياسة ، لذا فإن ٤ شهور الآن وأنا غير قادر على كتابة الأدب .. ليس ذلك معناه أن عندى أفكاراً غير قادر على كتابتها ، لكن ليس هناك أفكار أصـلاً ، ذلـك نتيجـة الإجهاد ، وقد إعتدت دائماً أن أعالج الإجهاد بالسفر إلى خارج مصر كنوع من التغيير ، التنشيط ، لذا فإننى أرجو أن أسافر قريباً ، لكننى أكتب السياسة بانتظام فى مجلـة (أكتوبر) بعنوان (المقهى السياسى) ..

* ما دامت نفسك مفتوحة للكتابة السياسية ، فلماذا لا تكتبها فى الأهرام وأنت رئيس مجلس إدارته !؟ ..

– وزعت شغلى بحيث أكتب القصص فى (لأهرام) والسياسـة خـارج (الأهرام) .. وذلك أأمن ، لأن الحرية السياسية فى (الأهرام) أقل منها فى المجـلات الصغيرة .

* هل مجلة (أكتوبر) معتبرة مجلة صغيرة !؟ ..

– آه .. مجلة يعنى وليست جريدة يومية ، يعنى متدارية شوية ..

* هل (ونسيت إنى إمرأة) هى آخر إنتاج لك !؟ ..

– آخر كتاب صدر لكنه ليس آخر ما كتبت .. لى فى المطبعة الآن كتاب جديد يضم مجموعة قصص إخترت له عنوان (الراقصة والسياسى) كانت قد نشرت مسلسلة فى (الأهرام) ..

* * *

* قلت فى بداية حديثنا إن الرئيس السادات تربية (روزاليوسف) ..

– فى الوقت الذى كان فيه قد أخرج من الجيش معزولاً ، وكان هارباً من السجن الحربى ، ثم كان يفرج عنه دون أن يعاد إلى عمله بالجيش ، فكان يتردد على (روزاليوسف) كما كانت تفعل كل العناصر السياسية والثورية ، فعرفته فى ذلك الوقت فى (روزاليوسف) وتقاربنا خصوصاً وأننى كنت أعرفه من قبل من خلال عدة عمليات سياسية ، ثم بدأ يبحث عن عمل لأنه لم يكن يتقاضى مرتباً من الجيش ولم يكن له أى دخل آخر؛ فشغلته فى (روزاليوسف) ، لكن (روزاليوسف) كانت فقيرة فلم نستطيع أن نعطيه أكثر من ٨ جنيهات فى الشهر ..

* هل كان ذلك مرتباً كبيراً وقتها !؟ ..

– كان مرتباً معقولاً ، لأننى أنا نفسى كان مرتبى ١٢ جنيهاً وأنا رئيس تحرير (روزاليوسف) .. ثم تزوج هو ، وجاء ليقول لى يا إحسان أنا مش حاقدر أعيش بالـ ٨ جنيه بتوعك دول ، شوف لى حل .. فأخذته وقدمته لـ (شكرى زيدان) أحد صاحبى دار الهلال وقتها ، وكانا يهمهم إجتذاب أنور السادات لأنه كانت له شخصية ثورية معروفة وقتها ، فاتفق معه على مرتب شهرى قدره ٤٠ جنيهاً .. وفى ذلك الوقت كنت أنا أعمل فى دار الهلال أيضاً إلى جانب عملى كرئيس لتحرير (روزاليوسف) وكنت أتقاض من دار الهلال ٦٠ جنيهاً فى الشهر ، فقلت لهم إن الـ ٤٠ جنيه التى قدروها لأنور السادات ليست كافية ، وطلبت له ٥٠ جنيهاً ، يعنى أنا اللى كنت باتكلم بالنيابة عنه ، فقالوا إن ٤٠ جنيه كفاية .. فقلت لهم طيب إخصموا من

الـــ ٦٠ جنيه بتوعى ١٠ جنيه أضيفوهم على مرتبه علشان يكون كل واحد منا مرتبه ٥٠ جنيهاً ، وحين رأوا أننى وصلت إلى هذا الحد فتصوروا أنه قطعاً كاتب كبير جداً وإلا ما كنت فضلته على نفسى ، فوافقوا على أن يعطوه ٥٠ جنيهاً وأظل أنا بالـــ ٦٠ جنيهاً بتوعى ..

* من هم تلامذة مدرسة (روزاليوســف) البـــارزون الآن فـــى الصــحافة المصرية !؟ ..

- حتى الجيل اللى قبلى أنا شخصياً من تلامذة (روزاليوسف) : مصـــطفي أمين من تلامذة روزاليوسف ، أحمد بهاء الدين بدأ فى روزاليوسف بـــ ١٥ جنيهاً فى الشهر ووصل فيها إلى ١٥٠ جنيهاً فى الشهر .. كل الأسماء المعروفة الآن فى عـــالم الصحافة بدأوا فى روزاليوسف ..

* * *

* سمعت أن الأستاذ محمد حسنين هيكل كان قد بـــدأ فـــى (روزاليوســـف) بمرتب شهرى قدره ثلاثة جنيهات !؟ ..

- صحيح .. كان قد بدأ يعمل فى الـــ (إيجبشيان جازيـــت) .. ثـــم أراد أن يعمل فى الصحافة العربية فاشتغل فى (آخر ساعة) من (باطن) صحفى آخر إسمه " صلاح عبد الجيد " .. يعنى يكتب الأخبار ويعطيها لـــ " صلاح عبد الجيـــد " الـــذى يقدمها وينشرها بإسمه هو ، بإسم " صلاح عبد الجيد " .. وحين إكتشفت هذه المســـألة وكنت وقتها أعمل فى (آخر ساعة) فنصحت هيكل بأن يبدأ فـــى (روزاليوســـف) بإسمه هو شخصياً وليس بإسم حد آخر .. وذهب فعلا ليعمل فى (روزاليوســـف) .. وبعد فترة تركت أنا (آخر ساعة) وعدت إلى (روزاليوسف) ليعمل هيكـــل معـــى بعض الوقت قبل أن يعود إلى (آخر ساعة) التى وجد فيها مجالا أوسع مع المرحـــوم الأستاذ " محمد التابعى " ، وظل فيها حتى باع التابعى مجلة (آخر ساعة) لمصـــطفى أمين أو لدار (أخبار اليوم) ..

* ما هو شكل العلاقة بين الأستاذ محمد حسنين هيكل والصحافة المصرية الآن بعد أن عزله الرئيس السادات من رئاسة (الأهرام) !؟ ..

- هو حر تماماً وليس عليه أى قيد أو منع من الكتابة فى الصحافة المصرية ، لكنه هو يفضل ألا يكتب فى الصحف المصرية .. وحين كنت رئيساً لمجلس إدارة (الأهرام) قلت له يا هيكل بدلاً من أن تنشر فى الصحف اللبنانية إنشر فى (الأهرام) وهى جريدتك ؛ فقال لى إنه ممنوع من النشر فى مصر ، فقلت له إنه ليس ممنوعاً ولكى أثبت له أنه ليس ممنوعاً إشتريت من دار (النهار) كتابه ونشرته مسلسلاً فى (الأهرام) ، لكنه مع ذلك فهو لازال مصراً حتى الآن على أنه ممنوع من الكتابة فى مصر ، وذلك ليس صحيحاً وهو مهما كان يكسب من الكتابة فى الصحف غير المصرية إلا أنه يستطيع أن يكتب فى (الأهرام) أيضاً ..

* هل الأستاذ هيكل يكتب فى الصحافة العربية لمجرد الكسب المادى ؛ أم لأنه يشعر أن الدولة فى مصر تأخذ منه موقفاً !؟ ..

- لا ، لكن يجوز أنه يريد أن يكون متباعداً سياسياً عن النظام فى مصر ..

* إذا جاز لى أن أسألك فى ذلك : ما الذى يقبله الأستاذ هيكل لكى يعود إلى الصحافة المصرية مرة أخرى !؟ ..

- أنا شخصيا لا أعرف ، هذه علاقة شخصية بينه وبين الدولة ، لكنه كان له وضع معين أيام جمال عبدالناصر ، فهل يستطيع أن يستعيد هذا الوضع الآن أم لا !؟ .. فى الوقت الحالى لا يوجد أحد من الصحفيين له نفس الوضع الذى كان لهيكل أيام جمال عبدالناصر ، لأن أنور السادات يتصل بجميع الصحفيين ، لكن جمال عبدالناصر لم يكن يتصل إلا بهيكل ، وهيكل فقط .. وليس لأى حد آخر حق الإتصال بجمال عبدالناصر ..

* * *

* ألم يكن جمال عبدالناصر يتصل بك أنت شخصياً !؟ ..

- أبداً .. بعد فترة معينة من بداية الثورة كف جمال عبدالناصر تماماً عن الإتصال بأى أحد من الصحفيين المصريين إلا بهيكل فقط ، وعمل نوعاً من التنظيم جعل باقى الصحفيين يتصلون بمسؤولين آخرين أقل من جمال عبدالناصر .. لكن جمال لا يتصل إلا بهيكل ولا يتصل بجمال إلا هيكل .. كان الذى يتصل بى أنا مثلاً هو أنور السادات حين يكون لديه معلومات مصدرها جمال عبدالناصر فيقولها لى ، لكننى أنا لا أستطيع الإتصال مباشرة بجمال عبدالناصر .. وذلك حدث بعد سنة ١٩٥٦ ، يعنى بعد ٤ سنوات تقريباً من بداية الثورة ..

* موسى صبرى يحاول الآن – بكتاباته – أن يوهم الناس بأنه يحتل عند الرئيس السادات نفس المكانة التى كان يحتلها هيكل عند الرئيس عبدالناصر !؟ ..

- أبداً ، لا أعتقد ذلك .. عندك مثلاً الأستاذ أنيس منصور ينشر سلسلة أحاديث أسبوعية مستمرة مع الرئيس السادات فى مجلة (أكتوبر) .. وكل الصحفيين المصريين يتصلون بالسادات ، وذلك نوع من المساواة .. وأنا أعتقد أن ذلك هو السليم ألا يعطى رئيس الجمهورية نفسه لصحفى واحد فقط ولا يحتكره صحفى واحد فقط ..

* * *

* أستاذ إحسان عبد القدوس ؛ هل هناك رواج صحفى فى مصر الآن !؟

- قطعاً .. تكوين الشعب المصرى يجعل توزيع أقل جريدة فى مصر ضعف توزيع أكبر جريدة فى أى مكان آخر فى العالم العربى .. (الأهرام) اليومى مثلا معروف أنه ضعيف التوزيع : يوزع ٤٥٠ ألف نسخة فى اليوم ، وهو ضعيف .. (الأخبار) توزع ٦٥٠ ألف نسخة فى اليوم ، (أخبار اليوم) يوم السبت حين كنت رئيسا لتحريرها قفز توزيعها من ٢٧٠ ألف نسخة إلى مليون و٢٠ ألف نسخة ، الآن توزع أكثر من ذلك ، فى الوقت الذى حين تريد أى جريدة عربية أخرى أن تتفاخر فتكتب فى صدر صفحتها الأولى : (طبعنا من هذا العدد ٦٥ ألفاً) !! ..هذه الـ ٦٥ ألف لو أن (روزاليوسف) وهى مجلة أسبوعية طبعت ٦٥ ألف فقط لانتحرت ، لأن

توزيع (روزاليوسف) الآن ١٥٠ ألفاً .. وهذه أرقام تعتمد على عدد السكان ، وعـــدد السكان فى مصر يعتبر نصف سكان العالم العربى كله تقريباً ..

* تلك بالنسبة لأرقام التوزيع ؛ ماذا عن الرواج المهنـــى نفســه !؟ .. هــل الصحف المصرية الثلاث الجديدة التى صدرت مؤخراً ، حركت شيئاً فى جو الصحافة المصرية !؟ ..

– بدون شك .. لأن المجالات تنفتح أكثر ، وبعد أن كانت هناك ٣ صـــحف فقط أصبحت هناك ٧ صحف ، فاتسع المجال أمـــام الصـــحفيين المصـــريين وزادت أجورهم .. مش ممكن واحد يترك جريدته إلى جريدة أخرى إلا إذا كان هناك زيادة فى مرتبه .. وحين صدرت مجلة (أكتوبر) وضمت إليها بعض المحررين من (أخبـــار اليوم) و(آخر ساعة) ضاعفت مرتباتهم الأصلية جميعاً ، وذلك حق الصحفى .. أنا شخصياً لا أقبل أن أنتقل من صحيفة إلى صحيفة أخرى إلا إذا زاد مرتبـــى وتحســـن وضعى .. وليس هناك شك فى أن الحركة الصحفية فى مصر الآن منتعشة جـــداً وإن كان لازال عدد الصحفيين كبيراً ، خصوصاً الصحفيين الشبان ..

* هل إختلف إحسان عبد القدوس الكاتب فى سن الثلاثين عن إحســـان عبـــد القدوس الكاتب فى سن الأربعين ، عنه فى سن الخمسين !؟ ..

– أساساً إختلفت فى قدرات الشباب التى تختلف عن قدرات الشيوخ ، زمـــان وأنا شاب كانت تصل بى الجرأة أننى كنت ممكـــن أكتـــب دون أن أســـتكمل دراســـة الموضوع الذى أكتب فيه ، يعنى كنت أتحمل مسؤولية أن أقول (أن ذلك الشئ خطأ) ، ويجوز أن يتضح فعلاً أنه خطأ ويجوز العكس ، الآن وبعد مرور السنوات الطويلـــة أصبح عندى الوقت وعندى المزاج إنى أدرس قبل أن أصدر حكماً بأن ذلك الشئ خطأ.

* هل ذلك لأنك أصبحت أكثر نضجاً فنياً !؟ ..

– فنياً وعقلياً .. وأصبحت الدراسة تمثل بالنسبة لى متعة أكثـــر لأن الشـــباب متعجل وحين كنت شاب كنت أكتب ٨ ساعات فى اليوم وبـــأخرج وأســـافر وأحضـــر حفلات وألف وأدور ، وكانت إنتاجى (أغزر) أكثر مما هو (أعمق) .. أنتجت كثيراً

فى سن الثلاثين ، سن الشباب الثائر الرافض لكل ما هو موجود لمجرد الرفض وينظر لأشياء جديدة لأنه يبنى مستقبله .. مثلاً كنت أنا أول من طالب بالثورة الكاملة ، وحين قامت الثورة الكاملة فإن كل ما كنت أطالب بالثورة من أجله لم يتحقق : الحرية ، الرخاء ، القوة .. كل ذلك لم يحدث ، لماذا !؟ .. لأننا كنا خياليين أكثر منا واقعيين ، ونتيجة أن نظم الحكم وقعت فى أخطاء كثيرة .. ذلك جعلنى بعد أن كبرت لا أقول ثورة وبس ، لكن لازم أدرس أولاً لأرى ما هى الإمكانيات وماذا يمكن أن يحدث بعد الثورة .. أصبحت أعمق فى الدراسة .. يعنى زمان كانت فكرة المقال تجئ لى فأكتبه فوراً ، اليوم الفكرة تجئ لى فيمكن أدرسها أسبوع أو أسبوعين قبل أن أكتبها ، وأراجعها بعد أن أكتبها .. ذلك هو الإختلاف الذى حدث عندى وكانت نتيجته أن إنتاجى قل من ناحية (الكم) .. لكننى أتمنى أن يكون ربنا قد وفقنى وارتفع فى قيمته عما كان وأنا شاب ، رغم أن شهرتى وأنا شاب كانت أكثر من شهرتى الآن ..

* * *

* ذلك بالنسبة للجانب السياسى فى الكاتب إحسان عبد القدوس ، ماذا عن الجانب العاطفى ، الحب ، فى نظر إحسان عبد القدوس ؛ هل إختلف شكله !؟ .. هل إختلف مضمونه !؟ .. هل إختلف فى وضعه على الورق ليكون عملاً أدبياً !؟ .. هل إختلف عند إحسان عبد القدوس فى سن الخمسين عنه فى سن الثلاثين !؟ ..

– لأ ، لسبب بسيط كان هو السر فى الهجوم الكبير الذى هوجمت به والذى إستقبلت به كتاباتى منذ بدأت ، لأن ما بدأت به كان جديداً جداً فى وقته وكان يعتبر (عورة) وجريمة ، لدرجة أننى كنت أقدم حديثاً أسبوعياً فى راديو القاهرة أختمه كل مرة بعبارة مشهورة : " تصبحوا علي خير ، تصبحوا على حب " ، فإذا بكل المشايخ وكل رجال الدين يثورون علىّ ويهاجموننى ، حتى أن الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً رجانى أن أغير عبارة " تصبحوا على حب " ، هذه .. فقلت له لا يمكن لأننى أريد أن أرتفع بكلمة الحب إلى معناها الصحيح ، الحب ليس هو الجنس وإنما أقصد أن تصبحوا على يوم حلو على مودة على نقاء على صفاء .. فالذى حدث منذ كنت شاباً

حتى اليوم هو أن الناس تغيرت لى ، تغيرت فى اتجاهى حتى أن جمال عبد الناصر وأنور السادات يستعملان فى خطبهما كلمة (الحب) .. لم تعد كلمة (الحب) كلمة بذيئة أو كلمة جريئة ..

* هل تعتبر نفسك صاحب فضل فى أن كلمة (حب) أصبحت محترمة بين الناس !؟ ..

- قطعاً .. لأننى تعبت كثيراً وتحملت كثيراً وقاسيت كثيراً حتى جعلت (الحب) كلمة محترمة ..

* * *

* بطلات قصص إحسان عبد القدوس من ٢٠ سنة .. كانت أعمارهن ١٦ و١٧ و١٨ و٢٠ سنة ، كن مراهقات أو فى سن المراهقة ، بطلات قصصه الآن تدور حول سن الأربعين .. لماذا !؟ ..

- الموضوع هو الذى يحدد سن بطلاته ، وأنا حين أكتب قصة أحدد الموضوع قبل أن أبدأ فى الكتابة .. لكن يجوز فعلاً على رأيك أن يكون الجو المحيط بى الآن له تأثيرا أو دخل فى ذلك ؛ لأن أغلب المحيطات بى الآن والملتفات حولى يدرن حول سن الأربعين أكثر من الـ ١٧ و١٨ .. وإن كان ذلك لم يمنع كما قلت لك بأن الموضوع هو الذى يفرض سن بطلته ، فقد كتبت فى العام الماضى فقط قصة (العذراء والشعر الأبيض) وكانت بطلتها عمرها ١٧ سنة .. لكن أيضاً فعلاً فإن أمها فى القصة كانت تلعب دوراً كبيراً إلى جوارها .. وقطعا سنى أو عمرى ككاتب يكون له تأثير ولو غير مباشر على ما يضعه قلمى على الورق .. يعنى مثلاً زمان كنت أكتب أقول : (وقابلت عجوزاً فى الأربعين من عمره) ؛ الآن لا أستطيع أن أكتب ذلك لأن الذى فى الأربعين من عمره هذا أصبح بالنسبة لى شاب جداً ، كما أننى قد عشت سن الأربعين ووجدت أن الرجل فى سن الأربعين يكون فى قمة شبابه وليس عجوزاً ولا حاجة ..

* أستاذ إحسان عبد القدوس ؛ من هم قراؤك الآن !؟ ..

- هم أنفسهم لم يتغيروا ، تندهش فى نفس السن سن الــ ١٦ والــ ١٧ والــ ١٨ والــ ١٤ أيضاً .. لأن المسألة مسألة الموضوع نفسه ، فقصصى السياسية مــثلاً تقرؤها الأجيال الواعية والقراء الأكبر سناً ، لكن فى الوقت نفسه فإن الأجيال الصغيرة لا تزال تقرأ قصصى العاطفية القديمة .. فمثلاً قصة (أنا حرة) و(لا أنام) تطبعــان الآن الطبعة العشرين ، وكل قصصى القديمة يعاد طبعهــا باســتمرار ، لأن الأجيــال الجديدة تقرؤها وتقبل عليها لأنها تقرأ نفس القصص التى كتبت - فى وقتها - لمن فى مثل أعمارهن وأعمارهم الآن ..

* * *

* سؤالى الأخير : نحن الآن فى عام ١٩٧٨ ، وسنة ١٩٨٠ التى طالما منينا بأن كل أزماتنا ومشاكلنا ومتاعبنا الداخلية سوف تنتهى عندها .. سنة ١٩٨٠ أصبحت على الأبواب تماماً .. هل تتوقع أن يكون قد حدث أى تغيير حقيقى حين نصل إلى سنة ١٩٨٠ !؟ ..

- إذا كنت تقصد التغيير بمعنى الرخاء الإقتصادى ؛ فلا أعتقد أنه سوف يكون بالصورة التى يتوقعها وينتظرها الناس .. لكن التغيير بمعنى التغيير والرخاء فأتصور أنه لن يحدث قبل سنة ٢٠٢٠ ، يعنى ليس قبل ٤٠ سنة أخرى بعد سنة ١٩٨٠ !! ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية - العدد ٢٣ - بتاريخ ١ / ٤ / ١٩٧٨

توفى إحسان عبد القدوس فى ١١ يناير ١٩٩٠

صلاح أبو سيف .. البداية ..

كان أول فنان تعرفت به عند بدء إشتغالى بالصحافة هو المخرج صلاح أبو سيف ، ومن يومها ونحن أصدقاء حميمين .. زارنى فى بيتى فى القاهرة أف مرة ، وفى بيتى فى لندن ألف مرة ، ولم يدعونى لزيارته فى بيته ولا مرة ، ولا أظنه دعا أحداً إلى بيته ، رغم أن زوجته المرحومة " وفيقة أبو جبل " كانت شخصية عامة هى أيضاً .. كانت أشهر (مونتيرة) فى السينما المصرية حين تعارفا وتزوجا وهما يعملان معاً فى قسم المونتاج فى ستوديو مصر ، قبل أن يتحول صلاح من المونتاج إلى الإخراج.

وكنت أظن أن صلاح أبو سيف بعد علاقتنا الحميمة قد أصبح بالنسبة لى كتاباً مفتوحاً قرأته كله وأعرف عنه أكثر مما يعرف أى حد آخر ؛ حتى إلتقينا منذ أيام وأخذنا حديث الذكريات ، لأكتشف أن فى هذا الكتاب المفتوح صفحات لم أكن قد قرأتها بعد ، حول الجانب الآخر لصلاح أبو سيف ..

* * *

– فى بداية هوايتى للسينما كنت أحلم بأن أكون ممثلاً ، لأننى كنت أظن أن الفيلم هو الممثل ولا أعرف شيئاً عن (المخرج) .. حتى حدث ذات مرة وأنا خارج من سينما (أوليمبيا) فى شارع عبد العزيز – لازالت موجودة حتى الآن وبنفس الإسم – أننى وجدت فى المكتبة المجاورة للسينما كتاباً عنوانه (كيف تكون ممثل سينما)

كان ثمنه قرشين صاغ ، يعنى أكثر من ثمن تذكرة السينما نفسها ، ومـــع ذلـــك فقـــد إشتريته وقرأته فوجدته يتحدث عن كيفية عمل فيلم السينما ومن هم الذين يشتركون فى عمل الفيلم .. وفى الكتاب فصل بعنوان (المدير الفنى أو المخرج) ، ويقول فى بداية هذا الفصل : (إذا دخلت ستوديو سينما أثناء عمل فيلم ووجدت شخصاً جالســاً علـــى كرسى يفكر ولا يفعل شيئاً ؛ فلا تظن أنه ضيف أو رجل فاضى لا علاقة له بالفيلم ؛ لكن إعرف أنه أهم شخصية فى الفيلم كله ؛ لأنه هو الذى يقود العمل كله وهو الـــذى يدرب الممثلين ويعلمهم كيف يؤدون أدوارهم ، وهو الوحيد الذى يستمع كـــل الـــذين يعملون فى الفيلم إلى كلامه وتوجيهاته ويطيعون أوامره وتعليماته ؛ لأنه هو المخرج) .. !!

وإكتشفت لحظتها فقط أن هناك واحداً من الذين يعملون فى الفيلم أهـــم مـــن الممثل ، وهو المخرج .. فقررت أن أكون مخرجاً وليس ممثلاً .. فبدأت أقرأ مجلات السينما ، وأوفر فلوس المواصلات وأمشى على قدماى بدلاً من أن أركب ، وكان كل أصدقائى الذين من سمى قد بدأوا يدخنون السجاير لكننى لم أنا أدخن ؛ لأننـــى كنـــت أشترى بالفلوس التى سأدخن بها مجلات السينما .. وإكتشفت فى الممر التجارى فـــى شارع فؤاد – شارع ٢٦ يوليو الآن – مكتبة إسمها (مكتبة حماد) تبيـــع الأعـــداد القديمة من مجلات السينما الإنجليزية بأسعار رخيصة ، فأصبحت زبوناً دائماً لهـــا .. وإشتريت قاموس إنجليزى / عربى لكى أستطيع ترجمة وفهم ما أقـــرؤه فـــى هـــذه المجلات الإنجليزية ؛ فكان نتيجة ذلك أنه أفادنى أيضاً فى دراستى للغات الأجنبية فى المدرسة ، فكنت أحصل على درجات ممتازة فى اللغات ودرجات متوسطة أو عاديـــة فى المواد المحاسبية التى هى تخصصى الأصلى !! ..

من أيام أن كنت طالباً وقبل أن أتخرج كنت أعمل بالصحافة ، وبالنقد الفنـــى بالذات وأكتب عن الأفلام .. وتخيل أننى كنت قد نسيت هذه المسألة تماماً بعد أن مـــر عليها ٥٠ أو ٥٥ سنة الآن ؛ حتى صدر مؤخراً كتاب للدكتور " على شـــلش " عـــن تاريخ النقد الفنى فى مصر ، فقرأته ، وفوجئت بأنه قد رجع إلى المجلات القديمة التى

كنت أكتب فيها وأنا تلميذ ، وعرض يعض نماذج منها فى كتابــه ، ففكرنـــى بالــذى مضى وكنت أنا ناسيه تماماً .. كتبت فى مجلات (العروسة) و(الصباح) و(الفــن السينمائى) وجريدة (الوادى) .. لم أكن أتقاضى أجراً عما أكتبه حين كنت طالبــاً ، حتى عيننى المرحوم " محمود عزت المفتى " الذى كان يصدر مجلة أسبوعية شـــهيرة جداً وقتها إسمها (الراديو والبعكوكة) ، عيننى محرراً بها بمرتب شهرى قدره ١٥٠ قرشاً !! .. وكنت أوقع مقالاتى النقدية وقتها بإسمى الكامل " صلاح الدين أبو سيف " .. وكانت الــ ١٥٠ قرشاً أيامها – فى عام ١٩٣٣ – مبلغاً كبيراً .. لكن الأهــم مــن المرتب بالنسبة لى كان أننى كنت أدخل كل دور السينما والمسارح مجاناً !! ..

لكن بعد فترة كنت قد أصبحت مسئولاً عن أسرتى الصغيرة : أمى وأخوتى ، بعد تخرجى .. فوجدت نفسى مضطراً لترك العمل الصـــحفى وأتوظــف فـــى قســم السكرتارية بشركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، سعياً وراء مرتب أكبــر .. وأفادنى مرتبى فى شركة المحلة بأننى أصبح معى فلوس كفاية لأشترى كتب ومجلات أجنبية أكثر عن السينما .. أيضاً أصبح عندى وقت أكثر لكى أدرس أشياء كثيرة كان نفسى فيها .. فدرست موسيقى ودرست فلسفة ومنطق وفنون تشكيلية .. وكــل هــذه الأشياء درستها من منطلق أنها لابد وأن تكون خلفية ثقافية للمخرج السينمائى الــذى كنت أتصور أنه سوف يكون مستقبلى فى يوم من الأيام ..

قضيت ٤ سنوات كاملة فى شركة الغزل والنسيج بالمحلة الكبـــرى .. ومـــن المواقف الطريفة التى أذكرها عن فترة عملى بالشركة أننا قررنا أن نقيم حفلاً ســـنوياً نقدم فيه مسرحية يمثلها موظفو وعمال الشركة .. وطبعاً كان المفروض أننى أنا الذى سأقوم بإخراج هذه المسرحية بما أننى الوحيد الذى يفهم فى الفن بين موظفى الشـــركة .. لكن مدير الحسابات المسئول عن ميزانية هذا الحفل رفض وقال لى : " وإنت تفهم إيه عن الإخراج !؟ .. هاتوا مخرج من مصر يخرج المسرحية " .. فتضـــايقت جـــداً لأننا كنا سنقيم هذا الحفل خصيصاً لمجرد أن أخرج أنا المســـرحية .. فإتفقـــت مـــع زملائى ثم رحنا نقول لمدير الحسابات أننا إتفقنا مع مخرج إيطـــالى يعمـــل فـــى دار

الأوبرا المصرية إسمه " سالادينو بوزيانو " لكى يخرج لنا المســرحية !! .. فإنبســط مدير الحسابات وقال لى لكى يشجعنى : " كويس أوى .. وآهو تبقى تتعلم منه علشان تخرج إنت المسرحية بتاعة حفلة السنة الجاية بإذن الله " !! .. وطبعاً كــان المخــرج الإيطالى " سالادينو بوزيانو " هو نفسه " صلاح أبو سيف " اللى هو أنا !! .. ولعــل مدير الحسابات لم يعرف ذلك حتى الآن ..

* * *

وكان زملائى فى قسم السكرتارية يشجعوننى دائماً على هــوايتى للســينما ، ويستمعون إلى آرائى التى كنت أقولها لهم عن السينما وعن الأفلام ، ويعرفون أننــى كنت أعمل بالنقد الفنى فى الصحافة قبل أن أعمل معهم فى شركة الغزل والنســيج .. فتصرف زملائى تصرفاً لا يمكن أن أنساه لهم طول عمرى ، حين قرروا أن يتيحــوا لى الفرصة لكى أسافر إلى فرنسا لأدرس السينما هناك على نفقتهم .. فجمعــوا مــن بعض مبلغ ستين جنيهاً لكى أسافر به إلى باريس .. وكان ذلك يعتبر مبلغاً كبيراً وقتها إذا عرفت أن ثمن تذكرة الباخرة من مصر إلى فرنسا وقتها كان أربعة جنيهات فقط !! ..

وبدأت أستعد للسفر فعلاً .. لكن حدث أن طلعت حرب مؤسس شركات بنــك مصر كلها إفتتح وقتها (ستوديو مصر) .. وجاء المخرج المعروف المرحوم " نيازى مصطفى " إلى المحلة الكبرى لكى يصور فيلماً تسجيلياً عن شركة الغزل والنسيج التى أعمل بها .. وإلتقينا أنا ونيازى وتكلمنا عن السينما ، وأعجب بمعلوماتى السينمائية ، فعرض علىّ أن أنتقل من شركة النسيج إلى ستوديو مصر ، لأن الإثنين كانا تــابعين لشركات بنك مصر .. وإنتقلت إلى ستوديو مصر فعلاً ، وبدأت المشوار ..

* * *

أذكر أنه كان عمرى ١٠ سنوات وكنا نسكن فى حى بولاق أبو العــلا أكثــر أحياء القاهرة شعبية .. وكان يوم عيد فخرجت أتمشى ناحية كــوبرى أبــو العــلا .. ومرت إلى جانبى سيارة مفتوحة (كابورليه) والراديو فيها مفتوح وصوته عالى على

الآخر .. واحد إبن بلد ماشى جنبى بص للعربية وقال : " ياسلام على العز .. آهو ده العز والا بلاش " .. فإنطبع فى ذهنى من يومها أن هذا هو العز فعلاً .. وكان نتيجة ذلك أننى لما كبرت وإشتغلت فى السينما وأصبح معى فلوس تمكننى من شراء أول سيارة فى حياتى إشتريتها (كابورليه) مفتوحة وفيها راديو ، لكى أحقق فكرتى القديمة عن (هو ده العز والا بلاش) !! .. وكان ذلك أيام ما كنت بأخرج أول أفلامى (دايماً فى قلبى) .. وكان ثمن هذه السيارة الفاخرة وقتها ٣٥٠ جنيهاً .. وكنت لا أتقاضى أجراً عن أول أفلامى لأننى كنت موظفاً فى قسم المونتاج فى ستوديو مصر وأتقاضى منه مرتباً شهرياً .. ولم يكن يهمنى أن أتقاضى أجراً عن الإخراج وقتها لأن كل اللى كان يهمنى هو أن يسمحوا لى بالإخراج لكى أثبت وجودى .. ظللت ١٠ سنوات كاملة فى قسم المونتاج بمرتب صغير جداً ، لكن كنا بنصرف إلى جانبه حوافز وأجور إضافية كثيرة لا تضاف رسمياً إلى المرتب ، علشان لما الواحد منا يترفد فاستوديو مصر يدفع له مكافأة نهاية خدمته على أساس المرتب الصغير !! ..

* * *

وكانت الـ ٣٥٠ جنيه اللى دفعتها ثمناً لأول سيارة إشتريتها تساوى الآن ٧٠٠٠ جنيه على الأقل .. لأن الشئ الذى كنا نشتريه بخمسة قروش وقتها نشتريه الآن بجنيه كامل .. وكان كل الممثلين والممثلات وقتها عندهم سيارات ، فقد كان أول مظهر من مظاهر الغنى والأبهة والجاه أن تكون لديك سيارة .. كما أن السيارات وقتها كانت رخيصة ، يعنى بـ ٢٠٠ جنيه كنت تستطيع أن تشترى سيارة جديدة تماماً وماركة ممتازة : السيارة الـ (فورد) مثلاً كانت بـ ١٨٠ جنيهاً .. وكنت تستطيع أن تدفع ثمنها بالتقسيط : ١٠ أو ٢٠ جنيه كل شهر .. وكان ممكناً أن تغير سيارتك كل سنة إلى الموديل الأحدث ، من نفس (الأجانس) الذى إشتريتها منه : تعطيهم السيارة القديمة موديل السنة الماضية وتأخذ بدلها سيارة جديدة موديل السنة الجديدة ، وتدفع فرقاً بسيطاً جداً ..

أيضاً كنا نتعامل مع ترزى ممتاز وبطريقة ظريفة جداً لا أعتقد أنها موجودة الآن : كنت أذهب – أنا أو أى حد من زملائى – للترزى لنفصل عنده أى عدد من البدل نريده ، وعلى أحدث موضات طبعاً ، ولا ندفع شيئاً ، وأول كل شهر تجد الترزى يقف فى إنتظارك على باب غرفة الصراف الذى تقبض منه مرتبك : تقبض المرتب من الصراف وتناول الترزى ٥٠ قرش فقط قيمة القسط الشهرى للبدل التى فصلتها عنده ، ومهما كان عدد البدل أو قيمة المبلغ الذى أنت مدين له به ؛ فإن الـ ٥٠ قرش القسط الشهرى لا يتغير ولا يزيد ّ ..

* * *

من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٨٧ : ٤٢ سنة ؛ وأنا أركب سيارات .. السنة دى طلعت فى دماغى هواية جديدة باعملها الآن كتير جداً : ركوب التاكسيات والأوتوبيسات !! .. حاجات كتير إختلفت بين ركوب الأوتوبيسات زمان وركوب الأوتوبيسات الآن ، وحاجات كتير لازالت كما هى .. كلام الناس مع بعضها داخل الأوتوبيس بصوت عالى ، ويحكون أسرارهم الشخصية والعائلية وده يقول أنا عملت وده يقول أنا سويت ، ويناقشوا الحياة الإجتماعية والحياة السياسية وموضوعات الساعة

ركوب الأوتوبيسات متعة كبيرة لا يتصورها أحد .. بأشوف حاجات غريبة جداً وبأطلع منها كل يوم بمادة جديدة .. أول ما باركب التاكسى لو عرفنى السواق يقول على الفور : " أهلاً يا أستاذ صلاح " .. وبعد دقيقة واحدة يسألنى السؤال التقليدى الذى أسمعه من كل سائقى التاكسيات : " ليه الأفلام القديمة أحسن من الأفلام الجديدة !؟ " .. إمبارح ركبت تاكسى والسائق لم ينظر إلىّ ولم يسألنى رايح فين .. يبدو أنه كان سرحان .. يعنى شاورت له وقف ، فتحت الباب وركبت وهو ساق .. بعد شوية سألنى دون أن ينظر إلى ناحيتى : " رايح فين !؟ " .. قلت له : " رايح شارع قصر النيل " .. بصيت لقيته إلتفت لى بدهشة وقال لى : " الله .. إنت الأستاذ صلاح أبو سيف .. أنا عرفتك من صوتك " !! .. وأجد ناس كتير فاهمين سينما كويس ومتتبعين السينما كويس ، ويناقشونى فى أفلامى وفى أفلام الآخرين .. وده بيسعدنى جداً ..



في أوقات فراغي بأعمل أشياء كتيرة جداً .. أولاً أنا غاوى مشى جداً .. أحب أمشى مسافات طويلة ولمدد طويلة ، وفى الأحياء الشعبية بالذات : أروح الغورية ، السيدة زينب ، باب الشعرية ، وأمشى فى شوارعها وحاراتها لمجرد الفرجة .. يعنى المشى ليس للرياضة فى حد ذاتها إنما للفرجة ..

طبيعي وبدون شك يسعدنى أننى مشهور ومعروف ، خصوصاً بالنسبة للناس غير المثقفين .. يعنى لا أندهش لو عرفنى حد مثقف وبيشوف سينما وعارف إيه هى وظيفة المخرج أيه بالضبط بالنسبة للفيلم .. لكن إن واحدة بتاعة خضار أو ست بنت بلد شايلة عيل على كتفها وساحبة وراها ٤ عيال ماسكين فى ديل حلابيتها تشاور علىّ وتقول لزميلتها : " الراجل بتاع السيما آهه اللى إسمه صلاح أبو سيف " فهذه مسألة تسعدنى جداً .. لأن الناس العاديين غير المثقفين يادوب بيعرفوا النجوم والممثلين بس ، فلما حد من الناس العاديين دول يعرفنى أو يشاور علىّ باعتبر إن هى دى قمة الشهرة فعلاً .. صحيح إن أحياناً ناس منهم بتخلط بينى وبين حد تانى .. يعنى واحد يشاور علىّ ويقول : " الأستاذ كمال الشيخ آهه " .. وبرضه بأكون سعيد لأنه على الأقل عرف أننى مخرج ، يعنى لم يقل عنى أننى كمال الشناوى أو سعاد حسنى مثلاً ..

كل حياتى سينما .. أى شئ أصادفه فى طريقى أحوله إلـــى ســـينما ، لا أراه بعينىّ فقط كما يراه كل الناس ؛ وإنما أراه من خلال عدسة كاميرا السينما .. أى نكتة أسمعها ، أى شخصية أقابلها ، أى حاجة أشوفها تمر إلى داخل ذهنى وتفكيرى كسينما ، وأتصورها تطلع فى السينما إزاى ويبقى شكلها إيه على شاشة العرض ، الناس فى صالة السينما حاتشوفها إزاى وتتفرج عليها إزاى .. بندرس فـــى معهـــد الســـينما أن السينمائى لازم تكون عينه كاميرا وأذنه جهاز تسجيل .. أمال الســـينمائى حايجيـــب خبراته منين !؟ .. من الحياة التى حوله التى يراها كل يوم ويعيشها كل يوم .

من فترة كنت فى زيارة للمغرب ، وسمعت هناك حاجة ظريفة جداً : كيـــف يسرق اللص دراجة أو موتوسيكل .. فكما نعرف أن الذى لديه دراجة أو موتوســـيكل بيكون عنده سلسلة أو جنزير صغير يربطه فى عجلة من العجلتين حين يتركـــه فـــى الشارع أمام بيته أو أمام شغله .. والذى يحدث هناك شئ ظريف جداً : ييجى اللـــص فيربط العجلة التانية بجنزير آخر معاه ، وبقف على بعد ينتظر صاحب الموتوســـيكل حين ينزل من بيته أو من شغله .. ويفك صاحب الموتوسيكل الجنزير بتاعه لكن حين يبدأ فى التحرك يفاجأ بالعجلة التانية مربوطة هى أيضاً بجنزير آخر .. وهنا يتقدم إليه اللص متطوعاً ليقول له أن الذى ربط عجلة الموتوسكل بالسلسلة أو الجنزير الآخر هو عسكرى المرور اللى واقف هناك ده ، ويشاور له على عسكرى واقف بعيد .. فيذهب صاحب الموتوسيكل ليتفاهم مع العسكرى ، وطبعاً لن يهتم بأن يعيد ربـــط الجنزيـــر بتاعه لأنه مطمئن إلى أن الموتوسيكل مربوط بالجنزير بتاع العســـكرى .. صـــاحب الموتوسيكل يبعد شوية فيفك اللص الجنزير بتاعه ويركب الموتوسيكل ويهرب بـــه !! .. هذه الحكاية ممكن أن أضعها فى فيلم من أفلامى لتكون مشهداً كوميدياً ظريفاً ..

* * *

عندى ٣ أولاد : شريفة وأشرف ومحمد .. وكل واحد منهم عنـــده طفلـــين ، يعنى عندى الآن ٦ أحفاد ، كلهم عندهم مواهب فنية ، خصوصاً أكبرهم حمادة إبـــن شريفة .. وكلهم عارفين إن جدهم – اللى هو أنا – باشتغل مخرج فى السينما ، لكـــن

غالباً مش عارفين بالضبط مخرج بعنى إيه .. أذكر إن أشرف إبنى وهــو عمــره ٥ سنين راح معابا الأستوديو مرة لكى يتفرج علىّ وأنا بأخرج فبلم (شباب إمــرأة) .. ورجع البيت آخر اليوم يخبط كف على كف وهو بيقول لمامته وإخواته : " والله العظيم يا ماما كل اللى فى الأستوديو بيشتغلوا ورايحين جايين ، ماعدا بابــا ، قاعــد علــى الكرسى طول النهار ما بيعملشى حاجة أبداً " !! ..

الطريق إلى السينما العالمية
يبدأ من بولاق أبو العلا !! ..

رغم كل الشهرة العريضة التى يتمتع بها صلاح أبو سيف كأكبر مخرج فى السينما المصرية الآن ، ورغم أن أفلامه وضعت كعلامات بارزة فى تاريخ السينما المصرية ؛ فإن كل رصيده من الأفلام التى أخرجها لا يزيد عن ٣٥ فيلماً فقط لا غير .. فى حين أن هناك مخرجين – مصريين أيضاً – يستطيعون تقديم نفس هذا الـ (كم) من الأفلام فى خمس سنوات فقط ، وأحياناً فى ثلاث !! ..

أعرف صلاح أبو سيف منذ ٢٠ سنة تماماً الآن .. يوم وضعت قدمى على عتبة الصحافة كان هو من أوائل الفنانين الذين عرفتهم .. وفى خلال هذه السنوات العشرين كان صلاح أبو سيف يزداد نضجاً وتطوراً وتألقاً ونجاحاً .. ومن (دايماً فى قلبى) أول أفلامه فى الأربعينيات إلى (المجرم) آخر فيلم إنتهى من تصويره فى نفس اليوم الذى إلتقينا فيه .. أبو سيف يخرج أفلامه بعين مصرية شديدة الواقعية ، وعينه الأخرى على السينما العالمية .. وبعد ٣٦ سنة سينما سعت إليه السينما العالمية حتى باب بيته ..

مع صلاح أبو سيف كان هذا اللقاء ..

* الأستاذ صلاح أبو سيف ، نتكلم فى البداية عن فيلمك الأخير (السقا مات) الذى أختير كأحسن فيلم مصرى لعام ١٩٧٧ .. من الذى إختاره !؟ ..

- جمعية النقاد المصريين ، وهى فرع من جمعية النقاد العالميين ، إختارت (السقا مات) من بين ٥١ فيلماً مصرياً عرضت خلال عام ١٩٧٧ .. وهـو قصـة للمرحوم " يوسف السباعى ، وأبطاله عزت العلايلى وشويكار وفريد شـوقى وأمينـة رزق وناهد جبر ، وممثلة تونسية إسمها " بلقيس " .. القصة كان قد نشـرها يوسـف السباعى فى كتاب بنفس العنوان سنة ١٩٥١ وقرأتها عند صدورها وتحمست لها جداً - منذ ٢٧ سنة - لكننى لم أجد المنتج الجرئ الذى يقبل إنتاج موضوع يتحدث عـن الموت ، لأننا كجمهور شرقى نتشاءم من سيرة الموت وحين نرى جنازة فى الشـارع أو نسمع أحداً يندب أو واحدة (تصوت) نتشاءم ونعتبره فالاً سـيئاً ، نحـن شـعب عاطفى ، لذا كان المنتجون يخشون إنتاج هذا الفيلم ، مع أن الفيلم يسخر مـن فكـرة الموت والخوف من الموت .. وهو يحدث فى حارة مصرية فى مدينة القاهرة القديمة سنة ١٩٢١ .. وحين كتب السباعى روايته عن هذه الحقبة كان (السقا) يلعب فيهـا دوراً واضحاً فى المجتمع المصرى لأنه كان يحمل المياه إلى داخل كل البيوت .. وقد إنتهيت اليوم فقط من تصوير فيلم آخر بعنوان (المجرم) سيناريو نجيب محفـوظ ، وهو غير روايته التى تحمل نفس الإسم .. فيلم (المجرم) مأخوذعن قصـة للكاتـب الفرنسى " إميل زولا " قامت بتمصيرها " وفيقة أبو جبل " ، وأبطاله شمس البارودى وحسن يوسف وأمينة رزق وحمدى أحمد وسهير البارونى ومحمد عوض الذى يلعـب لأول مرة دوراً مختلفاً عن الأدوار التى أشتهر بها ..

* وماذا بعد (المجرم) !؟ ..

- عندى مشروع كبير جداً .. فيلم إنجليزى عالمى إسـمه (الطريـق إلـى صخرة المصير) .. أبطاله ممثلون عالميون إنجليز وأمريكيون وألمان وفرنسـيين .. وهو فيلم تدور أحداثه فى الحبشة سنة ١٨٦٠ .. فيلم تاريخى ضـخم سـتكون مـدة عرضه ٤ ساعات ويتكلف إنتاجه ١٢ مليون دولار

* ليست هذه أول مرة تخرج فيها فيلماً عالمياً !؟ ..

– ليس بالضبط .. لكننى أخرجت من قبل النسخة العربية من فيلم (الصقر) بممثلين مصريين ، وكانت هناك نسخة إيطالية أخرجها مخرج إيطالى بممثلين إيطاليين .. لكن فيلم (الطريق إلى صخرة المصير) فيلم إنجليزى تماماً ، وهناك جزء بسيط من الفيلم – حوالى خمسه – يحدث فى إنجلترا ، هو تصوير الإنفعالات الشعبية التى حدثت فى بريطانيا حين عرف الشعب الإنجليزى بأخبار أسر ملك الحبشة " تبودور " بطل الفيلم للقنصل البريطانى وأعضاء البعثة الديبلوماسية الإنجليزية فى الحبشة وما يحدث لهم فى الأسر من تعذيب وسوء معاملة لمدة ١٨ شهراً دون أن تفعل الحكومة الإنجليزية شيئاً لإنقاذهم ، فثار الشعب الإنجليزى وقام بمظاهرات عنيفة حدثت مناقشات حادة فى مجلس العموم البريطانى .. هذا الجزء من الفيلم الذى يصور فى لندن (قد) يخرجه مخرج إنجليزى ، لأننى لو أخرجته أنا فقد لا أشعر تماماً بالروح الإنجليزية وشكل التصرفات والإنفعالات الإنجليزية ، لأننى حتى لو كنت قد زرت إنجلترا ١٠٠ مرة من قبل ؛ إلا أننى لا أستطيع أن أقول أننى قد (عشت) إنجلترا بالشكل الذى يجعلنى أحس وأعرف كيف يتصرف الإنجليز فى مواقف كهذه .. طبعاً ممكن أن أدرسها وأقرأ عنها ، لكن فى النهاية لو نفذها مخرج إنجليزى فسوف يشعر بها بشكل أفضل منى .. وأيضاً مطلوب أن يظهر واضحاً شكل التناقض والتباين بين الروح الشرقية والروح الغربية ..

* كيف حدث إختيارك أنت بالذات لإخراج هذا الفيلم !؟ ..

– كان هدفى منذ بداية إشتغالى بالسينما أن أستطيع أن أدخل المجال العالمى يوماً ما .. والحمد لله إستطعت أن أصنع لنفسى إسماً فى السينما العربية وفى الوطن العربى كله ، وأقيمت أسابيع لأفلامى فى باريس ومناطق أخرى من فرنسا وبلجيكا ولندن وأمريكا ، فأصبح لى فى هذه الدول إسم مخرج مصرى معروف عندهم إسمه " صلاح أبو سيف " .. ومنذ عدة شهور فوجئت وأنا فى البيت بتليفون من فندق شيراتون القاهرة بأن هناك جماعة من الإنجليز يريدون أن يلتقوا بى .. فظننت أنهم

صحفيون يريدون حديثاً عن السينما المصرية أو شيئاً من هذا القبيل .. فذهبت إلـــيهم فى الشيراتون لأجدهم مجموعة من السينمائيين البريطانيين : مستر " جاسبار لينتش " المنتج والسيناريست الإنجليزى ، ومساعده " مايكل ويليامز " ومســاعدة الســيناريو " كاترين أنجولدى " و" سايمون رينز " .. تكلمنا عــن الســينما المصــرية والســينما الإنجليزية .. وفى نهاية اللقاء أعطونى سيناريو وطلبوا منى أن أقرؤه وأبدى رأيى فيه .. أخذت السيناريو معى للبيت فوجدته نحو ٦٠٠ صفحة ويحتاج إلى وقــت طويــل لقراءته ، ولم يكن لدىّ وقت كافٍ لذلك ، فقرأته قراءة ســريعة متعجلــة لمجــرد أن أعرف ماذا فيه .. وحين إلتقينا فى المرة الثانية سألونى عن رأيى فقلت لهم : " مــش بطال ، قصة كويسة وسيناريو مكتوب كويس " .. ففوجئت بهم يقولون لى : " مــادام عجبك فهل لديك مانع من إخراجه !؟ " .. فقلت : " فى هذه الحالة أقرؤه مرة أخــرى قراءة متأنية ، قراءة مخرج لسيناريو سوف يخرجه " .. فأعطونى وقتاً كافياً .. وفعلاً تفرغت أسبوعاً كاملاً إنكببت فيه على قراءة السيناريو من جديد وسجلت عليــه كــل ملاحظاتى كتابة .. وحين إلتقينا فى المرة الثالثة ناقشنا معاً كل الملاحظات التى أبديتها ووافقوا عليها جميعها .. فبدأنا نعمل دراسات عن الأماكن التى سوف يتم فيها تصوير الفيلم ، لأن التصوير أصلاً كان ينبغى أن يحدث فى أثيوبيا ، لكن بالنسبة للظــروف السياسية الحالية والمعارك الدائرة هناك فقد كان من الصعب أن يتم التصوير هناك فى الوقت الحالى ، فاخترنا أماكن أخرى مشابهة فــى أســوان وفــى مصــوع وكســلا والرصيرص فى السودان .. يعنى بدأنا فى الدراسات الجدية تمهيداً للبدء فــى إنتــاج الفيلم .. ولأنه فيلم تاريخى فالمفروض دراسة العصر الذى تجرى فيه أحداث القصــة من ناحية الملابس والديكورات والعادات والتقاليد ، والتصوير الفوتوجرافى للأمــاكن التى سوف يتم فيها تصوير الفيلم ، لكى نتعرف عليها .. فصورنا نحو ١٠٠٠ صورة فى أسوان والإسكندرية والعلمين والغردقة والقاهرة .. لأن هناك جزءً من أحداث الفيلم يدور فى القاهرة .. وسافرت إلى لندن لمدة ٣ أســابيع لدراســة المســائل التنفيذيــة والملابس التاريخية ومناقشة أسماء الممثلين المقترحين للفــيلم ، وإجــراء التعــديلات

النهائية للسيناريو .. وحين سألونى عن الممثل الذى أرشحه لبطولة الفيلم وجـــدت أن عمر الشريف هو أصلح من يقوم بهذا الدور .. لأنه أولاً فيه السمات والملامح الشرقية لملك الحبشة ، وثانياً فيه ملامح الشخصية المكتوبة فى الرواية فعــلاً .. وتصـــادف بعدها أن إلتقيت أنا وعمر فى القاهرة حين كان هناك منذ عدة شهور ، وعرضت عليه بطولة الفيلم فوافق على الفور وقال لى أنه ما دمت أنا المخرج فهو موافق حتـــى دون أن يقرأ السيناريو .. لكننى أنا الذى أصررت على أن يقرأ السيناريو لكى تتـــاح لـــه الفرصة لدراسة شخصية الملك " تيودور " ملك الحبشة .. شخصية جميلة جداً كـــدور سينمائى وسوف يستطيع عمر الشريف أن يتألق فيها تماماً لأنها شخصـــية متنوعـــة ومختلفة ومتغيرة طول الوقت : شخصية ملك يريد أن يرتقى ببلده ويجعلها بلداً عظيماً ، لكن الوسائل التى يتبعها هى وسائل عنيفة ، لدرجة أنه أحياناً يبدو كما لو أنه مختل عقلياً : مرة مبسوط ومرة زعلان ، ولدرجة أن يقف أمام إنجلترا أيـــام عـــز قوتهـــا وعظمتها يريد أن حاربها ، ويموت فى نهاية الفيلم لأنه لم يســـتطع الوقـــوف أمـــام الأسلحة الحديثة والجيش الجرار الذى جهزته إنجلترا ضده .. وقد فعلت إتجلترا ذلـــك لأنه كان قد أسر البعثة الدبلوماسية البريطانية فى بلاده وعاملهم معاملة ســـيئة جـــداً وقيدهم بالسلاسل .. الحقيقة شخصية ثرية للغاية فى يد ممثل عظيم وقدير مثل عمـــر الشريف ..

* * *

* عمر الشريف ؛ هل عمل معك من قبل !؟ ..

– كثيراً .. عمل أفضل أفلامه معى ، وكانت أيضاً من أحسن أفلامى .. عملنا معاً (بداية ونهاية) و(لوعة الحب) و(لا أنام) .. وحين فكر فى أن ينتج فيلم (لا تطفئ الشمس) لحسابه إختارنى لإخراجه ، وكان المفروض أن يقوم هو ببطولتـــه ؛ لكن جاءت أيامها فرصته للعمل فى فيلم (لورانس العرب) الذى كان مخرجه قد شهد عمر فى فيلم (بداية ونهاية) وإختاره بعد مشاهدته له ، فلم يمثل عمـــر (لا تطفـــئ

الشمس) وسافر ليعمل فيلم (لورانس العرب) ، وإنفتح أمامه الطريق إلى السينما العالمية بعد ذلك ..

* (الطريق إلى صخرة المصير) فيلمك رقم كام !؟ ..

- أعتقد أنه رقم ٣٧ .. فأنا فى الحقيقة مقل جداً فى عملى ولا أعمل غير فيلم واحد فقط كل سنة .. طول عمرى هكذا .. فقد بدأت الإخراج عام ١٩٤٥ ، أى منذ ٣٣ سنة عملت فيها ٣٧ فيلماً .. وأحياناً كنت أعمل فيلماً كل سنتين ..

* (الطريق إلى صخرة المصير) أيضاً .. لماذا مخرج مصرى لإخراجه ..!؟

- الحقيقة أن المنتج نفسه كان قد تكلم فى هذه النقطة بالذات ؛ قال أنه أراد مخرجاً يشعر بالشرق وبالروح الشرقية وبأحاسيس الملك " تيودور " الذى وقف أمام الغرب وقفة عنيفة لأن العقليتين مختلفتين ، فأرد المنتج أن تكون نفس العقلية الشرقية هى التى تخرج الفيلم ..

* ولماذا صلاح أبو سيف بالذات !؟ ..

- كما قيل لى بعد ذلك ؛ أن المنتج قد جاء إلى القاهرة ومعه ٣ أسماء لثلاثة مخرجين مصريين ، وشهد فيلماً واحداً لكل واحد من هؤلاء الثلاثة .. وبعد أن شهد فيلمى قال : هذا هو المخرج الذى أريده .. هذا هو ما حدث

* هل تتصور أن هذا الفيلم سوف يكون بداية طريقك إلى السينما العالمية !؟

- بغير شك .. وطبعاً ذلك سوف يتوقف على نتيجة عملى فيه .. لكننى أعتقد أن الفرصة متاحة أمامى الآن لأن أحقق ذلك ..

* فى تقديرى أنا أن بعض أفلامك على المستوى العالمى فعلاً .. (بداية ونهاية) مثلاً .. وأعرف أنه قد عرض فى روسيا ، لكن عقدة الفيلم وهى (أهمية عذرية الفتاة) لم تكن تمثل مشكلة بالنسبة إليهم فى روسيا ، كما هى ليست مشكلة فى كل أوروبا الآن ..

– هذا الفيلم بالذات يعتبر من أحسن أفلامى ، وعرض فى أسابيع أفلامى فى باريس وفى أماكن أخرى كثيرة .. لكننى لا أتكلم عن الفيلم المصرى الـذى يعـرض محلياً ومع ذلك فهو فى المستوى العالمى ؛ لكننى أتكلم عن الفيلم الأجنبى الذى سوف تتاح له فرصة ومجال العرض على المستوى العالمى فى جميع أنحاء العالم .. فالفيلم المصرى مهما إتسع مجال عرضه فهو لن يتعدى الدول العربية فقط .. وعندك مـثلاً أفلام (شباب إمرأة) أو (بداية ونهاية) أو (لا وقت للحب) أو (الزوجة الثانيـة) أو (القاهرة ٣٠) ؛ كل هذه أفلام على المستوى العالمى ، لكن فرصتها فى العـرض لا تتعدى البلاد العربية فقط ، وهى مهما إتسعت محدودة .. لكن لو ربنا وفقنى ونجح فيلم(الطريق إلى صخرة المصير) بعد عرضه عالمياً فى السوق العالمى ؛ فهو سيفتح الباب لأفلامى الأخرى المصرية التى ذكرتها للعرض هى أيضاً على المستوى العالمى

* ذلك سوف يوصلنا إلى سؤال هام : يعد عرض النسخة العربية من فـيلم (الرسالة) فى لندن ونجاحه نجاحاً كبيراً واستمرار عرضه مدة طويلة فى عدد كبير من دور السينما فى وقتٍ واحد فى لندن ؛ لماذا لا تعرض الأفلام المصرية بشكل مـنظم ومنتظم عرضاً عالمياً ، مثل الأفلام الهندية مثلاً التى هى أقل كثيراً جداً فى المستوى الفنى من الأفلام المصرية !؟ .. فى مدينة لندن وحدها ٦ دور سينما تعـرض الفـيلم الهندى ، لماذا الفيلم المصرى لاً !؟ ..

– الحقيقة أنها غلطتنا نحن .. فحتى اليوم ليس هناك إصرار وسعى ودأب من ناحيتنا لعرض أفلامنا فى أوروبا وفى العالم .. وأنا أعتقد أن مؤسسة السينما المصرية أو وزارة الثقافة المصرية التى من بين مهامها النهوض بصناعة السينما ، عليهـا أن تستأجر دوراً للعرض أو تعقد إتفاقات بصورة أو بأخرى فى باريس وفى لندن ، بحيث يكون عندها دار عرض تقدم فيها ليس الأفلام المصرية فقط ؛ لكـن الفـيلم العربـى عموماً سواء من الجزائر أو من سوريا أو لبنان أو الكويت أو أى بلد عربـى ينـتج سينما .. بحيث يعرف الجمهور الأوروبى فى كل عاصمة أوروبيـة أن هـذه الـدار مخصصة لعرض الأفلام العربية عموماً .. وهذه التجربة تحدث فى باريس فى الوقت

الحالى ومؤخراً فقط .. فإن هناك مجموعة من السينمائيين الفرنسيين إهتموا بالفيلم العربى ، والفيلم المصرى على الأخص لأنه هو أكبر فيلم عربى .. والحقيقة أن أفلامنا المصرية تعرض فى باريس بالذات من زمان ، لكنها كانت تعرض فى دور العرض الخاصة بالمغاربة فى الأحياء التى تتمركز فيها الجالية المغربية .. لكن المغاربة يحبون نوعية حاصة من الأفلام الغنائية مثل أفلام فريد الأطرش أو الأفلام البدوية مثل (رابحة) و(عنتروعبلة) .. لكن التى تعرض فى دور السينما الفرنسية فى الحى اللاتينى فى باريس أو فى باقى الأحياء الفرنسية العادية هى الأفلام المصرية الحديثة .. ودور السينما هذه هى التى لها جمهور فرنسى نسعى إلى إجتذابه لمشاهدة الفيلم المصرى .. وأصبحت الآن تفتح دليل السينما والمسارح الأسبوعى فى باريس لتجد أن هناك دائماً فيلم عربى يعرض .. وذلك هو ما نريد أن نصل إليه فى لندن أيضاً

* كنت رئيساً لمؤسسة السينما فى مصر فى وقت من الأوقات ، ولعدة سنوات ؛ فلماذا لم تفعل ما تنادى به الآن !؟ ..

– الحقيقة أن ذلك كان من بين المساعى والأهداف التى كنت أريد أن أصل إليها وأحققها ، لكن ما كل ما يتمنى المرء بدركه .. فلم أستطع وقتها أن أصل إليه .. لكن كان فى تخطيطى فعلاً أن نخطو بالفيلم المصرى إلى نطاق العالمية .. فلا شك فى أن لدينا ممثلين عالميين ولدينا مخرجين عالميين ولدينا فنيين مصورين ومونتيرات من الذين نستطيع فعلاً أن نفخر بهم على المستوى العالمى .. لكن المهم كله هو فتح الطريق أمام عرض الأفلام المصرية .. فالمطلوب أن يرى الأوروبيون فيلماًعربياً ولو كل عدة شهور فى نفس المكان ، حتى يعتاد المتفرج الأوروبى وجود ومشاهدة الفيلم العربى ، وحتى يدخل الفيم العربى قلوبهم ويبدأون هم فى البحث عنه والمطالبة به والتعود عليه ، ويتعودون أيضاً على الجو نفسه وعلى العادات العربية .. أذكر أنه كان يعرض لى فيلم من أفلامى فى ألمانيا ، وفى الفيلم لقطة لعقد قران على الطريقة المصرية : يضع المأذون والعريس ووالد العروس أيديم فوق بعضها وفوقها منديل

أبيض بينما يقول المأذون كلاماً يردده وراءه العريس ووالد العروس .. حين عــرض هذا المنظر فى الفيلم إندهش الجمهور الألمانى الذى يشهد الفيلم وتساءلوا : بيعملوا كده ليــه !؟ .. وظنوهم يلعبون (بلاديفير) ، ولم يفهموا لماذا يحدث هذا البلاديفير فى حفل زواج !! ..

* أعرف أنك فكرت فى وقت من الأوقات أن تمثل إبنتــك " شــريفة " فــى السينما .. هل كنت جاداً !؟ ..

– فعلاً .. وكان مفروضاً أن تمثل أحد أدوار البطولة فى فيلم مصرى بعنوان (مصرى يغسل الأطباق فى لندن) من تأليف حضرتك وأنا أتــرك الحريــة لأولادى ليختاروا لأنفسهم الطريق الذى يريدونه ، وفى مسألة الفن بالذات لا تستطيع ن تفرض رأيك ولا أن تجبرهم ليسيروا فى طريق الفن ما لم يكونوا هم أنفسهم راغبين فى ذلك .. لكن الذى حدث هو أن الفيلم نفسه لم يبدأ العمل فيه حتى الآن رغم أن الســيناريو مكتوب منذ عام ١٩٧٤ ، وتوظفت " شريفة " بعد تخرجها فى الجامعة ، ثم تزوجت ، ولم يوافق زوجها على أن تعمل فى السينما ، ووافقت هى على إعتراضه ..

* إشتهرت عنك فى وقت من الأوقات حكاية (حارة صلاح أبو ســيف) .. وكانت هناك تشنيعة تقول أنك تبنى حارة فى الأستوديو أولاً ، ثم تبدأ بعد ذلك تفكر فى قصة للفيلم !! ..

– التشنيعة جزء منها صحيح ، لأن (حارة صلاح أبــو ســيف) لازالــت موجودة حتى الآن .. والفكرة فيها أننى أحس بالجو المصرى الصميم وبالحارة الشعبية وبإبن البد الأصيل ، وأن هذه هى مصر بأصالتها وشرفها وإشراقها وكــل المعــانى الجميلة والطيبة لمصر .. تجد فى هذه الحارة كيف يقف الأخ إلى جوار أخيه وكيــف يعتمد الصديق على صديقه دون أن تكون هناك مصلحة ما أو منفعة مادية ، وشــهامة إبن البلد المصرى فى الوقوف إلى جوار صديقه إلى حد التضحية بنفسه .. هذه هــى شهامة إبن البلد المصرى التى أريد دائماً أن أبرزها من خلال الحارة المصرية التــى أسعى أن تكون فى أفلامى دائماً كلما أمكن ذلك ..

* * *

* رغم ما هو معروف عنك أنك من أبناء حى (بولاق) ، حى الفتوات فـــى القاهرة ، لكن هذه المسألة لا تبدو واضحة فى شخصيتك .. تصورنا عن بولاق وأبناء بولاق بالذات : الفتونة والجدعنة والخناق ..

– الفتونة موجودة ، لكن فى داخلى .. المظاهر الإجتماعية تضطرنى لإخفائها ، لكن كثيراً ما تظهر فى أفلامى .. كثير من أفلامى فيها عنف وخنـــاق ، وأن يأخـــذ الواحد حقه بدراعه وثأره بيده ..

* هل أنت من بولاق فعلاً !؟ ..

– طبعاً .. أمى مولودة فى بولاق ، وأنا مولود فى بولاق ، وعشت وتربيـــت وكبرت فى بولاق .. لكن أبى كان من الصعيد ، كان عمدة فى مركز (الواســـطى) وجاء إلى القاهرة وتزوج والدتى فى بولاق ، لكنه حين أخذها معه إلى الصـــعيد لـــم تستطع أن تعيش هناك ، فعادت إلى بولاق مرة أخرى وتركته وراءها هناك ، وهو لم يستطع أن يعيش فى بولاق ويترك (العمودية) .. وكان يتزوج على طريقة العمـــد : راجل غنى وتزوج ٢٠ مرة .. ولى أهل وأسرة كبيرة فى الصعيد لا أعرف عنهم شيئاً ، وأعرف أن لى أخوة كثيرين .. وهناك ناس كثيرين لا أعرفهم يقابلونى فى الشارع فيسلمون علىّ ويقولون لى " يا جدى " لأننى الإبن الأكبر للعمدة فأعتبر جدهم فى حين أننى لا أعرفهم أصلاً ، لكننى لا أستطيع تكذيبهم طبعاً ، لأنهم غالباً ما يكونون أولاد إخوتى الذين لا أعرفهم كما قلت ، أو أولاد أولادهم .. وأنا لست على صلة بهم لأنهم فى الحقيقة تنكروا لى ولأمى فى الوقت الذى كنت فيه فى حاجة إليهم حين كنت لازلت تلميذاً أتعلم وأذهب إلى المدارس وأحتاج إلى مصاريف ونفقات ، فلم يكن التعليم على أيامنا مجاناً وكان كله بمصروفات ، وكنت أحتاج إلى هذه المصروفات .. يعنى كنت شاباً أتعلم وأدرس وألبس ، فلم يمدوا إلىّ أى يد رغم أنهم جميعاً كانوا أغنياء وكان من الممكن أن يساعدونى ولم تكن مصاريفى ستمثل عبئاً عليهم ، ومع ذلـــك رفضـــوا ، وكانت أمى كلما ذهبت إليهم لتطلب منهم فلوساً لنفقاتى رفضوا وقالوا لها : " إشمعنى ده اللى حايتعلم !؟ .. خليه ييجى هنا يشتغل فلاح فى الأرض زينا وزى أولادنـــا " ..

وطبعاً هى لم ترض بذلك وتعبت وشقيت حتى ربتنى وكبرتنى وأتمت تعليمى .. لــذا فحين كبرت أنا وإشتغلت فى السينما وأصبحت مشهوراً أرادوا أن يجددوا صلتهم بى ، لكننى أنا الذى رفضت هذه المرة ، لأن الذى يتنكر لى حين أحتاج إليه ليس هناك داعٍ الآن لأن يتذكرنى و(يتمحك) فىّ بعد ذلك حين لا أعود محتاجاً إليه !! ..

* أنت الآن إذا لم نقل ، تواضعاً منك ومنا ؛ أنك أكبر مخرج فــى مصــر ، فأنت واحد من أكبر ٣ أو ٤ مخرجين فى السينما المصرية .. مــن الــذى يقــيم أو يقدرمسألة (حجم) المخرجين هذه !؟ ..

– أشياء كثيرة .. هناك تقييم النقاد ، وهناك تقييم الجمهور الذى يدخل أفلامك ، وأيضاً تقييم المنتجين .. فحين يتقدم لى منتج لأخرج له فيلماً ويوافق على أن يــدفع الأجر الكبير الذى أطلبه فذلك معاه تقييم دون شك .. وحين أقول النقاد فــإننى أقصــد النقاد الموضوعيين الذين تشعر بأنهم غير مغرضــين ولا يحــابون ولا يعــادون ولا يجاملون ، فتشعر بأهمية تقييمهم للعمل الفنى فعلاً ..

* ولو إعتبرنا أن المخرجين السينمائيين فى مصــر الآن (صــف أول) و(صف ثانى) و(صف ثالث) .. فمن هم المخرجون الذين تستطيع أن تعتبرهم (صف أول) فى مصر ، بالترتيب ، مع وضع صلاح أبو سيف بينهم من فضلك !! ..

– بالترتيب مسألة صعبة جداً .. لأن المسألة ليست سباق ومن الــذى يصــل أولاً ثم بعده الثانى والثالث والرابع .. لكن عموماً فإن مخرجو الصف الأول فى مصر الآن هم : كمال الشيخ ويوسف شاهين وهنرى بركات وحسين كمال وحســن الإمــام رغم الصفة التجرية فى أفلامه .. ولكن الذى أحترمه فى حسن الإمام هو أنه لا يدعى غير ذلك.. فهو لا يخدع نفسه ويقول بصراحة أنه بيعمل أفلام تجارية لكــى يرضــى جمهوراً معيناً .. يعنى راجل واضح وصريح مع نفسه ومع النقاد ومــع جمهــوره .. هنرى بركات له أفلام من أجمل ما يكون وله أفلام تجارية جداً ، حتــى أن المتفــرج نفسه يندهش كيف إستطاع المخرج الذى قدم (دعاء الكروان) مثلاً أن يقدم مثل هذه الأفلام الأخرى التى لا أستطيع حتى أن أتذكر مجرد أسماءها

* ومخرجو الصف الثانى !؟ ..

– هناك شباب أعتقد أنهم سيقفزون قفزات سريعة و ....

* لم نصل بعد إلى المخرجين الشبان .. أنا أسأل عن الصف الثانى من المخرجين القدامى الموجودين على الساحة الفنية الآن !؟

– صعب جداً أن تقول عن أحد أنه (صف ثانى) لأنه لن يعترف بذلك .. فكل واحد من المخرجين المصريين يتصور نفسه " سيسيل دى ميل " السينما المصرية .. عموماً فالأسماء التى ذكرتها لك هى (الصف الأول) والباقين ليسوا (صف أول) وخلاص !! ..

* المخرجون القدامى أمثال نيازى مصطفى وحسن الصيفى وكمال عطية ومن جيلهم ؛ هل تراجعوا أو تجمدوا فنياً !؟ .

– هناك مجموعة منهم إعتزلوا الإخراج من زمان ، مثلاً أحمد كامل مرسى وجمال مدكور ، لكن نيازى مصطفى لا يزال يعمل ، وهو مهما كان أستاذنا ومن الناس الذين علمونا السينما فى بداية طريقنا ، لأنه درس السينما فى الخارج علمياً وفنياً ، ثم عاد ليعلم ، مع غيره ، كل جيلنا من السينمائيين ..

* لكنه الآن : هل يقدم لجمهور السينما شيئاً ذا شأن !؟ ..

– نيازى قدم عدداً كبيراً جداً من الأفلام التجارية ، لكنه فى حقيقته من أحسن السينمائيين فى مصر فهماً للعمل السينمائى ، لكنه أيضاً لديه إعتقاد وإقتناع بأن الجمهور لا يطلب منه أكثر مما يقدمه إليه .. وهو حر فى تفكيره طبعاً ..

* جاء وقت كان فيه مخرجين أى كلام وأى واحد كان يستطيع أن يعمل مخرجاً ويقول عن نفسه أنه مخرج !! ..

– ذلك موجود حتى الآن ، لأنه ليست هناك نقابة تمنع ذلك ولا قانون ولا نظام ولا لائحة ولا حاجة أبداً تحمى العمل السينمائى ، يعنى لا حائل بينهم وبين الإخراج .. لدرجة أن بعض هؤلاء الذين تتكلم عنهم يستأجرون (مساعد مخرج)

يقوم هو بإخراج الفيلم نيابة نهم ويقعدون هم ليتفرجوا عليه وهو يخرج ، وفى النهاية (يزينون) العمل الفنى بأسمائهم كمخرجين !! ..

* مثل من !؟ ..

– لأ بلاش حكاية الأسماء دى لأنها بتزعل !! ..

* إذن نتقل إلى الجيل الجديد من المخرجين الشبان ..

– فى الحقيقة أن هناك مجموعة لا بأس بها .. منهم سعيد مرزوق باعتباره من أحسن المخرجين الشبان فهماً وتنفيذاً ، أشرف فهمى كويس ، يحيى العلمى ومحمد عبد العزيز ونادر جلال كلهم من الجيل الذى فيه بذرة كويسة ، وهشام أبـــو النصـــر كذلك .. لكن المهم ألا تضغط عليهم الناحية التجارية فيستسلموا لها .. لأنه مهما كان فالسينما ليست عملاً فردياً .. يعنى ليست رساماً يرسم لوحة مثلاً على كيفه من أولها لآخرها ، ولا موسيقياً يضع قطعة موسيقية على مزاجه ولا مؤلفاً يكتب كتاباً زى مـــا هوعايز دون تدخل من أحد .. السينما غير ذلك .. السينما لكى تقدم فيلماً فأنت تحتاج إلى واحد يضع تحت تصرفك ٧٥٫٠٠٠ جنيه من أمواله الخاصة ، ولأنه هو صاحب المال وخايف على ماله ويريد فى النهاية أن يسترد ماله ويستثمره ويربح منه ؛ فلازم تعمل الفيلم على مزاجه هو ومفهومه هو .. ولن تجد فى كل مرة منتجاً يضع تحـــت تصرفك هذا المبلغ ويتركك تفعل ما تريد على مزاجك أنت .. وهنا يحـــدث الضـــغط على أى مخرج جديد يريد أن يثبت وجوده ..

* إذكر لى نموذجاً لمخرج بدأ بداية جيدة ثم هبط مسواه بعد لك

– محمد عبد العزيز مثلاً ؛ بدأ بداية طيبة ؛ لكن كثرة الأفلام التـــى يقـــدمها هزته .. يحيى العلمى أيضاً بدأ بداية طيبة جداً وعمل فيمـــاً أو فيلمـــين فـــى البدايـــة كويسين ، ولكن .. تصور أن كلا منهما يعمل ٥ أو ٦ أفلام فى السنة !! .. ذلك معناه فى تقديرى أنه حتى لا يجد وقتاً يقرأ فيه الرواية قبل أن يخرجها .. على أى حال ربنا يعطيهم الصحة ويقويهم !! ..

* * *

* هل المخرج الكبير فنياً ، فى مركز صلاح أبو سيف مثلاُ ؛ لازال يحتاج إلى أن يقدم تنازلات !؟ ..

– قطعاً لأ .. لكن ظروف العمل نفسها لا تسمح لك بأن تكون مطلق الحرية والتصرف كما يتصور الناس .. هناك تنازلات لكنها لا تضر بالعمل الفنى .. يعنى حين يكون هناك منتج غير قادر على تنفيذ ما نريد بالضبط ، فإما أن نتوقف عن العمل ويتوقف إستكمال الفيلم ، أو نتنازل بحيث لا نضر العمل الفنى .. يعنى بدلاً من أن تكون الإمكانيات ١٠٠ % تكون ٧٥ % أو ٨٠ % .. وكلما كانت خبرتك بالعمل كبيرة كلما كانت هذه التنازلات لا تؤثر فى النتيجة النهائية للعمل الفنى .. لكن أن يفرض علىّ المنتج أن أقحم على الفيلم راقصة أو أغنية أو مونولوجست أو ممثلاً كوميدياً خارج إطار الفيلم فهذه هى التنازلات التى لا أقبلها ولا أقدمها ، وهى – أصلاً – لا تطلب منى .. ولا أقبل حتى أن يفرض علىَ المنتج أسماء أبطال للفيلم أكون أنا شخصياً غير مقتنع بهم لهذا الفيلم بالذات .. وحتى المنتجين القدامى الكبار يعطوننى الفيلم وليس لهم أى تدخل بعد ذلك ، إلى أن يتسلموه منى منتهياً تماماً جاهزاً للعرض.

* أنا لا أتكلم عن المنتجين الفاهمين ؛ لكن هناك منتجين ظهروا فى وقتٍ من الأوقات ، أذكر إسم واحد منهم جيداً : محمد السيد العسكرى ، كان جزاراً ومعلماً وصاحب محل جزارة ، وأنتج عدة أفلام تافهة عبيطة ، ثم عاد إلى قواعده أمام باب محل جزارته فى باب اللوق .. وهناك منتج موجود حتى الآن فعلاً : حلوانى وعنده فرن أفرنجى بيعمل عيش فينو وجاتوهات وبسبوسة بالقشطة وبقلاوة باللوز ، وعمل منتجاً ، ومؤخراً ظهرت عليه أعراض الإخراج أيضاً .. ما علينا : أنت الآن تتقاضى أكبر أجر فى السينما المصرية ..

– أنا ويوسف شاهين تقريباً ..

* كم !؟ ..

– أبداً .. أنا لا أحب أن يعرف أجرى لا مأمورى الضرائب ولا الصحفيين !!

* * *

* لو رتبنا أكبر ٣ أسماء ممثلات فى السينما المصرية الآن !؟ ..

– برضه هذه صعبة شوية .. لكن طبعاً فاتن حمامة فوق الكل .. وهناك أيضاً سعاد حسنى .. ومن الأسماء الكبيرة فى السينما الآن شادية ونادية لطفى ونيللى .. لكن التى تتقدم الآن وتتطور بشكل لافت للنظر هى شمس البارودى التى بدأت مؤخراً تأخذ الأمور مأخذ الجد بشدة بعد أن ظلت فترة طويلة فى البداية تعمل أدواراً خفيفة وبسيطة عادية ، لكنها مثلها فى ذلك مثل سعاد حسنى التى ظلت لفترة طويلة فى البداية تمثل أدوار الفتاة الخفيفة المرحة الظريفة العادية ، حتى مثلت معى فى فيلم (القاهرة ٣٠) ومن بعدها بدأت تدقق وتختار أدوارها حتى وصلت الآن أنها أصبحت واحدة من أكبر الممثلات عندنا .. وعندنا فعلاً ممثلات ممتازات كثيرات ، لكن ذلك ليس معناه أننا عندنا وفرة فى الممثلين والممثلات .. لأننا ننتج ٥٠ فيلماً فى السنة ، فعلى الأقل ينبغى أن يكون عندنا ٢٠ ممثلة درجة أولى ممتازات .. لكن الحاصل فعلاً أننا ليس لدينا ولا حتى ١٠ ممثلات ممتازات : فاتن حمامة ، وهى تعمل فيلماً واحداً فى السنة ، سعاد حسنى ، شادية ، نادية لطفى ، نجلاء فتحى ، شمس البترودى ، ميرفت أمين ، نيللى .. وأولئك لا يكفين لخمسين فيلماً فى السنة ..

* ألاحظ أنك لم تذكر ماجدة فى حديثك على الإطلاق ..

– ماجدة لم تعمل معى من قبل ولا أعرف مدى قدرتها ولا إمكانياتها كممثلة .. !!

* ومن الممثلات الجديدات الشابات ؛ هل لفتت نظرك أى منهن !؟ ..

– بوسى مثلاً أتوقع أن يكون لها مستقبل كبير جداً ، وأختها نورا كذلك .. حياة قنديل أيضاً ..

* من من الممثلين الرجال الآن تعتبرهم (فراودة) السينما المصرية !؟ ..

– طبعاً محمود ياسين ونور الشريف وحسن يوسف وحسين فهمى . وعندك أيضاً الكبار الذين يزدادون نضجاً : رشدى أباظة وأحمد مظهر وشكرى سرحان

وكمال الشناوى ، وأيضاً عزت العلايلى الذى أعتبره من ممثلى الصف الأول ، ممثل ممتاز لا شك ، عمل معى مؤخراً دوراً لا يجارى ..

* هل فى ذهنك من زمان فيلم كنت تتمنى أن تخرجه ولم تفعل حتى الآن ..؟!

- طبعاً .. أتمنى أن أخرج فيلماً عن نابليون فى مصر ، عن الحقبة نفسها وجو المقاومة الشعبية فى الحوارى والأزقة والأحياء الشعبية .. أريد أن أقدم فى هذا الفيلم نابليون بحسناته ومساوئه .. فبلا شك أن البعثة العلمية الفرنسية التى جاء بها نابليون معه إلى مصر عملت حاجات كتير كويسة فى مصر .. وقد درست هذا العهد جيداً لكن لم تتح لى الفرصة بعد لعمل مثل هذا الفيلم ، لأننى لم أجد بعد المنتج الذى يستطيع أن يرصد ربع مليون جنيه لإنتاج فيلم كهذا ، لأنه سيكون إنتاجاً كبيراً جداً .. وقد إهتمت السينما العالمية كثيراً بنابليون وتاريخ نابليون ، وقدمت عنه أفلاماً عديدة ، لكنها لم تهتم بنابليون فى مصر ولا هذه الحقبة بالذات التى أنا مهتم بها أكثر ، بحكم أننى مصرى ..

* أستاذ صلاح أبو سيف : كم عمرك الآن !؟ ..

- ٦٤ سنة ..

نشر فى مجلة (الدستور) اللندنية – العدد ٤٠٢ – بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٨

والآن : القادسية ..

السينما العربية عمرها الآن ٥٥ سنة ، على إعتبار أن السينما المصرية هـي أقدم سينما فى المنطقة وذلك هو عمرها.. وعلـى امتـداد هـذه السـنوات الخمـس والخمسون لو عددنا على أصابع اليد الواحدة خمسة مخرجين كانوا بفكرهم وأعمـالهم علامات واضحة وبارزة فى تاريخ السينما العربية ، لكان " صلاح أبو سيف " واحـداً منهم ..

من الناحية الأخرى ؛ لو حسبنا أن السينما العربية كلها ، المصـرية وغيـر المصرية ، قد قدمت خلال هذه السنوات الـ ٥٥ ما يقرب من ٤٠٠٠ فيلم عربـى ، فإننا لن نستطيع أن نستخدم أكثر من أصابع اليدين فى حصر عدد الأفلام الإسـلامية والتاريخية الإسلامية التى قدمتها السينما العربية خلال هذه الفترة .. وهو رقم ضـئيل للغاية ، بل ومخجل ، أن تتجاهل السينما العربية تاريخنا وماضينا وأمجادنا وفتوحاتنا الإسلامية إلى هذا الحد ، فى الوقت الذى تهتم فيه السينما العالمية بالأفلام التاريخيـة والدينية إهتماماً كبيراً بالغاً ، ولا يمر موسم واحد إلا وتقدم فيه عدداً من هذه الأفلام ، بل أن السينما العالمية إهتمت بتارخينا وبالفيلم التاريخى الإسلامى أكثر من إهتمامنـا نحن به ..

واحتاج الأمر أن تمر ستة سنوات كاملة بين عرض فيلم (الرسالة) وعرض فيلم (القادسية) .. والله وحده يعلم أى فترة أخرى سوف تنقضى قبل أن نرى فيلمـاً إسلامياً آخر ، فالواضح أن الفيلم الإسلامى ينتج بالصدفة وليس بخطة ما ..

صلاح أبو سيف مخرج آخر فيلم إسلامى جاهز للعرض الآن (القادسـية) موجود فى لندن الأن لمباشرة التجهيزات والرتوش الأخيرة لفيلمه قبل أن يدفع به إلى دور العرض العام .. ومعه كان هذا الحوار ..

* لم يكن (القادسية) هو أول فيلم إسلامى تخرجه !؟ ..

– لأ طبعاً .. سبقه بعشر سنوات تقريباً فيلم (فجر الإسلام) سنة ١٩٧٠..

* أليس قليلاَ جداً أن يكون كل ما قدمته من الأفلام الإسلامية فيلمين فقط على امتداد تاريخك السينمائى كمخرج منذ ما يقرب من ٤٠ سنة الآن !؟ ..

– صحيح قليل جداً .. لكن عندنا فى مصر مثل شعبى يقـول (يـا جاريـة إطبخى ، يا سيدى كلف) .. الفيلم الإسلامى يحتاج إلى ميزانية ضخمة وإنفاق كبير .. إعطنى هذه الميزانية وأتح لى إمكانية الإنفاق الكبير ، أعطيك فيلماً إسلامياً كبيراً كل سنة ..

* وهناك أيضاً مثل مصرى يقول (الشاطرة تغزل برجل حمار) !! ..

– هذا الكلام ليس فى السينما .. وإن أمكن تطبيقه بالنسبة للأفلام العادية من مستوى (تعاليلى يا بطة) و(غرام فى التراسينة) فإنه لا ينطبق على الفيلم التاريخى والفيلم الإسلامى .. وبشكل عام ينبغى أن يعرف الجميع أن إنتاج الأفـلام الإسـلامية والتاريخية الكبيرة مسألة لا يقدر عليها المنتج الفرد العادى ، بل ينبغـى أن تتولاهـا الدولة ، أى دولة ، وترصد لها الميزانيات الكبيرة والإمكانيات الضخمة ..

* وفيلم (القادسية) !؟ ..

– (القادسية) وغير (القادسية) .. الأفلام الإسلامية والتاريخية تنتج حتـى الآن فى السينما العربية بالصدفة وليس بأى خطة موضوعة بعيدة المدى .. بـدليل أن السينما المصرية ، وهى أقدم السينمات عمراً وتاريخاً فى المنطقة ، فعمرها الآن ٥٥ سنة ؛ لم تقدم خلالها إلا أفلام إسلامية وتاريخية قليلة جداً لا تكاد تعد علـى أصـابع اليدين : ظهور الإسلام ، خالد بن الوليد ، الناصر صلاح الدين ، وإسـلاماه ، بـلال مؤذن الرسول ، فجر الإسلام ، الشيماء .. المنتج العادى كما اتفقنـا لا يسـتطيع أن

يغامر بفلوسه – القليلة أصلاً – فى فيلم يستغرق إخراجه ، أولاً ، وقتاً طويلاً ، ويحتاج ثانياً إلى إمكانيات مادية وفنية كبيرة .. ويسترد أمواله ، ثالثاً ، على مدى طويل وبعيد .. المنتج العادى يريد أن ينفق على فيلمه أقل مصاريف ممكنة على أن يستردها أيضاُ ، فى أسرع وقت ممكن .. وإذا غلط وفعلها مرة وأقدم على إنتاج فيلم إسلامى أو تاريخى فإنه لن يعود إلى تكرار ذلك مرة أخرى.. هكذا فعلت " آسيا " بعد أن أنتجت (الناصر صلاح الدين) فإتخرب بيتها من ورائه ولازالت مديونة حتى الآن .. وهكذا فعل " رمسيس نجيب " بعد أن أنتج (واإسلاماه) فكاد أن يفلس من بعده ..

ولو لم يكن فيلم (القادسية) من إنتاج مؤسسة السينما فى العراق ، وهى مؤسسة حكومية ، لما رأى النور على الإطلاق .. وحين إتصل بى مدير المؤسسة الأستاذ " عبد الأمير المعلى " فى أوائل عام ١٩٧٨ وعرض علىّ إخراج فيلم إسلامى ترك لى إختيار قصته ، أوضحت له وجهة النظر هذه ، وهى أن الفيلم الإسلامى والتاريخى يحتاج إلى ميزانية كبيرة وإمكانيات ضخمة ، ولم أقبل أن أبدأ فى الإعداد للفيلم إلا بعد أن أكد لى أنه سوف تكون تحت يدى ميزانية مفتوحة وإمكانيات بلا حدود .. وهكذا فقد أنفق على الفيلم حتى الآن عشرة ملايين دولار ، ومع ذلك فهو لم يحقق أكثر من ٧٥% مما كان فى خيالى وفى ذهنى وأنا أتهيأ لإخراجه ..

* * *

* هل يمثل إختيار موضوع الفيلم الإسلامى والحصول على المادة التاريخية مشكلة ما !؟ ..

– على الإطلاق .. إن تاريخنا العربى والإسلامى زاخر وحاشد وملئ ، ويكفى لتقديم مئات ومئات من الأفلام التاريخية والإسلامية الضخمة لو صحت النيات وتوفرت الإمكانيات .. المادة التاريخية عندنا ليس أكثر منها ، فتاريخنا كله مكتوب ومدون فى آلاف الكتب والمراجع المدققة والمثبتة .. وعندنا الأساتذة المتخصصون وعلماء التاريخ الذين نفخر بهم وبعلمهم .. السينما الأمريكية تقدم الأفلام التاريخية العربية على طريقة أفلام (الكاوبوى) وتقدمها على طريقتها الخاصة ومن وجهة

نظرها الخاصة التى تسئ إلى العرب وإلى الإسلام .. ونحن لا ننتظر منهم غير ذلـك طبعاً ، لا ننتظر منهم أن يقدموا الإسلام فى صورة أحسن أو أفضـل مـن الـديانات الأخرى .. وحين تهتم السينما الأمريكية بالمصادر التاريخية فهى تهتم بها من الناحية الشكلية فقط : الملابس والأزياء والشكل الخارجى وما إلى ذلك ..

وحين كلفت بإخراج فيلم (القادسية) كان التكليف فى البداية بتقديم فيلم عـن الفتوحات الإسلامية والتاريخ الإسلامى المجيد ، دون تحديد للموضوع .. وقيل لى أن لدىّ الحرية الكاملة فى اختيار الموضوع الذى آراه مناسباً .. فبحث فى مكتبتى عـن الكتب المتعلقة بالموضوعات الإسلامية فوجدت كتبا كثيرة ، منها كتاب كان يشاغلنى منذ فترة لكن لم تكن عندى إمكانية إنتاجه بنفسى ولا كان عندى المنتج الذى يرضـى بإنتاجه : كتاب (سعد بن أبى وقاص) للكاتب الإسلامى الكبير المرحوم " عبد الحميد جودة السحار " ، ووجدت كتاباً آخر إسمه (ملحمة عمر) عن تاريخ وعصر " عمـر بن الخطاب " بأكمله ، كتبه المرحوم " على أحمد باكثير " بشكل درامى ونسج حولـه قصصاً وأحداثاً جرت فى عهد عمر بن الخطاب بما فى ذلك الفتوحات التى تمت فـى عهده ، ومن بينها معركة القادسية فى ٣ أجزاء كاملة من هـذه الملحمـة .. وأيضـاً وجدت فى مكتبتى كتاباً كان قد أهدانيه مرة أحد مديرى البنك الأهلى فـى القـاهرة ، رجل إقتصاد وبنوك إسمه " أحمد عادل كمال " لكنه من دارسى التـاريخ الإسـلامى المتعمقين فيه ، وهو الآن بالمناسبة مدير بنك فيصل الإسلامى .. كان قد أهدانى كتاباً من تأليفه إسمه (القادسية) قبل ذلك بعامين أو ثلاثة .. لكن وقتى لم يتسـع لقـراءة الكتاب فى حينه .. فأصبحت تحت يدى ٣ مصادر تاريخية مؤكدة مأخوذة من تـراث التاريخ الإسلامى المدقق .. ومن حصيلة هذه الكتب الثلاث ، كتاب السـحار وكتـاب باكثير وكتاب أحمد عادل كمال ، نسجنا سيناريو فيلم (القادسية) فجاء بالصورة التى شهدتها ..

* * *

* لكن لماذا القادسية بالذات وهناك معارك وفتوحات كثيرة فى التاريخ الإسلامى لا تقل أهمية!؟

- أنا معك ، هناك الكثير فى التاريخ الإسلامى لكن الذى أمامنا فيلم واحد ، فلننتج أى جزء نبدأ به ثم يأتى بعده الباقى .. ومع ذلك، فحين تدارست الموضوع مع العديد من الكتاب وأساتذة التاريخ والباحثين فيه ؛ وجدنا أن هناك ٣ فتوحات ضخمة فى صدر الإسلام كانت هى السبب المباشر فى نشر الإسلام وفتح الطريق أمامه إلى خارج حدود الجزيرة العربية وتثبيته وتوطيد دعائمه : معركة القادسية أو تحريرها من الفرس ، ومعركة اليرموك وتحرير الشام ، وفتح مصر .. وكلها تقريبا حدثت فى زمن واحد فى بدايات الإسلام .. يعنى كانت هناك فتوحات تجرى فى نفس الوقت ، حتى أن الجيوش الإسلامية كانت تنتقل من جبهة إلى جبهة حسب توسعات المعارك واحتياح الجيوش العربية والإسلامية إلى نجدات وتعزيزات ومدد ، كما حدث فعلاً فى معركة القادسية حين طلب " سعد بن أبى وقاص " العون والمدد فجاءه ٦ آلاف مقاتل من جيش المسلمين الذى كان يحارب فى الشام ..

لماذا بدأنا بالقادسية !؟ .. لأننى عرضت الأفكار الثلاث : القادسية ، واليرموك ، وفتح مصر ؛ ليختاروا منها واحدة ، فكان الرأى أن يتم إنتاج الثلاثة أفكار على التوالى ، نبدأ بفيلم القادسية ، ثم يتلوه فيلم معركة اليرموك ، ثم فيلم عن فتح مصر .. ورحلة الألف ميل تبدأ بفيلم واحد ، ثم تدور العجلة بإذن الله ..

* * *

* " سعد بن أبى وقاص " صحابى وواحد من العشرة المبشرين بالجنة .. وهناك فكرة سائدة بعدم إظهار النبى عليه الصلاة والسلام ولا الصحابة فى السينما .. ألم يعترض رجال الدين على ظهور وتمثيل شخصية " سعد بن أبى وقاص " على الشاشة !؟ ..

- لا .. ورأيى الشخصى ورأى الكثيرين من رجال الدين الإسلامى أن ظهور الصحابة فى الأعمال الفنية ليس محرماً ، بدليل أنه لم يعترض أحد على الشخصيات

التى ظهرت فى فيلم (فجر الإسلام) ولا (القادسية) ، لأن الغــرض مــن الأفــلام الإسلامية أساساً هو إبراز صورة الإسلام السمح الكريم وإبــراز صــورة فتوحاتــه وأبطاله بشكل كريم ومحترم ليس فيه إسفاف ولا تهريج ، وبشكل يدعو الناس إلى حب الإسلام واحترامه وتوقيره .. إننا نبرز كرامة الإسلام وعزة الإسلام وسماحته وكيف جاء ليقضى على الشرور والسوءات التى كانت موجود فى عصر الجاهليــة .. جــاء ليقضى على الرق والعبودية والزنا ووأد البنات وظلم الناس واستعبادهم ، جاء ليقــاوم ذلك كله ويحاربه ويجعل الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى ، هذا هو الإسلام الصحيح الذى قدمناه فى فــيلم إســلامى كبيــر ومشرف سيراه العالم كله فيكون دعاية عظيمة للإسلام فى مواجهة الأفلام التاريخيــة العربية والإسلامية التى تقدمها السينما الأمريكية بشكل محرف فتسئ إلى الإسلام ولا نستطيع أن نمنعها ولا أن نفعل لها شيئاً .. فلا أقل من أن نقدم نحن الإسلام ومبــادئ الإسلام من وجهة نظرنا ، ونحن مسلمون وحريصون على أن نقدم الإسلام لكى يراه العالم كله فى أحسن وأفضل صورة .. نحن أمناء على تاريخنا الإسلامى أكثر من أى حد آخر وأكثر ألف مرة من السينما الأمريكية التى شوهت الإســلام وأســاءت إليــه ونشرت عنه فكرة أنه إنتشر بحد السيف .. وقالوا عنه كل ما أرادوا ، وأساءوا إليــه قدر ما أساءوا فلم يستطع أحد ان يقول لهم لأ .. فلا أقل من أن نقول نحن هذه الـــــ " لأ " على شكل فيلم إسلامى كبير يفند كل أكاذيبهم السينمائية عن الإسلام ..

* * *

* شاهدت فيلم (الرسالة) !؟ ..

يعتدل صلاح أبو سيف فى جلسته ويقول بصدق وموضوعية وتواضع :

– سأقول لك شيئا يندر أن تسمعه من فنان أو مخرج عن زميل لــه .. لقــد شاهدت فيلم (الرسالة) ٣ مرات فى نسخه الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية .. وأنا أعتقد – كمخرج – أن فيلم (الرسالة) قد أدى تماماً الرسالة التى أراد توصــيلها للمشاهدين فى كل العالم ، فيلم قدم الإسلام فى أحسن صورة وأزال كثيراً من الشوائب

التى علقت بالإسلام نتيجة الأفلام الامريكية التى أساءت إليه كثيـراً .. فـيلم ممتـاز وعظيم وموفق فى كل النواحى الفنية فيه ، خصوصاً فى التصوير والتمثيـل والأداء وإبراز الشخصيات .. وبعد أن شاهد الناس فى العالم كله فيلم (الرسالة) اقتنعوا بأن الإسلام فعلاً دين عظيم ، ولم تكن لديهم هذه الصورة أو هذا التصور قبـل ذلـك .. فلماذا لا يكون لدينا بدلاً من فيلم (الرسالة) فقط عشرات أخرى من الأفلام الإسلامية التى تقدم الإسلام فى صورته الحقيقية التى هى خير دعاية ونشراً لـه .. وسـأعطيك مثالاً : فقد جاءت تقارير رسمية بعد عرض فيلم (فجـر الإسـلام) فـى الهنـد أن مواطنين هنود عاديين ذهبوا إلى محطة الإذاعة هناك وأعلنوا إسلامهم أمام ميكروفون الإذاعة ، من فرط إقتناعهم بما شهدوه فى الفيلم .. نحن يجب أن نفرح لذلك ونسعد له ، إنه انتصار جديد للإسلام فى عصر يضمحل فيه التمسك بالأديان كلها ..

* * *

* لقد كان من حظى أننى شهدت فيلم (القادسية) مرتين فى عروض خاصة قبل أن يعرض على الجمهور ، وخرجت منه بالتساؤل الذى كثيراً ما كان يلح علـى ذهنى كلما شهدت فيلماً تاريخياً : هل المعلومات التاريخية التى جاءت فيـه صـحيحة وسليمة ١٠٠ % ، أم أننا فعلنا نفس ما يفعله الأمريكان ونعيبه عليهم ، فـى تشـويه صورة أعدائنا !؟ .. هل نستطيع أن نطمئن إلى أن المعلومات التاريخية التى جـاءت فيه روجعت ودققت تاريخياً بحيث لا ننقل إلى مشاهدى (القادسية) معلومات خاطئة أو غير صحيحة ، أو على الأقل غير دقيقة !؟ .. وعلى سبيل المثـال : هـل كانـت شخصية " بند جرد " ملك الفرس بهذه التفاهة التى قدمها به الفيلم كولد صغير طـائش وهايف ورعديد !؟ ..

– لو رجعنا الى المصادر التاريخية لوجدنا أن الأميرة " بوران " التى قامت بتمثيل شخصيتها الفنانة " ليلى طاهر " .. كانت هى الملكة الأصلية للفرس قبل معركة القادسية بعدة سنوات ، ثم ثار الفرس عليها لأنهم أرادوا ألا تحكمهم إمرأة وأن يكـون ملكهم رجلاً ، ولم يكن فى الأسرة الساسانية الحاكمة رجال يحق لهم العرش فى ذلـك

الوقت ، فبحثوا ونقبوا حتى وجدوا صبياً كان إبناً غير شرعى لملك الفرس الســابق ، فأتوا به وأجلسوه على العرش وهو فى سن المراهقة ودون أن يكون مؤهلاً لأن يكون ملكاً .. حتى أنه عندما وقعت معركة القادسية كان " يزد جرد " فى الحادية والعشرين من عمره ، وكان مجرد صورة أو رمز ، فى الوقت الذى ظلت فيه الأميرة " يوران " هى التى تدير الحكم فعلاً فى مملكة فارس ..

* صلاح أبو سيف ، بعد القادسية !؟ ..

- أحلم بأن أقدم فيلماً كبيراً عن " عمر بن الخطــاب " كشخصــية إســلامية عظيمة كان لها تأثير وأثر كبير فى الإسلام ، بشجاعته وعظمته وأخلاقياتــه وقيمــه وسماحته وتعاطفه .. أصابت إمرأة وأخطأ عمر .. وحكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر .. أى عظمة أكثر من ذلك !؟ ..

* وهل تظهر شخصية " عمر بن الخطاب " فى الفيلم !؟ ..

- طبعاً .. إن " عمر بن الخطاب " لم يكن معجزة ولا ملاكاً هبط من السماء ، بل كان بشراً مثلنا ، وهذه هى عظمته الحقيقية .. أنه رجل مثلك ومثلى ومثلنا جميعاً ، وأنا وأنت وكل المسلمون يستطيعون أن يكونوا مثله لو إقتدوا به وحذوا حذوه وفعلوا مثلما فعل وتحلوا بالخصال التى كان يتحلى بها ، فلم لا يظهر على الشاشــة !؟ .. إن السينما الأمريكية والعالمية قدمت المسيح فى عشرات الأفلام وأظهرته على الشاشــة وهو يعذب ويهان ويصلب ، وجعلت ممثلين يقومون بدوره .. نحن لن نظهر النبــى عليه الصلاة والسلام على الشاشة ؛ لكننا نقدم الصحابة والــذين جــاوروا الرســول وعاصروه .. أى دعاية للإسلام أكثر وأكبر من أن نقدم هؤلاء الصحابة فى صــورة تجعل الناس فى كل مكان فى العالم تحبهم وتحترمهم وتتمنى أن تكــون مــثلهم .. إن الإسلام دين سماحة ويسر ، فلماذا نريد ان نجعله صعباً عسراً !؟ ..

* * *

* لو حدث ذلك ؛ من هو الممثل الذى يستحق أن ينال شرف تمثيل شخصية " عمر بن الخطاب " على الشاشة !؟ ..

– ليس فى ذهنى أحد بعينه الآن ، لكننى أفضل أن يكون الذى يقوم بهذا الدور ممثلاً جديداً تماماً ليس لدى مشاهدى السينما أى إنطباعة سابقة عنه فى أى دور سابق ممكن أن يكونوا قد شهدوه فيه .. يعنى لا يليق أن يقوم بدور كهذا ممثل قام من قبل فى أفلام أخرى بدور نصاب أو قاتل أو مجرم أو شرير أو لص أو سكير ، ينبغى أن يكون الممثل الذى سينال شرف تمثيل شخصية " عمر بن الخطاب " ممثلاً جديداً تماماً ، بل ويجب – أكثر من ذلك – بعد تمثيله هذه الشخصية العظيمة أن يلتزم فى أفلامه التى تأتى بعد ذلك بأدوار تكون كلها محترمة وبعيدة عن الإسفاف والهبوط .

* * *

* قلت أن الأفلام الإسلامية تنتج بالصدفة !؟ ..

– هذا صحيح .. فليس لدينا خطة ما لإنتاج الأفلام الإسلامية ، وهى مرهونة بفكرة ما تقفز إلى ذهن منتج ما لعمل فيلم إسلامى ما .. لذا فحن لا نرى فيلماً إسلامياً عربياً إلا كل ١٠ سنوات أو أكثر .. والذى أتصوره أن تكون هناك خطة موضوعة لإنتاج سلسلة أفلام إسلامية كبيرة تعرض أمجاد الإسلام وعظمة الإسلام وبطولاته وفتوحاته .. وتاريخ الإسلام ملئ وحاشد ، ولو تم ذلك لكان لدينا بعد ١٠ سنوات فقط ٥٠ فيلماً على الأقل نقدم من خلالها تاريخ الإسلام كله ..

لكننى فى الوقت نفسه لا أتصور أن دولة عربية واحدة تستطيع أن تنتج ٥٠ فيلماً إسلامياً كبيراً وضخماً كالقادسية وفجر الإسلام والناصر صلاح الدين ووإسلاماه .. لكن لو أن كل مليونير عربى – وهم والحمد لله كثر الآن – تبرع من أمواله بميزانية تكفى لعمل فيلم إسلامى كبير واحد ، لاستطعنا تحقيق ما نطمح إليه ونفكر فيه .. ثم تعود إليه أمواله كلها بعد فترة من الزمن حيث يغطى الفيلم تكاليف فى العرض على المستوى العالمى .. أتصور ان يتسابق أصحاب الملايين العرب فى رصد ميزانيات لإنتاج هذه الأفلام الإسلامية ، ولو على سبيل الزكاة عن أموالهم .. إن الأمريكان والانجليز وغيرهم ينتجون أفلاماً يهاجمون بها العرب وتقاليد العرب ودين العرب ، لا أريد أن أحدد أسماء هذه الأفلام .. لكننا جميعاً نعرف أنه فى السنوات

الأخيرة عرضت عدة أفلام أجنبية آسأت إلينا كثيراً كعرب وكمسلمين ، ولم نرد عليها بشئ إلا بمنع عرضها فى بلادنا ، وباحتجاجات وكتابات مكتوبة على الورق قد يهتم بها الناس وقد لا يهتمون .. ثم ينسونها بعد فترة قليلة ويظلون يذكرون الأفلام نفسها .. والرد المفروض على هذه الأفلام المغرضة التى أسأت وتسئ إلينا هو أن نقدم نحن أفلاماً ليست فقط تحسن صورتنا أمام العالم ، لكن أيضاً لكى نقدم على الأقل من وجهة نظرنا فيراها المشاهد الأوروبى والأمريكى الذى إعتاد دائما أن يشاهد أفلاماً تقدم من وجهة نظر واحدة هى ضدنا فى كل الأحوال .. يجب أن نقدم له أفلاماً تعرض وجهة نظرنا نحن ونقدم تقالدينا وقيمنا وأمجادنا وتاريخنا .. فالناس دائما تنسى الكلام وتتذكر الأفلام ، فلنقدم لهم أفلاماً بدلاً من ان نقدم لهم كلاماً ..

نشر فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العدد ١٠ – بتاريخ ١ / ١ / ١٩٨٢
توفى صلاح أبو سيف فى ٢٣ يونيو ١٩٩٦ .

الدلوعة !! ..

أعرف شادية منذ بداية عملى بالصحافة .. شادية صديقتى وصديقة كل الناس .. هى تسبقنى بسنتين فى العمر ، وبعشر سنوات فى العمل بـــالفن .. هـــى عملـــت بالسينما والغناء وهى عمرها ١٤ سنة وأنا عملت بالصحافة وعمرى ٢٤ سنة .. لكننى كنت فى بداية خطواتى وكانت هى نجمة النجوم وأشهر وأهم مطربة ســينمائية فـــى الوسط الفنى فى مصر والعالم العربى ..

سألت شادية :

* حين بدأتِ العمل فى السينما كنت صغيرة جداً ، حوالى ١٤ سنة تقريباً .. كيف وصلتِ إلى شاشة السينما فى هذه السن المبكرة جداً !؟ ..

وأجابت شادية بين ضحكاتها :

حكاية غريبة خالص .. كنت غاوية سينما جداً وأملى الوحيد أن أكون ممثلة ؛ فذهبت أطرق أبواب الأستوديوهات كلها .. حتى قبل أخيراً أحد المنتجين أن يجـــرى لى إختباراً أمام الكاميرا ، فأديته .. وأثناء تأديتى للإختبار كنت أرى فى أحد الأركان البعيدة رجلاً منكوش الشعر ينظر إلىّ نظرات غريبة باهتمام ، فخفت منـــه .. لكـــن جاءنى من يقول لى أن هذا الرجل المنكوش أعجب بى أثناء الإختبـــار ويريـــدنى أن أعمل معهفى أول فيلم يخرجه .. وكان هذا الرجل المنكوش الشعر هو حلمى رفلـــة ، وكان فيلمه الأول هو فيلمى الأول أنا أيضاً (العقل فى أجازة) ..

وضحكت شادية من أعماقها وهى تستطرد :

وتصور الحاجة العجيبة : الشركة التى عملت الإختبار الأول لحسابها وعملت معايا أول عقد ؛ لغاية الآن لم تطلبنى لتنفيذ هذا العقد ، رغم أننى قبضت العربون ورغم أن أول أجر لى فى هذا العقد كان عشرات قليلة جداً من الجنيهات !! .

* فى الوقت الذى ظهرتِ فيه كان يوجد عشرات من مطربات الأغانى الخفيفة ؛ فإلى أى سبب يرجع نجاحك الكبير هذا !؟ ..

وظهرت علامات الجد على وجه شادية وهى تجيب :

- سر نجاحى أننى وهبت نفسى لفنى وآمنت بأن هذا الفن هو رسالتى فى الحياة ، ووضعت أمام عينىّ هدفاً وطريقاً أسير فيه إلى النهاية .. كمان أنا شايفة إن صوتى حلو .. مش إنت شايف كده برضه !؟ ..

ولما كنت أنا (شايف كده برضه) فقد بادرتها بسؤالى التالى :

* لك الآن أكثر من ١٠ سنوات وأنت تعملين فى السينما ؛ فهل أنت نادمة ، أو على الأقل هل ندمت يوماً على أنك قد إخترت لنفسك هذا الطريق !؟ ..

فردت شادية فى دهشة بالغة :

ندمت !؟ .. أبداً .. بل بالعكس ، فأنا لو ولدت من جديد لإخترت نفس الطريق خطوة بخطوة ويوماً بيوم ..

أسألها :

* ما هى أحب أغانيك إلى نفسك !؟ ..

أجابت فى حنان :

- كلها أحبها .. ولو لم تعجبنى وأخبها وهى مجرد كلام ولحن لما وافقت على أن أغنيها .. لكن الأغنية التى أحب جداً أن أسمعها لنفسى هى أغنية (حبيبى آهه)

* غنيت فى الإذاعة وفى السينما وعلى المسرح .. أيهم أحب إلى نفسك وأيهم أسهل !؟ ..



- إن كان على الأسهل فالإذاعة أسهل جداً : أسجل الأغنية مــرة ومــرتين وثلاثة وعشر مرات ؛ إلى أن يعجبنى التسجيل فأوافق عليه .. وفى السينما نفس الأمر .. أما على المسرح فأنا أواجه جمهورى كله مباشرة ، وأنا أحظى منــه بــأكثر مــن التقدير والحب الحمد لله ، وأتجاوب معه ويتجاوب معى وألمــس تقــديره وإعجابــه وتشجيعه وأنا أغنى فعلاً ؛ فأزداد إنفعالاً وأحاول أن أقدم أحسن ما عندى .. غنــائى على المسرح بدون شك أحب إلى نفسى من السينما ومن الإذاعة ..

* السؤال الأخير : ماذا عن ألحانك الجديدة التى لم تذع بعد !؟ ..

- منير مراد يلحن لى الآن أغنية جديدة مطلعها (أنا بنت طيبــة ودمــوعى قريبة) .. أعتقد من الآن أنه سيكون لحن الموسم القادم كما كانت ألحان منير مــراد السابقة لى (القلب معاك ثانية بثانية) و(حبيبى آهه) ألحان الموسم أيضاً ..

وجمعت أوراقى لأنصرف وشادية تودعنى حتى باب الأسانســير .. ووأنــا وحدى داخل الأسانسير وجدت نفسى أدندن (حبيبى آهه) ....

* * *

فقرة أخيرة لم تكن ضمن حوارى مع شادية تذكرتها وأنا نازل فى الأسانسير من عندها .. وحتى لو كنت قد تذكرتها وأنا معها لما أشرت إليها فى حوارنا لتصورى

أنها قد تؤلمها أو تضايقها : شادية بعد طلاقها من عماد حمدى تزوجت زواحاً سريعاً لم يستمر طويلاً من المهندس فى الإذاعة عزيز فتحى ، وسرعان مـــا بـــدأت بينهمـــا المشاكل التى جعلت شادية تطلب الطلاق ، وفى المحكمة قال عزيز فتحى ، المهندس فى الإذاعة ، أنه لم يكن يعرف أن شادية مطربة ، بل ولم يكن يتصور أنها بتعـــرف تغنى !! ..

وطلقتها المحكمة !! ..

نشر فى مجلة (الإذاعة) – لم يكن إسمها (الإذاعة والتليفزيون) بعد لأن التليفزيون قد بدأ فى مصر بعـــد – العدد ١٢٩٥ – بتاريخ ١٩٦٠/١/٩ ..

صلاح جاهين ..الفنان الشامل ..

(الفنان الشامل) عملة نادرة لا شك .. فقد تعودنا أن يلمع الفنان عادة فـــى مجال واحد : موسيقى مثلاً ، رسام ، مخرج ، مطرب ، مصور ، ممثــل ، مغــن ، صحفى ، كاتب أو مؤلف ، عازف .. إلخ .. وقد تكون لديه (هوايات) أخرى إلـــى جانب تخصصه الذى يلمع فيه ؛ لكنها تكون مجرد (هواية) جانبية ليس لها شأن كبير فى حياته .. لكن أن يلمع فنان ما فى عدة مجالات فنية متداخلة ومرتبطـــة ببعضـــها البعض ، ويكون بروزه ولمعانه وتألقه فى كل واحدة منها واضحاً وكبيــراً ومــؤثراً بحيث تنتابك الحيرة فى أى موهبة من مواهبة هى الأكبر والأقوى والألمع !؟ .. فإن ذلك هو (الشمول) و(الندرة) ..

وإذا كان عدد الفنانين الذين نستطيع أن نعتبرهم (فنانين شاملين) فى عالمنا العربى قليلاً جداً على امتداد تاريخ الفنون العربية ؛ وإذا كان هـــؤلاء الفنـــانون فـــى عصرنا الحاضر أقل من عدد أصابع اليد الواحدة ؛ فلا شك أن صلاح جاهين هو واحد منهم ، ان لم يكن هو – بصدق – أبرزهم فى الوقت الحالى ..

مع صلاح جاهين كان هذا الحوار ..

* أستاذ صلاح جاهين : من أنت !؟ ..

– أنا مواطن مصرى ، عربى ، أنتمى للفن ، يعنى إنتماءاتى لمصر وللعرب وللفن .. إسمى الرسمى فى جواز السفر " محمد صلاح الدين حلمى ، لكن " جاهين "

إسم بعيد فى شجرة العائلة ، إنما وجدت أن نغمة " صلاح جاهين " على بعضها أريح للأذن من " محمد صلاح الدين حلمى جاهين " .. كان على أيامنا مطلوباً أن يكون الشخص له إسم موسيقى ، أنور وجدى ، حسين صدقى ، أحمد علام ، وهكذا .. فاخترت إسم " صلاح جاهين " ليكون إسمى الذى أعرف به .. عمرى ٤٧ سنة ، قاهرى من القاهرة نفسها ..

* صلاح جاهين المتعدد المواهب والإهتمامات : من فى داخلك يتغلب على الآخر أكثر : الرسام ، الممثل ، الشاعر الغنائى أم مؤلف الأوبريتات الشهير ، أم المغنى الذى يغنى فى بعض الأحيان !؟ ..

– الغالب طبعاً هو الرسام ، لأنه يعمل وأمامه موعد محدد كل يوم يجب أن يقدم فيه عمله ، وعندما يقترب هذا الموعد المحدد تختفى جميع الشخصيات التى بداخلى ولا يتبقى إلا رسام الكاريكاتير هو سيد الموقف ، أما باقى الأعمال التى أمارسها فهى لمتعتى الشخصية فقط ، ولأننى أنا (أنبسط) وأنا أعملها ..

* ولو خيرت بين مجال واحد من كل هذه المجالات الفنية التى تمارسها !؟ ..

– أختار الأضمن طبعاً ، الوظيفة التى أقوم بها فعلاً بشكل رسمى : رسام الكاريكاتير ..

* من الذى بدأ معك أولاً : رسام الكاريكاتير ، الشاعر ، الممثل ، المغنى .!؟

– الحقيقة أنا أحب أن أسجل هنا أن المدرسة المصرية خلال الفترة التى تعلمت فيها ، يعنى بين عام ١٩٣٧ وعام ١٩٤٦ ؛ كانت خصبة جداً ، حيث كانت المدرسة المصرية وقتها تعلم كل هذه الفنون ، وأنا لا أعرف شيئاً الآن لم أحصل عليه – أو على مبادئه – من المدرسة ..

* أفهم من كلامك أن ذلك لم يعد موجوداً الآن فى المدرسة المصرية !؟ ..

– على الإطلاق .. لأن أعداد التلاميذ كبرت جدا فمنعهم ذلك من القيام بأى نشاط مدرسى أو ألعاب رياضية أو أى هوايات ..

* وهل كان النشاط المدرسى والهوايات فى المدرسة المصـــرية ، الإبتدائيـــة والثانوية ، تخلق فنانا !؟ ..

– طبعاً ، وقد قلت لك أننى أدين بكل شئ أعرفه الآن إلى المدرسة ..

* هل من الممكن أن تخلق المعاهد الفنية أو الكليات الفنية ، فناناً !؟ ..

– ممكن أن تصقل فناناً ، لكنها قطعاً لا تستطيع أن تخلق فناناً من شخص لا يعانى فى الأصل من داء الفن .. وهناك نماذج كثيرة جداً لفنانين كبار لم يتخرجوا من معاهد فنية .. فمهمة هذه المعاهد ليس (صنع) المواهب ، وإنما (صقل) المواهـــب الموجودة أصلاً وصهرها .. كأنك تضع هذا المعدن الفنى فى فرن عالى الحرارة حتى ينصهر ويتألق ويعطى كل ما عنده وأقصى ما فيه ..

* أتفهم أن مدرسة ما ممكان أن تخرج رساماً ، أو مؤلفاً ، أو ممثلاً .. لكـــن كيف يتأتى أن تستطيع مدرسة ما أن تجمع كل هذه المواهب أو الخبرات أو الكفاءات فى شخص واحد !؟ ..

– أنا الذى كنت غارقا فى كل هذه الهوايات فى وقت واحد ، واشتركت فـــى جمعيات كثيرة للهوايات فى المدرسة .. لكن كان هناك نشاطات أخرى فشـــلت فيهـــا فشلاً ذريعاً ، مثل جمعية فلاحة البساتين والألعاب الرياضية ، فقد كنت وأنا صـــغير متفوقاً فى الألعاب السويدية لأنها حركات جمالية وأقرب إلى الباليه ، فكـــان مدرســـو التربية الرياضية الذين كما نسميهم على أيامنا (ضباط الألعاب) كانوا فى حصـــص التربية الرياضية يقولون للطلبة : " شوفوا صلاح حلمى بيعمل إزاى وإعملوا زيه " .. لأننى كنت أتمثل الحركة من الداخل وأعملها بمزاج شديد ، حتى بـــدأ وزنـــى يزيـــد فتوقفت عن ممارسة الرياضة ..

* بالمناسبة ، ألاحظ أن وزنك قد عاد فزاد كثيراً بعد أن كنت فى وقت مـــن الأوقات قد تحولت إلى غصن بان ..

ويضحك صلاح جاهين ويقول :

- نقص وزنى ٣ مرات .. مرة ٣٥ كيلوجرام ، ومرة ٣٨ كيلوجرام ، ومرة ثالثة إستطعت فيها أن أخفض من وزنى ٤٥ كيلوجرام .. لكننى كنت دائماً أعود إلـــى وزنى الأصلى .. وأقصى ما وصلت إليه هو ١٣٦ كيلوجراماً ..

* أنت تقوم بأشياء فنية كثيرة .. فأنت ترسم ، تمثل ، وتكتب أغانى ، تشترك أحيانا فى غناء هذه الأغانى .. فهل تعتبر نفسك (فناناً شاملاً) مثل شارلى شابلن مثلاً ..؟!

- إلى حدٍ ما .. لكننى لست فى إتجاه شارلى شابلن ، إنما أقرب لفنانى عصر النهضة كـــ " ليوناردو دافنشى " ، الذى كان شاعراً وموسيقياً ورســـاماً ومهندســـاً ، وكان أيضاً مخترعاً ، وهو الذى إخترع الدبابة مثلاً .. وأنا أعتقد أننا فى البلاد العربية نمر الآن بعصر مثل عصر النهضة الذى كان موجودا فيه " ليوناردو دافنشى " ..

سألته باندهاش :

* الآن !؟ ..

ويجيب صلاح جاهين بثقة :

- طبعاً .. فقد كنا متدهورين جداً أيام الحكم العثمانى ، ثـــم بـــدأنا نتفـــتح ، ولذلك نعتبر فى عصر النهضة الآن ..

* لكن هل (عصر النهضة) هذا ينتج فناناً شاملاً واحداً فقط : صلاح جاهين ..؟!

- عبد الرحمن الخميسى فنان كبير لكنه (لعبى) ، ولو أنه إنتبه إلى عملـــه لكان شيئاً فى منتهى الروعة ، لكنه كما قلت لك (لعبى) يحب يقعد قعـــدة ظريفـــة ، يدردش ، يضحك ، يأكل ، يعمل أى شئ إلا الشغل ، وحين يقرر أن يعمل فقطعاً لا بد وأن تظهر فى عمله لمسة العبقرية .. لكننى أختلف عنه فى أننى لست (لعبياً) .. أنا أضع همى كله فى العمل وليس لى أى متعة أخرى غير عملى ..

* عملت أسلوباً جديداً وشكلاً جديداً فى الأغنية المصرية إسمه (طابع صلاح جاهين) .. كيف !؟ ..



– ذلك ببساطة راجع إلى اللغة العربية ، فهى شديدة الثراء بحيث أنك تستطيع أن تأخذ منها كلاماً وتؤلف منه أغنية جديدة دون أن تستخدم أى كلمة إستخدمت من قبل فى الأغانى .. وذلك ما أفعله .. وأنا لا أخترع وإنما أنظر إلى اللغة العربية وأعطى لنفسى حرية إختيارى أى كلمات منها لكى أعد أغنية جديدة ..

* ولم يكتشف مسألة ثراء اللغة العربية هذه أحد غيرك !؟ ..

– أنا لا أعرف اللغة العامية اللبنانية جيداً ، لكننى أرى أن " الرحبانية " عندهم حرية فى إنتقاء كلماتهم من الحقل اللغوى الرحيب مثلما أفعل .. وأنا لا أجد نفسى فى الإطار الرسمى لمؤلف الأغنية التقليدى ، وأى كلمة عربية مضبوطة طالما أنها موضوعة فى مكانها الصحيح وموضوعة بـ (إرنانات) ، ومن الضرورى أن تستمع إلى (إرنان) الكلمة .. ومن الممكن أن أستخدم كلمات أستخدمت فى الأغانى من قبل لكن بشكل سئ ويكون رنينها لا يتجاوب مع بعضه البعض فتكون النتيجة سيئة .. وسأعطيك مثالاً لمؤلف يكتب فتعرف على الفور أن هذا هو فلان دون أن تسمع إسمه : الشاعر أحمد شوقى حين كتب أغنيات لـ " محمد عبدالوهاب " ، تسمع الأغنية فتقول إن هذا هو شعر شوقى على الفور دون أن تكون المذيعة قد ذكرت إسمه ..

* وهل كانت جديدة تماماً على الأذن المصرية أو العربية الفقرة التى قلت فيها بلسان عبدالحليم حافظ (تفوت على الصحرا تخضر) !؟ .

يقاطعنى صلاح جاهين على الفور كأنما يخشى أن أستمر دون أن يصحح لى هذه النقطة :

– الصح (نفوت) على الصحرا تخضر ، وليس (تفوت) على الصحرا تخضر ، أى بالـ (نون) وليس بالـ (تاء) .. وجميل أن الفرصة جاءت لأصحح هذه المعلومة لأن هناك بعض الرجعيين يكتبون الآن ويقولون أننى كنت أتملق جمال عبدالناصر وأمدحه وقلت عليه (تفوت) على الصحرا تخضر ، لكنها فى النص الأصلى (نفوت) على الصحرا تخضر ، نشقى حدود الناس تحمر ، والمسؤولية ما بين أحضاننا ، مقاديف تقربنا من البر) .. كانت صورة لمسؤولية المواطنين فى التقدم

* هل أصبح فى نظر بعض الناس (تهمة) أن تكون كتبت تمدح عبدالناصر يوماً ما وقلت إن عبدالناصر كان جيداً .. كان كويس ..

– هو كان كويس .. والآن نقول عليه (كان جيداً) .. لكن طالما هو حاكم فإن أى واحد يدبج قصيدة فى مديحه تكون مشكوكاً فيها ..

* الأغنيات التى كتبتها أنت وغناها عبدالحليم حافظ كانت أكثر وصولاً إلى الناس من مئات الخطب والمقالات التى قيلت وكتبت عن المسؤولية والإشتراكية والتصنيع .. ومادامت سيرة عبدالحليم حافظ قد جاءت فى الكلام ؛ فما الذى فقده صلاح جاهين بوفاة عبدالحليم !؟ ..

– فقدت فيه مغنياً حساساً أستمتع بأغانيه .. وقد أردت أن أكتب له مرة أغنية عاطفية فكتبت منها مقطعاً واحداً فقط لكننى لم أستطع تكملتها ، ولا أدرى لماذا .. قلت فيه (حبيبى دنيا هنايا ، أنا طير مهاجر إليكى .. حر وحزين فى سمايا ، حر وحزين وبادوب حنين ، أكون سجين بين إيديكى) .. ثم توقفت بعد ذلك ..

* لماذا !؟ ..

- يبدو أننى لست مؤلفاً عاطفياً بطبعى ، والأغنيات العاطفية التى كتبتها قليلة جداً حتى أننى لا أكاد أذكرها .. زمان كان كمال الطويل يسمعنى لحناً له ويطلب منى أن أضع كلاماً يناسب اللحن ، فكتبت (ياما قلبى قال لى لأ) لفايزة أحمد و(بان عليا حبه) لنجاة الصغيرة .. هاتان الأغنيتان هما اللتان أذكرهما الآن ، لكننى كتبت إغنيات عاطفية كثيرة لا أذكرها ولا أحس بها ولا أعتبر نفسى كاتب أغانى عاطفية ..

* هل غنى لك أحد أغانى وطنية بعد سنة ١٩٧٠ !؟ ..

- إن ما يحدث عادة أننى أكتب قصيدة وأنشرها والذى يريد أن يغنيها يطلبها .. والذى حدث أنه لم يطلب منى أحد أغنيات وطنية بعد سنة ١٩٧٠ .. وفى سنة ١٩٧٣ غنت لى سعاد حسنى أغنية كتبتها سنة ١٩٦٨ ، وهى (صدقت بأه يا ابنى إنت وهوه ، إن الحياة ماشية كدهو ، وإن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) التى لحنها سيد مكاوى ..

* (خلى السلاح صاحى) ليست أغنيتك !؟ ..

- ليست أغنيتى لكننى عملت نفس المعنى بالضبط لأم كلثوم قبلها بسنوات كثيرة : (والله زمان يا سلاحى ، إشتقت لك فى كفاحى ، إنطلق وقول أنا صاحى ، يا حرب والله زمان) ، وأغنية (بالأحضان يا سينا) التى غنيت سنة ١٩٧٣ من تأليف مؤلف آخر ، كتبت أيضاً قبلها بعدة سنوات أغنية (بالأحضان بالأحضان) التى غناها عبدالحليم حافظ .. يعنى كما لو كنت بيت يبيعونه أنقاضاً وكل واحد بيشيل منه زى ما هو عايز دون أن يقول له حد بتعمل إيه .. واحد يشيل حوض ويمشى ، واحد يلاقى فسقية يشيلها ويمشى ، واحد يأخذ مشربية ويمشى ..

* مين اللى شال (خلى السلاح صاحى) !؟ ..

- لا أريد أن أذكر أسماء ..

- إسم مؤلف (خلى السلاح صاحى) نشر فى مجلة الإذاعة وأذيع فى الراديو ، يعنى لن تبوح بسر أؤتمنت عليه ..

– هذه مسألة ليست مهمة ومحتمل أن المؤلف الثانى لـــم يقصـــد أن يســـرق أفكارى أو يقتبسها .. كما أن بعض الناس يظنوننى (فولكلور) .. يعنـــى يعتبـــرون مؤلفاتى شيئاً من التراث مجهول المؤلف أو الصاحب .. وقد تكررت هذه المسألة معى ، فكثيراً ما يحدث أن أجد كلاما كتبته من قبل يغنيه مطرب أو مطربة من (تـــأليف) مؤلف آخر ويكون كل مجهود هذا (المؤلف" الآخر) أنه غير فى ترتيب كلامـــى أو الصياغة ..

* بمناسبة (الفولكلور) : (الليلة الكبيرة) أوبريت مسرح العرائس الشـــهير والناجح جداً : صلاح جاهين الذى كتب (الليلة الكبيرة) واشترك فى كـــل خطـــوات تنفيذها ومثل وغنى فيها بصوته : لم يعمل بعدها شيئاً يعادل فى نجاحـــه وشـــعبيتة (الليلة الكبيرة) ..

– لا أحد يستطيع أن يتحكم فى مسألة النجاح لكننى أســـتطيع أن أقـــول لـــك أسباب نجاح (الليلة الكبيرة) .. بارغم من أننى مولود فى القاهرة إلا أننى قضـــيت فترة طويلة من حياتى فى الأقاليم بحكم وظيفة والدى .. ولما عدنا إلى القاهرة كنـــت منكمشاً وخائفاً من (الغول العظيم) الذى إسمه (القاهرة) لأننى خفت ألا أستطيع أن أتواءم وأعيش بنفس الطريقة التى يعيش بها الناس فيهـــا ، وكنـــت متصـــوراً أنهـــم سيسخرون منى .. وظل خوفى أو إنكماشى هذا ملازماً لى فترة ، حتى تصـــادف أن نزلت مرة لأتجول فى أثناء إحتفالات (مولد السيدة زينب) ومشيت فى طرقات هـــذا الحى التى لم أكن قد رأيتها من قبل وقرأت أسماء شوارعه وحواريه وأزقته ودروبه : سويقة اللالة ، درب شكمبة ، حارة الميضة .. ورحت أكتب هذه الأسماء وأنا ماشـــى فى وسط المولد ، وأعددت ما يشبه (الريبورتاج) ثم عملت منه صورة غنائية إختفى بعدها خوفى من القاهرة ، بل شعرت أننى أمتلكها ، كالرسام حين يحب واحـــدة حبـــاً كبيراً فيرسمها فيهدأ من ناحيتها ، لأنه يشعر أنه قد إمتلكها .. وذلك شئ خطير لأنـــه يمثل عملية تاريخية فى تطور حياتى .. ثم كان من حظى أننى قابلت سيد مكاوى وهو فنان من أعمق أعماق القاهرة ، ويشترك معى فى حب سيد درويش .. وكانـــت فـــى

ذهنى دائماً صورة جميلة أريد أن أتمثلها هى صورة (الثنائى سيد درويش وبديع خيرى) .. فلما قابلت سيد مكاوى أصبحت أنا وهو مثل سيد درويش وبديع خيرى ، وهكذا أخرجنا (الليلة الكبيرة) وكنا نحن الاثنين نسكن فى حى واحد ونمر على بعض فى البيت لنخرج معاً كل يوم وسيد مكاوى يضع ذراعه فى ذراعى والعود تحت إبطه ونمشى فى شوارع الحى : " سلامو عليكم يا فلان ، صباح الخير ، نهارك قشطة يا فلان " ، وأصبحت هناك مودة وألفة بيننا نحن الإثنين وبين أهل الحى تماماً كما كان سيد درويش وبديع خيرى ، وقد أنتجنا كثيراً لمسرح العرائس ، ومسرحيتى (الحرافيش) و(الانسان الطيب) ومسرحيات أخرى لا أتذكرها الآن ..

* ما هو شكل العلاقة بينك وبين سيد مكاوى الآن !؟ ..

- أغانى كثيرة أنجزناها فى الفترة الأخيرة معاً دون أن نلتقى .. إذ يتصل بى بالتليفون ليقول لى : أنا أريد أغنية فيها كذا أو تقول كذا .. فأكتبها وأمليها عليه بالتليفون حين أنتهى منها ، ويلحنها هو ، أو يلحن المطلع مثلاً ، ويتصل بى بالتليفون ليسمعه لى ويسألنى : " إيه رأيك يا أبوالصلح !؟ " .. فأقول : " حلو أوى يا أبوالسيد ، جميلة جداً .. وهكذا نتعامل معاً دون أن نلتقى ..

* وما الذى يمنعكما من اللقاء الآن !؟ ..

- رداءة المواصلات .. تصور أننى لا أذهب إلى أى مكان حتى ولا إلى مكتبى فى جريدة (الأهرام) بسبب رداءة المواصلات ..

* سيرة (الحرافيش) جاءت فى معرض كلامنا .. من هم (الحرافيش) وما هى فكرة شلة الحرافيش المصريين الذين يتزعمهم نجيب محفوظ ، وما هى علاقتك بالشلة الآن !؟ ..

- (الحرافيش) هم عوام القاهرة الذين يأتون بعد الحكام وكبار رجال الدولة والناس المبسوطين والناس المستورين يعنى الذين عندهم ما يكفيهم ، وكل الناس الممكن أن يشار إليهم الذين يأتون بعد كل هؤلاء هم الذين إسمهم (الحرافيش) .. حاجة كده زى (تنوة القهوة) أو ما يتبقى فى فنجان القهوة بعد شربها .. أو (التفل)

بلهجة أهل الشام .. وكانت التسمية مزاحاً من الأستاذ نجيب محفوظ أطلقها على شـلة أصدقائه الذين يلتقى بهم فأسماهم بالإسم الذى معناه (صعاليك القاهرة) .. وحين كنت معهم كانوا : محمد عفيفى الكاتب الساخر ، وعادل كامل المحامى والكاتب الروائى ، وأحمد مظهر الفنان والممثل المعروف ، والمخرج السينمائى توفيق صالح ، وأنا .. مع اثنين أو ثلاثة آخرين من أصدقاء الصبا للأستاذ نجيب محفوظ ..

* وسيد مكاوى !؟ ..

- لم يكن منهم ، والآن أنا لم أعد منهم ، إذ توقفت عـن حضـور لقـاءاتهم وجلساتهم بالتدريج بعد أن دخلت المخبأ الذى تجلس فيه معى الآن ، وبدأت أختصر فى مشاويرى وأقلل من الخروج بقدر الإمكان نظراً لصعوبة المواصلات فى القاهرة والتى بسببها تمزقت الصلات بين الناس .. وإكتفيت باستعمال التليفون ..

* أستاذ صلاح جاهين : رسام الكاريكاتير السياسى : هل هو صاحب فكر أو رأى سياسى يضعه على الورق بريشته بدلا من قلمه وعلى شكل رسم بدلاً من مقال ؛ أم أنه مجرد منفذ لأفكار تأتيه من الآخرين !؟ ..

- المفروض طبعاً أنه صاحب فكر سياسى .. ومن زمان وأنا أعمل أفكارى لنفسى ، وأحياناً كان رئيس التحرير يترك لى مهمة وضع الأفكار للرسامين الآخـرين أيضاً ..

* هل لرئيس التحرير سلطة أو حق رفض رسومك أحيانا !؟ ..

- له حق الفيتو .. كما قال لى الأستاذ محمد حسنين هيكل حين إشتغلت فى (الأهرام) : أنت حر ترسم أى شئ يعجبك ، ولكن للأهرام حـق الفيتـو .. وكانـت الصحافة وقتها تمر بأزمات رقابية معينة كانت تنعكس على رسوماتى مثلمـا كانـت تنعكس على كل الصحافيين ..

* منذ عدة شهور توقفت عن رسم الكاريكاتير السياسى فـى الأهـرام نحـو أسبوع كامل ، لماذا !؟ ..

- كنت مريضاً ..

* لو كان هناك منع لسبب سياسى هل كنت ستقول ذلك الآن !؟ ..

- لأ .. لأننى – ولا فخر – أحتفظ بينى وبين الناس بشعرة معاوية ..

* لو سألتك : كم يبلغ مرتبك الآن !؟ ..

- فى حدود ٣٠٠ جنيه بعد كل الخصومات والإستقطاعات ..

* لو طلبت منك أن ترتب أحسن خمسة يرسمون الكاريكاتير فى مصر الآن ، أنت – بدون تواضع – من بينهم !؟ ..

- صلاح الليثى ، حجازى ، إيهاب ، بهجت ، صلاح جاهين .. وهناك رسامون كثيرون من نفس مستوانا ..

* لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية كان رسام كاريكاتير رئيسا لتحرير مجلة .. صلاح جاهين حين رأس تحرير مجلة (صباح الخير) منذ عدة سنوات ..

- وجهة النظر منها أو الحكمة فيها لم أستطع تحقيقها ، لذا تركتها وعدت إلى (الأهرام) ولم أستمر فيها أكثر من سنة واحدة .. كان المطلوب أن تكون المجلة كاريكاتيرية كلاماً ورسماً مثل مجلات الكاريكاتير الموجودة فى العالم .. كل دولة فيها مجلة كاريكاتير واحدة على الأقل من الغلاف إلى الغلاف ، حتى الإعلانات كاريكاتير.. وكان عندى أمل أن أحول (صباح الخير) إلى هذه الصورة ، لكن لأسباب مالية خارجة عن إرادتى ومتعلقة بمؤسسة (روزاليوسف) لم أتمكن من تنفيذ تصوراتى ..

* الكاريكاتير المصرى ؛ هل يتميز بشئ !؟ .. هل له طعم أو مذاق خاص !؟

- لا أرى أنه يتميز عن غيره ، بل إن الكاريكاتير فى صحف ومجلات الغرب على مستوى عالٍ ، والسبب في ذلك أن هناك عدداً كبيراً من الرسامين ، والرسام هناك لا بد وأن يتفوق على ٣٠ آخرين لكى يأخذ مكاناً له فى الجريدة أو المجلة .. أما فى البلاد العربية فعدد رسامى الكاريكاتير أصلاً قليل جداً وعلى قدر عدد الصحف والمجلات ، بالإضافة إلى أن مستواهم الفنى متواضع وليس متميزاً ، وفى بعض البلاد الرسام يعمل فى أكثر من صحيفة أو مجلة لقلة عدد الرسامين ..

وليس هناك رسام كاريكاتير معروف بالإسم فى العالم العربى غير إثنين فقط : " بيار صادق " اللبنانى ، وأنا .. وغيرنا يوجد حجازى وصلاح الليثى فى (روزاليوسف) ، وهما معروفان كلون ينتمى إلى إتجاه سياسى معين ، يعنى لهم لون سياسى لكنهمـا لا يرسمان بـ (دم بارد) مثلى أنا وبيار صادق .. أى لا يهمنا الشخص الذى نرسمه .. على إعتبار أننا شهود على عصرنا وعلى المرحلة التى نحن فيها .. وربما بعـد ٥٠ سنة مثلا سوف يفتحون مجلد جريدة (المنار) مثلاً أو (الأهرام) ويقولن إنه حـدث كذا وكذا سنة ١٩٧٨ ..

* الحقيقة أننى رأيت فى أوروبا رسومات تنشر لرسام كاريكاتير ليبى اسمه " زواوى " ؛ رسوماته ممتازة وريشته رائعة معبرة فعلاً وعلى المستوى العالمى فعلاً ..

- أعرفه فعلاً ورأيت رسوماته ، لكنه لو كان يرسم فى صحافة بلد آخر لكان مشهوراً أكثر ..

* * *

* لماذا هوجمت أغنيتاك الشهيرتان (بمبى بمبى) و(يا واد يا تقيل) اللتان غنتهما سعاد حسنى !؟ ..

- (يا واد يا تقيل) هوجمت لأننى كما قلت لك أختار مـن قـاموس اللغـة العربية الواسع كيفما شئت ولا أرتبط بالكلمات التقليدية ، فضايق البعض أننى قلـت (عنده برود أعصاب إسم الله ولا جراح بريطانى) بينما هذا هو التعبير السليم ١٠٠% لأن أبرد الجراحين هم الإنجليز وذلك لا يعتبر إسفافاً كما يقولون .. و(بمبى بمبـى) هوجمت بنفس القدر لأن فيها كلمة (بوسة) مع أن هذه الكلمة بالذات منتشـرة فـى أغانٍ كثيرة : (بلاش تبوسنى فى عينيا دى البوسـة فـى العـين تفـرق) لمحمـد عبدالوهاب مثلاً .. ومهما يكن فالمتزمتون موجودون فى كل المجتمعات وهـم فـى مجتمعنا نحن أكثر شوية .. لقد كتبت مرة أغنية عاطفية إسمها (ولد وبنت) فقـابلنى وقتها أستاذنا أحمد رامى شاعر (الشباب) وكان رئيساً للجنة النصوص وقال لى : " يا صلاح أنا شفت لك غنوة جميلة جداً بس للأسف رفضناها " .. قلت : " ليه !؟ " ..

فقال : " إنت بتتكلم على المكشوف وبتقول (ولد وبنت) مع إن الواحد لما يتكلم عن الحب يا صلاح يقول : الهوى – الوجد – الشجن – القرب – البعد – حبيبى .. لكن يقول (ولد وبنت) كده مرة واحدة ده يبقى تحريض " !! .. هذا كان كلام الأستاذ رامى شاعر (الشباب) .. أنت الآن عايش فى أوروبا وبتسمع أغانى أجنبية وبتجد فيها كلمة (القبلة) طبيعية جداً .. أمال هم الشبان والبنات اللى بيحبوا بعض بيعملوا إيه يعنى .. بيقعدوا يقرأوا الميثاق أو ورقة أكتوبر أو يحللوا بيان ٣٠ مارس .. بيلعبوا شطرنج .. بيحلوا كلمات متقاطعة .. قطعاً بيبوسوا بعض ..

* * *

* لو سألتك – ومن حقك ألا تجاوب – لماذا توقفت عن كتابة الأغنية الوطنية بعد وفاة جمال عبدالناصر !؟ ..

ويرد صلاح جاهين على الفور:

– لأن الأغنيات الوطنية تطلب ويكلف بها المؤلف .. مرة كتبت أغنية وطنية وذهبت بها إلى الإذاعة وقابلت المرحوم الأستاذ " محمد حسن الشجاعى " الذى كان مراقباً للموسيقى والغناء وقلت له : " جايب لك أغنية وطنية " .. فقال لى باستغراب ودهشة : " ليه !؟ " .. قلت وأنا مندهش لدهشته : " لأن الظروف الآن تحتم أغنيات وطنية " .. فقال لى بهدوء شديد : " لم يصدر لنا أمر بعمل أغانى وطنية الآن " !! .. ومازالت المسألة حتى الآن بهذا الشكل ..

* يعنى الأغنية الوطنية (يكلف) بها الشاعر ولا تترك له مسألة الإنفعال بها وحده !؟ .. ومن بعد وفاة عبدالناصر ألم يطلب منك أحد أن تكتب أغنية وطنية فى كل المناسبات التى مرت !؟ ..

– أنا أحيانا أصاب بـ (شلل) أمام الأحداث وقت حدوثها ولا أنفعل بها إلا بعد مرور المناسبة ، أو أشعر بها قبلها .. وكل الأغانى التى عملتها فى الستينيات لعبدالحليم حافظ ولغيره كنت دائما أسبق بها الأحداث ، إذ يكون فى ذهنى تحليل سياسى معين وأعرف أننا سوف نمر بالمشكلة الفلانية فأكتب (ما سيحدث) وليس (

ما يحدث) كنوع من التعبئة الشعبية .. بينما كانت الأغنية الوطنية عـادة : رئـيس الدولة يخطب ويقول كلاماً ، فيجتمع مدير الموسيقى والغناء فـى الإذاعـة بمـؤلفى الأغانى ويقول لهم الموضوع الفلانى والموضوع الفلانى عايزين أغانى فيه ، وكـل واحد منهم يختار جانب من الموضوع الفلانى هذا يكتب فيه أغنيتـه .. وفـى سـنة ١٩٧٣ كان كل مؤلفى الأغانى لا يريدون أن يكتبوا لأنهم كتبوا كثيراً جداً سنة ١٩٦٧ ثم حدثت الهزيمة ؛ فسنة ١٩٧٣ الناس قالت عايزين حرب ومش عايزين أغانى ..

* تجربة صلاح جاهين كممثل ؛ أين توقفت !؟ ..

– لم تتوقف ؛ لأنه حين يجد شئ يحتاج أن أمثله بنفسى أفعل ذلك .. يعنـى حين أجد أن لا أحد سوف يقوم بهذا الدور كما أريده بالضبط أمثله أنا .. وقد حدث فى شهر رمضان منذ عامين أن التليفزيون كان يجهز مسلسلاً يقوم على التحليل النفسـى الحديث وفكروا فى أن يقوم فؤاد المهندس بدور المحلل الذى يكشف عن السر النفسى فى هذا الموضوع ويتدخل فى وسط التمثيلية التى تعرض المشكلة وكان إسمها (لعبة كل الناس) ، وفى آخر لحظة عدل فؤاد المهندس عن القيام بهذا الدور فطلبوا منى أن أقوم أنا به ، لأننى كنت قد كتبت المقدمة الغنائية للمسلسل وعندى فكرة واضحة عنه ، وفعلا قمت بهذا الدور .. ولى فيلم لم يعرض بعد هو (شفيقة ومتولى) مـع سـعاد حسنى أغنى فيه فى مولد فلاحى ، وقد طلب منى على بدرخان مخرج الفيلم أن أقـوم بدور الراوى أيضاً فى الفيلم لأننى أنا الذى كتبت الملحمة ، وكانت وجهة نظره أنه لن يشعر أحد بالكلام المكتوب أحسن من شعورى أنا به ، وقبلت ..

* * *

* هل أنت راضٍ عن نفسك !؟ ..

– أستطيع أن أقول لك أننى لست راضياً عن نفسى فى أى حاجـة .. وذلـك ليس تواضعاً .. لأن الواحد منا يعرف ما هو الأحسن ثم لا يتمكن من عمله .. لكننى فى الوقت نفسه أستطيع أن أقول أننى راضٍ عن نفسى لأننى لست مثل بعض النـاس الذين يريدون إما أن يعملوا (كوفاديس) أو لا يعملوا شيئاً .. أنا – وذلك شئ إستفدته

من عملى كصحفى – لازم أعمل كل يوم وأنتج عملاً كل يوم : النهارده كان شـــغلى وحش بكرة يبقى كويس ..

* هل تسعدك شهرتك كصلاح جاهين !؟ ..

– تسعدنى حين أكون عائداً من أوروبا أو من الخارج بوجه عام ؛ حيث أشعر أن عيون الناس تعرفنى .. فى الخارج الناس لا تعرفنى ، وحين أمشى فى الشارع لا ينظر إلىّ أحد لأننى شخص عادى وغير معروف بالنسبة إليهم ؛ لكن بمجرد أن أصل إلى مصر تبدأ الناس تعرفنى ثانية وتشاور علىّ فى الشارع .. فالحكاية دى بتســعدنى جداً وتجعلنى أشعر أننى قد عدت إلى المياه الإقليمية ..

* * *

* الوالدة طيبة !؟ ..

– آه ..

* نظرتها لإبنها صلاح جاهين !؟ ..

– بتعتبر نفسها نجحت فى تربيتى ..

* ووقت أن قررت أن تعمل رسام كاريكاتير !؟ ..

– كانت معترضة جداً وحدثت زلازل وبراكين فى البيت ، وبكــت وســاقت علىّ الناس لكى يقنعونى بتغيير رأيى .. ففى سنة ١٩٤٨ لم يكن هناك مستقبل للفنان فى مصر .. والوالد قال فى النهاية : " خلاص يتفلق بقى ويروح مطرح ما يروح " !! .. لكن بعد أن أثبت أننى فنان جاد وتغيرت الظروف وأصبح الفنان فى مصر له قيمة وليس مجرد مهرج أو بوهيمى ؛ تغيرت نظرت الوالدة

* والوالد !؟ ..

– توفى وهو مستشار ولم يكن له علاقة بالفن ..

* هل رآك وأنت صلاح جاهين المشهور قبل أن يتوفى !؟ ..

– آه طبعاً ، لأنه توفى منذ ١٢ سنة فقط .. ومن الأشياء الطريفة أنه رقـــى إلى رئيس محكمة فكان عليه أن يقسم يمين القضاة أمـــام الـــرئيس الراحـــل جمـــال

عبدالناصر ، وبعد أن أقسم اليمين قال وزير العدل للرئيس جمـــال عبدالناصــر: " ده يبقى أبوصلاح جاهين " .. فقال عبدالناصر مندهشا : " والله !؟ .. أهلاً وسهلاً أهــلاً وسهلاً " وسلم على والدى مرة أخرى .. فعاد والدى إلى البيت ليشتمنى ويقول لى : " يا ابن الـــ ... بقى على آخر الزمن أنا اللى أتعرف بيك مش إنت اللى تتعرف بيا " .. لكنه كان سعيداً قطعاً ..

* أولادك !؟ ..

– " بهاء " عمره ٢١ سنة وطالب فى السنة النهائية فى كلية الاداب قسم اللغة الإنجليزية ويناضل لكى يتفوق فى التخرج ليكون معيداً ويسافر فى بعثة ، وهو يهوى الأدب وعنده حاسة النقد وموهبة الشعر .. و" أمينة " عمرها ١٩ سنة وطالبـــة فـــى الثانوية العامة .. وفيها جموح الفنانين ، يعنى بداخلها فنان غير محدد وعنـــدها إرادة وشخصية وفكر وفيها حاجة مغناطيسية ، لكنها لا تعمل شيئا فنياً أبداً غير أنها بتعزف على البيانو على الأصول الأكاديمية ، يعنى مش بصباع واحد ..

* * *

* لو جاءك بهاء وقال لك " أنا باحب " ؛ فماذا تقول له !؟ ..

– أقول له طيب .. يعنى حا أقول له إيه !؟ ..

* ولو جاءتك أمينة وقالت لك " أنا باحب " تقول لها إيه !؟ ..

– حصل فعلاً .. وجاءت معها بالولد نفسه اللى بتحبه ، قعدت إتكلمت معـــاه ووجدته ولد لطيف وكويس وراجل .. وإن كان من ناحية الموهبة الفنية هـــى تفوقـــه بمراحل ..

* جاءت به إليك على أساس أنه (حبيب) أم (صديق) أم (مشروع زواج) !؟ ..

– لا لا .. فكرة الزواج دى لسه بعيدة جداً .. كصديق فقط ..

* * *

* الملاحظ أنه تربطك بسعاد حسنى علاقة ما فنية من بعد فيلم (خلى بالك من زوزو) ..

– كانت العلاقة موجودة من قبل كصديقة .. يعنى كنت أقدر سعاد حسنى وهى تقدرنى ، والتقينا فى عدة مناسبات وأصبحنا أصدقاء ونتبادل الحديث فى التليفون حين يقدم أى منا عملاً فنياً جيداً ، كنا نتبادل الآراء .. ثم جاء فيلم (خلى بالك من زوزو) بالصدفة تماماً فأصبح بيننا رباط وثيق هى حريصة جداً عليه .. يعنى أنا أحيانا ينتابنى الملل وأقول : " خلاص مش عامل حاجة تانى " ، فهى أيضا تكف عن العمل ونقعد بدون شغل لأنها حين تؤمن بإنسان فهى تؤمن به جداً .. يعنى مثلاً هى تعتقد أن كمال الطويل هو أحسن واحد يلحن لها ؛ فيسافر كمال الطويل ويعود ويمرض ويخف وهى قاعدة فى انتظاره وترفض أن يلحن لها أى حد غيره حتى لو تعطلت الأغنية .. ونفس الحال بالنسبة لى معها ..

* هناك كلام يقال عن أنك مستشارها الفنى ، هل هذا صحيح !؟ ..

– لست مستشارها الفنى ؛ لكن بصفتى أقدم منها فى الحقل الفنى وأعرف أشياء كثيرة عنه لا تعرفها هى ؛ فنتكلم ونأخذ رأى بعض فى المسائل المتعلقة بها ، مثلى فى ذلك ناس آخرين .. لكن بعض الناس يحبون المبالغة وتجسيم الأمور .. وهى تستريح مثلاً حين أكتب لها أغانيها .. وماذا أريد أنا أكثر من أن تكون ثانى أكبر ممثلة – لأننى وسعاد حسنى نحب فاتن حمامة ونعتبرها الممثلة الأولى أو أكبر ممثلة فى مصر – والواحد لازم يعطى للناس حقوقهم ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد٢٨ – بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٧٨

توفى صلاح جاهين فى ٢١ أبريل ١٩٨٦

سواق أوتوبيس ما أعرفوش ، خلانى عيطت !! ..

٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦٢ .. كنت ألتقى بعمر الشريف لأول مرة بعد عودته إلى مصر بعد غيبته الطويلة فى هوليوود ثم فى لندن .. أنا وعمر أصدقاء منذ بداية عملى الصحفى .. كان عمر يبدو وكأنه (واحشه الكلام بالعربى) ؛ فبمجرد أن جلسنا فـــى شقته فى عمارة (ليبون) فى الزمالك وتركتنا فاتن حمامة وحدنا ، وقبل أن أفتح فمى بكلمة واحدة ؛ فتح عمر فمه ولم يقفله حتى قال كل ما فى داخله وأراد أن يفضفض به

رجعت مصر بقى لى كام يوم ، بعد ١٨ شهر بعيد عنها .. مش عارف المدة دى مرت علىّ إزاى .. ولولا إن فاتن جت لى هناك ٣ مرات وقضت معايا فتـــرات طويلة .. ده من ناحية .. ومن ناحية تانية كان كل شهر دايماً فيه فى لندن حـــد مـــن إخواننا الفنانين المصريين بيبقى موجود .. عبد الحليم حافظ بييجى .. أحمد فؤاد حسن بييجى .. عبد الوهاب والشلة بييجوا .. حلمى رفلة .. عاطف سالم .. آهو حـــد مـــن مصر والسلام يبقى موجود يصبرنى على بعادى عن مصر ..

وفى الأيام الأخيرة لى فى لندن كنت تعبان أوى .. مش تعبان صحياً ؛ لكـــن تعبان نفسياً .. تعبان من الحنين والشوق لمصر ، ولناس مصر ، ولشوارع مصـــر ، ومبانى مصر ، والأهل والأصحاب والأصدقاء اللى فى مصر .. الشوق والحنين حتى لجو مصر نفسه .. وكان بدى أرجع بفروغ صبر إمبارح قبل النهاردة ، والنهاردة قبل

بكرة .. قعدت أفكر : طيب ليه الحنين ده كله !؟ .. ما أنا عايش كويس آهه ٢٤ قيراط ، فى بلاد جميلة برضه كان نفسى من زمان أشوفها .. وباحقق حلم من أحلامى وهو أن الممثل المصرى يخرج إلى نطاق السينما العالمية .. وإتعرفت على ناس كويسين .. مالها بأه مصر !؟ .. إيه اللى فيها أكتر من كده !؟ .. أبداً .. دى مصر فيها حاجة مهمة جداً أكتر من كده .. مصر فيها حب ، فيها عاطفة وتعاطف .. ناس بلدنا عاطفيين وبيتعاملوا بالعاطفة أكتر من الرسميات .. يتقابلوا بالسلامات والتحيات وياخدوا بعض بالحضن .. وإن شالله يكون حتى واحد ما تعرفوش وما يعرفكش قبل كده وتقعدوا مع بعض ٥ دقايق ؛ حالاً تبقوا أصحاب كأنكم تعرفوا بعض من ٢٠ سنة .. لكن فى أوروبا اللى بيربط الناس هو الشغل ، والشغل وبس .. ناس رسميين جداً ، والتعامل معهم رسمى على الآخر .. الشغل هو المهم ، والعلاقات على قد الشغل .. وبعد كده سعيدة سعيدة ما يدورش عليك ولا يسأل عنك .. هناك لو واحد صاحبه عيى ما يروحش يزوره ، يبعت له ورد .. لكن يزوره ليه !؟ .. تلاقى المستشفيات هناك هس هس ترمى الإبرة ترن .. واللطيف إن فى مستشفيات لندن إذا سمعت حد بيتكلم بصوت عالى أو بيضحك بصوت عالى تعرف على طول إنه عربى .. ما تسمعشى هناك غير الكلام العربى .. كنت دايماً فى الفترة اللى أنا فيها فى لندن أدور ألِف على المستشفيات أدور على إخواننا المصريين والعرب اللى بيتعالجوا هناك ؛ أزورهم وأقعد معاهم .. ونبقى فاتحين الأوض على بعض ونخرج من عند ده نروح لده ونبقى إحنا يا مصريين عاملين حركة فى المستشفى كلها .. وده ليه !؟ .. لأننا إحنا عندنا عاطفة وحب وتعاطف وودِ أكتر كتير من الأجانب ..

تانى يوم ما رجعت مصر ركبت عربيتى ونزلت ألِف فى الشوارع .. كنت ماشى عل مهلى علشان أملا عينيا من المناظر اللى اتحرمت منها سنة ونص .. سواق أوتوبيس شافنى كسر عليا وهدا وشاور لى بإيده وزعق بعلو حسه : " حمد لله بالسلامة يا أستاذ عمر .. وحشتنا خالص والله العظيم .. مصر نورت " .. وركن الأوتوبيس ونزل سلم عليا ورجع تانى ساق ومشى .. لكن أنا بعدها ما قدرتش أمشى لأنى عيطت وعينيا إتملت دموع .. عيطت زى العيال الصغيرين كأنى طفل تايه عن أمه وبعدين لقاها فجأة ..



تانى حاجة الجو فى بلدنا غير عادى .. الواحد مش عارف يقول فيه إيـه .. جو نموذجى مش موجود فى أى مكان فى العالم .. لو كان الواحد منا عمله بإيده واختاره بنفسه على مزاجه وزى ما يعجبه مكانشى ممكن يبقى أحسن من كده ابداً .. عندنا الشمس صيف وشتا ما بتغيبشى أبداً .. عندنا شتاء رائع وصيف ممتاز .. لا الشتاء فيه تلج ورياح وعواصف ؛ ولا الصيف فيه الحر الشنيع اللى يهلك .. فى لندن فى عز أغسطس المطرة ما تبطلشى يوم ، ولغاية ما جيت مصر كنت بالبس بدله كاملة وبولوفر وجيرسى وفوقيهم كمان بالطو .. أما الشتا بقى فدى الحاجة اللى مش معقولة .. التلج ده كل يوم .. وتلج شنيع مش محتمل .. ولما الشمس تطلع لها يوم فى الصيف ٥ دقايق الناس تسيب شغلها وتجرى فى الشوارع بالهدوم الصيفى الخفيفة .. آل يعنى كده صيفوا ..



الحياة هنا فى مصر سهلة ورخيصة ؛ والواحد يقدر يعيش بــأى فلــوس .. وبرضه حا يلاقى حد يخدمه .. خدام والا خدامة بجنيه والا باتنين والا حتى بتلاتة .. لكن هناك مستوى الحياة مرتفع جداً .. كنت بآخد ٩٠ جنيه إسترلينى فــى الأســبوع بينصرفوا كلهم .. ومع ذلك عايش فى مستوى عادى جداً .. كمــان هنــاك حكايــة الخدامين دى أسطورة .. مفيش خدامين ابداً إلا عند الناس الأغنياء جداً ..

المهم ؛ زمان كنت باستعجب جداً لما أسمع حكاية إن اللى يشرب مــن ميــة النيل لازم يرجع له تانى .. لكن دلوقتى أنا مقتنع بيها تمام .. مش بس كده ؛ ده بــإن اللى يشوف مصر ويعيش فيها ولو يومين تلاتة ؛ لازم يرجع لها تانى .. والأكتر من كده إنى عرفت ليه أهل زمان كانوا بيقولوا عليها : مصر.. أم الدنيا ..

نشر فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) – العدد ١٧١٦ – بتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٦٨ ..

طنط لولو ..
بين مصر وأمريكا ..

لبنى عبد العزيز ؛ تلقت تعليمها العالى فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة وتخرجت فيها عام ١٩٥٤ .. وفازت فى خلال دراستها بلقب (الفتاة المثالية للجامعة الأمريكية) .. وكانت تشترك فى كل حفلات الجامعة الأمريكية وهى طالبة .. وسافرت بعد تخرجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال دراستها الفنية فى هوليوود حيث قضت هناك عامين حصلت خلالهما على درجة الماجستير فى الدراما من جامعة كاليفورنيا فى لوس أنجيلوس .. وعادت من أمريكا لتحتل مكانتها على الشاشة المصرية ، وشقت طريقها إلى القمة بسرعة بعد أن مثلت فيلمها الأول (الوسادة الخالية) أمام عبد الحليم حافظ ، ومثلت بعده فيلمين فقط هما (هذا هو الحب) و(أنا حرة) ..

لبنى بالإضافة إلى ذلك تعمل كمخرجة فى إذاعة القاهرة وتقوم بتقديم ركن الأطفال فى البرنامج الأوروبى باللغة الإنجليزية بإسم (طنط لولو) ..

* * *

* درست التمثيل المسرحى فى أمريكا ؛ فهل وجدت إختلافاً كبيراً بين التمثيل كما درستيه والتمثيل كما تقومين به فى مصر الآن !؟ ..

- الفرق بين التمثيل المسرحى والتمثيل فى السينما : فى المسرح الممثل أو الممثلة تندمج إندماجاً كلياً فى دورها لأنها تقوم به بالترتيب والتسلسل كما فى الرواية الأصلية ، وتجد من جمهور المتفرجين تشجيعاً لها على زيادة الإتقان وعلى معرفة ما يعجبه وما لا يعجبه .. أما فى السينما فهى تمثل المشاهد متقطعة بدون ترتيب : مشهد من أول الفيلم ومشهد من آخره ومشهد من المنتصف ، لذا فهى لا تستطيع أن تنـــدمج فى دورها .. كما أنها أحياناً تمثل أنها تتكلم مع أحد زملائها الممثلين فى حين لا يكون واقفاً أمامها أحد فهى تتكلم مع نفسها .. مفروض أنها تنظر من نافذة ما لتراقب شــيئاً ما أو تنظر على شخصٍ ما ، لكنها لا ترى شيئاً سوى أســلاك الكهربـــاء الممـــدودة والفراغ المحيط بالبلاتوه .. وعموماً ممثلة المسرح لو مثلت فى السينما تكون تفوقة ، وليس ذلك شرطاً فى ممثلة السينما ..

* مرة أخرى : لقد درستِ التمثيل المسرحى فى أمريكا ؛ فلماذا لم تمثلى على المسرح فى مصر !؟ ..

- أولاً أنا مثلت على امسرح فى مصر قبل سفرى إلى أمريكا عنـــدما كنـــت طالبة فى الجامعة الأمريكية ؛ لكن بعد عودتى من أمريكا لم تسنح لى هذه الفرصة من جهة ، ومن جهة أخرى فإن اللون المسرحى الذى أحب أن أؤديه لا يمثل فى مصـــر الآن .. كما أن تيار السينما قد إجتذبنى بحيث لم يعد لدى وقت لأمثل على المسرح .. من ناحية ثالثة فهذه مسألة (سمة ونصيب) ، وقد يأتى هذا النصيب مستقبلاً ، فالأيم والسنوات أماى لازالت طويلة ، ومين عارف ..

* شاهدتِ فى أريكا كيف تصنع السينما هناك ؛ وشاهدتِ كيف يصنع الفـــيلم العربى فى مصر .. هل صحيح ما يقال من أننا نعتبر أحسن منهم قياساً على إمكانياتنا المحدودة ، وأننا لو أعطينا إمكانياتهم لتفوقنا عليهم !؟ ..



– كمواطنة عربية ، كمصرية ؛ كنت أحب أن أوافق على هذا الكلام .. لكن لو نظرنا إلى الأمور بنظرة صريحة وواقعية لوجدنا أننا لم نصلبعد إلى مستوى الفيلم الأمريكى ، وأمامنا ١٠ سنوات أخرى من الجهد المتصل والعمل المتواصل حتى نصل إلى مستواهم ..

نشر فى مجلة (العالم العربى) القاهرية – العدد ١٧٠ – يونيو ١٩٥٩ ..

العم عبدالوارث عسر ..

ليس من رأى كمن سمع .. وإذا كان جيلنا قد (سمع) عـن جيـل الفنـانين القدماء العظام أمثال ألمظ وعبده الحامولى وسلامة حجازى وسـيد درويـش وكامـل الخلعى ويعقوب صنوع ومنيرة المهدية ومحمد عثمان وجورج أبيض وعزيـز عيـد وعمر وصفى وعبد الرحمن رشدى وغيرهم ؛ إذا كان جيلنا قد (سمع) فقـط عـن هؤلاء العباقرة العمالقة دون أن يشهدهم أو يسمعهم شخصياً ؛ فإن جيلنا أيضاً قد لحق بجيل العمالقة الذين جاءوا بعدهم ، فسمعنا وشهدنا أم كلثوم وعبدالوهاب ويوسف وهبى ونجيب الريحانى وحسين رياض ومنسى فهمى وزكريا أحمد ورياض السنباطى وبيرم التونسى وأحمد رامى وأحمد علام ومحمد القصبجى وغيرهم .. وإن كان هؤلاء كذلك قد بدأوا منذ سنوات فى الغياب واحداً بعد آخر حتى لم يبق من جيل العمالقة الأخيـر هذا إلا أقل القليل .. ومن بين (أقل القليل) هذا : عبدالوارث عسر .. الذى كان لـى معه هذا اللقاء ..

* أستاذ عبد الوارث عسر .. أنت تنتمى إلى جيل من الفنانين العمالقة لم يأت بعده عمالقة آخرون يعوضون من يذهب منه ، لماذا !؟ ..

– فى اعتقادى ذلك ليس أكثر من مسألة دورة من دورات الزمن .. إذ يحدث فى وقت ما أن يتواجد إنسان عبقرى أو إنسان ممتاز ، لكن ليس من المحتم أن يوجـد مثل هذا الإنسان دائماً .. ففى الفن مثلاً ظهرت فى وقت أم كلثوم كمطربة ، وأمامنـا

وقت طويل قبل أن يجود علينا الله بشخصية فنية ممتازة مثلها .. فى الماضى وجــدت شخصيات فنية أيضاً مثل الشيخ سلامة حجازى كان فنانا ممتازاً ، وجورج أبيض كان فناناً ممتازاً .. ثم يجئ وقت لا يوجد فيه فنانون ممتازون ، ووقت آخــر تعــود فيــه الشخصيات الممتازة إلى الظهور مرة أخرى .. نحن شعب فنان والفن نشأ عندنا هنــا فى مصر ، من الفن التمثيلى والتشكيلى إلى الفن الموسيقى ، وقبل أن يعرف الإغريق فن التمثيل عرفناه نحن هنا فى مصر ، وعملنا تمثيليات يحكى لنا عنها التاريخ .. مثلنا القصة المقدسة التى هى قصة (أوزيريس وست) فى المعابد والهياكل فــى العصــر الفرعونى قبل أن يعرف الإغريق ما هو فن التمثيل .. وجاء إلــى مصــر المــؤرخ العالمى المعروف " هيرودوت " ، وهو إغريقى ، قام برحلة كبيرة وكانت مصر مــن بين البلاد التى زارها وبقى هنا على أرضنا ست ســنوات شــهد خلالهــا تمثيليــة (أوزيريس وست) تمثل فى فناء أحد الهياكل ، وقد استطاع أن يــدخل الهيكــل ســراً بمساعدة أحد أصدقائه الكهنة الشبان ، لأن كبار الكهنة كانوا يمنعون حضــور هــذه التمثيليات إلا على أفراد الطبقة المتميزة .. شهد " هيرودوت " هذه التمثيلية ووصــفها وصفاً مفصلاً أخذه عنه الكاتب الألمانى المعروف " جورج ريفرز " الذى إهتم بالتاريخ المصرى كثيراً وله مجموعات من (البردى) بإسمه وأقام فى مصــر نحــو عشــر سنوات قضاها كلها فى الأقصر التى هى فى مكان (طيبة) العاصمة المصرية القديمة ، وخلال إقامته كتب قصتين الأولى إسمها (وردة) والثانية (الأميــرة المصــرية) ترجمها عنه الكاتب المصرى القديم المرحوم محمد مسعود ونشرتا فى مصر وقرأهــا كل شباب جيلى وأنا منهم .. وفى قصة (وردة) يصف عملية تمثيل القصة المقدســة داخل المعابد ..

خلاصة القول أننا هنا فى مصر أول من عرف فن التمثيل فى العالم كلــه ، والشعب المصرى شعب فنان بطبيعته ، وأن تمر فترة لا يظهر فيها فنــانون عظــام وكبار ليس معناه أن الفن فى بلدنا قد إنتهى وإندثر ؛ إنما هى فقط مرحلة زمنية ، مد وجزر ، قد ينحسر البحر لفترة ولمسافة لكنه يعود فيعلو ويفيض ويزيد مــرة أخــرى بإذن الله ، وهذه هى سنة الحياة منذ بدء الخليقة ..



* شهدناك كممثل تراجيدى كبير ، وشهدناك أيضا كممثل كوميدى عظيم ، وأدوارك فى أفلام (يوم سعيد) و(ممنوع الحب) وفى مسرحية (السكرتير الفنى) كانت أدواراً كوميدية فى غاية الظرف ولا تنساها لك الناس أبداً .. هل صحيح أن الممثل يستطيع أن يمثل أى دور !؟ ..

– المفروض أنه يستطيع أن يقوم بكل الأدوار وكل ألوان التمثيل متى استجابت له الحالة الجسمية عنده .. لأن الوجه المعبر يخلق معبراً ، وحين يكون جلد الوجه مشدوداً فإنه لا يعبر ، وحين تكون العينان ليس فيهما تعبير فذلك يكون قدر صاحبهما ، وليست المسألة بيده ولا بأمره ، فالممثل إن لم يولد ويخلق ممثلاً فهو لن يستطيع أن يكون ممثلاً مهما حاول ..

* إذن: هل يظل الممثل الكوميدى كوميدياً طوال عمره والممثل التراجيدى تراجيدياً طول عمره !؟ ..

– الممثل يجب أن يؤدى كل الألوان .. وإن لم يكن قادراً على أن يمثل الشخصية الإنسانية فى مختلف أوضاعها ومختلف مشاعرها وتأثراتها ، يكون ناقصاً كممثل ..

* والجمهور هل يتقبل من الممثل التغيير !؟ .. هل ممكن أن يتقبل الجمهور الآن من فؤاد المهندس أن يمثل دورا تراجيدياً من أول المسرحية لآخرها أو من أول الفيلم لآخره ؛ بعد أن إنطبعت صورة فؤاد المهندس فى ذهن الجمهور كممثل كوميدى .. ؟!

– إذا استطاع فؤاد المهندس أن يقوم بالدور التراجيدى كما يجب أن يكون وأن تعطى مشاعره وإحساساته وتعبيرات وجهه وحركاته المعانى بالكامل ؛ فإننى لا أشك فى أن الجمهور سوف يتأثر به ويبكى ..

* هل رأيت تجربة محمد صبحى حين مثل (هاملت) !؟ .. هل كان ممكناً أن يتقبل الناس محمد صبحى فى شخصية (هاملت) المأساوية بعد أن شهدوه فى (إنتهى الدرس يا غبى) و(على بيه مظهر) !؟ ..

– إذا أداه أداء كاملاً صحيحاً واستطاع أن يفهم الشخصية على حقيقتها واستجاب له وجهه وعيناه ؛ فالجمهور سيتأثر به لا محالة ..

* من من الممثلين التراجيديين مثل أدواراً كوميدية ، ومن من الكوميديين مثل أدواراً تراجيدية .. يعنى هل حدث أن مثل جورج أبيض مثلاً أدواراً كوميدية ، ومثل حسن فايق دوراً تراجيدياً !؟ ..

– لا هذا ولا ذاك .. لكن عندك أنا مثلاً : مثلت دراما فالناس بكت ، ومثلت كوميديا والناس ضحكت ، ومثلت دور الرجل الطيب البسيط ودور الرجل الشرير الذى يكرهه الجمهور ، ونجحت فيها جميعها والناس خرجت مقتنعة بما قدمته لها .. وأعتقد أننى لو كنت قد قصرت لما كان الناس سيتأثرون بى أو يتجاوبون معى على الإطلاق

* * *

* معهد التمثيل : هل هو قادر على أن يخلق ممثلاً !؟ ..

– لا يمكن للدراسة أن تخلق ممثلاً إن لم يكن هو مخلوقاً من الأصل ممثلاً .. فإذا خلق ممثلاً كانت الدراسة صقلاً فقط لمواهبه ، وإذا لم تكن الموهبة موجودة فإن

الدراسة لا تفيد بشئ على الإطلاق .. وكما قلت فى كتابى (فن الإلقاء) من الممكن أن يدرس شخص ما (علم العروض) أى نظم الشعر لكن لا يمكن أبـدا أن يكـون شاعراً إلا إذا كان هذا الدارس شاعراً بطبيعته ، خلق شاعراً والشاعرية جزء من نفسه وتركيبه ، أما إذا لم يكن كذلك فلن يكون شاعراً أبداً .. فى (ألفيه ابن مالك) وهـى تدرس فى الجامعة الأزهرية لكى تسهل على الطالب الحفظ لأن الكلام المنظوم أسهل فى الحفظ من الكلام المنثور .. فهل أستطيع أن أسمى (ألفية بن مالك) شـعراً !؟ .. مش ممكن .. إسمع مثلاً ماذا يقول حين يتكلم عن (جمع التكسير) : (فـى السـفن الشهب البغاة صور ، مرضى القلوب والبحار عبر) .. فأتى أو وضع صيغ (جمـع التكسير) كلها فى ذلك البيت ، لكن هل أستطيع أن أسمى ذلك البيت شعراً وهو لـيس فيه مذاق الشعر ولا حلاوة الشعر ولا معنى ولا دفء الشعر ، رغم أن النظم صحيح وليس فيه ثغرة أبداً ..

* هل تتفق وجهة النظر هذه مع مبدأ قبول الطالب فى معهد السـينما وفـى معهد الفنون المسرحية بمجرد (المجموع) ؛ يعنى بصرف النظر عما إذا كان عنـده موهبة أو لا ..

– غلط بطبيعة الحال .. أتذكر حين أنشئ المعهد العالى للسينما فـى مصـر عين المرحوم محمد كريم عميداً له ، وكنا دائماً نعمل معاً وطلب منـى أن أعاونـه ، فاتفقنا على أن أقوم بتدريس مادة (فن الإلقاء) لطلبة المعهد ، وكان إختبـار القبـول يراعى فيه مدى إستعداد الطالب لدراسة السينما وليس أكثر .. كنا نطلب من المتقدم أن يتكلم أمام اللجنة وكانت اللجنة تنصت إليه وتحكم عليه من مجرد طريقته فى الكلام .. فإذا كان على شئ من الإستعداد لدراسة فن السينما قبلته اللجنة ، والا فترفض قبولـه لإنه إذا لم يكن لديه الموهبة فتكون دراسته للسينما إذن مضيعة لوقته هـو ومضـيعة لفرصة طالب آخر لديه الموهبة والإستعداد ، ومهما كان مجموعه عالياً ولكن الموهبة تنقصه فإن الدراسة لا يمكن أن تغرس فيه هذه الموهبة ..

* * *

* ما هو تاريخ ميلادك !؟ ..

– ١٧ سبتمبر عام ١٨٩٤ .. وعندى مظروف قديم فيه كل أوراقى مكتوب عليه بخط المرحوم والدى (١٨٩٤/٩/١٧ الموافق ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣١٢ هجرية الساعة الحادية عشرة عربى نهاراً) .. والساعة الحادية عشرة (عربى) توافق الساعة الخامسة بعد الظهر بالتوقيت العادى ؛ لأن الساعة العربية تضبط ١٢ تماماً على غروب الشمس ، يعنى على وقت المغرب بالضبط ؛ إذن الساعة الحادية عشرة يعنى قبل المغرب بساعة .. وعمرى الآن ٨٣ سنة ونصف بالضبط ..

* بسنواتك الـ٨٣ ونصف لم نرك تمثل دور شاب لا فى السينما ولا فى المسرح منذ أن بدأت التمثيل .. يعنى منذ ٤٥ سنة ونحن نراك فى دور الرجل العجوز ، لماذا !؟ ..

– أولاً أنا بدأت أعمل فى المسرح سنة ١٩١٧ ، يعنى منذ أكثر من ٦٠ سنة وكان عمرى وقتها ٢٣ سنة ، ومن يومها وأنا أقوم بأدوار الكبار فى السن والعواجيز .. وهذه كانت فكرة أستاذى رحمه الله الممثل القديم " عمر وصفى " .. كنت قد بدأت التمثيل مع فرقة جورج أبيض ، لكننى لاحظت أن التراجيديا التى يمثلها أستاذنا جورج أبيض لا تتلاءم مع طبيعتى الفنية وان الدراما والكوميديا أقرب إلى نفسى .. وفى ذلك الوقت أنشئت فرقة عبدالرحمن رشدى لتقديم الدراما والكوميديا ؛ فانتقلت إليها ، وكان أستاذنا عمر وصفى هو المدير الفنى للفرقة ، فوجدته يتنازل لى عن أدواره هو فى المسرحيات ، وهى عادة أدوار كبار السن .. ويقول لى : " جهز نفسك لدور كذا فى مسرحية كذا " .. فأقول له : " حاضر يا أستاذ " .. ودور ثان ودور ثالث ، حتى وجدت أن المسألة سوف تستمر هكذا فى أدوار العواجيز فقلت له : " جرى إيه يا أستاذ عمر ، ده أنا عمرى ٢٣ سنة ، متى إذن سأمثل أدوار الشباب !؟ .. فضحك وقال لى : " يا عبيط هو اللى بيمثل أدوار الشباب فى جميع المسرحيات بيعمل إيه !؟ .. فيه حاجة بيعملها غير أنه بيمثل أدوار الحب !؟ .. قلت له : " صحيح " .. قال : " إنما اللون اللى أنا أعطيه لك فيه كل العواطف الإنسانية .. خليك فى هذا الدور وبكره

حافكرك " .. فاقتنعت برأيه ، خصوصاً بعد أن قمت بدور كوميـدى فـى مسـرحية مترجمة عن الفرنسية إسمها (٣٠ يوم فى السجن) ، وهى غير مسرحية الريحـانى الشهيرة (٣٠ يوم فى السجن) وكنا قد ترجمناها عن الفرنسية واحتفظنا لها بطابعهـا وجوها الفرنسى ونمثل فيها الشخصيات بأسمائها الفرنسية كما هـى فـى المسـرحية الأصلية .. وكان دورى فيها كوميدياً لكنه جاد جداً ، الجد اللى يضحك ، وهـو دور قاضٍ مشهور بالقسوة الشديدة ، يعنى المتهم الذى يحاكم أمامه يحكم عليه بالإعدام على الأقل ، وهو مختلط بإحدى العائلات بعد أن توفيت زوجته ، وفى هذه العائلـة سـيدة توفى زوجها والقاضى والسيدة عجوزان ويدخلان فى مشروع غرام وعواطـف مـع بعضهما فى منتهى الجد والناس فطسانين من الضحك .. وحدث أن جـاءت فرقـة (كوكلان) الفرنسية الشهيرة لتقدم موسماً فى مصر ضمن موسم الفرق الأجنبية الـذى كان يقام كل سنة على مسرح دار الأوبرا ؛ فتفرجوا علينا ونحن نقدم هذه المسرحية ، ففوجئت بمسيو " كوكلان " شخصياً يصعد إلى المسرح بعد إنتهاء الفصل الثانى لكـى يهنئنى على إجادة تمثيلى لدور القاضى .. وكان تقدير مسيو " كوكلان " وهو ممثـل عظيم حافزاً لى على إقناعى بالإستمرار فى هذا اللون ، لون العواجيز ، فبقيت عليـه حتى اليوم .. وكان ذلك منذ عام ١٩٢٠ ..

* مادمنا قد عدنا إلى الوراء بهذا القدر ؛ فلا بأس من أن نعرف كيف كـان الممثل يبدأ علاقته بالتمثيل زمان .. أنت مثلاً ، كيف بدأت التمثيل !؟

– زمان كان الواحد يشعر فى نفسه أنه قادر على التمثيل فيتقدم لإحدى الفرق المسرحية ويعطونه دوراً أو أدواراً .. وقد ينجح فيستمر أو لا ينجح فيتوقف .. أما أنا فكانت ظروفى مختلفة قليلاً ، فقد نشأت نشأة أدبية ، والدراسات التى درسـتها وأنـا طالب ثانوى فى مدرسة (الالهامية) بالحلمية الجديدة فى القاهرة ؛ كانـت دراسـات موسعة جداً فى الأدب العربى وفى التاريخ العربى ، وكنت أشعر بأن عنـدى فطـرة أدبية لأننى كنت أنظم الشعر الذى ما أزال أنظمه حتى الآن .. وكنت شـغوفاً أيضـا بالتاريخ الفرعونى وكتابة القصة .. وبعد فترة تحولت هذه الهوايات عندى من المقالة

والقصيدة والخطب إلى الرواية والمسرح .. وبدون أى تردد ذهبت وقابلت المرحــوم جورج أبيض الذى كان عائداً من أوروبا وكون فرقتــه المســرحية ، وكنــت أشــهد مسرحياته وأتابعه باستمرار وذلك ما جعلنى أفكر فى عرض نفسى عليــه كممثــل .. فتقدمت إليه وكان يجلس على باب المسرح وكلمته عن هواياتى الأدبية وأننى أكتــب القصص وأنظم الشعر وأننى أتصور أن المسرح هو مجالى وأننى قد أنجح فيه ؛ فإذا كنت توافق على أن تلحقنى بفرقتك فإننى سأكون متطوعاً بلا أجر .. فنظر إلىّ قلــيلاً ثم قال لى : " تعالى " .. وصعد بى إلى غرف الإستراحة فى المسرح وقــال لـــى : " سمعنى حاجة من المحفوظات بتاعتك " .. فألقيت عليه خطبة " الحجاج بن يوســف " يوم دخل على والى العراق موفداً من قبل " عبدالملك بن مــروان " ، وهـــى خطبـــة مشهورة فى الأدب العربى وكنا نحفظها كنموذج من نماذج البلاغة العربية العظيمة .. وبعد إلقاء الخطبة هز رأسه وأخذنى من يدى دون أن يتكلم ونزلنا معاً إلى المســرح حيث كان الممثلون يستعدون لبدء البروفات فقدمنى إليهم وقال لهــم : " بأقــدم لكــم عبدالوارث عسر عضو جديد فى الفرقة معانا " .. ومــن وقتهــا إشــتغلت معــاه .. وخدمتنى الظروف بعد أن إلتحقت بالفرقة بـــ ١٥ يوماً فقط ، وكنت أذهب كل يوم إلى المسرح لأحضر بروفات المسرحية الجديدة التى تستعد الفرقة لتقديمها ، وطبعاً لم يكن لى دور فيها ، فكنت أقف على المسرح ككومبارس .. وذات ليلة كانت الفرقة ســتقدم حفلتها على مسرح الأوبرا ويحضرها السلطان فؤاد .. كان ذلك عــام ١٩١٧ وكــان السلطان فؤاد قد تولى العرش حديثاً بعد وفاة السلطان حسين كامل .. وفجأة جاء خبر بأن أحد الممثلين مريض ولا يستطيع مغادرة بيته ولن يشترك فى التمثيــل الليلـــة .. فارتبكت الفرقة إذ لم يكن لديها إحتياطى من الممثلين وكل ممثل فيها ومعه دوره فـــى المسرحية .. يعملوا إيه يسسووا إيه !؟ .. وكان الممثل القديم المرحوم منسى فهمـــى يجلس إلى جوارى فمال علىّ وقال لى : " إنت اللى حاتمثل الدور ده الليلـــة " .. فلـــم أتردد وقلت له : " موافق .. بس على شرط تقعد معايا تشرح لى الدور وتفهمه لى من الآن لغاية ميعاد المسرح بالليل " .. فقال : " موافق " .. وفعلاً عملنا ذلك ، وفى نفس

الليلة مثلت الدور ونجحت فيه وكتبت الصحف الفنية فى اليوم التالى أن ممثلاً جديداً ملتحقاً بالفرقة منذ ١٥ يوماً فقط ومثل دوراً مهماً ونجح فيه .. ومن وقتها بدأت تسند إلىّ أدوار فى المسرحيات التراجيدية التى تقدمها الفرقة مثل مسرحية (أوديب) .. وكان عبدالرحمن رشدى المحامى عضواً فى الفرقة ، ثم إستأذن الأستاذ جورج أبيض فى أن ينفصل ويكون فرقة جديدة وحده ليقدم بها دراما وكوميديات ؛ فشعرت أن ذلك المجال سيكون أكثر توافقاً مع ميولى ، فاستأذنت أنا أيضاً من أستاذنا جورج أبيض وشرحت له وجهة نظرى فوافقنى عليها وقال لى : " روح معاه لكن لا تنقطع عنا ، أنا أحب أشوفك دايماً " .. وفعلاً ظلت الصداقة بيننا إلى آخر لحظة فى حياته رحمة الله عليه .

* * *

* هل من الممكن أن تصنع الدعاية ممثلاً كبيراً !؟ ..

– مستحيل .. إعمل إعلانات زى ما يعجبك وإكتب أسماء بالخط العريض وبالخط الطويل والخط التخين والخط الرفيع وطنطن وقول زى ما أنت عايز ، الجمهور فى الآخر هو اللى حاييجى يتفرج ويشوف ، لو أعجبته حا يعتمدنى كممثل كويس ، أما إذا لم أعجب الجمهور فمش ممكن حا يرجع لى تانى .. والممثل يساوى ايه بدون جمهور ..

* من هو ، في تقديرك الممثل الذى حاول أن يكون فناناً كبيراً بالطنطنة والدعاية ولم يوفق !؟ ..

– لا أستطيع أن أحصر ذلك إنما يعنى حصل فى أوقات كثيرة ، ولمعوا قليلاً ثم إنطفأوا لأنهم لم يستطيعوا الإستمرار ..

* مثل من !؟ ..

– لا أذكر بالتحديد .. لكن المؤكد أن الممثلين المجيدين لم يكونوا يحتاجون ولا يعتمدون على الدعاية : أحمد علام يا سلام ، منسى فهمى كان حاجة عجب ، كان يمثل الأدوار الشريرة ومتخصصاً فيها .. أذكر أنه كان مرة يمثل دور " ياجو " فى

مسرحية (عطيل) مع فرقة جورج أبيض ، وفى الفصل الأخير واحد من الجمهـور الجالسين فى الصالة ألقى عليه طوبة من فرط غيظه من شخصيته التمثيلية .. يعنـى هذا المتفرج تفرج عليه فى الفصلين الأول والثانى وامتلأ منه غيظاً ، فخرج مـن دار الأوبرا وأحضر طوبة من الشارع وألقاها على منسى فهمى فأصابته فى منطقة حساسة ودقيقة تحت ركبته مباشرة فسقط على ركبتيه على المسرح من شدة الألـم ، وهـاج المتفرجون وأمسكوا بمن ألقى الطوبة يريدون إفتراسه ؛ لكن منسى فهمى صرخ فيهم وهو لا يزال واقعاً على خشبة المسرح قائلاً : " سيبوه سيبوه .. لقد أعطانى وسـاماً " !!

* يوسف وهبى ؛ كم % منه دعاية وكم % منه ممثل !؟ ..

- لأ لأ .. يوسف وهبى الدعاية لم تصنع له شيئا على الإطلاق ولا خدمته فى أى شئ .. هو الذى خدم نفسه وفنه هو الذى خدمه .. يوسف إنسان عبقرى فعلاً وفنان أصيل فعلاً ، كمؤلف وكممثل وكمخرج أيضاً .. فنان حساس ودقيق جداً ..

* هل هو ممثل تراجيدى أم كوميدى !؟ ..

- يوسف وهبى ممثل عظيم وقادر على أن يعطى كل لون وأى لون ..

* * *

* مسرح القطاع الخاص ومبدأ (الضحك للضحك) ، ومسرح القطاع العام وعدم الإقبال عليه جماهيرياً ؛ لماذا انصرف الناس عن مسرح القطـاع العـام !؟ .. ومبدأ (الضحك للضحك) هل هو مقبول عند شيخ المسرحيين عبد الوارث عسر !؟ .

- الضحك مطلوب للإنسان ليرفه عن نفسه .. السرور ضرورى للحياة وإذا كانت الحياة كلها نكدا فى نكد على طول يبقى دمها تقيل أوى وتكون مملة ومتعبـة .. فالضحك مطلوب ، لكن على شرط : أضحكنى بما يضحك .. إنما بضحك مفتعـل : يعنى بنكتة جارحة أو بكلمة نابية مثلا فذلك لا يكون ضحكاً .. زمان لما كنـا نعمـل الكوميديات كان الضحك بيجى من ايه ؛ من التفاعل بين الشخصيات المختلفة يحـدث الضحك ، الحوادث المتشابكة يحدث منها الضحك .. المفروض أن الكوميديا تتركـب

بهذا الشكل .. لكن الآن الكوميديا بتعتمد على الألفاظ وعلى الشخصيات المفتعلة غير الطبيعية .. عندك مثلاً زمان عملنا فيلم من أفلام عبدالوهاب إسمه (ممنوع الحب) ، هذا الفيلم كان قائما على فكرة الأخذ بالثأر فى الريف المصرى وكتبناه بطريقة كوميدية سخرنا فيها من هذه الفكرة ، فأوجدنا عائلتين لهما رئيسان ، هذان الرئيسان جادان جداً فى الفيلم ، إنما مواقفهما نفسها مثيرة جداً للضحك .. أنا كنت أمثل دور " عبدالغفار باشا " رئيس إحدى العائلتين وفى منتهى الجد ، والله يرحمه " حسن كامل " كان يمثل دور " على بيه " رئيس العائلة الأخرى ، وفى منتهى الجد أيضاً ، وكنا نحن الإثنين حين نجتمع معاً فى مشاهد الفيلم (فرجة) مع أننا بنشتغل جد جداً وكل منا مقتنع بفكرته الغلط .. يعنى أنا ككتاب سيناريو وضعت الفكرة فى إطار الغلط وإقتناعى كعبدالغفار باشا وإقتناع على بيه بفكرته الغلط وتصرفاتنا نحن الإثنين القائمة على هذا الأساس هو الذى يثير الضحك طول الفيلم ..

* لو سألتك عن حال المسرح الآن فى مصر !؟ ..

- أقول إنه يجب أن يعود إلى أصله القديم ويصور المجتمع المصرى على حقيقته ، خصوصاً أن المجتمع المصرى هذه الأيام فى أشد الحاجة إلى أن يقدم على حقيقته والشخصيات المنحرفة منه تصور على حقيقتها تماماً وتعرض كما هى تماماً .. تصور مثلاً الفلاح الذى جاء الإصلاح الزراعى وانتشله من وهدة الفقر وجعله مالكاً ؛ لكن هذا الفلاح لم يستطع أن يحتفظ بمكانه وأصبح اليوم مديناً للجمعيات التعاونية التى جاءت أساساً لخدمته .. هات لى واحد كاتب مسرحى يحلل ذلك ويكون قد جالس الفلاحين وسمع منهم كيف وصل بهم الحال مع الإصلاح الزراعى الذى جاء ليرفعهم ويصلح من شأنهم فخفضهم .. أين هو الكاتب المسرحى الذى يذهب ليجلس على مقهى فى (الحسينية) كما فعل محمد عبدالقدوس رحمة الله عليه حين كان سيقوم بدور فى فيلم من أفلام عبدالوهاب (دموع الحب) يقوم فيه بدور صاحب قهوة بلدى يهوى تربية الحمام .. هناك ناس كثيرون من الشعبيين يهوون تربية الحمام فوق أسطح بيوتهم فى عشش خاصة ، وفى أوقات الأصيل يصعد الواحد منهم إلى عشة الحمام

ليطلقه يطير ثم (يصفر) له فيعود إلى عشته وإلى صاحبه ، ولهم إصطلاحات وطرق فى تربية الحمام والتعامل معه .. فجاءنى عبدالقدوس وقال لى : " إلحقنى ، أعمل ايه .. طيب صاحب قهوة بلدى وعارفينه وقعدنا على القهاوى دى كثير ، لكــن صــاحب القهوة البلدى اللى غاوى حمام ده يبقى إزاى !؟ " ..قلت له : " ماتخافشــى .. تعــالى معايا " .. وأخذته وذهبنا إلى قهوة بلدى فى الحسينية قرب حى العباسية ، وكنا ايامها ساكنين أنا وهو فى العباسية جنب بعض .. وذهبنا الى القهوة البلدى التى يجلس اليها هواة تربية الحمام فعرفناهم بأنفسنا وهم عرفونا ورحبوا بنا واتصــلت بيننــا وبيــنهم المعرفة والود .. وظل محمد عبدالقدوس يتردد على هذه القهوة البلدى ســتة شــهور كاملة كل ليلة قبل أن نسافر لتصوير الفيلم فى باريس .. وكان يصعد مع هؤلاء الناس الشعبيين البسطاء الى أسطح بيوتهم حيث عشش الحمام لكى يشهد بنفسه هما بيعملــوا ايه وإزاى .. كل ذلك لكى يعرف كيف يؤدى دور صاحب قهوة بلدى غاوى حمام .. أين هو الفنان الذى يفعل ذلك اليوم !؟ .. الممثل اليوم يدخل البلاتــوه دون أن يقــرأ السيناريو أو يكون لديه أى فكرة عن الدور الذى سيقوم به إلا وهو أمام الكاميرا فعلاً .. أين هو الكاتب المسرحى الذى يجلس مع العمال وبينهم لكى يعرف مشــاكلهم ويستمع إليها من أفواههم شخصياً ويكتب عنها .. أين الكاتب المسرحى الذى يجلس مع الفلاحين على (مساطبهم) ليعرف مشاكلهم وأحوالهم ، ويكتب !؟ ..

* ذلك يوصلنا لسؤال : الطريق إلى الفن كان زمان أسهل أم الآن !؟ ..

– المفروض أن يكون الآن أسهل ؛ إذ أصبحت هناك معاهد فنية موجــودة ، والمفروض فى هذه المعاهد أنها تدرس مناهج صحيحة سليمة تؤهل الممثل لأن يعرف كل ما يتعلق بفنه .. لكن على أيامنا كنا نحن الذين نبحث ونقرأ ونطلع وندرس لكــى نصل إلى ما نريد معرفته ؛ ومع ذلك فقد رأينا ممثلين عظامــاً وعبــاقرة وعمالقــة إشتهروا وتألقوا ولمعوا وكانوا هم الذين ثقفوا أنفسهم بأنفسهم .. أما الآن فنادراً ما تجد ممثلاً يلمع ، لأن النصوص تافهة وضعيفة وركيكة ، والشخصيات ليست مرسومة كما يجب أن ترسم ، فيجئ الممثل وقد يكون موهوباً وقد يكون لديه الإستعداد ، فتعطى له

شخصية غير مكتوبة جيداً وغير مدروسة جيداً فماذا سيفعل فيها أو بها !؟ .. لا يستطيع أن يعطى شيئاً فلا ينجح ولا يلمع ولا يتألق ، والجمهور لا يتأثر به .. العلة هنا .. والجيل الحالى من الممثلين مساكين ومعذورين وحظهم سئ !! ..

* * *

* بعد الجيل من الممثلين الذى كانت منه أمينة رزق وزينب صدقى وفردوس حسن وفاطمة رشدى وغيرهن .. هل لدينا جيل ممثلات مسرح كبيرات !؟ ..

– أقول لك الحق لم أسمع ولم أر واحدة تلفت أو تستوقف النظر بعد ذلك الجيل الذى إنتهى بـ " سناء جميل " و" سميحة أيوب " ، وهما آخر وأصغر ممثلات ذلك الجيل .. بعدهما لم أسمع عن أحد ..

* وسهير المرشدى !؟ ..

– سهير كويسة حين تجد دوراً يلائمها ..

* وفى الرجال !؟ ..

– أيضا فيهم ممثلين لا بأس بهم .. سعيد صالح مثلاً كوميديان خفيف الظل وحلو وكويس أوى .. ونادرا ما يجد دورا يبرز مواهبه ويظهرها ..

* الجيل الوسيط .. الجيل الذى بين جيلك وجيل سعيد صالح وزملائه من الشبان !؟ ..

– توفيق الدقن وعبدالسلام محمد وعبدالمنعم إبراهيم ممتازون جداً ..

* وكرم مطاوع ومحمد السبع مثلاً !؟ ..

– كرم مطاوع مخرج ولا يعتبر ممثلاً .. وهو مخرج ممتاز بغير شك ..

* وما تفعل أنت الآن !؟ ..

– حين يعرض علىّ دور فى السينما أو فى التليفزيون ؛ أراجع النص فإذا وجدت فيه الرمق ، والشخصية التى سأمثلها أستطيع أن أقدم منها شيئاً فيه شئ يستحق ؛ بأقبل وأشتغل ..

* وفى السينما !؟ ..

- آخر دور عملته كان مع فريد شوقى فى فيلم مقتبس عن رواية (البؤساء) لـ " فيكتور هوجو " وهو لم يعرض بعد .. دور صغير إنما حلو ولطيف ولا بأس به .

* وآخر دور لك فى المسرح !؟ ..

- كان منذ مدة طويلة ، يمكن من أكثر من ٥ أو ٦ سنوات .. وكانت مسرحية إسمها (الزوبعة) .. ومن يومها لم يطلب منى شئ للمسرح ..

* هل أنت مقتنع بمسألة (الدكتوراة الفخرية) الموضة التى توزعها أكاديمية الفنون فى مصر هذه الأيام !؟ ..

- هى مجرد نوع من التكريم .. لكننى أتمنى أن تفتح أكاديمية الفنون التى تشرف على كل المعاهد الفنية فى مصر الطريق لكل فنان أن يتقدم برسالة كما يتقدمون فى الجامعات برسائل الماجستير والدكتوراة .. أنا كفنان أتقدم برسالة وإتفضلوا إفحصوها وإعملوا لجنة تناقشنى فيها .. لا تطالبوننى - لأننى فنان - بأن يكون عندى ليسانس أو بكالوريوس أو شهادة جامعية لأن الفن مباح للجميع ، فإذا وجدوا أنها لا تستحق الدكتوراة فألقوها فى سلة المهملات ، أما إذا إستحقت فليعطونى دكتوراة بصحيح ، دكتوراة حقيقية .. المرحوم عباس العقاد كان يساوى ١٠ (دكتورهات) حقيقية وليست فخرية ، مع أنه لم يحصل على غير الشهادة الابتدائية فقط ، لكنه صار واحداً من أكبر وأعظم كتاب عصره .. " العقاد " لو عينته الحكومة المصرية فستعينه بمرتب شهرى ستة جنيهات كأى حامل للشهادة الابتدائية ، ووالله لو أننى أعطيته ١٠٠٠ جنيه فى الشهر مرتباً لكان قليلاً عليه .. وقد ذكرتنى بحكاية عنه : فى يوم من الأيام نشرت الصحف وأشيع أن الجامعة قد قررت أن تعطى للعقاد درجة (الدكتوراة الفخرية) ؛ فغضب " العقاد " غضباً شديداً وذهب إلى مدير الجامعة محتجاً ورفض هذه (الدكتوراة الفخرية) لأنه كان يرى فى نفسه أنه أكبر كثيراً منها وإعتبر أن الجامعة تقلل من قيمته .. ومعه الحق ؛ فإن أى شاب عمره ٢٥ أو ٢٦ سنة قادر بقليل من المذاكرة أن يحصل على درجة دكتوراة حقيقية دون أن يفعل أو يقدم

شيئا لبلده يساوى واحدا إلى مليون مما قدمه العقاد .. ومع ذلك ؛ فـإننى أتصـور أن تعطى درجة دكتوراة حقيقية لعبد الوهاب عن عمل فنى محدد قام به أو قدمه ، وليكن قصيدة (الجندول) مثلاً فهى تستحق الدكتوراة بجـدارة .. و(يوميـات نائـب فـى الأرياف) لتوفيق الحكيم أعطيه عنها ٦٠٠ دكتوراة وليست دكتوراة واحدة ، و(ثلاثية نجيب محفوظ) أعطيه عنها دكتوراة حقيقية ، فهى تستحق ..

* * *

* في لقاء سابق لنا من نحو ١٠ سنوات قلت لى أنك سوف تكتب مذكراتك ؛ فهل كتبتها فعلاً !؟ ..

– فكرت فى أن أجعل هذه المذكرات جزءً من التاريخ العام للفن التمثيلى فى مصر ؛ فبدأت أكتب كتاباً عن تاريخ فن التمثيل من عهد إسماعيل باشا حتـى الآن .. وهذه الفكرة جاءت بعد أن شهدت الممثلين القدامى فى فرقة المرحوم سلامة حجـازى الذين حضروا ذلك العهد وشاهدوا بدء الحركة الفنية التمثيلية الحديثة فى مصـر مـن أول أيام " يعقوب صنوع " وسمعت منهم أخباراً وتفصيلات كثيرة ودقيقة عمـا كـان يحدث فى ذلك العهد ، فأردت أن أدونها حتى لا تضيع خصوصاً أن أحداً لا يعرفهـا الآن قدر ما أعرفها أنا ، لأن الظروف جعلتنى أختلط بالممثلين من سن مبكـرة ، لأن المدرسة الإبتدائية التى كنت تلميذا بها كانت – كعادة المدارس فى تلك الأيام – تقـيم حفلة تمثيلية فى نهاية العام الدراسى توزع فيها الجوائز علـى الطلبـة المتفـوقين .. واختارونى لأقوم بالدور فى التمثيلية التى ستقدم وكان ذلك سنة ١٩٠٦ وعمـرى ١٢ سنة .. وجاءوا لنا بالمرحوم الشيخ سلامة حجازى ليدربنا على التمثيل ، وهكذا كانت بداية معرفتى به .. وكان الشيخ سلامة حين يتخلف عن حضور بروفاتنا لسـبب مـا يرسل أحد أعضاء فرقته ليحل محله فى تدريبنا ، مثل المرحومين أحمد فهيم ومحمود حبيب .. وحين إنتهينا من حفلة المدرسة طلبوا منى أن أذهب إليهم فى المسرح لكـى أتفرج عليهم لأننى – على كلامهم – ممثل كويس ويجى منى ، فذهبت إلـيهم فعـلاً واستقبلونى إستقبالاً طيباً ، فإندمجت فيهم .. ثم لما كبرت أكثر وقـررت أن أحتـرف

المسرح كان هؤلاء الفنانون القدامى ما يزالون موجودين فتحولت علاقتى بهم إلى صداقة وزمالة ، وصاروا يحكون لى كثيراً عن المسرح وكيف بدأوا وما إلى ذلك .. هذه المعلومات كلها أردت أن أسجلها وأدونها ، فبدأت أكتب ذلك الكتاب الذى قلت لك عنه ، وفى أثنائه سأذكر كيف بدأت أنا شخصياً وكيف دربت نفسى بنفسى وكيف ثقفت نفسى بنفسى .. أنا لم أدرس علم النفس إلا بعد أن دخلت المسرح ، وعلم الاجتماع لم أدرسه إلا بعد أن إشتغلت فى المسرح .. بدأت أبحث فى الإلقاء .. درست الموسيقى ودربت نفسى على الكورال حتى يصبح صوتى مرناً وأستطيع أن أنغمه وألونه كما أريد .. هذه الدراسات كلها درستها وأخرجتها فى الكتاب الذى أصدرته بعنوان (فن الالقاء) وهو كتاب علمى ..

* عودة إلى أخبار مذكراتك الشخصية !؟ ..

– لا زلت أكتب فيها .. بدأت ، لكن نظرى حين أصبح ضعيفاً تباطأت فى الكتابة ، لأننى أستعين بأولادى وبأحفادى ليقرأوا لى أو لأملى عليهم ويكتبون عندما أكون خالياً من العمل .. وقد كتبت حتى الآن قدراً لا بأس به ..

* * *

* محمد عبدالوهاب : رأيك فيه كممثل !؟ ..

– أنا الذى كنت أكتب له سيناريوهات أفلامه مع المرحوم محمد كريم .. فكنا نتوخى أن لا نضع له عقداً فى شخصيته وأن يكون دوره فى الفيلم بسيطاً وسهلاً ولا يحتاج إلى جهد كبير فى الأداء .. وهو من ناحيته كان يبذل جهداً كبيراً فى الحقيقة لتأدية الدور المطلوب منه كأفضل ما يكون ..

* أم كلثوم كممثلة !؟ ..

– أم كلثوم كانت مطربة ممتازة ما فى ذلك شك .. فى يوم من الأيام دعيت إلى الإشتراك فى فيلم إسمه (سلامة) كان ينتجه المرحوم " توجو مزارحى " ومن تأليف بيرم التونسى .. " بيرم " كلمنى فى التليفون وقال لى تعالى ، رحت : " إيه يا بيرم ده !؟ .. سلامة جارية يزيد بن عبدالملك !؟ " .. قال لى : " آه " .. قلت له : " ومين اللى حا تمثل دور سلامة !؟ " ..قال لى : " أم كلثوم " .. قلت له : " مش ممكن

" .. قال لى : " ليه !؟ " .. قلت له دى شخصية تمثيلية فى منتهى الدقة .. (سلامة) دى قصة فى تاريخ الأدب العربى عظيمة وشخصية فى منتهى الصعوبة .. كانت جارية يزيد بن عبدالملك وكانت تحب واحداً من أعظم الزاهدين فى الدنيا هو (عبدالرحمن القس) وهو يحبها حباً عذرياً شريفاً حتى أنهما فى موقف من مواقفهما التى يحكيها الأدب العربى قالت له : " إنى والله أحبك " .. فقال : " وأنا والله " .. قالت : " وأشتهى أن أقبلك " .. قال : " وأنا والله " .. قالت : " فما يحبسنا !؟ " .. قال : " قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) .. وما أحب أن يثوب خلتنا شئ ".. هل هذه شخصية تمثلها " أم كلثوم " وهى ليست ممثلة ولا تعتنى بالتمثيل وكل همها منصرف إلى فنها الأصلى وهو الغناء .. قلت له : " مش ممكن يا بيرم أم كلثوم تقدر تعمل دور (سلامة) .. مستحيل تقدر تمثله .. هاتوا ممثلة بصحيح تقدر تعمل الدور ده " ..قال لى : " طيب والغناء !؟ " .. قلت له : " هات صوت أم كلثوم ركبه على ممثلة بصحيح تمثل الدور تمثيلاً زى ما عمل عبدالوهاب فى فيلم (يوم سعيد) فى أوبريت (مجنون ليلى) فركب صوت عبدالوهاب على تمثيل أحمد علام وركب صوت أسمهان على تمثيل فردوس حسن .. إعملو كده " .. قال لى : لأ .. فرفضت أن أشترك فى الفيلم وأخذت بعضى ومشيت .. وفى اليوم التالى ذهبت إلى مكتبى ، وكنت وقتها موظفاً فى وزارة المالية ، فرن جرس التليفون ولقيت أحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك ، وكان رجلاً فناناً وصديقاً للمرحوم سليمان نجيب ، وكان أيضا الرئيس الفخرى لجمعية أنصار التمثيل .. قال لى حسنين باشا فى التليفون : " إسمع يا عبد الوارث .. إنت تروح وتقبل الدور المعروض عليك فى فيلم سلامة " .. قلت له : " ومين اللى قال لسعادتك على اللى حصل !؟ " .. قال لى : " مالكشى دعوة ، روح خد الدور بكيفك وبمزاجك وبرضاك أحسن ما تأخذه غصب عنك " !! ..قلت له : " إزاى !؟ .. وهى المسألة توصل إنى ممكن أمثل دور غصب عنى !؟ " .. قال لى : " بصراحة أم كلثوم متمسكة بأنك إنت بالذات اللى تمثل الدور ده ، وقالت لى إنك إذا لم تمثله فستقول هى للملك " !! .. قلت : " يا نهار إسود ، هى توصل للدرجة دى !؟ .. حايصدر أمر ملكى بأنى أمثل الدور!؟ .. طيب أخليها بجميل أحسن وأروح أقبل الدور وأمثله " .. وقد كان ومثلت الدور مرغماً .. وفى أثناء تصوير الفيلم كان المخرج يعطى تعليماته لأم كلثوم ويفهمها كل الذى يريده ، لكن وقت التصوير تعمل هى كما تريد ولا تهتم بتعليمات المخرج .. فيبدو الضيق على وجه توجو مزراحى لكنه لا يستطيع أن يتكلم .. فيجئ ليقف إلى جوارى أنا وبيرم ليقول لى

بصوت خافت : " أنا اللى أستاهل .. أنا اللى حمار " .. فأقول له بهـــدوء وبصـــوت خافت أيضاً : " مظبوط يا مسيو توجو " !! ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد ٣٠ – بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٧٨

توفى عبد الوارث عسر فى ٢٢ أبريل ١٩٨٢

بعد أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم ، **رحل آخر العمالقة** ..

يا عينى ع الصبر ..

يوم الثلاثاء كنا نتحدث ، " أمل مبروك " رئيسة تحرير مجلة (حواء) وأنا ، عن وديع الصافى .. قلت لها أنه قد كبر سناً – ٩٢ سنة – ومريض جداً فى السنوات الأخيرة ، وعندى فى دفتر مذكراتى اللندنية حواراً كنت قد أجريته معه فى لندن منذ فترة ، فهل أجهزه للنشر حين يحين الوقت وتجئ المناسبة !؟ .. فقالت " أمل مبروك " : " ليس عندما تجئ المناسبة .. هاته لننشره الآن فوراً .. فوديع الصافى هو عبد الوهاب لبنان والنشر عنه فى أى وقت مكسب للمجلة ولقارئاتها " ..

كان ذلك يوم الثلاثاء ، ومات وديع الصافى يوم الجمعة !! ..

* * *

فى ملف مذكراتى وذكرياتى فى لندن ، التى عشت فيها ٣٧ سنة حتى الآن ، ولا زلت ؛ عدد من اللقاءات والحوارات مع شخصيات عربية فنية وأدبية وسياسية ؛ نشرت معظمها فى حينه فى صحف ومجلات لندنية وفرنسية ، وأجهزها الآن للنشر فى كتاب قريب .. حوارى مع وديع الصافى من أهمها ، وقد نشرته فى جريدة (المنار) وأعجب به " وديع " كثيراً وقال أنه من أهم الأحاديث الصحفية التى أجراها فى حياته .

كتبت مرة عن وديع الصافى أنه رمز لبنان ، وأنه لو وضعت صورته على طابع بريد دون ذكر إسم الدولة على الطابع لعرفت الدنيا كلها أن هذا الطابع لبنانى ..

إلتقيت بوديع الصافى مرات عديدة فى حياتى الصحفية .. أول مرة كانت فى بيروت سنة ١٩٧١ .. لقاءنا يومها كان سريعاً لمجرد التعارف دون أن يتسع الوقت لإجراء حوار معه ، لأنه كان يجهز لزفاف إبنته " دينا " فى اليوم التالى مباشرة .. لاشك فى أن " دينا " هى جِدة الآن .. ثم إلتقينا بعدها بعدة سنوات فى لندن عندما كان يغنى لفترة طويلة فى أحد ملاهيها .. إلتقينا كثيراً لأننى كنت أزوره مرتين أو ثلاثة كل أسبوع ، وأصبحنا صديقين قريبين .. وكان كل واحد من أصدقائى أو زملائى الصحفيين المصريين والعرب يعرف بصداقتى لوديع الصافى فيطلب منى أن أعرفه به ، فأستأذنه ، فيأذن .. فعرف معظم أصدقائى ، وأصبحوا أصدقاءه أيضاً ..

وكان هذا الحوار مع فنان لبنان المتيم فى حب مصر الذى غنى (عظيمة يا مصر يا أم النعم) فحصل بها على الجنسية المصرية .. وديع الصافى ..

* * *

لست لبنانياً ، لكن لبنان صديقى ، بينى وبينه عمار .. أحن إليه كثيراً وأذهب إليه كثيراً ، كلما ثقلت علىّ الهموم فى القاهرة أخذت أجازة من نفسى وطرت إلى لبنان أتخفف من أثقالى فيه .. أستطيع أن أقول أن بداخلى (مشاعر لبنانية) .. وحين أكون بعيداً عن لبنان لفترة فإننى لا أكون بعيداً عنه كثيراً ، لأن لبنان عندى فى بيتى دائماً على إسطوانات وعلى (كاسيتات) .. عندى فى بيتى دائماً فيروز و : وديع الصافى ..

وحين ذهبت إلى لندن مقيماً بحكم عملى لم يبتعد عنى لبنان ولا جو لبنان ولا عبق لبنان .. فقد وجدت وديع الصافى قد سبقنى إلى هنا ، بكل ظرفه ومرحه وبساطته وتواضعه ، وفنه .. وكان هذا الحوار نتيجة لقاءات عديدة بينى وبين وديع ، فقد كنا نلتقى كثيراً ولساعات طويلة ..

* * *

* أستاذ وديع ؛ هل هذه هى أول مرة تغنى فيها فى لندن !؟ ..

– لم يكن المشوار هذه المرة هو أول مشوار لى للغناء فى لندن .. أول مرة غنيت فيها هنا كانت منذ ٧ سنوات ، وغنيت فى حفلتين بناءً على طلب الجالية العربية فى بريطانيا ، وكانت الحفلتين خيرتين وتقاضيت عنهما أجراً رمزياً .. وفى السنة الماضية جئت إلى لندن مرة أخرى وغنيت عدة ليالٍ فى ملهى عربى هنا .. محل صغير لكنه يتميز بجو عائلى يشعرنى أننى أغنى فى بيتى .. وجئت بعدها مرة ثانية لنفس الملهى .. وهذه هى المرة الرابعة التى أغنى فيها فى لندن ، وفى نفس المكان أيضاً ..

* أعرف أنك لا تغنى غير ٤ ليالٍ فقط فى الأسبوع .. لماذا ليس كل ليلة !؟

– لكى أستريح .. فأنا لا أستطيع أن أغنى كل ليلة ..

* والجمهور الذى يذهب إلى الملهى فى الليالى الثلاث الأخرى !؟ ..

– يكون عارف طبعاً .. مواعيد غنائى معروفة ومعلنة .. هنا فى أوروبا ماحدش بيكذب على حد ..

* أستاذ وديع ؛ ماذا تغنى لجمهور لندن !؟ ..

– جمهور لندن حسبما رأيت لا يختلف عن جمهورنا العربى فى مصر أو فى سوريا أو الأردن .. جمهور ٩٠ % منه عرب ، والباقين أمريكان وإنجليز وأجانب .. وبيكونوا قاعدين يستمعون بكل أدب وذوق ولطف ..

* هل تشعر أنهم متجاوبين أو فاهمين ما تغنيه أمامهم !؟ ..

– فى البداية بيكونوا قاعدين كمتفرجين عايزين يشوفوا إيه اللى بيحصل ده .. وحين أنتهى من الغناء يصفقون مع باقى الجمهور العربى .. يمكن بيكونوا مش فاهمين ما أغنيه لكنهم يشعرون به فى وجدانهم ..

* * *

* أستاذ وديع الصافى ؛ هل كنت تتخيل نفسك وأنت صغير ، وأنت طفل أو وأنت صبى ؛ أنك سوف تكون فناناً يوماً ما !؟ ..

– من يوم ولادتى وأنا معروف أننى سأكون فناناً يوماً ما .. كنت إبن سنتين أو ثلاثة وبأعمل إيقاعات وأغنى وسط عائلتى .. وحين كان عمرى ١٠ سنوات تأكدت أن مصيرى أن أكون فناناً .. فقد غنيت وقتها فى فرح كبير فتنبأ لى الجميع ليلتها بأننى سوف أكون فناناً كبيراً .. والحمد لله أن ربنا قد حقق هذه النبوءة .. لكن محاولاتى الجدية مع الغناء لم تبدأ إلا وأنا عمرى ١٦ أو ١٧ سنة .. فكنت آخذ العود معى إلى حيث أشتغل .. فيقولون لى : " لأ .. إما أنك جاى تشتغل أو تروح تغنى فى بيتكم " .. يعنى يا الشغل يا العود .. فأقول لهم : " لأ .. العود .. السلام عليكم " .. وتفرغت للعود ..

* ماذا كنت تشتغل فى ذلك الوقت !؟ ..

– إشتغلت بائع فى محل نوفوتيه / خردوات .. وفى محل تجارة .. وفى شركة (باتا) للأحذية .. وإشتغلت (مزين) أو حلاق أيام الصبا .. لكننى لم أجد نفسى فى أى عمل من هذه الأعمال .. فنصحنى أخى الأكبر بأن أتعلم العود كويس وأساعد نفسى وألحن ، وحصل .. وبعدها سنة ١٩٣٨ تقدمت لاختبار فى الإذاعة اللبنانية أيام الإنتداب الفرنسى ، وكان عمرى وقتها ١٧ سنة .. وطلعت الأول فى ذلك الإختبار بأغنية لحنتها لنفسى وغنيتها على العود .. كانت قصيدة بالفصحى لـ " بهاء الدين زهير " مطلعها (ويحك يا قلب أما قلت لك ، إياك أن تهلك فيمن هلك ، فرقت من مال الهوى ساكناً ، ما كان أغناك وما أشغلك) .. يعنى بدأت مشوارى الفنى بحاجات رصينة زى كده ..

وفى ذلك الوقت كانت أغانى الأستاذ " عبد الوهاب " منتشرة ورائجة نتيجة أفلامه التى تعرض فى بيروت ؛ فكنا نحفظها ونغنيها طبعاً ، وتأسسنا فعلاً على أغنيات عبد الوهاب .. كان عبد الوهاب هو القمة وهو الرائد .. ولم يكن هناك فن فى لبنان إلا أغانى ليس لها طعم .. ولم يكن هناك مطربين معروفين إلا عدة مطربين يغنون حاجات بغدادى ومواويل و(على دلعونا) و(يا غزيل) و(أبو الزلف) وأشياء فولكلورية قديمة وليس هناك أى تجديد .. ولما بدأت أنا عملت هذه المدرسة

الغنائية اللبنانية .. وجاء الرحابنة أيضاً وساعدتهم فساروا معى .. وأيضاً ظهر عـدة ملحنين .. ودارت عجلة الفن اللبنانى ..

الرحابنة بعدك بفترة طويلة !؟ ..

هم معاصرون لى وكنا معاً فى الغلب وفى الشقاء .. لكننى بدأت قبلهم بقليـل وتأثروا هم بى وأخذوا منى أشياء كثيرة .. يعنى أنا أعطيـتهم الفكـرة وهـم نـاس مجتهدين وساروا على الطريق وعملوا هذه الباقة .. ومن أبرز حسناتهم أنهم يحبـون بعضهم البعض ، ومعهم فيروز التى توجت أعمالهم

* إلى أى قدر ساهم الرحابنة فى تطوير الفن اللبنانى !؟ ..

– الرحابنة لم يطوروا فى الفن اللبنانى ، لكنهم طوروا الأغنيـة وجعلوهـا غربية شرقية ، ولهم فضل على المهرجانات الغنائية .. لكننى أنا (المعلـم) الـذى أسست مدرسة الأغنية اللبنانية الحديثة .. شفت فى القرى ألواناً – لأننى إبـن قريـة بطبيعتى – شفت ألواناً عديدة كانوا يغنونها كده دون موسيقى وكل واحد بمزاجه ودون رابطة .. فجمعتها وغنيتها بصوتى مع الأوركسترا حتى لا يندثر هذا اللون ..

* سمعت من " عبد الوهاب " فى مناسبات عديدة أنه شـديد الإعجـاب بـك ويعتبرك صوتاً نادراً لا يوجد مثله ..

– عبد الوهاب لا يكذب فى رأيه الفنى .. ونحن أيضاً رأينا فيه أنـه الرائـد والقمة وله الفضل علينا جميعاً ..

* لماذا إذن لم يلحن لك عبد الوهاب وهو شديد الإعجاب بك إلى هذا الحد !؟

– لم تكن هناك ظروف ميسرة لهذا التعاون الفنى بينى وبين عبد الوهـاب .. هو حاول وأنا حاولت ، لكننا لم نجتمع مع بعض وقتاً كافياً كى يتم تعاون مناسب بيننا .. إنما منذ عدة سنوات أعطانى لحناً ظريفاً قدمه لى هدية أغنيه فى بعض الليـالى ، مطلعه (عدى البحرية يا ريس) .. حاجة خفيفة كده زى الفاكهة ، وكان أصلاً لحنـاً للمرحوم " عمر الزعفرانى " طوره عبد الوهاب ولحنه شعبياً ..

* هذه هى أول مرة أعرف فيها أن عبد الوهاب قد لحن لك فعلاً .. لماذا إذن لم ينتشر هذا اللحن أو يعرف ، ولا حتى فى مصر !؟ ..

– لأنه لحن خفيف وبسيط وليس لحناً كبيراً على مستوى عبد الوهاب ..

* هل تلحن أغانيك كلها بنفسك !؟ ..

– كلها ، إلا قليلاً جداً .. وحين آخذ لحناً من ملحن آخر يكون ذلك كنوع من التعاون حتى لا يقال أن وديع الصافى متمسك بنفسه فقط .. لكن الأساس هو أن ألحن لنفسى ، وقامت شهرتى على ألحانى وليس على ألحان الآخرين ..

* والملحنين المصريين ؛ هل غنيت لهم !؟ ..

– حاولت .. فأخذت أغنية من رياض السنباطى حفظت نصفها ، ثم إنشغلت ، وبعدها سافرت من مصر دون أن أحفظ النصف الآخر من الأغنية .. فصارت (لا مطلقة ولا معلقة) كما يقولون ، وطبعاً مش ممكن أن أغنى (نصف أغنية) .. وأيضاً أخذت من رياض البندك أحد ألحانى الشهيرة (يا عينى ع الصبر) ..

* أستاذ وديع الصافى ، وعهدى بك الصراحة الدائمة والصدق وتقول الحق ولا تخشى شيئاً : من هم أحسن ملحنين فى الوطن العربى الآن !؟ ..

– معروف لدى العالم العربى كله أن عبد الوهاب هو قمة التلحين كله ، وبعده رياض السنباطى ، ويليهما الموجى وبليغ حمدى .. كلهم تعبوا وقدموا الكثير .. أيضاً سيد مكاوى فنان موهوب وقدم حاجات حلوة كتير .. وفى العالم العربى يوجد الرحابنة فى لبنان وزكى نصيف وفيلمون وهبى ..

* أليس هناك ملحنين آخرين جيدين فى سوريا مثلاً ، فى العراق ، فى المغرب فى الجزائر !؟ ..

– محتمل ، لكننى لا أتذكر أسماءهم .. لكنهم – حتى نكون منصفين – محليين وعلى مستوى بلادهم فقط .. يعنى لهم حاجات حلوة لكن محلية وليست لها إمكانيات الإنتشار ولا حتى على المستوى العربى ، بعكس ألحانى وألحان الرحابنة وأغنيات عبد الوهاب وأم كلثوم ..



* ولو سألتك ، بصراحة أيضاً ، عن أحسن خمسة أصوات مطربين رجال يغنون الآن فى العالم العربى ، على أن تضع من بينهم وديع الصافى !؟ .

– هناك ناس مشهورين لكن ليس لهم أصوات كبيرة حلوة .. مثل عبد الحليم حافظ .. محمد عبد المطلب فنان قديم وله خبرة وباع كبير ونوعية صوته صوت جزل وكبير ، وأنا شديد الإعجاب بصوته .. محمد قنديل صوت رخيم وقوى .. محمد العزبى ومحمد رشدى نوعية واحدة ومتشابهين فى الصوت وفى الأداء .. وفى لبنان يوجد عدة مطربين من مدرستنا نحن وأصواتهم حلوة كتير .. مثل مروان محفوظ وسمير يزبك ونصرى شمس الدين .. لكن كل هؤلاء يعتبرون (مغنيين) فقط وليسوا (مطربين) ، يعنى (مؤديين) فقط .. لأن المطرب فى تقديرى هو الخالق الذى يلحن ويغنى وتسمع منه نفس الأغنية كل مرة بلون مختلف .. طبعاً اللحن هو نفس اللحن ، لكن حتى لا تمل الناس من نفس الشكل كل مرة وكأن المطرب إسطوانة مطبوعة فإن المطرب يلونه كل مرة ويضفى عليه من شخصيته ..

- كان سؤالى أن تذكر لى أحسن خمسة مطربين ، حسب ترتيبهم ، فى رأيك !؟.

– محمد قنديل ، نصرى شمس الدين ، عبد المطلب ، محمد رشدى ومحمد العزبى .. وبعدهم سمير يزبك ومروان محفوظ من لبنان ..

- ووديع الصافى ؛ أين مكانه بين هؤلاء الخمسة !؟ ..

ويضحك وديع الصافى بتواضع الكبار :

– معلش بلاش أنا ..

- وفى الأصوات النسائية !؟ ..

– فايزة أحمد ، نجاة الصغيرة ، وردة لها حاجات حلوة ، نجاح سلام بنت صنعة وصوتها كبير ، فيروز طبعاً .. أما هدى سلطان وشادية فهما مطربات أفلام ، مطربات سينما يعنى ..

- هل إستمعت إلى الأصوات الجديدة التى غنت فى مصر فى الفترة الأخيرة القريبة !؟

– زى مين !؟ ..

- هانى شاكر وعفاف راضى وياسمين الخيام وسهير حشمت ، وغيرهم ..

– دول محاولات غناء وليسوا أصوات هامة ولا حاجة !! ..

- لماذا يبدو حقل الغناء ، رجالاً ونساءً ، وكأنه قد بدأ يجدب !؟ ..

– ذلك يحدث فى كل الأوقات والعصور .. يحدث مد وجزر زى موج البحر .. فهذه أشياء مرهونة بالقدر وبالله سبحانه وتعالى الذى يعطى المواهب ويوزعها على الناس أولاً ، ثم على الأجيال ثانياً .. هناك الآن شوية ركود لكنه لا يعنى ركوداً بالمعنى المفهوم ؛ إنما هناك ظواهر فنية تحدث (أحياناً) ولا تظهر إلا فى كل عصر .. يعنى إذا مرت ٥ أو ١٠ سنوات لم يظهر خلالها مطرب جديد أو صوت جديد فذلك ليس شيئاً مستغرباً .. فلا أظنك تتوقع أن يظهر كل يوم الصبح فنان جديد أو صوت جديد أو مطرب جديد .. ذلك ليس مسألة هامة ولا خطيرة ولا تعنى الركود ولا الجدب ولا حاجة ..

- هل نعتبر أم كلثوم من هذه الظواهر الفنية التى تحدث أحياناً !؟

– طبعاً ، وظاهرة كبيرة .. وعبد الوهاب أيضاً ..

- وعبد الحليم حافظ !؟ ..

- لأ ، إسمح لى .. عبد الحليم حافظ ليس ظاهرة فنية .. هو كان راجل (مؤدى) مخلص وبيحس ، وراجل (أرتست) فى ذاته ، فنان يعنى ، لكنه لم يكن (فلتة) والمقدرات الصوتية لم تكن عنده ..

- • أتصور أنك ممكن أن تقول نفس الكلام عن نجاة الصغيرة !؟ ..

- نجاة صوتها حلو كتير .. صحيح صوتها صغير ، لكنه أجمل ..

- • أجمل من صوت عبد الحليم !؟ ..

- طبعاً ..

- • وإذا حللنا ظاهرة أم كلثوم ؛ ماذا نقول عنها !؟ ..

- نقول أن أم كلثوم عندها فى صوتها عدة أنواع جميلة .. مثل صوتى أنا مثلاً : عندى عدة أنواع جميلة فى صوتى .. كل واحد وله عدد كذا ميزات فى صوته أكثر من الآخرين ..

- • هل كانت أم كلثوم مجرد صوت ممتاز فقط ، أم شخصية فنية متميزة أيضاً !؟

- أم كلثوم كما قلت كانت لها عدة ميزات ، أهمها الصوت العظيم والأداء العظيم والشخصية الفنية العظيمة ..

- • وعبد الوهاب !؟ ..

- نفس الشئ .. بل ويمتاز عبد الوهاب عن أم كلثوم بأنه (خالق) ، ولا يتوقف عند زمن واحد ودائماً متطور وراجل عظيم ورائد فى عصره .

- • ورياض السنباطى !؟ ..

- لأ .. إحنا مالناش دعوة بيه الآن .. لأن كل فنان وله كبواته .. حتى عبد الوهاب نفسه له (سكتة) مثلاً لفترة معينة ، لكن لا يمنع أن الخلق موجود داخله .. السنباطى رجل عظيم وله فضل كبير على الفن المصرى .. يكفى أنه عمل (الأطلال) و(رباعيات الخيام) ومثيلاتها .. هذه أعمال كبيرة فى التاريخ الفنى العربى دون شك ..

- الموجى وبليغ حمدى وكمال الطويل ومنير مراد ؛ هل أضافوا شيئاً إلى الفن العربى !؟ ..

– إضافة لأ .. لكن من نفس الجو الموجود باخدوا ويعملوا موسيقى .. يعنى ناس بـ (تصف) مزيكة كويسة وعندهم أشياء خاصة بهم وعندهم نوعية خاصة ، لكن من ضمن الإطار الأول للأقطاب الكبار زى عبد الوهاب .. عبد الوهاب فى أغنياته الحلوة وفى أغانى أفلامه هو السباق وهو السبب وهو المدرسة التى ينهل منه الجميع .. يعنى كلهم عملوا وقدموا ، لكن من خلال عبد الوهاب ومن تحت عباءة عبد الوهاب وتحت راية عبد الوهاب .. لكن نقدر نقول إن عبد الوهاب وأم كلثوم هما الظاهرتين الفنيتين فى عصرهما ..

- هل هما آخر ظاهرتين حدثتا !؟ ..

– لغاية الآن لم تأت بعدهما ظواهر أخرى ..

- وفيروز ، أليست ظاهرة !؟ ..

– ظاهرة إجتهادية لكنها ليست على مستوى أم كلثوم ولا عبد الوهاب .. والرحابنة ناس مجتهدين وأصبحوا عالميين أيضاً ، لكنهم ليسوا ظاهرة إلا على مستوى لبنان فقط ..

- إذن ، وديع الصافى .. هل هو ظاهرة !؟ ..

ويفاجأ بسؤالى ، فيقول متواضعاً محاولاً التملص من الإجابة :

– زى ما تحب ..

- ليس مهماً رأيى أنا .. أنا أسألك عن تقديرك أنت .. أريد أن أسألك عن رأيك فى نفسك .. رأيك فى وديع الصافى !؟ ..

– أستطيع أن أقول أننى عملت المدرسة الفنية اللبنانية وكان لى الفضل فى إنشاء أغنية لم تكن موجودة من قبل ، وأنشأت فن فى وطن لم يكن فيه فن .. وقد وهبنى الله سبحانه وتعالى مقدرات صوتية عالية .. أنا صوتى بيجيب أكبر عدد من المقامات فى العالم ، ليس إقليمياً ، وليس فى المنطقة وحدها فقط ..

- أكثر من أم كلثوم !؟ ..

- بكتير .. وذلك ليس عيباً فيها لكن لأنها إمرأة ، والمرأة لها مقامات صوتية خاصة .. وفى عز مجد أم كلثوم كان عدد مقامات صوتى ضعف عدد مقامات صوت أم كلثوم ..

- وعبد الوهاب !؟ ..

- لا .. أكثر من صوت عبد الوهاب بكتير جداً .. لكن عبد الوهاب فنان كبير وأصيل .. وأنا لما أحب أسمع أسمع عبد الوهاب وأقول له " آه .. يا عينى " ..

- الثنائيات الفنية .. غنيت مع صباح ، وغنيت مع فيروز ..

- وأيضاً مع نجاح سلام فى مهرجان غنائى ، وكان تجاوب نجاح سلام معى أكثر من تجاوب فيروز وصباح ، وصوتها كان أقوى وأشد جاذبية ، ووفقت معى كثيراً ..

- هل تنجح هذه الثنائيات الفنية !؟ ..

- نجحت كتير (سهرة حب) مع فيروز ، نجحت نجاحاً عظيماً .. وأيضاً نجحت مع صباح .. لكن هذه الثنائيات لم تستمر لأن وقتى لا يسمح لى بتكرارها كثيراً لأن أجرها المادى قليل فأعتبرها ضياع لوقتى وأنا عايز أشوف رزقى ..

- وبالنسبة للثنائيات الأخرى : محمد جمال غنى مع طروب ، ومحمد ضياء الدين غنى مع ندى ، وهكذا ..

- هذه حاجات كانت أقرب إلى المونولوجات .. يعنى هى أعمال لطيفة وغناء خفيف ، لكنها ليست طرباً ..

- فى كلامك قلت أن فيروز قد أصبحت عالمية .. يعنى إيه (عالمية) !؟ ..

- يعنى أنا وفيروز أغانينا عالمية .. إحتللنا الغرب بسرعة ..

- تقصد المستمع الشرقى الموجود فى الغرب !؟ ..

- المستمع الشرقى فى الغرب ، والمستمع الغربى فى الغرب ..

- وما الذى يفهمه المستمع الغربى مما تغنيه أنت أو فيروز !؟ ..

- المهم أن ملايين من إسطواناتنا : فيروز ووديع الصافى ، تباع فى ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وأمريكا وفى أفريقيا ..
- • الذين يشترون هذه الإسطوانات عرب أم أجانب !؟ ..
- عرب وأجانب ..
- • ولماذا يشتريها الأجانب وهم لا يفهمون ما تغيه فيها ، أنت أو فيروز !؟ ..
- يفهمون الموسيقى الجميلة والصوت الجميل .. كما تشترى أنت إسطوانة هندية .. بتشتريها ليه .. هل تعرف اللغة الهندية !؟ .. لكن بتعجبك الموسيقى الهندية وتعجبك حلاوة الصوت الذى يغنى ، فتشترى الإسطوانة وتسمعها وأنت لا تفهم ما يقال فيها .. إسطواناتنا فيها مزيكة حلوة وصوت حلو وأداء حلو .. يعنى لو شفت ست إنجليزية جميلة ، هل لن تعتبرها جميلة إلا إذا كانت مصرية !؟ الجمال لغة عالمية فى كل شئ ، خصوصاً فى الفنون ، خصوصاً الموسيقى والغناء ..
- • موافق ، موافق جداً ، خصوصاً على حكاية الست الجميلة ، حتى لو كانت يابانية .. لكن : إذا كان وديع الصافى وفيروز قد أصبحا عالميين ؛ من غيركما من فنانينا ممكن أن يكون ، أو يصبح ، عالمياً بنفس القدر !؟ ..
- من الفنانين العرب .. عالميين لأ ..
- • ولا عبد الوهاب !؟ ..
- عبد الوهاب (بعض) من أغانيه ، أو حتى (أجزاء) فقط منها أخذ عالمياً .. لكن أنا وفيروز ٩٠ % من أعمالنا منتشر عالمياً ..
- • فيروز ليست هى كل الأغنية العربية ، ووديع الصافى ليس هو كل الأغنية العربية .. متى يمكن أن تكون الأغنية العربية عالمية بسبب أنها أغنية عربية وليس بسبب وديع الصافى أو فيروز !؟ ..

وديع الصافى لا يذهب بعيداً أبداً .. أجهزة البث عنده لا تعطى غير وديع الصافى .. يجيب :

- بدأت فعلاً ، لكن المسألة مسألة وقت .. لسه شوية مسألة الإنطلاقة الأقوى والأكبر .. يعنى أنا مثلاً عملت عدة ألحان لبنانية باللغة الأسبانية وباللغة الإنجليزية .. كتبوا لى كلمات بهاتين اللغتين على قد اللحن بالضبط ، وغنيتها بالأسبانية فى [شيلى] وكان المستمعين الأجانب (مطروبين) أكثر من المستمعين العرب ، وتجاوبوا معى جداً على امتداد ٤ ساعات أغنى فيها بالأسبانية وحدى .. وكتبت صحف [شيلى] تقول أن هذا المطرب العربى يوازى ، وحده ، ضعف ٥ من مطربينا التشيليين والبرازيليين .. حتى الصحف التى أصحابها يهود كتبت ذلك ..

- أنت تغنى الآن فى لندن .. هل هذه أول مرة تغنى فى عاصمة أوروبية !؟ ..

- غنيت كتير فى أوروبا وفى أمريكا والبرازيل وشيلى والأرجنتين وفى كل أفريقيا الشمالية ، وغنيت فى باريس وفى ألمانيا مع فرقة (الأنوار) التى كونها المرحوم " سعيد فريحة " .. باختصار ؛ غنيت فى ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ..

- سمعت عفاف راضى !؟ ..

- سمعتها .. ليس فى صوتها إحساس فنى .. صوتها حلو ، بيؤدى ، لكن ليس فيه إحساس .. الفنان المطرب لازم يشعر بما يقول لكى يستطيع أن ينقل إحساسه للناس ..

- ألم يكن نفس الكلام بالضبط يقال عن وردة زمان !؟ ..

- فى بدايتها .. لكنها الآن تخضرمت شوية فصارت تحس أكثر لأنها قاست فى حياتها وتعبت ، و(الزمن له ثمن) كما يقال .. لكن الذى بدون إحساس لا الزمن ولا الكرة الأرضية بحالها قادرة على أن تزرع فيه الإحساس ..

- وتعتبر عفاف راضى من أى نوع !؟ ..

- من النوع الأخير (!!) .. وإن كنت أتمنى إن ربنا يوفقها .. لكننى فى المسائل الفنية لا أستطيع إلا أن أقول رأيى بصراحة ، وأنت سألتنى

- لماذا إختفت نجاة الصغيرة فى الوقت الحالى !؟ ..

- هو الواحد لما بيكبر فى السن لا يكون قادراً على الإستمرار .. وهناك فنـــانين يحبون أن يتوقفوا بدرى من تلقاء أنفسهم ، وفنانين آخرين يظلون مستمرين حتى النهاية ..

• هل سمعت عن معركة الخلافة على عرش أم كلثوم !؟ ..

- العصر الذى نعيش فيه ليس فيه (خلافة) ، والفن ليس (إمارة) أو (مملكة) أو (سلطنة) حتى يكون فيها خلافة وولى للعهد وورثة شرعيين .. هذه مسألة بتاعة ربنا وكل واحد ربنا بيعطيه على قده ..

• والمعركة القائمة الآن بين فايزة أحمد ووردة ونجاة وغيرهن !؟ ..

- يا صديقى أم كلثوم باختصار ظاهرة لا تتكرر إلا كــل ١٠٠ أو ٢٠٠ ســنة .. والكلام عن خلافتها أو عدم خلافتها كلام للتسالى .. عبد الوهاب مثلاً لن يظهر مثله قبل ٥ قرون أخرى .. الفن العظيم ليس شيئاً سهلاً ..

• هل سمعت تسجيلات قديمة لــ " عبده الحامولى " أو " سلامة حجـــازى " أو " سيد درويش " أو " محمد عثمان " أو " عزيز عثمان " أو " كامل الخلعى " أو " صالح عبد الحى " أو أى حد من ذلك الجيل القديم من المطربين القدامى !؟.

- سمعت ، وكلهم كويسين ؛ لكن بالمقارنة بعبد الوهاب يعتبرون (مبتــدئين) .. عبد الوهاب عمل شيئاً عالمياً .. جمع كل هؤلاء وصهرهم فى بوتقته وخـــرج منهم محمد عبد الوهاب .. عبد الوهاب ذكى والفن ليس كل شئ .. عبد الوهاب ذكى حتى فى (الإقتباس) !! ..

• ما دمنا قد ذكرنا (الإقتباس) .. هل الإقتباس عند عبد الوهاب يقلل من قيمته الفنية !؟ ..

- عبد الوهاب هو أكثر المقتبسين (لباقة) فى الشرق وفى الغرب ..

• كيف !؟ ..

- عبد الوهاب أذوق مقتبس .. يسرقك وأنت مبسوط منه .. يسرقك بذوق وحلاوة وظرف وجمال .. وذلك لا يقلل أبداً من قيمة عبد الوهاب الفنية .. لأننى أعتقد

أن الفنان لازم يخرج من بيئته الفنية بين حين وآخر ليطل على المجال العالمى فى نفس فنه ويشوف ماذا يدور فيه ، وإلا أصبح متجمداً ومحلياً وواقف (محلك سر) ولا يرى غير نفسه وغير بيئته .. ولو كنت قد ظللت أغنى (أبو الزلف) و(العتابا) كما كانوا يغنون قبلى فى لبنان لما كنت قد أصبحت وديع الصافى ..

- هل يختلف الفنان حين يغنى فى الأستوديو ليسجل أسطوانة ؛ عنه حين يغنى أمام الميكروفون فى الراديو ، وحين يغنى أمام الناس فى حفلة عامة !؟ ..

– كل وقت وله ملائكته وكل وقت وله ظروفه وله جوه .. لكن الجمهور هو مرآة الفنان .. الجمهور هو الذى يجعل الفنان يتجلى ويتألق ويبدع ، لأن شعوره بتجاوب الجمهور معه يبسطه هو شخصياً كفنان ويجعله يبدع أكثر .. لكن أسعد أوقاتى أنا شخصياً حين أغنى فى سهرة خاصة عائلية بيتية بين أصدقاء مخضرمين جايين لكى يسمعوا وديع الصافى من غير كلام ولا صحون وأطباق ولا قرقعة شوك وسكاكين وملاعق ولا أكل ، حتى لوكانوا ١٠ – ١٥ شخصاً فقط أعيش معاهم أكثر وأحس معاهم أكثر وأتجاوب معاهم أكثر .. لكن الفنان حين يغنى أمام الجمهور يكون ملك الجمهور .. يعنى حين أكون أغنى قدام الناس وليس لى مزاج لغناء أغنية معينة بالذات لكن غالبية الجمهور يطلبونها ؛ فأضطر لغنائها ضد مزاجى .. يعنى ممكن أن الجمهور يبسط الفنان إذا كان جمهور مستمع وحلو .. لكن إذا كان العكس ، يحدث العكس !! ..

- ومع ذلك فأنت تغنى الآن فى كباريه !! ..

– ولو .. فقد كان شرطى الأساسى أن تتوقف الخدمة على الموائد ويبطل تقديم الأكل والشرب وتحرك الجرسونات بين الموائد تماماً حين أغنى .. لا أريد أن أغنى والجرسونات رايحة جاية والناس مشغولة عنى بالأكل والمضغ والبلع والزلط ..

- يقال ، وأنا سمعتها هكذا ، أن الذى لا يغنى فى القاهرة لا يعتمد عربياً ..

ويضحك وديع الصافى ويقول فيما يشبه الإحتجاج :

- لأ .. ليس أنا .. هذا لا ينطبق علىّ أنا .. أنا إنطلقت من بيروت وليس من القاهرة .. لكن فى القاعدة العامة فذلك صحيح .. لأنه باعتبار أن أكبر عدد من المستمعين موجود فى مصر .. أكبر شعب عربى هو الشعب المصرى .. بالإضافة إلى أن فى الشعب المصرى أكبر عدد من (السميعة) الجيدين الفاهمين للفن وللغناء .. الشعب المصرى شعب سميع والفن فيه قديم ومن زمان وفيه فنانين كبار من ١٥٠ سنة على الأقل .. لكن باقى الشعوب العربية عندها فن صحيح لكن ليس فيها فنانين لامعين وكبار ..

- وإذا قلنا أن هناك فنانين عرب ذهبوا إلى القاهرة ونجحوا فى القاهرة ولمعوا فى القاهرة ؛ فلما ابتعدوا عن القاهرة إنطفأوا ، أو على الأقل خفت بريقهم ولمعانهم وقلت شهرتهم إلى حدٍ كبير .. مثل صباح ونجاح سلام وسعاد محمد ووردة ونور الهدى ..

- كل هؤلاء لأن إنطلاقتهم أساساً كانت من مصر ، من القاهرة .. حين تطلق صاروخ من قاعدته فينبغى أن يظل إتصاله ونقطة إرتكازه فيها ومنها ..

- هل تنوى أن تستقر فى لندن فى الوقت الحالى !؟ ..

- أنا يا صديقى لا أستقر فى مكان واحد .. أنا أدعو لربى أن أزور كل بلد فى الدنيا يرحب بى ، لكن فى النهاية أعود إلى وطنى العزيز لبنان الذى ولدت فيه وأحب أن أموت فيه ..

- أنت تغنى فى لندن ، وعبد المطلب يغنى فى لندن ، ومحمد جمال يغنى فى لندن ، وسعاد محمد تغنى فى لندن ، وشريفة فاضل تغنى فى لندن ، وأم كلثوم غنت فى باريس ، وعبد الحليم حافظ غنى فى أوروبا كلها .. هل يفيد الأغنية العربية أن تغنى فى أوروبا هكذا !؟ .

- لأ .. ذلك كله شئ مؤقت لمجرد الترفيه عن الجاليات العربية فى أوروبا .. كما أن أصحاب هذه المحلات والملاهى يريدون أن يعيشوا وأن يكسبوا فيضطرون إلى إحضار فنانين أصحاب أسماء معروفة لكى يغنوا للعرب المنتشرين فى كل

مكان فى أوروبا الآن .. لكن ذلك لا يفيد فى إنتشار الأغنية العربية عالميـــاً .. نحن هنا نغنى للمغتربين العرب فقط فى الأساس وليس للأجانب .. وهناك ناس يبكون تأثراً وهم يسمعوننى أغنى لأننى أذكرهم بالوطن البعيد عنهم والبعيـــدين عنه ..

نشر فى جريدة (المنار) اللندنية – عدد ٢٩ – بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٧٨
وفى مجلة (حواء) القاهرية – عدد ٢٩٧٨ – بتاريخ ٩ / ١١ / ٢٠١٣

الشيخ سيد النقشبندى .. صديقى ..

لم يكن صديقى أنا وحدى ؛ بل كان صديق كل الناس .. كان رجلاً شديد الطيبة والنقاء والصفاء الروحى ويمد جسور الصداقة والمودة والحب بينه وبين الجميع .. كل من عرفه أو إقترب منه أحبه وأصبح من مريديه ..

كنت صحفياً بمجلة (الإذاعة والتليفزيون) وأعد برنامجاً أسبوعياً فى الإذاعة وبرنامجاً أسبوعياً فى التليفزيون .. وفى أواسط الستينيات رن جرس التليفون على مكتبى وأتانى صوت صديقى المهندس " زكريا عامر " كبير مهندسى التسجيلات فى الإذاعة : " حسين .. عندى لك لقطة هايلة تنفعك فى كل حاجة .. فى المجلة وفى الإذاعة وفى التليفزيون .. تعالى لى حالاً ، أنا فى الأستوديو " .. ونزلت إليه فوراً .. فقد كان بين مقر مجلة (الإذاعة والتليفزيون) فى أول شارع ماسبيرو ومبنى التليفزيون عدة خطوات ، أقل من ١٠٠ متر ، لأرى فى الأستوديو عند زكريا عامر لأول مرة الشيخ سيد النقشبندى يسجل أدعيته وابتهالاته لأول رمضان له فى الإذاعة .. صوت الشيخ سيد النقشبندى كان كالإصابة المباشرة يدخل القلب والوجدان مباشرة ويغمرهما بشعور فياض من الإيمان والخشوع والتسامى .. وخرجت يومها من مبنى الإذاعة وقد أصبح الشيخ سيد النقشبندى صديقى المقرب جداً .. ولقرب بيتى من محطة السكة الحديد الرئيسية فى ميدان رمسيس فقد كان الشيخ بمجرد وصوله إلى القاهرة من طنطا يكون عندى فى بيتى بعد دقيقتين .. وننزل معاً إلى الليلة التى سيحييها منشداً فى أى مكان فى القاهرة .. أصبحت من مريديه وملازميه كلما كان فى القاهرة .. تحدثنا كثيراً وحكى لى وحكيت له .. وكنت أكتب صفحة أسبوعية فى مجلة

(الإذاعة والتليفزيون) بعنوان (أيام من حياتهم) فقدمته فيها فى أغرب حديث ممكن أن يجريه صحفى مع شيخ مهمته فى الحياة القرآن والإنشاد الدينى .. وسوف تجدون هذه الصفحة فى نهاية هذا المـــقـــال ..

نقشبند مدينة فى (بخارة) فى ولاية أذربيجـــان إحـــدى منـــاطق الإتحـــاد السوفييتى قبل أن يتفكك وتعود دولاً مستقلة .. ومن هنا جاءت تسمية (النقشبندى) ، كما نقول فى مصر الدمنهورى والمنصورى والشـــرقاوى والمنـــوفى والإســـكندرانى والأسيوطى وهكذا ، نسبة إلى المدينة أو المنطقة التى جاء منها .. لكن (النقشبندية) أيضاً طريقة مهمة وكبيرة من الطرق الصوفية فى الإسلام ، بدأت على يـــد الشـــيخ " بهاء الدين نقشبند " الذى توفى فى عام ٧٩١ هجرية .. وحـــين جـــاء الجـــد الأكبـــر لنقشبندية مصر الشيخ " محمد بهاء الدين النقشبندى " مهاجراً من (بخارة) فى نقشبند أذربيجان كان قد مر على العراق والشام أولاً قبل أن يحط الرحال فى مصر ويســـتقر بها فى أواخر القرن التاسع عشر ويلتحق بالأزهر .. كان هو جد الشيخ سيد .. ثـــم كان إبنه الشيخ " محمد النقشبندى " هو والد الشيخ سبد ، واعظاً دينياً إستقر فى مدينة (قلين) بمحافظة كفر الشيخ ، ثم إنتقل إلى قرية (دميرة) مركـــز طلخـــا بمحافظـــة الدقهلية ، وفيها تزوج واحدة من بنات القرية وأنجب منها إبنه " سيد " فـــى يـــوم ١٢ مارس عام ١٩٢١ .. لكن هذا الزواج لم يقدر له أن يستمر ، فبعد ١٠ سنوات إنفصل الشيخ محمد عن زوجته بنت قرية (دميرة) وكان الطفل " سيد " فى العاشـــرة مـــن عمره .. وتزوجت أمه بعد طلاقها من شيخ آخر هو الشـــيخ " حســـن المـــواردى " ، ورحلت معه إلى طهطا فى محافظة سوهاج فى صعيد مصر ، ومعها طفلها " سيد " ، الذى قام زوج أمه بتربيته وكأنه إبنه ، وعلمه ودربه على الإنشاد الدينى فى حلقـــات الذكر وحفظه القرآن .. وبدأ الشيخ الصغير " سيد النقشبندى " يلعلع بصـــوته القـــوى الخاشع فى موالد القرى والمراكز حتى أصبح مشهوراً ومعروفاً محلياً ، فانطلق إلـــى كل محافظات الصعيد يحيى موالدها : مولد أبو الحجاج فى الأقصـــر وســـيدى عبـــد الرحيم القناوى فى قنا وجلال الدين السيوطى وغيرهم .. ثم بدأ يجئ إلـــى القـــاهرة العاصمة ليحيى فيها ليالى الذكر والإنشاد والإبتهالات فى موالدها : مولد السيدة زينب ومولد السيدة نفيسة ومولد سيدنا الحسين .. وفى مولد سيدنا الحسين فى عام ١٩٦٦



كان الحظ ينتظره ؛ فقد إلتقى صدفة بـــ " أحمد فراج " الإذاعى والتليفزيونى الشهير الذى كان يقدم برامج دينية فى راديو وتليفزيون القاهرة ، أشهرها (نور على نور) .. فإنبهر أحمد فراج بصوت الشيخ سيد النقشبندى القادم من صـــعيد مصـــر – الذى كان فى الخامسة والأربعين وقتها – فقدمه إلى الإذاعة وإلى التليفزيون ، ليصبح الشيخ سيد بعد فترة وجيزة جداً ألمع نجوم الإنشاد الدينى فى الإذاعة وفى التليفزيـــون معاً ، بصوته القوى الأخاذ الملئ بالخشوع الحقيقى والإيمان الصادق .. حتى أطلـــق عليه (صاحب الصوت الملائكى) و(الكروان الربانى) و(إمام المداحين) .. وقال عنه الدكتور مصطفى محمود فى برنامجه (العلم والإيمان) : (إن صوت الشيخ سيد النقشبندى مثل النور الكريم الفريد الذى لم يصل إليه أحد) .. وأجمع خبراء الأصوات على أن صوت الشيخ النقشبندى من أعذب الأصوات التى قـــدمت الإنشـــاد والـــدعاء الدينى ، فصوته مكون من ثمانى طبقات ، وكان يقول الجـــواب وجـــواب الجـــواب وجواب جواب الجواب ، وصوته بين طبقة المتروســـوبراتو وطبقـــة الســـوبرانو .. وأصبحت إبتهالاته الدينية التى تذاع من الراديو والتبفزيون معاً قبل موعد الإفطار كل يوم علامة من علامات شهر رمضان .. يعنى الصيام ومدفع افطار وإبتهالات الشـــيخ سيد النقشبندى ، التى لحن له بعضها كبار ملحنى عصره : محمود الشـــريف وســـيد مكاوى وأحمد صدقى وحلمى أمين الموجى وبليغ حمدى .. وحتى أن الرئيس السادات كان كلما ذهب إلى قريته (ميت أبو الكوم) فى المنوفية يرسل فى طلب الشيخ ســـيد من طنطا ليملأ لياليه فى ميت أبو الكوم بالإبتهالات والإنشاد الـــدينى والتواشـــيح .. السادات فى ميت أبو الكوم النقشبندى فى ميت أبو الكوم..

ولم تغير شهرة الشيخ سيد النقشبندى من طبيعته السـمحة وروحـه الطيبـة المرحة المحبة للحياة ولكل الناس ، فأحبه كل من إقترب منه أو تعامل معه .. وكـان لديه قدرة فائقة على إجتذاب الناس حوله وحبهم له .. وطارت شهرته لتغمر الـوطن العربى والإسلامى كله ، فزار أبـو ظبـى وسـوريا والأردن والعـراق والمغـرب والسعودية – وأدى فيها فريضة الحج ٥ مرات – واليمن وأندونيسيا ، وعدد كبير من الدول الأفريقية والآسيوية .. وكرمه الرئيس السادات لكن بعد وفاته فمنحه وسام الدولة من الدرجة الأولى عام ١٩٧٩ ، وأيضاً كرمه الرئيس السابق حسنى مبـارك فمنحـه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٩ ، وكرمته محافظة الغربية التى عاش فيها الـ ٢١ سنة الأخيرة من حياته فأطلقت إسمه على أهم وأكبر شـوارع طنطـا ، الشارع الممتد من ميدان المحطة إلى ميدان الساعة

ومات الشيخ سيد النقشبندى فى ١٤ فبراير عام ١٩٧٦ وعمره ٥٥ سـنة ، ودفن فى مقابر (السادة الخلواتية) تحت جبل المقطم ، بجوار شيخه الشيخ " حسـن معوض " الذى كان يعتبره من أهم أساتذته .. وتـرك وراءه ثـروة مـن الأناشـيد والإبتهالات الدينية ، إلى جانب بعض القراءات من القـرآن الكـريم .. ومـن أهـم الإبتهالات التى تذاع حتى الآن وينتظرها المستمعون فى ليالى شهر رمضان : جـل الإله – أقوِ أمتى – أى سلوى – أنت فى عين قلبى – يـا رب دموعنـا – حشـودنا تدعوك – بدر الكبرى – ليلة القدر – ربنا – أيها الساهر – سبحانك ربى سـبحانك – رسولك المختار – مولاى – أغيب – يا رب إن عظمت ذنوبى – النفس تشكو – رب هب لى هدى – مولاى إنى ببابك – ماشى بنور الله ماشى – تبتلات مشـتكى – يـا مجيب السائلين – إلهى لبيك – عجيب – قبضة الله – يا قديراً – أخوات الحق – يـا واهب الخير ....

* * *

وإليكم الآن صفحة (أيام من حياتهم) مع الشيخ سيد النقشبندى التى نشـرت فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٨ :

مممممممممممممممممممممم

إستناني
على السلم
فى الضلمة
ياحبيبى !! ..

الشيخ سيد النقشبندى

٢٠ اكتوبر سنة ١٩٦٨

اليومين دول واحد أخ صحفى قالب الدنيا بيدور علىّ فى كل حتة علشان عايز يشوفنى يعمل معايا حديث بمناسبة رمضان .. إتصل بىّ فى بيتى فى طنطا بس أنا ماكنتش موجود ، والظاهر إنه يعرف أخونا مدير سينما (أمير) فى طنطا فوصاه يخلينى أتصل بيه ، ويعرف كمان صديق لينا طنطاوى موظف فى سفارة الكويت برضه وصاه يتفق معايا على ميعاد ، وكلم أخونا الأستاذ " أحمد فراج " علشان برضه يجمعنا فى لقاء سوا ، واتصل بىّ فى بيوت إخواتى وأزواج بناتى فى القاهرة .. وفى الآخر قفشنى على التليفون فى استديوهات الإذاعة وأنا بأسجل ، وإتفقنا على موعد أزوره فيه ..

وفى الحقيقة أنا ماكنتش باتهرب منه ، لكن أنا اليومين دول مشغول للغاية ، وان كان ده لا يمنع برضه إنى بأخاف من الصحفيين وبأخشى أسئلتهم الخبيثة الماكرة

المفاجئة اللى لا تتيح للواحد فرصة التفكير الهادئ والتروى قبل الرد عليها ، وبالشكل ده بيوقعوا الواحد أحيانا فى الحرج .. هم ناس ظراف صحيح لكن ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم .. أذكر أخ صحفى شاب إلتقيت به مرة فقعد سألنى شوية أسئلة عمرى ما كان يخطر على بالى فى يوم من الأيام إنى حأجاوب على أسئلة بالشكل ده .. مثلا قال لى : " بتروح السينما والا لأ يا شيخ سيد !؟ " .. قلت له : " والله يا أخى إن الدين لا يعترض على أى فن نظيف يشير إلى الفضيلة ، وأنا أذهب إلى السينما كلما سمعت عن فيلم جيد ، وقد شاهدت كل أفلام محمد عبد الوهاب بلا استثناء أكثر من مرة وأحفظ أدواره كلها " .. فصديقنا الصحفى إتسعت عيناه من الدهشة وهو بيسألنى : " بتحفظ أدواره اللى بيمثلها فى السينما يا شيخ سيد !؟ " .. قلت له : " لأ يا أخى .. أدواره بمعنى أغانيه أو ألحانه ، وأتغنى بها فى كثير من الأحيان .. وأعشق كذلك غناء أم كلثوم ، فهو لا يثير فى النفس إلا كل أحاسيس شريفة عفيفة حتى فى أغانيها العاطفية ، فهى لا تغنى (إستنانى على السلم فى الضلمة ياحبيبى) ولا تقول (أنا لابسة ومتزوقة على الآخر وعاملة عمايلى وقاعدة بأستناك جنب الشباك ونار الشوق مولعة فى جِتِة البعيدة) !! .. فصوت أم كلثوم وحسن اختيارها للمعانى والألفاظ التى تغنيها يجبر المستمع على إحترام الصوت وصاحبته " .. لكن أخونا الصحفى رجع يسألنى تانى : " وآخر فيلم دخلته إيه يا شيخ سيد !؟ " .. قلت له : " والله ياأخى فيلم (الزوجة الثانية) بتاع سعاد " .. بصيت لقيته كأنه بيتربص لى لأنه قال لى : " سعاد كده حاف يا شيخ سيد !؟ .. هى بالنسبة لك علم مش محتاج إنك تذكر لقبها !؟ " .. قلت له : " لأ ياأخى ما تستدرجنيش إلى الخطأ ، وما تعملش معايا زى ما عملوا فى التليفزيون لما إستضافونى فى برنامج (شريط تسجيل) وجاء ذكر مشاهدتى لهذا الفيلم فسألتنى الأخت " نجوى إبراهيم " : " تحب تشوف أى لقطة فى الفيلم ياشيخ سيد " .. فطلبت منها المنظر الذى فيه سعاد – أقصد سعاد حسنى – وهى تزور ضريح السيد البدوى فى طنطا .. لكننى فوجئت عند عرض (شريط تسجيل) بأن السيد المخرج الله يسامحه ويغفر له وضع لقطة أخرى فيها " سعاد

حسنى " وهى ترقص رقصة مثيرة .. فكان ذلك مطباً وضعنى فيه أمام جمهور المشاهدين الذين ظنوا أن رجل الدين حامل كتاب الله ولى عهد الطريقة النقشبندية فى مصر يطلب مشاهدة سعاد حسنى وهى ترقص !! .. ولكن الصحفى عاد ليتجه بأسئلته وجهة أخرى ، فسألنى : " عندك بنات كبار يا شيخ سيد !؟ " .. قلت له وقد ظننته سؤال ويمر : " أى نعم ، تلاتة .. إتنين متجوزين ، والثالثة صبية تلميذة فى الرابعة عشرة " .. سأل : " بيلبسوا إيه !؟ " قلت فى دهشة : " يعنى إيه بيلبسوا إيه !؟ .. بيلبسوا ملابس طبعاً " .. قال : " ما أنا عارف إنهم بيلبسوا ملابس .. أقصد أى نوع من الملابس !؟ " .. قلت وقد أدركت ما يرمى إليه بسؤاله : " فهمت قصدك .. يرتدين العادى جداً الشائع من الملابس الحديثة فى الوقت نفسه ، يعنى على الركبة فى حدود المعقول ، لكن تلك الموضة التى تسمونها (المينى جيب) فهذه تقليعة لا مكان لها عندنا " .. قال : " بيروحوا للكوافير يا شيخ سيد !؟ " .. قلت : " أى نعم .. فى المناسبات فقط " .. قال : بيلبسوا مايوهات على البلاج !؟ " .. قلت : " ولا يذهبن إلى المصايف على الإطلاق ، وليس ذلك لأى سبب إلا أن الظروف لا تسمح بذلك .. وإن كنت أنا نفسى لو أتيحت لى الفرصة لأن اقضى وقتاً على البلاج - كما حدث فى العام الماضى فى رأس البر - فإننى أرتدى المايوه وأنزل البحر فى الوقت والمكان الذى لا أرى فيهما النساء لابسات المايوهات ، ولا يريننى هن وأنا بالمايوه " .. ولكن الصحفى كان مصراً على العودة إلى حديث البنات والموضوعات الشائكة التى أجد نفسى فيها مضطراً إلى الإجابة بصراحة : " ما رأيك فى الحب !؟ " .. قلت له : " الحب من العفاف لا أراه حراماً .. أقر الحب العفيف إذا كانت النوايا سليمة وليس بقصد التسلية .. فإذا كان هناك شاب وفتاة زميلين فى دراسة أو جامعة أو فى عمل وجمع الحب الشريف النظيف العفيف بينهما ؛ فلا أمانع فى أن يخرجا معاً على ألا يحدث بينهما ما يمس الشرف ولا العفاف ، ولا تتم بينهما خلوة فى مكان مغلق " .. عاد يسألنى : " يعنى لو جاءت إبنتك الصبية وقالت لك أن هناك شاباً شقيق إحدى صديقاتها تعرفت عليه فى بيت هذه الصديقة وأحبا بعضهما ، وهو يريد أن يتقدم لخطبتها ؛ فكيف

تتصرف معها !؟ " .. قلت على الفور : " ألومها لوماً خفيفاً على أنها أخفت عنى الأمر منذ بدايته .. فأنا صديق لبناتى وأبنائى .. ثم أبارك حبهما وأوافق على زواجهما .. فمن رأيى أن الزواج الذى يقوم على التفاهم والوِد يكون أنجح دائماً " .. وقفشها الصحفى الشاب الخبيث الذى سألنى على الفور : " أفهم من كده إنك إنت شخصياً تزوجت عن حب !؟ " .. قلت فى سرى جازاك الله ، فقد أتعبتنى من اللهث وراء أسئلتك المتلاحقة المحرجة .. ولكننى سلمت أمرى إلى الله وقلت له : " ليس كذلك بمفهوم هذه الأيام .. ولكنها كانت قريبتى ؛ إبنه خالى وإبنة عمتى فى نفس الوقت ، وكنت أراها كثيراً وأعجب بها كثيراً وأفكر فيها كثيراً ، وإذا بعدت عنى أشتاق إليها كثيراً .. فإذا كان هذا هو الحب فى اعتباركم يبقى أنا حبيت .. قوم بأه كفاية عليك كده .. أتعبتنى منك لله " ..

نشر فى مجلة (الهلال) القاهرية – عدد يوليو / ٢٠١٤ ..

نشر فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) – العدد ١٧٥٨ – بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٩٦٨

توفى الشيخ سيد النقشبندى فى ١٤ / ٢ / ١٩٧٦ ..

الرجل الذى لم ينظر وراءه فى غضب ..

تمنيت لو كان الوطن العربى كله بلا حدود ..

- تمنى الجميع أن أصبح وزيراً ؛ إلا أنا !! ..
- بين لقب (وزير) و(وزير سابق) .. شعرة !! ..
- حتى وأنا وزير .. غير قادر على تحقيق ما فى ذهنى ..

عرفته منذ حوالى ٢٥ سنة فى بداية إشتغالى بالصحافة .. كان وقتها شاباً فى بداية الثلاثينيات من عمره ، ولازال شاباً حتى الآن رغم أن رجله قد أصبحت فى الستين .. كان شاباً يرأس (المجلس الأعلى لرعاية الشباب) فى مصر ، وفعل الكثير من أجل الشباب .. وفجأة ، وبدون أسباب واضحة أو معلنة (أبعد) إلى وزارة السياحة ، وكيلاً لها !! .. ولم ينكر هو أن ذلك كان (إبعاداً) أو (إقصاء) .. لكنه لم ينظر وراءه فى غضب ولم يضع وقته فى التشنيع على من أبعدوه ؛ إنما بدأ يدرس مواقع أقدامه فى المجال الجديد الذى أقحم كلاهما على الآخر .. وبعد سنوات قليلة أصبح من أكبر خبراء السياحة فى مصر وفى الوطن العربى كله ، حتى تمنى كل الصحفيون وكل خبراء السياحة الذين كانوا يتعاملون معه ويعرفونه عن قرب ؛ تمنوا أن يصبح وزيراً للسياحة حتى تتاح له الفرصة كاملة لينفذ كل الأفكار التى كانت فى رأسه للسياحة المصرية والعربية .. لكن لأن شيئاً ما فى دولاب العمل ليس له إسم محدد ، يجعل ترتيب (أهل الثقة) قبل (أهل الخبرة) ويجعل (العربة أمام الحصان) ؛ فقد بقى وكيلاً لوزارة السياحة ١٨ سنة كاملة ، مر عليه خلالها مثل هذا الرقم من

الوزراء الذين كان تعيينهم وزراء للسياحة مفاجأة لهم شخصياً قبل أن تكــون مفاجــأة للآخرين .. أعرف ، شخصياً ، واحداً منهم لم يكن أصلاً يعرف أن فى مصـــر وزارة للسياحة ّ !! ..

بعد ١٨ سنة أصبح " عادل طاهر " وزيراً للسياحة .. وكان بيننا هذا اللقــاء حول ٣ موضوعات محددة : السياحة العربية بين دول الوطن العربى الكبير ، السياحة الدينية ، السياحة العلاجية العربية ..

* * *

* أخيراً أصبحت وزيراً للسياحة .. أذكر أننا تكلمنا أكثر من مرة من قبل فى هذه المسألة حين كنت وكيلاً لوزارة السياحة ، حين كنت أسألك : لماذا يعــين وزراء للسياحة غير متخصصين وبعيدين تماماً عن مسألة السياحة ، وتتخطى أنت فلا تعــين وزيراً للسياحة رغم أنك أكبر متخصص فيها فى مصر الآن .. هل تذكر بماذا كنــت تجيبنى !؟ ..

- طبعاً أذكر ..

* كنت تقول لى أنك لا تريد أن تكون وزيراً للسياحة ، لأنك وأنت (وكيل) موجود بشكل دائم ومستمر ، لكن حين تصبح وزيراً ففى أى لحظــة يحــدث تغييــر وزارى ستجد نفسك (وزيراً سابقاً) ، فلا طلت وزيراً ولا طلت وكيلاً ، فلا تستطيع أن تحقق ما تريده للسياحة !! ..

- بالضبط .. لكن المسألة لم تكن فقط مجرد الإستمرار ؛ إنما أيضاً كانــت وأنا وكيل عندى فرصة أكبر ووقت أكبر لأفكر أكثر وأبتكر أكثر وأتحــرك أكثــر .. لكن وأنا وزير فإن جزءً كبيراً من وقتى ضائع فى إجتماعات سياسية وإجتماعات فى مجلس الوزراء وإجتماعات فى مجلس الشعب وإجتماعات فى لجنة الإنتــاج .. لكــن العمل السياحى نفسه كعمل فنى وكعمل يحتاج إلى خبرتى السياحية أعطيه وقتاً أقل جداً جداً من الوقت المخصص لتلك الإجتماعات المستمرة لوضع سياسات عامة ..



لكن أهم إستفادة حصلت عليها الآن وأنا فى موقع الوزير ؛ هى لجنة الإنتاج التى تتكون من عدة وزارات للإنتاج تدخل أعمالهم جميعاً فى عمل وزارة السياحة .. كالطرق والمواصلات والتعمير والكهرباء ، وكل ما هو خاص بالبتية الأساسية للسياحة ، ثم المساعدات والخدمات الأخرى كالصناعة مثلاً .. لأننى بدلاً من أن نشترى الأدوات والتجهيزات التى نحتاجها فى مجال السياحة من الخارج ؛ فنحن نتفق مع وزير الصناعة على أن يوجه التصنيع إلى ما يغطى الإحتياجات الخاصة بنا ، ونشتريها طبعاً بالعملة المحلية فنوفر كثيراً من العلات الصعبة .. ففى الحقيقة أننى أستفيد كوزارة سياحة من لجنة الإنتاج هذه فائدة كبيرة جداً ، فى تنسيق وترابط وتكامل الإمكانيات التى تحقق أهداف وزارة السياحة ..

* * *

* هل فى تقديرك الآن وأنت وزير للسباحة أنك قادر على أن تحقق كل ما كان فى ذهنك حين كنت وكيلاً لها وكان الأمر يحتاج إلى مناقشة الوزير والحصول على موافقته ، وقد لا يقتنع فلا يوافق .. وأنت الآن تنفذ مشروعاتك الشخصية التى أنت فاهمها جيداً ودارسها جبداً ومستوعبها جيداً كرجل سياحة !؟ ..

- ذلك صحيح .. فعندما كنت وكيلاً كنت أعرض أفكاراً وأعرض دراسات تتم على مستوى الوكالة التى كنت أرأسها : وكالة الوزارة لتنشيط السياحة .. كانت هذه الأفكار والدراسات معرضة لأن يوافق عليها الوزير أو لا يوافق .. وحتى حين يوافق عليها كانت أحياناً يصعب تنفيذها ، لأننى قد لا أكون أنا - أو الوكالة التى أرأسها - المنفذين لهذه المشروعات .. أما الآن فهناك الأفكار والدراسات التى تصعد إلىّ من القاعدة من تحت أو من المسئولين فى وزارة السياحة والهيئات والجهات المتفرعة عنها ؛ وحين أجدها متماشية مع ما فى ذهنى أحاول أن أعمل على تنفيذها ولا نخطئ الخطأ القديم الذى كنا نفعله بالموافقة على بعض المشروعات ثم تتوقف ولا يتم تنفيذها لعدم وجود المتابعة الكافية اللازمة ..

لكن مع ذلك فلازالت حتى الآن توجد صعوبات كبيرة جداً بالنسبة لعملى كوزير ؛ هى الأجهزة التنفيذية نفسها المعاونة لى .. هل هذه الأجهزة على المستوى الذى يمكنها من أن تنفذ كل ما يخطر على بالى وبال الذين يفكرون للسياحة !؟ .. وهل جهاز السياحة هو المسئول الوحيد عن تنفيذ ما نفكر فيه لمحاولة أن نلحق بما سبقتنا إليه الدول الأخرى فى مجال السياحة !؟ ..

وجدنا أن العملية لا تنحصر فى وزارة السياحة فقط ؛ لكنها تتوزع وتتشعب فى أجهزة أخرى متعددة وكثيرة جداً من وزارات أخرى ومحافظات .. من هنا فبصفتى وزيراً أتمكن من الإتصال مباشرة بالوزراء الذين تدخل أعمالنا فى إختصاصاتهم ، وكذلك بالمحليات والمحافظات .. وأشعر أنه لا زالت السياحة لم توضع بالنسبة إليهم فى الأولوية التى يجب أن توضع فيها ، حتى تعطى مؤشراً من الدولة على أن السياحة يجب أن توضع فى الأولوية التى تحقق الهدف الإقتصادى الضخم المنتظر منها .. وذلك هو ما أسعى إليه الآن بأن نخلق الوعى اللازم بهذا المفهوم .. خصوصاً بعد أن تسببت حرب ١٩٦٧ فى أن البترول وقناة السويس والموارد الخارجية قد توقف بعضها تماماً وقل البعض الآخر كثيراً .. ووجدنا أن السياحة لابد وأن تكون هى مصدر الدخل القومى الأساسى .. خصوصاً أن السلعة

السياحية المصرية سلعة نادرة لا مثيل لها فى أى مكان آخر فى العالم ، ولهـا مـن الإمكانيات مالا يمكن أن تنافسها فيه دول أخرى من دول العالم ، ولا يمن أن تقل هذه الإمكانيات أو تنقص أو تستهلك أبداً ، بالعكس ، هى فى صـعود دائـم بالإكتشـافات الجديدة والإضافات الجديدة ، ولا تتأثر أبداً بأى مؤثرات خارجية .. لا الهرم سينتهى ولا أبو الهول سيستهلك ، وهكذا .. لأنها سلع حبانا بها الله الذى أعطانا الكثيـر مـن الإمكانيات البيئية والطبيعية والحضارات .

وقد كان ذلك هو الهدف من المؤتمر السياحى الذى عقدناه فى القاهرة مؤخراً وحضره رئيس الوزراء ومجلس الوزراء كله ولجنتى السياحة والإعلام بمجلس الشعب ، وكذلك لجنة النقل والمواصلات .. هذه المجموعة هى التى تشكل سياسة الدولة كلها .. وأرجو أن نكون قد خرجنا من هذا المؤتمر بأن نحصل على الأولوية .. ماذا أعنى بـــ (الأولوية) !؟ .. يعنى منطقة الساحل الشمالى على البحر الأبيض مثلاً ، ومنطقة البحر الأحمر .. هذا الشاطئ تخصص منه مساحة أرض تعطـى بتسـهيلات كبيـرة وضمانات للمستثمرين .. الجزء الثانى أن الطرق والنقل والكهرباء والمجارى وكـل المرافق التى تعاون المشروع توضع فى أولويات خطة الوزارات المعنية التـى فـى إختصاصاتها هذه المرافق .. وتوضع أيضاً فى أولويات المحليـات أو المحافظـات ، حتى تكون المشروعات السياحية كلها قد حصلت على الأولوية فى التنفيـذ ، فتخـرج بسرعة ومتكاملة إلى النور بأسرع ما يمكن .. لأن هذه المشروعات أيضـاً تحقـق (أسرع) عائد .. يعنى الفندق الجديد مثلاً حين يكتمل بناؤه اليوم سيبدأ عملـه ويبـدأ يستقبل نزلاؤه من اليوم التالى فوراً .. وهكذا ..

* * *

* السياح الذين يجيئون إلى مصر ؛ هل هم مصنفون حسب الدول التى جاءوا منها !؟ ..

– منهم ٤٤ % من الدول العربية وحدها .. وأمريكا هى رقم ١ بالنسبة للدول غير العربية : ١٤٠ر٠٠٠ سائح أمريكى فى السنة ، ثم ألمانيا فإنجلترا ففرنسا .. لكن

نحن عيننا على أمريكا اللاتينية التى ينفق السائح منها ١٦ مرة قدر ما ينفق السائح القادم من أى دولة أوروبية .. هذه الدول نحن ننشئ فيها الآن مكاتب سياحية مصرية جديدة لتنشيط السياحة منها إلى مصر ..

* السياح الذين يجيئون إلى مصر من البلاد العربية الذين يمثلون ٤٤ % من تعداد السياح القادمين إلى مصر عموماً ؛ هل تبذل وزارة السياحة المصرية ومكاتبها فى الخارج جهداً فى إستقطابهم وإجتذابهم للمجئ إلى مصر ؛ أم أنهم يجيئون وحدهم بحكم نهم (أهل) و(أصحاب بيت) ويعرفون أن مصر هى بلد العرب جميعاً !؟ ..

– هم يجيون إلى مصر وحدهم ، لأن كل عربى من المحيط إلى الخليج يعتبر مصر هى الدولة العربية الأم ، وأن مصر هى الوطن الثانى لكل عربى من أى بلد عربى .. لكننا أيضاً نبذل جهداً فى أن نسهل لهم هذا المجئ .. فنعطيهم إطمئناناً إلى أنهم حين يجيئون سيجدون قلوبنا مفتوحة لهم ، لأنهم كما قلت أنت (أهل) و(أصحاب بيت) .. ورغم أنه كان هناك وقت – بحكم السياسات – كانت الصحافة العربية تهاجم مصر ؛ لكن المواطن العربى كان يعتبر السياسة شئ ومصر الأم البعيدة عن السياسة شئ آخر تعتبر كل عربى قادم إليها قادم إلى بيته وإلى وطنه وإلى أهله ، ودائماً هم محل ترحيب وإحتفاء أكثر من أى سائح أجنبى قادم من أى دولة أوروبية ، مهما كان قدر الذى سينفقه هذا الأجنبى السائح .. والزائر أو القادم العربى لمصر يحس بذلك ويشعر به دون حاجة إلى وسيلة إعلام تقول له ذلك .. ويكفى عبارة (الأخوة العرب) التى دائماً على كل لسان هنا .. فنحن لا نقول (الأخوة الإنجليز) مثلاً ولا (الأخوة الفرنسيين) ولا (الأخوة الأسبان) .. نقول فقط (الأخوة العرب) لأننا نشعر أننا وهم أخوة فعلاً ..

وبعد الأحداث الأخيرة التى حدثت فى مصر فى أكتوبر الماضى وإغتيال الرئيس السادات ؛ هبط عدد السياح العرب إلى مصر بنسبة ٢٠ % ، ولكن بعد أسابيع قليلة جداً عاد المعدل تقريباً إلى ما كان عليه .. وللدقة بناقص ٥ % فقط الآن فى هذه اللحظة ونحن نجرى معاً هذا الحديث أنا وأنت .. وقد لا ينشر هذا الحديث إلا وقد عاد

الرقم إلى ما كان عليه أصلاً .. وبالعكس ؛ فنحن ننتظر الآن أن يزيد عـدد السـياح العرب عما كانوا عليه قبل أحداث أكتوبر وإغتيال الرئيس السادات ..

* مسألة التسهيلات بالنسبة للسائح العربى الذى يجئ إلى مصر : تأشـيرات الدخول مثلاً .. أنا أعرف أن هناك بعض أبناء دول عربية معينـة ، الأردن مـثلاً ؛ معفيين من الحصول على تأشيرة دخول لمصر ، وأبناء بعض دول عربية أخرى غير معفيين من هذه التأشيرة .. لماذا هذه التفرقة فى المعاملة وكلهم أبناء أمة عربية واحدة ..؟!

– بالعكس .. فإن الأمور أسهل كثيراً جداً الآن .. وكل واحد يسـتطيع الآن بمنتهى السهولة أن يحصل على التأشيرة من القنصلية المصرية فى وطنه .. ومن لـم يستطع الحصول على التأشيرة وهو فى وطنه ، لنقل لضيق وقته قبل سفره مثلاً ؛ فإنه سيحصل عليها فى مطار القاهرة هنا بمجرد وصوله .. وقد عقدت إجتماعاً مؤخراً مع كل العاملين فى مطار القاهرة : من الطيران والجمارك والجوازات وشركات السياحة والمرافق كلها ، وكل فرد يقابل السائح العربى فى مطار القاهرة عند وصوله ، إبتداءً من الشياالين لغاية مدير المطار .. وإتفقنا أن نعطى جميعاً كـل التسـهيلات للسـائح العربى عند وصوله إلى مصر .. ونحن نرحب بهم تماماً ..

* سأذكر لك حالة معينة دون ذكر أسماء لأن الأسماء هنا لا تهـم : شـاب عراقى يدرس فى لندن ؛ أراد أن يقضى أجازته – التى مدتها أسبوعين فقـط – فـى مصر .. حين ذهب إلى القنصلية المصرية فى لندن ليطلب تأشيرة دخول لمصر ؛ قيل له فى القنصلية أن يعود ليأخذ التأشيرة بعد ٦ أسابيع !! .. ولما كانت أجازته أسبوعين فقط كما ذكرت ؛ فإنه عدل طبعاً عن أن بقضى أجازته فى مصر وقضاها فى دولـة أوروبية أخرى !! ..

– هناك بعض المناطق ، نظراً لظروف أمنية خاصة ؛ تحتاج إلى إجـراءات أمن معينة .. وهى مرحلة مؤقتة جداً وستزول قريباً جداً بإذن الله ..

* * *

* هناك كلام يقال كثيراً عن أن بعض الـدول العربيـة ، أو لنقـل بعـض الحكومات العربية ؛ معترضة على وجود (شارع الهرم) فى مصر !! ..

– فى الحقيقة أنا لا أعرف لماذا شارع الهرم بالذات مرتبط بالسياح العـرب بالذات !؟ .. مع أن السياح العرب ليس شارع الهرم هو أكثر ما يـربطهم بمصـر ؛ وإنما أكثر ما يربطهم بمصر هى القاهرة القديمة والقاهرة الإسـلامية ونهـر النيـل والكازينوهات المطلة عليه هو أساس السياحة العربية فى مصر .. وكون أن (بعض) العرب يذهبون إلى شارع الهرم للحصول على قدر من الترفيه والموسيقى والـرقص والغناء وما إلى ذلك ؛ فهم ليسوا بالعدد الذى يجعلنا نقول أن (جميع) العرب يذهبون إلى شارع الهرم .. وكل سائح له طابعه الخاص به فى المشاهدة والفرجة والإستمتاع .. فمثلاً الأوروبيون يهتمون أكثر بالذهاب إلى صحارى سيتى لكى يتمتعوا بالخيمـة العربية فى الصحراء والجو المصرى أو العربى الموجود فى الصحراء ورقص الخيل وفرقة أولاد أبو الغيط والرقص الشرقى وما إلى ذلك .. فكل سائح ، كما قلـت ، لـه طابعه الخاص به فى الفرجة والمشاهدة ..

* أو ليس شارع الهرم موجود له مثيل ، كشارع ملاهى ، فـى كـل دولـة عربية وأوروبية !؟ .. لماذا لا تحتج هذه الحكومات على باقى البلاد العربية وبـاقى البلاد الأوروبية !؟ ..

– لم يقل أحد من السياح العرب أنهم متضايقون من شارع الهرم ؛ وإلا مـا كانوا قد ذهبوا إليه ليقضوا سهراتهم فيه .. وإن كنت أنا لى رأى خاص فـى شـارع الهرم وفى الملاهى المصرية عموماً .. فالمفروض أن تقدم هذه الملاهى فناً مصـرياً خالصاً ولا تقدم نمراً أجنبية كالتى تقدم فى ملاهى أوروبا .. نحن هنا فـى مصـر ، والسائح قادم إلينا هو يعرف أن هذه هى مصر وليست أوروبا .. الذى يريد أن يـرى ملاهى أجنبية عليه أن يذهب إليها فى أوروبا .. والذى يجئ عندنا عارف أنه سـوف يرى فنون مصر .. المفروض ألا نقدم لهم إلا الفولكلور الخاص بنا ، مثل فرقة رضا أو الفرقة القومية أو فرقة دمنهور وفرقنا الشعبية المحلية ..

* أو ليس ممكناً أن فرقة رضا أو الفرقة القومية وفرقة البحيرة والفرقة النوبية وفرقة الإسكندرية وغيرها من الفرق الشعبية ؛ أن تقدم بالتناوب موسماً متصلاً يمتد طول السنة ، بحيث أنه فى أى وقت يجئ فيه السائح العربى إلى مصر ، سواء كان مجيئه فى الصيف أو فى الشتاء ، فى الربيخ أو فى الخريف ، يجد فرقة من هذه الفرق تقدم عروضها ..

– العرب يتمنون ذلك ، فهذه هى فنوننا القومية .. إنما المفروض أن تتوفر الإمكانيات والمسارح التى تتيح للفرق الشعبية المختلفة أن تقدم عروضها طول السنة .. وأيضاً أن تكون لكل محافظة فرقتها والبرامج الخاصة بها ، فى برنامج سنوى معروف ومعلوم مقدماً للسائحين العرب وغير العرب ، وهم لازالوا فى بلادهم .. فيكونوا يعرفون الفنون التى ستقدم فى أماكن كذا وكذا فى مصر فى كل شهر من شهور السنة .. حتى يكون السائح قادماً إلى مصر وهو يعرف مقدماً البرنامج الكامل لزيارته ومخطط لنفسه ما الذى سوف يراه ويشاهده خلال فترة زيارته لمصر ..

* * *

* نهر النيل ، وهو واحد من أعظم أنهار العالم ، إن لم يكن أعظمها .. هل هو مستغل بقدرٍ كافٍ !؟ ..

– نهر النيل هو مشكلة كبيرة جداً فى الحقيقة .. فإنه شئ يبعث على الأسى أن يجلس الواحد على شاطئ النهر فلا يرى أمامه أى شئ يتحرك على صفحة النهر مثل ما يراه فى كل أنهار العالم : المطاعم العائمة مع الموسيقى ، مراكب الفسحة ، الكازينوهات المتنقلة .. وسؤالك كيف نستغل نهر النيل الإستغلال السليم الصحيح !؟ .. هل ذلك هو دور الدولة أم هو دور القطاع الخاص !؟ .. العملية تنقسم إلى جزئين الدولة واجبها أن تعد الإمكانيات ، التى هى البنية الأساسية للنهر نفسه : الشواطئ ، المجرى ، علامات الإرشاد ، المراسى ، وكل الأشياء التى أعتبرها (بنية أساسية) والتى نشترك فيها نحن كوزارة سياحة ووزارة الرى .. المطلوب منا أن نطور نهر النيل لاستقبال هذا النوع الجديد من السياحة – الجديد علينا نحن على الأقل – وهذه لها

خطة خمسية وضعناها بالإتفاق مع وزارة الرى والمحافظين ، على ما الـذى يجـب عمله لإعداد النهر وتجهيزه للسياحة النهرية .. هذا أولاً ..

نجئ بعد ذلك لدور القطاع الخاص فى كل عمليات التشغيل نفسها ، التى هى الكازينوهات والمطاعم العائمة وفرق الموسيقى وما إلى ذلك .. ونحـن نعطـى كـل الإمكانيات والمساعدات والخدمات للقطاع الخاص والعام لكى يساهم فى تنمية النهر .. فى الوقت الحالى مثلاً توجد ٤٩ مركب تعمل على النيل بين الأقصر وأسوان فقط .. يعنى منطقة واحدة مزدحمة جداً بالمراكب السياحية بينما باقى النهر لا شئ عليه على الإطلاق .. سأوقف من الآن إعطاء تراخيص جديدة للمنطقة بين الأقصر وأسـوان ، وأعطى تراخيص للمنطقة من القاهرة إلى بنى سويف مثلاً أو المنيا ، ومن المنيا إلـى سوهاج ، ومن سوهاج إلى الأقصر ، حتى نجد النهر كله يشتغل ولا يكـون التركيـز فقط على منطقة واحدة .. وبذا أيضاً نشغل محافظات جديدة وننعشها سياحياً ونفتح فيها أبواباً جديدة للعمل السياحى .. فحين ترسو البواخر السياحية على المنيا مثلاً ، فحـالاً سيتم إنشاء كازينوهات ومطاعم على شاطئ النيل فى المنيا وتنشأ خدمات جديدة هناك .. وإذا كانت بعض المحافظات ليس لديها إمكانيات إقامة سنزودها بالفنـادق العائمـة التى تتحرك من مكان إلى آخر بالسياح .. ونربطها بالطريق البـرى : أوتوبيسـات سياحية رايحة جاية فى موازاة الطريق النهرى .. سائح يريـد أن يـذهب بالمركـب ويرجع عن طريق البر .. سائح آخر بالعكس ، يريد أن يذهب عن طريق البر ويرجع بالمركب فى النيل .. ناس يحبون أن يذهبوا ويعودوا المشوار كله عن طريق النهر ، أو عن طريق البر .. فيجد كل سائح ما يريده .. هناك خطة الآن نعملها مع شـركات السياحة والذين طلبوا تراخيص جديدة للعمل على النهر .. وهناك ٤٠ بـاخرة نيليـة جديدة فى الطريق إلينا الآن .. ستة منها فقط تابعة للقطـاع العـام ، و ٣٤ لحسـاب القطاع الخاص .. ودورنا نحن أن نهيئ المراسى لاستقبال هذه المراكـب الجديـدة ، والمراكب الحالية معاً ، وأيضاً وحدات الصيانة ووحدات النجدة النهريـة والعلامـات

الإرشادية الموجودة فى مجرى النهر .. كل ذلك مدروس فعلاً وفى الخطة فعلاً لاستغلال النهر ..

* أرجو أن تسمح لى ، بحكم علاقتنا القديمة والدائمة ، أن أكون صريحاً معك ظللت ١٨ سنة وكيلاً لوزارة السياحة .. لماذا لم تفعل خلال هذه السنوات الـ ١٨ شيئاً لنهر النيل ، ثم جاءت كل هذه الأفكار والخطط الآن فقط !؟ ..

- حين كنت وكيلاً للوزارة كنت مسئولاً عن تنشيط السياحة .. التنشيط فقط وليس أى شئ آخر .. يعنى عن طريق مكاتبنا الخارجية أدعو الناس أن تجئ إلى مصر وأشرح لهم الإمكانيات السياحية المتاحة فى مصر .. وطبيعى أن الإمكانيات غير الموجودة وغير الميسرة وغير المتاحة لا أعمل لها أى دعاية ، وإلا كنت أكذب على السياح .. لذا لم أعمل أى دعاية من قبل أبداً لنهر النيل لأن النهر لم يكن ، وحتى الآن ، جاهزاً .. بعنى كان ينبغى أن تكون إمكانيات النهر جاهزة أولاً لكى أعمل له دعاية فى الخارج وأقول للسياح تعالوا شوفوا نهر النيل .. حوض البحر الأبيض المتوسط مثلاً فيه نصف مليون بخت يمتلكها أفراد أغنياء يتمتعون بسياحة اليخوت .. هؤلاء لا أستطيع أن أقول لهم تعالوا عندنا وأدخلهم نهر النيل بيخوتهم ، بينما نهر النيل ليس عليه ولا مرسى واحد يصلح لرسو هذه اليخوت ، ولا حتى إمكانيات الخدمة أو الإتصال أو النجدة موجودة .. فكيف أدعو نصف مليون يخت ، لوجاءنى منهم ٢ % فقط ، يعنى عشرة آلاف يخت ، دون أن أكون مستعداً لها بالخدمات الأساسية داخل البلد .. لا بد فى البداية من أن أجهز النهر عندى لاستقبال اليخوت والسياحة النهرية قبل أن أقول للسياح إتفضلوا عندنا .. فلا تحاسبنى على ما فات لأنه لم يكن فى إختصاصى ، لكن حاسبنى من اليوم وعلى الغد .. أنا الآن أعد بيتى وأجهزه وأهيؤه ثم أقول للناس أن البيت جاهز فى إنتظار تشريفكم : البيت نظيف ومهيأ والأكل حلو ومتوفر والناس الذين سوف يخدمونكم موجودين ، فتعالوا شرفونا .. ونتيجة مجبئهم سيكون لدينا عائد كبير بإذن الله ..

* * *

* السياحة الدينية .. مصر ملتقى كل الديانات ومليئة بالآثار الإسلامية والآثار المسيحية .. هل عندنا جهاز متخصص مهمته الدعوة للسياحة الدينية وتنظيم السياحة الدينية !؟ ..

– ليس هناك جهاز خاص ؛ لكن كل الأجهزة مسئولة عن السياحة الدينية .. كانت قد أنشئت فعلاً شركة للسياحة الدينية لكنها لم تستمر طويلاً وتوقفت بعد فترة .. لأن السياحة الدينية داخلة بشكل طبيعى جداً فى برنامج كل سائح .. فهو يزور المساجد والكنائس والمعابد ويزور أولياء الله الصالحين .. إنما هى الآن محتاجة أولاً إلى حملة قوية جداً لنظافة المواقع التى فيها هذه الآثار الإسلامية والأثار المسيحية القيمة جداً .. فالأثر حين يرمم ويعد للوضع تحت أنظار السياح ؛ يكون محتاجاً أيضاً إلى أن ما حوله يكون جاهزاً ومتوضباً ونظيفاً لكى تكون الصورة متكاملة .. فإننا لا نستطيع أن نفصل الأثرعما حوله أو من المنطقة التى فيها الأثر .. فتجد أثراً معتنى به جداً والميدان الذى هو فيه أو الطريق الذى سيسلكه السائح للوصول إلى هذا الأثر ردئ جداً وصورة سيئة لما يجب أن تكون عليه مصر ..

فبالإتفاق مع المحافظين أنهم يعطون الأولوية للأحياء التى فيها الآثار الدينية التى يزورها المسلمون والمسيحيون من جميع أنحاء العالم العربى والأوروبى ، فهم يجيئون من بلادهم خصيصاً لمشاهدة هذه الآثار بالذات .. وتنظيم عمليات البيع والشراء والدكاكين التى حول هذه الآثار ، لكى تكتمل الصوة النظيفة المشرقة المشرفة أمام السائح القادم إلينا ، وحتى يعود إلى بلاده من عندنا بذكريات طيبة ..

* ما هى أكبر دولة سياحية فى الالم الآن !؟ ..

– إيطاليا ، وأسبانيا .. ونحن ترتيبنا متأخر جداً .. الـ ٢٦ أو الـ ٢٧ !! ..

* * *

* السياحة المصرية العربية .. نجد مصريين كثيرين زاروا إيطاليا أو إنجلترا أو فرنسا أو أى دولة أوروبية ، وحتى أمريكا نفسها ومثيلاتها من الدول البعيدة جداً ؛ لكنهم لم يروا أو يزوروا أى بلد عربى على بعد ساعة واحدة بالطائرة .. لم

يروا لبنان أو سوريا أو الأردن أو تونس أو السعودية أو العراق أو المغرب .. أليس مفروضاً أن السائح المصرى يرى وطنه العربى أولاً قبل أن يذهب إلى أوروبا !؟ .. أو على الأقل يرى وطنه العربى وهو يرى أوروبا !؟ .. هل من خطة وزارة السياحة المصرية تشجيع السياحة المصرية إلى البلاد العربية !؟ ..

– مصر كانت عضواً فى الإتحاد العربى للسياحة ، وكنت رئيس هذا الإتحاد وعضواً فى لجنته التنفيذية لفترة طويلة جداً .. حتى حدث الخلاف السياسى فخرجنا من الإتحاد ، ونحن الآن خارج الإتحاد العربى للسياحة .. وكنا قد إتخذنا قرارات بأن تعطى السياحة بين البلاد العربية وبعضها الأولوية فعلاً .. وأن نعمل توعية ودعاية أن المواطنين العرب يروا بلاد المنطقة العربية أولاً ، بتقديم الكثير من التسهيلات للشعوب العربية أن تتحرك بينها وبين بعضها بالسيارات ، بإعطاء تسهيلات من ناحية النقد ، من ناحية الجمارك ، من ناحية الأسعار ، ومن كل النواحى

* ألا يمكن ن يتم ذلك على المستوى الشعبى بعيداً عن الخلافات السياسية ، على الأقل حتى تظل العلاقات بين الشعوب العربية وبعضها وطيدة وطيبة بصرف النظر عن الخلافات السياسية والحكومية !؟ ..

– ممكن .. و.... (وسكت عادل طاهر ولم يكمل) ..

* لماذا لا إذن !؟ ..

– بالرغم من أن بعض الدول العربية لا تقبل أن تستقبل المصريين فى الوقت الحالى ؛ مثل دول الخليج والسعودية ؛ لأن هناك خلط بين المصرى الذاهب ليتفسح والمصرى الذاهب إلى هذه الدول ليشتغل .. وبكون ظن هذه الدول أن أى مصرى ذاهب إليها بتأشيرة سياحية إنما هو فى الحقيقة ذاهب ليبحث عن شغل وليس ذاهباً للسياحة ..

* والدول العربية التى ليس عليها إقبال من الباحثين عن عمل ، كتونس مثلاً أو المغرب ، التى يكون الإقبال عليها للسياحة فقط ..

– طبعاً هذه الدول ليست هناك أية عقبات بخصوصها ، والسياحة بيننا وبينها تسير بلا عقبات ولا مشاكل والحمد لله ..

* * *

* السياحة العلاجية .. من واقع إقامتى فى أمريكا وإنجلترا خلال السنوات الأخيرة فإننى ألمس هذه المسألة : المواطن العربى أو السيدة العربية الذاهبين إلى لندن ، مثلاً ، للعلاج .. غالباً ما تواجههما أولاً مشكلة اللغة .. لأنهما يكونا غير قادرين على التفاهم مع الأطباء الإنجليز وغير قادرين على أن يشرحا لهم حالتهما الصحية بالضبط وبماذا يشعران .. وبعد أن يدخل المواطن العربى أو المواطنة العربية المستشفى الإنجليزى تظل المشكلة قائمة لأنهما أيضا يعجزان عن التفاهم مع الممرضات الإنجليز أو هيئة التمريض .. وحتى لو كان مع أى منهما مرافق فإن المرافق نفسه يكون عاجزاً كذلك عن التفاهم .. فإنه إذا كانت المريضة زوجة أو أختاً أو إبنة ذاهبة للعلاج فيسافر معها زوج أو أب أو أخ كمرافق حتى لا تسافر المرأة العربية وحدها إلى أوروبا .. أو رجل يسافر للعلاج فيأخذ معه زوجته أو إبنته لتكون فى رفقته وفى خدمته .. يعنى أن المرافق ليس أحسن حالاً من المريض فى مسألة اللغة ..

ومصر هى أم الوطن العربى كله ؛ لماذا لا نجتذب المرضى من إخواننا العرب ليعالجوا فى مصر ، ونخلصهم من أول وأهم وأكبر مشاكلهم وهى مشكلة اللغة .. الأطباء المصريون لدينا ممتازون جداً وليست المشكلة عندنا هى مشكلة الطب فى حد ذاته لكنها مشكلة التمريض .. ما هو دور وزارة السياحة هنا !؟ ..

– حدث فعلاً أننى إتصلت بالسيد وزير الصحة المصرى لتشجيع المرضى العرب على أن يجيئوا إلى مصر للعلاج بدلاً من الذهاب إلى أوروبا .. ورحب وزير الصحة جداً وقال أنه سوف ينشئ مكتباً خاصاً للسياحة العلاجية .. ويكون فى هذا المكتب (تلكس) وتليفونات دولية وإتصالات ، وفيه قائمة بالمستشفيات الممكن أن يعالج فيها المريض العربى حسب تخصصاتها ، وقائمة بالأمراض الممكن أن تعالج

والجراحات الممكن أن تجرى فى كل مستشفى منها ، وقائمة بأسماء الأطباء الأســاتذة المتخصصين الذين يعملون أو يتعاملون مع كل مستشفى لإجراء العمليات الجراحيــة النوعية فيه .. على أن تعمل إستمارة حجز يحصل عليها المريض العربــى بطلبهــا بالبريد أو بالفاكس من هذا المكتب أو من القنصلية المصرية فى وطنه ، لكى يطلــب بها حجز مكان له فى المستشفى الذى يحدده للعلاج أو لإجراء الفحوص اللازمة فــى الوقت الذى يناسبه ويلائمه .. كل ذلك يدرس الآن ولم أتلقى رداً عليه بعد من وزيــر الصحة لأن كلامى معه حول هذا الموضوع كان منذ أسبوعين أو ثلاثة فقط ؛ حــين جاءنى ذلك المؤشر من مواطنين كثيرين فى دول الخليج قالوا أنهم يفضلون جــداً أن يعالجوا فى مصر عن أن يعالجوا فى أى دولة أجنبية .. وحين يرد علىّ وزير الصحة بأنه جاهز بثل

هذا المكتب الذى إتفقنا عليه ؛ هنا يبدأ دورى أنا كوزارة سياحة بــالإعلان والإعلام عن هذا المكتب هذا النوع من الخدمات الطبية للسياح العرب ..

نشر فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العدد ٣٦ – بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٨٢ ..

طِلِب .. فى لندن !!..

١٠٠٠ مطرب ، أو ١٠٠٠ واحد ظن أنه مطرب ؛ قلدوا محمد عبد الوهاب .. و ١٠٠٠ واحدة قلدن أم كلثوم ، و ١٠٠٠ آخرون قلـــدوا عبـــد الحلـــيم حـــافظ ، و١٠٠٠ قلدوا فريد الأطرش .. لكن أحداً لم يجرؤ على تقليد " طلب " ، أو " محمـــد عبد المطلب " .. ليس لأن " طلب " مستعصٍ على التقليد ؛ لكن لأن " طلـــب " لـــيس صوتاً فقط وليس مطرباً فقط وليس فناناً كبيراً فقط ؛ إنما لأنه هو هكذا : " طلـــب " على بعضه لا يتجزأ : مزاج وسلطنة ومملكة ، و" طلب " وبس ..

أيها السادة : مطرب (حبيتك ، وباحبك ، وحاحبك على طول) يغزو لنـــدن الآن .. تصوروا ..

* عزيزى طلب ، من أنت !؟ ..

– أنا محمد عبد المطلب عبد العزيز الأحمر ، إسمى بالكامل .. عمرى الآن ٦٧ سنة وكام شهر .. من مواليد مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر .. تعلمـــت فى (الكتّاب) فى بلدة شبراخيت وفى شبرا ، حيث بدأت هوايتى للفن ، لأننى كنـــت أحب أن أقلد أغانى عبد اللطيف البنا ومنيرة المهدية وصالح عبد الحـــى اللـــى كنـــت باسمعهم لما كانوا بيجوا يغنوا فى أفراح الناس الأغنياء والفلاحين زمـــان .. هويـــت الغناء من سماعى للفونوغراف اللى كان لسه طالع جديد على أيامها .. وكان لـــى أخ كبير الله يرحمه ، كان موظفاً فى مصر ، قدر يقنع والدى انى أروح القاهرة لأدخـــل

المدرسة فيها .. وفاكر إن يوم ما حطيت رجلى فى القاهرة لأول مرة كان نفس اليوم الذى صدر فيه العدد الأول من مجلة (روزاليوسف) وكان عمرى ١٨ سنة تقريباً .. المهم جئت القاهرة لأدخل المدرسة فدخلت معهد الموسيقى العربية ، وفشلت فيه .. ما فهمتش منه حاجة .. لم أستسغ مسألة النوتة الموسيقية والحصص والمحاضـرات .. صوتى حلو ومستعجل على الشهرة وأريد أن أكون مطرباً بعد سنتين فى القـاهرة .. عملت أول حفلة لى على مسرح الأزبكية ، وبعدها نزلت شارع عماد الدين وإشتغلت عند واحدة إسمها الست " سعاد محاسن " .. قلت لى كنت بتاخد كام !؟ ..

* كنت بتاخد كام !؟ ..

- كنت باخد ٢٥ قرشاً فى اليوم ، يعني سبعة جنيه ونص فى الشهر، وكنت بآكل وأشرب وألبس وأسكن وباعيش كويس جداً بالمبلغ ده .. وكنت ساكن فى بنسيون (مدام بارى) أنا وفاخر محمد فاخر ومحمود المليجى ويحيى شاهين .. وكنا بنتجمع كلنا على قهوة إسمها (قهوة ستاورو) .. وهكذا بدأ مشوارى مع الفن الذى إسـتمر حتى الآن .. لكن الذى حدث وقتها إنى فشلت فى عماد الدين .. قل لى ليه !؟ ..

* ليه !؟ ..

- جاءت فترة التمثيل والمسرح طغت على الكباريه .. يعنى مش أنـا بـس اللى فشلت ، لكن الكباريهات كلها فشلت أمام التمثيل .. فبـدأت الكباريهـات تعمـل رحلات فنية إستعراضية خارج مصر وفى الشام وفى البلاد العربية ، وبديعة مصابنى وعدتنى أنها تاخدنى معاها فى رحلة إلى الشام وكذبت عليا ، رحت للأستاذ محمد عبد الوهاب ورجوته أن ياخدنى معه فى فرقته (مذهبجى) أو (سنيد) ، يعنى (كورس) بتسميات تلك الأيام .. كان محمد عبد الوهاب فى الأيام دى عنده فرقة وبيغنى مرتين فى الأسبوع ، يوم الأحد ويوم الخميس ، يوم الخميس كان يغنى فى سينما (كليبـر) التى كانت على ناصية شارع عماد الدين واتهدمت منذ عدة سنوات ومازالت مهدومة لغاية الآن ، ويوم الأحد كان عبد الوهاب يغنى على مسرح رمسيس أو مسرح يوسف وهبى ، اللى هو مسرح نجيب الريحانى فى شارع عماد الـدين الآن .. كـان وقتهـا

يوسف وهبى فى عز مجده وشهرته وعظمته ، وكان يوم الأحد بيمثل حفلة الماتينيه وما يعملش حفلة سواريه ، فكان عبد الوهاب يغنى هو فى السواريه يوم الأحد ..

* * *

لا أقاطع " طلب " إنما أتركه يسترسل فى ذكرياته ، بعد أن نكشته فعاد بذاكرته ٥٠ سنة إلى الوراء وتذكر الذى مضى ..

- ظللت (سنيد) فى تخت محمد عبد الوهاب ١٠ سنين بحالها ، وبعدها رجوت عبد الوهاب أن يتوسط لى عند شركة إسطوانات (بيضافون) أن أسجل لهم ٦ اسطوانات .. قول لى أخذت فى الـ ٦ إسطوانات دول قد ايه !؟ ..

مريح أنا جداً ومطيع .. قلت لـ " طلب " :

* أخدت فى الـ ٦ إسطوانات دول قد إيه !؟ ..

- ١٢ جنيه !! .. أخذت ٢ جنيه فى الإسطوانة .. وكان من بين الـ ٦ إسطوانات أغنية (بتسألينى باحبك ليه ، سؤال غريب ما اجاوبش عليه) من كلمات " عثمان إبن الليل " وتلحين " محمود الشريف " ..وكانت هذه الإسطوانة اللى أخذت عليها ٢ جنيه هى سبب شهرتى وسبب إنى بقيت محمد عبد المطلب اللى إنت شايفه قدامك دلوقتى ..

* بمناسبة عبد المطلب اللى أنا شايفه قدامى دلوقتى ؛ أين عبد المطلب القديم !؟ ..

- موجود ..

* أين !؟ ..

- إسأل المسؤولين فى الإذاعة المصرية ، هم السبب فى الركود الفنى فى مصر الآن .. المسؤول أولاً وأخيراً هو الاذاعة المصرية .. كل ما تكلم حد منهم يقول لك مفيش ميزانية مفيش فلوس .. طيب إحنا نعمل إيه !؟ .. نبيع طماطم والا نغنى ببلاش !؟ .. علشان كده تلاقى الفنان المصرى فى مصر الآن يادوب واقف فى مطرحه وبيحاول إنه يحافظ على المكان اللى هو واقف فيه ..

* أنت تملك شركة إنتاج خاصة بك !؟ ..

– دى بأنتج فيها للبلاد العربية ولم أنتج لنفسى أى شئ .. وإلا أكون باشغلها لحساب نفسى .

* لماذا لم نعد نسمع منك أغنيات فى مستوى روائعك القديمة .. زى (بتسألينى باحبك ليه) و(ودع هواك وانساه وانسانى ، عمر اللى فات ما حايرجع تانى) و(شفت حبيبى وفرحت معاه ، ده الوصل جميل حلو يا محلاه) و(بتقول وتعيد لمين وتحكى لده وده ، الناس المغرمين ما يعملوش كده) و(مابيسألشى عليا أبداً) و(ياحاسدين الناس مالكم ومال الناس) و(السبت فات والحد فات وبعد بكره يوم التلات ميعاد حبيبى) و(حبيتك وبحبك وحاحبك على طول ، مش خاين ونسيتك زى انت ما بتقول) و(ساكن فى حى السيدة وحبيبى ساكن فى الحسين ، وعشان أنول كل الرضا يوماتى أروح له مرتين) .. ووووو .. أين أنت يا مولانا !؟ ..

– والله شوف حاقول لك .. الفنان أحياناً تمر به حالات ملل وزهق وعدم رضا عن الأوضاع ، خصوصاً فى الإذاعة المصرية .. يعنى حتى فى المناسبات الوطنية ما بيطلعوناش علشان نشارك أو نساهم فيها .. حد يقول ان عبد المطلب ما يغنيش لأكتوبر ولا يغنى للنصر ولا للمناسبات التى بتمر ببلادنا !؟ .. لما " طلب " ما يغنيش أمال مين اللى يغنى !؟ ..

* أفهم من كده إنك تمر الآن بحالة زهق وملل فنى !؟ ..

– مش بس كده فى الحقيقة .. الحقيقة كمان إن مفيش طرب فى مصر الآن .. لأن مفيش إستقرار نفسى لا عند الفنان ولا عند الناس كلها فى مصر ولا عند الناس فى الأمة العربية كلها .. الفنان إذا إستقر نفسياً حا يعمل البدع ..

* * *

* عزيزى طلب .. لماذا لم يستطع أحد تقليدك !؟ ..

– المسألة ليست مسألة تقليد .. دى حاجة بتاعة ربنا .. ولأن أنا ما قلدتش حد فما حدش عرف يقلدنى .. كمان أنا لا أغنى غير الحاجة اللى أنبسط منها أنا شخصياً

.. تعجبنى وأهضمها وأحبها و(أستمخ) منها .. كما أننى لا أحفظ اللحــن زى مــا الملحن عايز وبس ؛ أنا باخد اللحن من الملحن ، أى ملحن مهما كان مركره ، إبتــداءً من عبد الوهاب لرياض السنباطى أو بلبغ حمدى أو كمال الطويل أو محمود الشريف أو غيرهم .. آخد منهم اللحن وأغنيه بطريقتى أنا وبإحساسى أنا وزى ما يبطلع منــى أنا ، فيبطلع كده زى ما الناس بتسمعه .. قصره .. حارجع أقول لك دى حاجة من عند ربنا ..

* عزيزى طلب .. ما الذى فقده الفن بوفاة عبد الحليم حافظ !؟ ..

- ترك فراغاً كبيراً لمصر وللأمة العربية كلها فى مناســباتها .. كــان مطرباً يحس بالواقع والمناسبة والحدث وببلده .. كان جديداً فى عهده وفضــل جديــداً لغاية ما مات .. لكن الحقيقة أن عبد الحليم لم يمت .. ذكراه موجودة وترك أثراً طيباً واحتراماً للكلمة وللغنوة والفرقة الموسيقية ..

* وأم كلثوم !؟ ..

- تركت فراغاً كبيراً كبيراً كبيراً كبيراً .. وإنتهت الغنوة الكبيرة وإنتهت الكلمة الحلوة وإنتهت الجملة الشرقية الأصيلة اللى فيها أصالة الغناء العربى .. وربنا يعوضنا عنها خير وهو القادر أن يجيب لنا أم كلثوم أخرى ، بس برضه مش حاتكون زى أم كلثوم ..

* هل يوجد بين المطربين فى مصر الآن من يحل مكان عبد الحليم !؟..

- لأ ..

* ومكان أم كلثوم !؟ ..

- ولا لغاية يوم القيامة .. دى فلتة من فلتات الزمان .. والفلتات مش ســهل إنها تتكرر ..

* والخناقة القائمة الآن بين المطربات فى مصر حول من تخلف أم كلثوم !؟..

– تخلف ده إيه يا ابنى !؟ .. هى وظيفة حايتعينوا فيها !؟ .. الكلام اللى بتقوله وردة أو غيرها ده كلام فاضى .. أم كلثوم هذه تاريخ وقدرة إلهية .. حا يتدخلوا فـــى القدرة الإلـهية كمان !؟ ..

* * *

* من الذين تستطيع أن نقول عنهم (مطربو الصف الأول) الآن فى مصر !؟ ..

– كل الذين يغنون فى مصر الآن فاهمين أنهم مطربو الصف الأول .. لكـــن عايز رأيى .. ما عندناش فى مصر الآن (صف أول) إلا إذا غنى محمد عبد الوهاب فيبقى هو (صف أول) لوحده .. لكن الباقيين دول كلهم بيهاتوا ..
(كلمة (بيهاتوا) كلمة مصرية جداً معناها باختصار شديد إنهم بيهاتوا !!) ..

– وعلشان أريحك وأريح الناس .. إذا كنا بنعتبر عبد الوهاب وعبـــد الحلـــيم وفريد الأطرش (صف أول) فيبقوا كل اللى بيغنوا بعد كـــده (صـــف ثـــانى) أو صفوف تانية .. المهم إن مفيش حد فيهم يستاهل يبقى مطرب صف أول ..

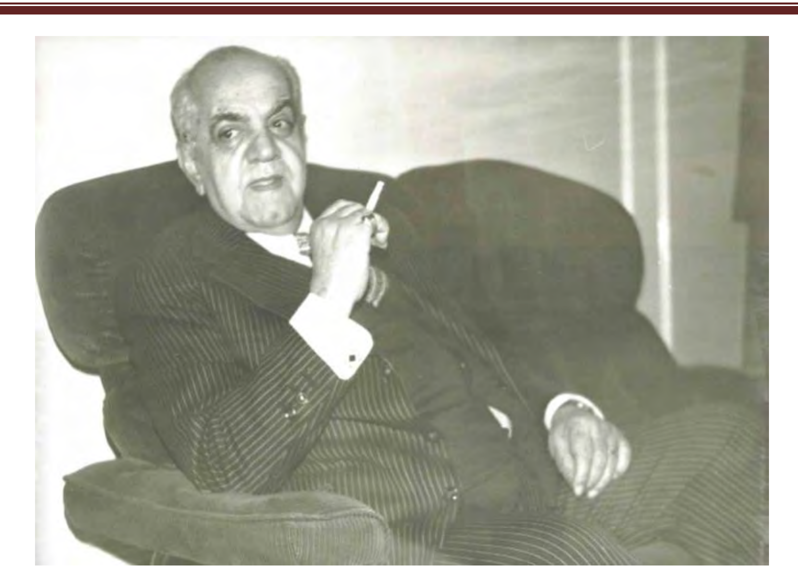
* من الذى يقرر مسألة (الصفوف) هذه !؟ ..

– الناس طبعاً .. المستمعين .. الشعب والجمهور الخطير القاسى .. مفيش حد يقدر يضحك على الناس فى أى بلد مش بس فى مصر.. وإذا قدر يضحك عليهم فـــى أى حاجة إلا الفن ..

* هل من الممكن فرض صوت على المستمعين بإلحاح الإذاعة فـــى إذاعـــة أغانيه أو إلحاح الصحافة فى نشر أخباره وأحاديثه !؟ ..

– مش ممكن .. لأن الناس اللى بيسمعوا هـــم الحكـــم الأول والأخيـــر .. لا الصحافة ولا الإذاعة تقدر تفرض صوت مش حلو على المستمعين .. الكذب مـــالوش رجلين .. لكن الصدق بيفضل صدق ليوم القيامة .. حد كان ممكـــن يقـــول إن عبـــد المطلب اللى بيغنى شعبى يبجى يغنى فى لندن سنة ١٩٧٧ وأنا عمرى ٦٨ سنة !؟ ..

* بالمناسبة ؛ ما الذى جعلك تقبل أن تغنى فى لندن !؟ ..



– طلبونى فوافقت .. مكسب ليا أن أغنى فى لندن أو فى أى مكان فى أوروبا وأنا فى السن ده .. ده يؤكد لى أن الناس لسه بتحبنى ولسه بتطلبنى ولسه بتسمعنى.

* من هم جمهورك فى لندن !؟ ..

– العرب .. وأحيانا بيبقى فيه ناس خواجات موجودين وبينبسطوا وبيصـــقفوا مع الناس .. طبعا أنا مش عارف إذا كانوا فاهمين اللى أنا باقوله ولا لأ ..

* غنيت فى أوروبا قبل هذه المرة !؟ ..

– أبداً .. أول مرة هى دى فى لندن ، وبابقى ميت على نفسى مــن الضــحك وأنا واقف باغنى كل ما أفتكر إنى الآن باغنى فى لندن !؟ ..

* * *

* ما رأيك فى معاهد الموسيقى !؟ ..

– الفن لا يُعلم .. هو عبده الحامولى والا سيد درويش والا صالح عبد الحــى والا رياض السنباطى كانوا إتعلموا الفن فى المدرسة !؟ .. أنا أحترم العلم مفيش شك ، لكن الشهادة دى مجرد ورقة يتوظف بيها الفنان ، وإذا الفنان اتوظف يبقى مش فنان ، الفن حرية وانطلاق وسجية مش روتين ومكتب وتليفــون وســاعى وســكرتيرة .. حاتقول لى إن عبد الحليم والموجى وكمال الطويل إتخرجوا من معهد الموسيقى ، حا

اقول لك إن ١٠٠٠ غيرهم إتخرجوا من نفس المعهد وماحدش سمع عنهم لا حس ولا خبر ، وحا اقول لك إن عبد الحليم وكمال الطويل والموجى حتى لو لم يدخلوا معهد الموسيقى لكانوا برضه بقوا فنانين كبار .. الفن قد يصقله العلم لكن بدون الموهبة مش ممكن تكون فنان ، والعكس صحيح .. ممكن تكون فنان وأنت لست متعلماً .. وأغلب الفنانين الكبار العظام لا يعرفون معهد الموسيقى ده موجود فى شارع إيه !؟ ..

* لو قلنا إن عبد الوهاب (مقتبس) .. ماذا تقول أنت !؟ ..

– قولوا زى ما تقولوا .. مقتبس أو مش مقتبس بس هو محمد عبد الوهاب .. تعرفوا تجيبوا عبد الوهاب غيره !؟ ..

* ما الذى فى أغانيك يجعلها متميزة وعايشة فى أذهان الناس حتى الآن : الكلمة الحراقة أو اللحن الملئ أو الأداء المتميز المنفرد !؟.

– اللى فيها ، باختصار : طلب !! ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد ١٤ – بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٧٨

توفى محمد عبد المطلب فى ٢١ أغسطس ١٩٨٠

لقاء تأخر ٢٠ عاماً .. مع رئيس جامعة الأزهر ..

جامعة الأزهر .. لماذا !؟ ..

وقد ظل التساؤل الذى شغلنى طوال عشرين ينتظر الإجابة عليه .. فلما جاءت الإجابة بعد كل ذلك الوقت لم تكن إجابة تشفى الغليل ولم تكن إجابة حتى نصف مقنعة ولا ربع مقنعة ، ولم تلق ماءً بارداً ولا فاتراً على ما بداخلى ، بل ألقت عليه بنزيناً وجازاً ، وزادت تأكدى من التصور الذى ظننته منذ ٢٠ عاماً .. فإذا كان المسئول الأكبر الذى على قمة الجهاز الذى أفكر فيه هو نفسه ليس لديه دفاع يبديه إلا وجهة نظر لا تقف على ساقين ، بل ولا حتى على ساقٍ واحدة .. دفاع كأنه (مع) وليس (ضد) الرأى الذى تصورته طوال هذه المدة ..

كان التساؤل الذى عاش فى ذهنى طوال ٢٠ عاماً هو : جامعة للأزهر ؛ لماذا !؟ .. لماذا طب وهندسة وعلوم وكيمياء وجيولوجيا ومحاسبة وزراعة ، فى جامعة مهمتها فى الأساس الأمور الدينية والدعوة إلى الدين والإرشاد فى أمور الدين !؟ .. وهل هناك ما نستطيع أن نسميه ، بله ندرسه ؛ طباً أزهرياً وهندسة أزهرية وجيولوجيا أزهرية وكيمياء أزهرية أو زراعة أزهرية !؟ .. أم أن ذلك يندرج تحت بند (تصعيب السهل) و(إشكالاً للحل) !؟ ..

اللقاء الذى جاء متأخراً ٢٠ عاماً كان مع فضيلة الشيخ الدكتور " محمد الطيب النجار " رئيس جامعة الأزهر ..

* * *

الشيخ الدكتور " محمد الطيب النجار " هو سادس رئيس لجامعة الأزهر منذ إنشائها : الأستاذ الشيخ " أحمد حسن الباقورى " كان أول رئيس لها ، تلاه الأستاذ الدكتور " محمد البهى " ، ثم الأستاذ الدكتور " بدوى عبد اللطيف " ، فالأستاذ الدكتور " محمد حسن فايد " ، الأستاذ الدكتور " عوض الله حجازى " ، ثم الدكتور " محمد الطيب النجار " ..

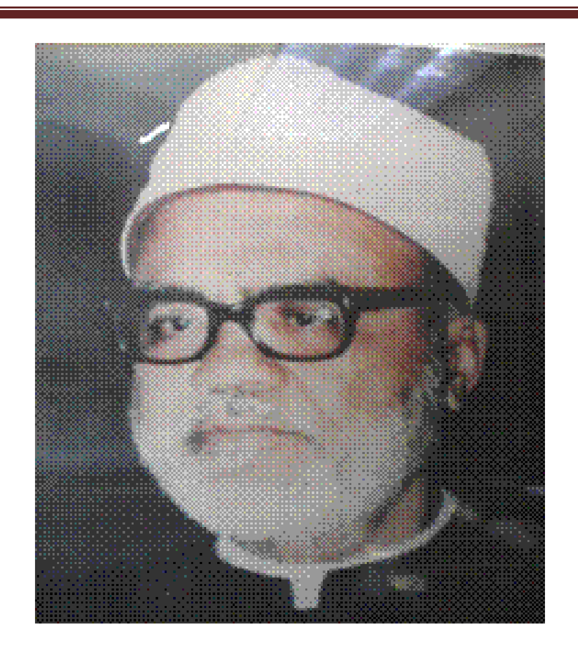
* ألاحظ أن عدداً من أصحاب هذه الأسماء كانوا وزراء للأوقاف قبل أن يعينوا رؤساء لجامعة الأزهر .. هل هناك إرتباط ما بين منصب وزير الأوقاف ومنصب رئيس جامعة الأزهر !؟ ..

- مجرد مصلدفة فيما أعتقد .. أحياناً يكون رئيس جامعة الأزهر قد تولى وزارة الأوقاف قبل أن يصبح رئيساً للجامعة ، وأحياناً يذهب من رئيس جامعة الأزهر إلى وزير الأوقاف .. وأحياناً يأتى من أستاذ فى كلية أزهرية إلى رئيس الجامعة رأساً .. ليس هناك قاعدة ثابتة إذن .. المهم أن يكون قد مضى عليه فى الأستاذية خمسة أعوام على الأقل ..

* وهل خمسة أعوام فى الأستاذية مدة كافية لكى يصل أستاذ إلى منصب رئيس الجامعة !؟ ..

- المشرعون رأوا أن ذلك مدة كافية .. لأن الأستاذ قبل أن يمضى فى الأستاذبة خمسة أعوام يكون قد أمضى كأستاذ مشارك خمسة أعوام أخرى ، وقبلها أمضى كمدرس خمسة أعوام ثالثة .. فيكون قد مضى عليه خمسة عشر عاماً فى التدريس فى الجامعة ، وهذه مدة كافية للنضج والصلاحية ..

* * *



* أحمل إليك تساؤل كثير من الناس ، وأنا منهم .. وقد ظل هذا التساؤل يحيرنى ٢٠ عاماً دون أن أجد إجابة شافية عليه : جامعة للأزهر ، لماذا !؟ .. لماذا يكون هناك جامعة للأزهر تخرج خريجين يعملون فى نفس الأعمال والوظائف التى يعمل فيها خريجو الجامعات الأخرى بلا أى تغيير .. الطبيب الذى يتخرج فى جامعة الأزهر يدرس نفس الطب الذى يدرسه خريج طب جامعة القاهرة أو عين شمس أو أسيوط ، فليس هناك طب أزهرى .. خريج زراعة الأزهر تتساوى معلوماته الزراعية تماماً مع خريج زراعة عين شمس أو الإسكندرية أو جامعة شبين الكوم ، فليس هناك زراعة دينية .. خريج علوم الأزهر هو نفسه خريج علوم جامعة المنيا أو جامعة المنصورة ، فليست هناك كيمياء دينية وكيمياء دنيوية !! ..

– فى البداية كانت جامعة الأزهر محصورة فى ثلاث كليات فقط : كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية .. وكان يقال أن هذه هى رسالة الأزهر الأصيلة والحقيقية : أن يخرج علماء دين وعلماء لغة عربية ..

* وذلك هو الأقرب إلى التصور والأقرب إلى المعقول فعلاً ..

– لكن جدت فكرة منذ عام ١٩٦٠ تقريباً بأن يحدث تطوير فى رسالة جامعة الأزهر ، وأن تضاف إلى الدراسة فيها الكليات الأخرى التطبيقية .. مثل كليات

الهندسة والزراعة والتجارة والطب وغيرها من الكليات التى تبدو وكأن ليس لها علاقة بالنواحى الدينية وليس للأزهر علاقة بها .. وكانت فكرة المشرع الذى رأى هذا التطوير أن الإسلام ليس ديناً فقط إنما هو دين ودنيا ، وأن علماء المسلمين والعلوم الإسلامية لم تقتصر على الفقه والحديث والتفسير ؛ وإنما كانت تتناول أيضاً العلوم الأخرى الدنيوية كالطب والهندسة والفلك والزراعة والتجارة .. وكل هذه العلوم نبغ فيها علماء من الذين درسوا التفسير والحديث .. والدين حينما يأمر بالعلم ويدعو إلى العلم فهو يدعو إلى العلم بجميع ألوانه والمعرفة بجميع أنواعها .. لأن العلوم يسقى بعضها بعضاً .. ولأن العلوم الدينية التى تبدو فى ظاهرها وكأنها لا علاقة لها بالدين هى من صميم الدين .. ألا ترى أن الطب كله دين !؟ .. لأن الطب الذى يبحث فى تشريح الجسد الإنسانى وفى تركيب الأجهزة التى بها تتكون حياة الإنسان وهذه الدقة المتناهية التى تتجلى فى هذا التركيب .. والإنسان الذى يطلع على هذا التركيب العجيب ويشرحه ويراه بنفسه بلا شك يكون هذا آية على وجود الله وعلى قدرة الله يلمسها الطبيب أكثر مما يلمسها العالم الذى يقرأ مجرد قراءة نظرية .. وهذا تطبيق لقول الله تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ..

قلت للدكتور محمد الطيب النجار مندهشاً :

* ولن يلمس ذلك إلا الطبيب الذى يدرس فى جامعة الأزهر فقط ولا يلمسه كل الأطباء الذين يتخرجون فى باقى الجامعات ، حتى غير المسلمين منهم !؟.

ولم يهتم الدكتور النجار بمقاطعتى ولا بتساؤلى ، وإستطرد مكملاً حديثه :

– وكذلك الهندسة .. هندسة هذا الكون بما فيه من أسرار وما يحويه من عجائب .. أيضاً كل ذلك دليل على وجود الله .. وكل علم من العلوم يدعو إليه الدين .. يدعو إلى التجارة لأنها سبيل الرزق .. يعنى أرجو أن تأتى لى بأى لون من ألوان التخصص لا علاقة له بالدين ..

إذن الفكرة أن يوجد إناس يعملون فى هذه المجالات التخصصية وتكون عندهم حصيلة دينية يتزودون بها لكى يسلكوا السلوك الإسلامى فى المجتمع الذى يعيشون فيه ولكى يكونوا دعاة يدعون إلى الدين الإسلامى فى عملهم ويكونوا قدوة

بأعمالهم كما يكون غيرهم قدوة بأقوالهم .. يعنى الطبيب المسلم الذى يبدو فى سلوكه مستقيماً بعيداً عن الإنحراف فهو كأنه داعية لهذا السلوك .. وذلك لا يكون إلا لمن زود بثقافة أصيلة من الإسلام .. ولذا فنحن نأخذ فى كلية طب الأوهر الطلاب الذين درسوا المراحل الإبتدائية والإعدادية والثانوية فى معاهد الأزهر الدينية ، فيكون لديهم حصيلة دينية كبيرة قبل أن يدخلوا كلية الطب أو الهندسة أو التجارة الأزهرية .. ثم أيضاً بعد أن يدخلوا كليات الطب أو الهندسة أو التجارة أو غبرها من كليات جامعة الأزهر التطبيقية يدرسون إلى جانب المواد المتخصصة بعض المواد الثقلفية الإسلامية حتى لا ينسوا ما حصلوه فى الفترة السابقة ..

ففكرة تطوير جامعة الأزهر إذن فكرة طيبة وجميلة وليست فكرة بعيدة عن الصواب .. فكرة أن يكون الأزهر فيه الكليات المتخصصة فى الدين إلى جانب الكليات الأخرى التى تبدو وكأن ليست لها علاقة بالدين ولكنها فى واقعها مرتبطة تماماً بالدين .. هذه الفكرة أنا أؤيدها وأؤكدها وأرى أنها كسب كبير للمسلمين ..

* * *

* إذا سمحت لى فضيلتكم أن أنقل إليكم ما يدور فى المناقشات ، والناس من حقها أن تفكر وأن تناقش .. يقال أن الإسلام قد إهتم بباقى العلوم والفنون حينما لم تكن هناك جامعات متخصصة تدرس فيها هذه العلوم والفنون ، فكان على الإسلام أن يقوم بكل العبء وحده .. فلم تكن هناك جامعة خاصة للعلوم الدينية وجامعة أخرى للعلوم الدنيوية أو التطبيقية .. الآن موجود هذه الجامعات الآخرى التى تدرس هذه المواد الدنيوية .. فإذا نحن إفترضنا أن طالب جامعة الأزهر يتميز بالثقافة الدينية فذلك معناه ، بالتالى ، أن طالب الجامعات الأخرى ليس مفروضاً ، ولا ينتظر منه ، أن تكون لديه هذه الثقافة .. أفلم يكن من الأسهل ، والأفضل ، أن يضاف إلى المواد التى يدرسها طلاب الجامعات الأخرى مواد دينية حتى تصبح الفائدة أعم وأشمل ، بدلاً من إنشاء جامعة أخرى كاملة بحالها لمجرد أن تدرس فيها مجرد مادة دينية إضافية مع نفس المواد العادية !؟ .. ولو أضفنا دراسة مواد دينية لطلبة كل الجامعات فسيكون لدينا كل الخريجين من كل الجامعات عندهم الخلفية الدينية ، بدلاً من أن تكون هذه

الخلفية الدينية أو الثقافة الدينية قاصرة على خريجى جامعة واحدة هى جامعة الأزهر ، التى هى جامعة واحدة من ١٢ جامعة فى مصر الآن !؟ .. يعنى أن المحصلة فـى النهاية ستكون أن عدد من لديهم هذه الثقافة الدينية لن يزيد عن ١ : ١٢ مـن تعـداد طلبة الجامعات فى مصر ، ونجعل رسالة الأزهر مكتفية بتخريج علماء الدين واللغـة كما كانت طول عمرها .. ثم : هل إكتشفنا حديثاً ومؤخراً فقط أن كل العلوم مرتبطـة بالدين ، ولم نكتشف ذلك على إمتداد أكثر من ألف سنة سابقة هـى عمـر الأزهـر كجامعة دينية لم يكن يدرس فيها إلا العلوم الدينية واللغة العربية فقط ، التى أنشـئت أساساً من أجلها ، ولم يدعى الأزهر فى أى وقت سابق أن مهمتـه تخـريج أطبـاء ومهنسين وجيولوجيين وزراعيين ووو إلخ إلخ ..

وإستمع الشيخ الدكتور " محمد الطيب النجار " إلى سؤالى الطويـل جـداً بصبر شديد ، ولم يقاطعنى حتى إنتهيت من (مرافعتى) .. ثم قال بهدوء وإبتسـامة طيبة لازمه طوال حديثنا :

– لقد ضيقت واسعاً يا أخى .. وحجرت على فضل الله الواسع ، لماذا !؟ .. إن هذه الكليات الجديدة هى كسب جديد لأبناء الأزهـر .. كـان أبنـاء الأزهـر محرومين من أن يدخلوا هذه المجالات ، ثم أتيح لهم بفضل مـن الله أن يـدخلوها ، فلماذا تحرم عليهم أنت دخول هذه المجالات وقد حرمتها عليهم الجامعات الأخرى !؟ .. إذا أضفت بعض المواد الدينية إلى مواد الداسة فى الجامعات الأخرى يكون ذلـك كسباً عظيماً ومغنماً كبيراً أنا أشجعه وأباركه ، ولكن لماذا نحجر على أبناء الأزهر أن يكون منهم الطبيب المسلم الداعية والتجارى الداعية والزراعى الداعية !؟ .. نحـن لا نحجر على هذا الفضل الذى جاءنا من عند الله .. فضلاً عن أننا حتى لو أتحنا للطلاب فى الجامعات الأخرى أن يدرسوا إلى جانب دراستهم التخصصية دراسة إسلامية فهذا لا يجعلهم فى مستوى طلاب الأزهر الذين يقضون نحو عشرة أعوام كاملة يدرسـون دراسات دينية ولغة عربية ، فهذا يجعل لديهم خلفية كبيرة لا يتسنى لغيرهم أن يلحـق بهم فى هذا المجال ..

* * *

* أفهم من ذلك أنه لا يلتحق بكلية الطب فى الأزهر وكلية الهندسة فى الأزهر وكلية العلوم والزراعة والتجارة فى الأزهر إلا من درس المراحل الإبتدائية والإعدادية والثانوية فى معاهد أو مدارس الأزهر !؟ ..

– الآن ، طبعاً .. لكن قبل ذلك لم يكن لدينا عدد كافٍ من الذين درسوا فى مدارس الأزهر الثانوية يغطى إستيعاب الكليات من الطلبة .. كان الخريجون من ثانوية الأزهر قلة قليلة ، فكانت الكليات التخصصية أو التطبيقية لا تجد من يملأ الفراغ فيها ، فكنا نقبل العدد الباقى من حملة الثانوية العامة العادية ونزيد سنوات دراستهم سنة كاملة إضافية لا يدرسون فيها إلا مواد إسلامية .. لكن لما كثر عدد طلاب الثانوية الأزهرية إكتفينا بهم .. ثم جاء الوقت الذى زادوا فيه أيضاً عن إحتياجات كليات جامعة الأزهر حتى أنها أصبحت متخمة بهم وأصبحنا نتمنى لو أن يقل عدد خريجى الثانوية الأزهرية عن عددهم الآن !! ..

* وكيف حدث أن زاد إلى هذا الحد عدد خريجى الثانوبة الأزهرية خلال سنوات قليلة !؟ ..

– لأن المنبع ، وهو المعاهد الإبتدائية ، قد إتسع كثيراً .. كانت زمان المعاهد الإبتدائية والإعدادية الأزهرية قليلة جداً فى مصر ، ثم حدثت نهضة دينية مباركة أدت إلى أن المواطنين بالجهود الذاتية ينشئون معاهد دينية إبتدائية وإعدادية .. هذه المعاهد بدأت تؤتى ثمارها بعد سنوات قليلة ويتخرج من الثانوية الأزهرية أعداد كبيرة .. هذه الأعداد الكبيرة من خريجى الثانوية الأزهرية جامعة الأزهر ملتزمة بأن تقبلهم ، فلا بد وأن يصبوا فى هذا المصب الذى هو جامعة الأزهر ..

* أفهم من ذلك أن لديكم الآن مكتب للتنسيق مستقلاً ، يوزع خريجى الثانوية الأزهرية هلى كليات الأزهر الجامعية حسب مجموعهم !؟ ..

– طبعاً .. لدينا مكتب تنسيق خاص بجامعة الأزهر وحدها ..

* والعدد الفائض الذى يزيد عن حاجة الكليات الأزهرية ؛ ماذا تفعلون به ..؟!

– يلحق بالكليات النظرية .. عندما تتحقق أولاً رغبة الطالب فى الكليات العملية كالطب والهندسة والعلوم وغيرها .. وبعد ذلك الذين يفيضون عن حاجة كليات الهندسة والطب والعلوم لا يمكن إلا أن يدخلوا جميعاً جامعة الأزهر ، فنحيلهم إلى الكليات النظرية ، مثل كليات أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية والدعوة والإرشاد وغير ذلك ..

* معنى ذلك أن مكتب تنسيق جامع الأزهر يوزع الطلبة الأزهريين حسب مجموعهم .. وبالتالى إذا كان أكبر مجموع حصل عليه طالب ثانوية أزهرية هو ٦٥ % مثلاً ، فيدخل كلية الطب ، بينما زميله الحاصل على الثانوية العامة العادية لابد وأن يحصل على ٩٠ % أو ٩٥ % لكى يستطيع أن يدخل كلية الطب فى جامعة أخرى .. ألا يؤدى ذلك إلى تفاوت كبير فى مستوى خريجى كليات الطب عموماً ، ولنعتبرهم هكذا بصراحة وبوضوح : خريج كلية الطب العادية يكون طبيباً مستواه ٩٥ % وخريج طب الأزهر يكون طبيباً مستواه ٦٥ % ، مثلاً يعنى !؟ ..

– قد يصادف هذا .. ولكن إذا حدث ذلك فإن مصير هذا الطالب الضعيف الذى إختار لنفسه أن يحشر مع زملاء أقوياء ، مصيره الفشل الذريع إذا لم يكافح .. وقد يكافح ويصل ويصعد إلى القمة .. يعنى يكون فى حرب ومسألة حياة أو موت بالنسبة إليه !! ..

* * *

* دراسة اللغات فى جامعة الأزهر ، ما هو موقعها !؟ ..

– تهتم جامعة الأزهر بتعليم اللغات الأجنبية فيها .. كل اللغات الحية تقريباً ، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والأوردية والأندونيسية ، وجميع اللغات التى من الممكن أن يحتاجها خريج الأزهر فى الدول الإسلامية بالذات .. وهذه الكلية تسمى (كلية اللغات والترجمة) بالنسبة للطلبة البنين .. أما بالنسبة للبنات فهناك قسم اللغات فى كلية (الدراسات الإنسانية) تدرس فيه مجموعة من اللغات الحية أهمها اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية .. وهناك أيضاً قسم الترجمة الفورية .. وهذا دليل على أن جامعة الأزهر قد عرفت ما للغات الأجنبية من قيمة وأعطتها

العناية الكاملة حتى يمكن أن يتزود الطالب بهذا السلاح القوى الذى يجعله يستطيع أن يصارع فى الحياة وأن يقف على قدميه فى هذا المعترك ..

* هل من المفترض أو من المطلوب أن يذوب خريجو كليات جامعة الأزهر فى المجتمع بشكل عام ؛ أم أن تكون وظائفهم قاصرة على العمل فى الجهات الدينية !؟ ..

– كليات الأزهر العملية : الهندسة والطب والتجارة والزراعة ؛ فعلاً يذوب خريجوها فى المجتمع العام فى مصر ، ولا تستطيع أن تفصلهم عنه لأنهم جزء منه .. أما باقى خريجى الكليات الدينية بالذات وكذلك كليات اللغة العربية والإرشاد والدعوة وأصول الدين فهم يكونون فى مجالهم الخاص فى وزارة الأوقاف كأئمة للمساجد وخطباء ، أو فى إدارة الدعوة والإرشاد بالأزهر ، أو فى التدريس بمعاهد الأزهر وجامعة الأزهر ..

* * *

* ما هو شكل العلاقة الفنية والإدارية بين الجامع الأزهر وجامعة الأزهر !؟ ..

– العلاقة علاقة تكامل .. بمعنى أن المعاهد الأزهرية التى تتبع الأزهر هى المنبع الذى يغذى جامعة الأزهر .. وجامعة الأزهر هى النهاية التى يصل إليها طلاب المعاهد الأزهرية .. وشيخ الأزهر له إشراف أدبى على جامعة الأزهر ..

* أدبى !؟ ..

– نعم ، أدبى .. والمجلس الأعلى للأزهر يعتمد فى النهاية قرارات مجلس جامعة الأزهر .. ومعنى ذلك أن المجلس الأعلى للأزهر الذى يرأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر يقوم مقام المجلس الأعلى للجامعات فى وزارة التعليم العالى فى مصر .. فالأزهر له إستقلاله ولذلك ليس له علاقة بالمجلس الأعلى للجامعات إلا علاقة شكلية .. يعنى أنا مثلاً عضو فى المجلس الأعلى للجامعات بحكم وظيفتى كرئيس لجامعة الأزهر ، لكن ليس هناك أحد من المجلس الأعلى للجامعات

عضو عندنا فى مجلس جامعة الأزهر .. وذلك لكى يكون هناك نوع من الإتصال أو نوع من الإلمام بما يدور هنا ويدور هناك .. أما الإستقلال فكامل ..

* والعلاقة الإدارية بين الجامع الأزهر وجامعة الأزهر !؟ .. يعنى هل الأزهر (يملك) جامعة الأزهر !؟ .. أو هل جامعة الأزهر تابعة للأزهر !؟ ..

– لأ .. جامعة الأزهر لها إستقلالها الكامل .. بمعنى أن رئيس الجامعة ومجلس الجامعة حر حرية كاملة فى إدارة الجامعة .. أما العلاقة الأدبية التى تفرض على الجامعة فهذا ليكون المعنى الخاص الذى يشعر بأن هناك إرتباطاً بين الأزهر بوجه عام وبين الجامعة .. ولذلك فإن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر له الإشراف الأدبى على جامعة الأزهر .. الأدبى وليس الإدارى .. بمعنى أنه إذا أراد أن ينقل شخصاً ما من كلية إلى كلية ؛ يطلب من رئيس الجامعة أن يفعل ذلك ، لكنه لا يفعله بنفسه ولا يصدر قراراً بذلك ..

* وهل لرئيس الجامعة أن يقبل أو يرفض !؟ ..

– طبعاً .. له كل الحرية فى ذلك .. وإذا لم يقبل لا يستطيع ولا يملك شيخ الأزهر أن يرغمه على شئ ..

* من الذى يعين رئيس جامعة الأزهر !؟ ..

– يعينه رئيس الجمهورية ..

* بترشيح من من !؟ ..

– بترشيح من شيخ الجامع الأزهر ..

* إذن هناك نوع من الهيمنة أو التبعية بشكل أو بآخر ..

– طبعاً ..

* هل حدث أن كان رئيس جامعة الأزهر شيخاً للأزهر ، أو العكس !؟ .

– من شيخ الأزهر إلى رئيس للجامعة لا يمكن أن يحدث .. لأن منصب شيخ الجامع الأزهر أكبر من منصب رئيس الجامعة ، ولو حدث ذلك يعتبر (تنزيلاً) .. لكن الرفع من منصب رئيس الجامعة إلى منصب شيخ الأزهر جائز وقد يحدث ، لكنه حتى الآن لم يحدث ..

* منصب شيخ الجامع الأزهر ، ما هو المنصب الذى كان يعادلــه فــى بداية الإسلام !؟ ..

– هذا سؤال محرج .. لأنه فى بداية الإسلام كان النظام يختلــف عــن النظام الحالى .. فى بداية الإسلام كان هناك (خليفة) ، وكان الخليفة هو الســلطان الدينى والدنيوى أو الحاكم الدينى والدنيوى معاً .. فكان هو رئـيس المســلمين فــى أمورهم الدنيوية ، وفى الوقت نفسه هو إمام فى الدين .. الوضع الآن يختلف ؛ فقــد إنفصلت الآن السلطة الدينية عن السلطة التنفيذية ، وأصبح هناك سلطة تنفيذية بمجلس الشعب ومجلس الشورى ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء .. وأصــبحت السلطة الدينية ليس لها إلا أن تأمر بالمعروف وتنهى عــن المنكــر ، ولهــا أيضــاً إختصاصها فى حدود الهيئة التى تشرف عليها .. يعنى هى تملك أن تنقل وتبدل وتغير فى الدائرة التى تتولى العمل فيها .. يعنى مثلاً شيخ الأزهر أو رئيس الحامعة كل فى نطاقه الخاص يملك أن يتصرف ، ولكن ليس له سلطة تنفيذية فيما عدا ذلك .. بعكس الخليفة قديماً الذى كان إذا قال فعل ، لأنه كان يملك السلطتين معاً .. إنما العلماء فــى هذه الأيام لا يملكون إلا أن يقولوا فقط !! ..

* فى تقديرك أن أى النظامين أجدى بالنسبة لمجتمع واسع كبير كما هو الآن ، تعداده – فى مصر – ٤٤ مليوناً ، وليس كما كان فى صــدر الإســلام عــدة عشرات من الآلاف ، أو حتى عدة مئات من الآلاف !؟ ..

– أعتقد أن السلطة الدينية عليها أن ترشد وتوجــه ، وعلــى الســلطة التنفيذية أن تقبل هذا الإرشاد .. ولكن يجب أن يكون هناك مجالس تشريعية واعيــة ، بحيث إذا قصر الحاكم فى تنفيذ التوجيهات الدينية تحاسبه حساباً عسيراً .. وهذا هــو الأوفق .. أما أن يكون رجل الدين هو الذىيتولى السلطة فهذا تشتيت يؤدى إلى الفشل فى انهاية .. إنما يتولى السلطة التنتفيذية إناس مختصون بها بإرشاد من علماء الــدين ويكون علماء الدين مهمتهم التوجيه .. فى ظنى أن هذا أجدى وأعظم .. على أســاس أن تكون هناك فى الدولة هيئات تشريعية تسمع من علماء الــدين وتراقــب الســلطة التنتفيذية فى تنفيذ ما تشير به الهيئات الدينية ..

* هل نستطيع أن نقول أن الثورة الإسلامية الحاكمة فى إيران الآن تعتبر نموذجاً لذلك !؟ ..

– لا أستطيع أن أقول هذا .. لأن الثورة الإيرانية ظهر منها ما يخـالف تعاليم الإسلام .. كان يمكننا أن نقول هذا لو أنها فعلت ما فعله الرسول حين فتح مكة وقال لأهل مكة (إذهبوا فأنتم الطلقاء) ، وهم الذين فعلوا به ما فعلوا .. ومع ذلك فقد عفا عنهم حين مكنه الله منهم .. لكن هؤلاء فى إيران حين مكنـوا وتمكنـوا قتلـوا وسفكوا الدماء بعنف وقسوة بالغة لا يتصورها العقل .. وهم يعلمون علـم اليقـين أن هؤلاء القادة الذين حكموا عليهم بالإعدام كانوا مأمورين وكانوا مسيرين فى أيام الحاكم السابق الذى هو (الشاه) ، ومع ذلك لم يرحموهم ، ولم يقدروا أنه قد تنعكس الآيـة يوماً ما ويأتى حكم آخر فيأتى بهؤلاء جميعاً ويحاسبهم ويقول لهم لم قتلتم هؤلاء الناس دون محاكمة ، ويقتلهم هم أيضاً دون محاكمة .. فإن الإسلام يدعو إلى التريث وإلـى المحاكمة العادلة ، حتى إذا ظهرت هناك شبهة واحدة تكفى لمنع القتل ، يمنع القتل .. لكن هؤلاء لم يفعلوا ذلك .. إذن هى ثورة دموية تريد الإستيلاء على الحكـم وتريـد مصلحتها الخاصة ولا تريد العدالة فى الأرض .. لأن قتل نفس واحدة كقتـل النـاس جميعاً بغير حق ..

* * *

* الإسلام دين لكل العصور .. هل نستطيع أن نحاسب المسلم الآن فـى القرن العشرين ، أو فى (السدس) الأخير من القرن العشرين ؛ كما كنـا نحاسـب المسلم فى بداية الإسلام ، على ما فعله فى دنياه ، بنفس الأسس والقواعد !؟ ..

– مبادئ الإسلام هى هى والحساب على ضوء مبادئ الإسلام ، والزمن لا علاقة له فى أن يغير أو يبدل فى مبادئ الإسلام ..

* الرجل المسلم الذى تتباعد المسافة بين بيته وبين عمله ، فيضطر إلى أن يركب الأوتوبيس وهو ملئ بالنساء والفتيات ويكون ملتصقاً بهن فى الزحام غصباً عنه .. ماذا يفعل !؟ ..

– إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. هذه الآية تحل المشكلة .. قد يكون الإنسان ملتصقاً جسده بإمرأة أجنبية وهو فى دنيا بعيد عنها نهائياً ، وقد يكون بينه وبينها ٧٠ متراً وعينه مسمومة متجهة إليها !! .. المسألة إذن مسألة القلب !!.

* وماذا عن العكس : المرأة المسلمة التى تضطر إلى ركوب الأوتوبيس المزدحم وتصبح أنوثتها كلها مستباحة ويصبح جسدها كله (مفعوصاً) ومضغوطاً بين أجساد الرجال من راكبى الأوتوبيس ، وليس كل الرجال أبراراً أطهاراً ينظرون نحو السماء ويرفعون أيديهم إلى السماء !؟ ..

وينظر إلىّ الدكتور " محمد الطيب النجار " متأملاً متمعناً من تحت نظارته وهو يفكر فيما وراء أسئلتى هذه ، ولعله كان يتساءل بينه وبين نفسه عن علاقتها بـه كرئيس لجامعة الأزهر .. لكنه رجل دين على أى حال وعليه ألا يرد مسلماً عن السؤال .. يجيب :

– كذلك المرأة المسلمة يعفى عنها فى هذه الظروف ، لأنها ما دامت تنكر هذا بنفسها فقد خرجت من الحرج والإثم !! ..

* والمرأة المسلمة التى بحكم عملها ، كمضيفة الطائرة مثلاً وموظفات الفنادق ؛ التى تضطر إلى إرتداء زى معين (يونيفورم) قد يكون قصيراً أو ضيقاً (محزقاً) .. ما حكم الإسلام فى ذلك !؟ ..

– الإسلام يمنع هذا ، وليس هناك ضرورة تلجئ إلى هذا لأن كل اللاتى يذهبن ٳلى هذه الوظائف يذهبن إليها على أساس الترف وعلى أساس الهواية الخاصة .. وأى بنت من هؤلاء البنات تبحث عن منبع رزق ستجده فى مجال آخر ، فالدنيا لم تضق بهؤلاء الفتيات حتى يبحثن عن رزقهن فى هذا المجال بهذه الطريقة .. ولو أن البنات جميعاً إلتزمن بالزى المحتشم لكان ذلك مظهراً كريماً وللقى من الناس الإعجاب .. فالشخص المتمسك بدينه يلقى الإعجاب والتقدير حتى من أعداء الدين ..

* فإذا كانت ظروف دراستها كخريجة كلية السياحة أو كلية الفنادق أو معهد تدريب المضيفات مثلاً ؛ تحتم عليها أن تعمل فى هذه المجالات بالذات وليس فى غيرها !؟ ..

– ما الذى ألجأ البنت أن تذهب إلى كلية السياحة أو كلية الفنادق إلا أن تكون العاطفة الدينية مفقودة فيها والناحية الدينية ضعيفة عندها ..

* نستطيع أن نضيف أيضاً أن ناحية (المجموع) ضعيفة عندها وكانت تتمنى دخول كلية الطب لكن المجموع ومكتب التنسيق هو الذى قذف بها إلى كلية السياحة والفنادق .. وثانياً لأننا فى نهاية القرن العشرين ، ولأن مجال السياحة والفنادق والطائرات مجالات عمل مفتوحة ولم تكن موجودة فى صدر الإسلام ..

– خلاص .. يروحوها البنات غير المسلمات ، وهن كثيرات .. لكن البنات المحافظات لا يذهبن إلى مثل هذه الكليات ، فإذا ذهبن فليلتزمن .. فإذا إلتزمن ولحقهن الضرر فأمامهن المجالات الأخرى ، والله لا يضيق عليهن أبداً ..

* ذلك ما جعلنى أبدأ سؤالى بأنه فى بداية الإسلام كانت الظروف تختلف .. كان المجتمع صغيراً جداً ومحدوداً جداً والأعمال والوظائف فيه محدودة وواضحة وليست كثيرة ومتشعبة كما هى الحال الآن ، ولم تكن هناك أوتوبيسات ولا طائرات ولا فنادق ولا سياحة ..

– وهل لو لبست البنت جورباً فى ساقيها تمنع تقاليد الطائرة ذلك !؟ ..

* لابد وأن يكون من نفس اللون الذى يتطلبه الزى الرسمى (اليونيفورم) ، وغالباً ما يكون الجورب من نفس لون لحم الجسم ، وذلك يزيد شكل ساق المرأة جمالاً وأنوثة وإغراء وليس العكس !! ..

– ولو لبست شراباً أو جورباً بلون مختلف ؛ هل سيمنعونها !؟ ..

* طبعاً .. لأنه لو لبست كل واحدة على مزاجها لم يعد هناك داعٍ للزى الموحد أو اليونفورم ..

– خلاص .. إذا أضطرت فإن الضرورات تبيح المحظورات .. والضرورة تقاس بقدرها .. يعنى إذا كانت البنت ستموت من الجوع ولم تجد إلا هذا العمل أو لم تتقن إلا هذا العمل ، يبقى خلاص ، أمرها لله !! ..

* هل فى هذه الحالة نستطيع أن نعتبر أن إطمئنان قلبها بالإيمان يكفى !؟

– على شرط أن نكون مضطرة إلى هذا وليس لها مجال للرزق إلا هذا .. إلى أن يجعل الله لها من هذا الضيق فرجاً ومخرجاً ..

* * *

* تساؤل كان يخطر على بال دائماً منذ كنت صبياً صغيرا عـــام ١٩٤٩ حين ألغت حكومة " إبراهيم عبد الهادى " البغاء الرسمى أو البغاء العلنى .. من وقتها وأنا أتساءل : وهل أباح الإسلام أصلاً البغاء حتى يكون هناك (بغاء رســمى) فـــى دولة إسلامية !؟ ..

– أبداً .. لم يبح الإسلام البغاء ..

* ألم يكن هناك بغاء فى صدر الإسلام !؟ ..

– قطعاً لأ .

* والبغاء الرسمى الذى كان موجوداً فى مصر حتى عام ١٩٤٩ !؟

– هذا مخالف للإسلام ..

* إذا كان ذلك مخالفاً للإسلام منذ مجئ الإسلام منذ ١٤ قرناً من الزمان ؛ فلماذا إذن سكت الأزهر وعلماؤه على وجود البغاء الرسمى المعلن فى مصر ، حتى ألغته الحكومة من تلقاء نفسها ، وكان رئيس الحكومة الــذى ألغـــى البغـــاء أفنــدى بطربوش وليس شيخاً !! ..

– لم يسكت الأزهر عن ذلك ، وعارض وجود البغاء رجل دين معروف عليه رحمة الله إسمه الشيخ " محمود أبو العيون " ، الذى قاد حملة شديدة وحمل الراية وقال (هذه يدى مبسوطة أضعها فى يد كل غيور على شرف الأحساب وكرم الأنساب وطهارة الأعراض ، لا أقبض تلك اليد بعد أن بسطتها ولو صافحتها السيوف البواتر) .. وظل على ذلك حتى ألغى البغاء ..

* لقد عشت تلك الفترة وأذكرها جيداً .. لم يكن الشيخ أبو العيون يحارب البغاء بل كان يحارب العرى والتجرد والمايوهات على البلاجات ، وكان يذهب إلـــى البلاجات بالجبة والقفطان وخرزانته فى يده يضرب بها – بحنية – ظهـــور وســـيقان لابسات المايوهات ويقول لهن – بحنية أيضاً – تحشمن يا بنات .. وكانت الصـــحافة

تسخر منه ومن ذهابه إلى البلاجات بالجبة والقفطان ، حتى لقى مصرعه تحت عجلات مترو مصر الجديدة .. وبعد ذلك بسنوات عديدة كان الشيخ " أحمد حسن الباقورى " أول وزير أوقاف بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ – وأول رئيس لجامعة الأزهر !! _ يذهب إلى البلاج بالجبة والقفطان أيضاً ومعه بناته الشابات بلبسن المايوهات وينزلن إلى البحر وسط كل المستحمين المصيفين ..

ما علينا .. البغاء الرسمى ليس موجوداً فى مصر الآن ، على سبيل المثال ، ومع ذلك فهناك مشكلة حادة جداً فى الزواج الآن .. الزواج فى مصر مسألة صعبة جداً الآن ، لارتفاع نفقات المعيشة إلى حدٍ غير معقول ، حتى أن الشباب لا يستطيع أساساً مجابهة نفقات الزواج من شبكة ومهر وهدايا ودفع خلو شقة وإيجار مرتفع وما إلى ذلك .. بالإضافة ُلى أنه ، حتى ، ليس هناك ذلك العدد من الشقق الممكن أن تستوعب كل الراغبين فى الزواج حتى لو إستطاعوا تدبير الخلوات المطلوبة .. وتلك مصيبة ، فماذا يفعل الشباب ، بل – وتلك مصيبة أكبر وكارثة لا يعلم إلا الله وحده مقدارها وخباياه – ماذا تفعل الشابات !؟ ..

معلش .. هذه ظروف طارئة .. والذى جعلها تطرأ هو سوء الحالة الموجودة فى المجتمع العالمى ، الذى أصبح الآن كالغابة يأكل القوى فيها الضعيف .. وأصبح المجتمع العالمى تسيطر عليه روح شرية آثمة .. ولو أن هناك تعاوناً بين الدول كلها بعضها مع بعض لما كانت مثل هذه الظروف .. ومن هنا نشأ الفساد والإرتباك .. وميزانية الدول الفقيرة أصلاً ضعيفة فتصبح مشلولة الحركة .. وبالتالى ينعكس هذا على المجتمع الذى يعيش فى هذه الدولة ، فيصبح أبناؤه فى بعد عن الراحة وعن الإستقرار وعن المعبشة العائلية والحياة الزوجية السعيدة !! ..

* وقد إستمرت تلك الأزمة جيلاً كاملاً حتى الآن ، ومحتمل أن تستمر جيلاً ثانياً وثالثاً .. فماذ يفعل الشباب !؟ ..

– ولو إستمرت مئات الأجيال ، فالإنسان يلجأ إلى الصبر إذا أراد أن يعتصم بدينه .. هذه محن تمر بها الإنسانية فى فترات ويختبر فيها إيمان المؤمن ..

إمتحان ، الذى ينجح فيه هو الذى ينجو ويفوز .. أما الذين لا ينجحون فهــؤلاء هــم ضعاف الإيمان ..

* * *

* عودة إلى جامعة الأزهر : ما هو وضع الطالبات فى جامعة الأزهــر .؟!

(كان ذلك فقط هو سؤالى .. لم أقل أى شئ آخر) !! ..

– جئت لموضوع الطالبات فى جامعة الأزهر .. أصدرت قراراً بارتداء الزى المحتشم .. ونفذ هذا القرار ٩٩ % من الطالبات .. لكن لأن لكل شــئ آفــة ، فالآفة الموجودة عندنا هى أن بعض الطالبات ضعيفات الإيمــان لا يلتــزمن بــالزى المحتشم ويتلاعبن بالأوامر .. ففى غفلة من رقابة القانون وليس عندهن ضمير ؛ فتجد الواحدة منهن ترتدى الزى المحتشم وتحته ملابس عادية ، وتدخل الكلية ، فإذا غفلــت عنها العيون كشفت عن جسمها (!!) .. أو تبقى بالزى المحتشم داخل الكلية ، وبمجرد أن تخرج من بابها تخلع الزى المحتشم وتكشف عن جسمها .. ونحن لا علاقة لنا بهن ولا سلطان لنا عليهن وهن بعيدات عن الجامعة ، لكننا نراقبهن داخل الكليات فقط ..

* آخر إحصاء تحت يدى عن طالبات جامعة الأزهــر عــام ١٩٨٠ يقــول أن عددهن ١٣٢٩٥ طالبة .. الــ ١ % منهن يعنى ١٣٣ طالبة .. الــ ١ % هؤلاء درسن الإبتدائى والإعدادى والثانوى فى المعاهد الأزهرية ، يعنى قضين ١٢ سنة من عمرهن يدرسن المواد الإسلامية ، ولم يمنعهن ذلك من ذلك !! ..

– آه طبعاً .. لكنهن ضعيفات الإيمان ..

* هل مسموح لطالبات جامعة الأزهر بالإختلاط بشباب جامعــة الأزهــر فــى الأنشطة الرياضية والإجتماعية !؟ ..

– ولا فى أى نشاط .. كليات منفصلة تماماً ..

* هل الإسلام يتطلب ذلك فعلاً ، أم أن فى ذلك قدر من المغالاة فى تطبيق ما لم يأت به الإسلام !؟ ..

- الإسلام يقر فصل الشبان عن الشابات فى طور المراهقة وفى دور الشباب ، ويجعل ذلك واجباً يحتمه الدين .. إنما فى الطفولة فلا بأس ..

* وبعد أن تتخرج الفتاة من الجامعة وتبدأ تعامل مع الشباب فى مجال العمل .. ونحن لا نستطيع أن نتحكم فى مجال العمل أيضاً ونرغمه على أن بفصل بين الشباب والشابات الذين يعملون ويعملن فى جهة ما واحدة ، لا يكون لديها تجربة التعامل والإحتكاك التى تمكنها من التعامل مع الشباب .. فتكون كأنها (تفاجأ) بوجود الشباب بعد أن تصبح هى شابة .. وأتصور أن خطورة تلك (المفاجأة) فى سن الشباب الفائر أخطر بكثير من الإختلاط فى مرحلة الجامعة ..

- ما دامت الفتاة محتشمة طول حياتها فهى ستتعامل بحذر ، وسيكون تعاملها الحذر موصلاً إلى الخير بإذن الله ..

* (إن) شاء الله .. فضيلة الشيخ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر ؛ أشكرك شكراً جزيلاً ونلتقى على خير دائماُ..

نشر فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العدد ٤١ – بتاريخ ٦ / ٨ / ١٩٨٢ .

توفى الدكتور محمد الطيب النجار فى ٥ أغسطس ١٩٩١

لقاء مع أحمد حسين ..

علقت سيفى على الجدار
وإعتزلت الفروسية !! ..

الزمان : يوم الجمعة ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ ..

المكان : شارع قصر العينى – القاهرة ..

فى ذلك اليوم ؛ منذ ثلاثين سنة ؛ خرجت وصديق من سنى – ١٨ سنة – وكنا طلبة وقتها ؛ خرجنا نتمشى فى شارع قصر العينى بلا هدف محدد ، مجرد تمشية .. وعند مبنى جريدة (المصرى) – التى كانت تصدر أيامها – وجدنا على الرصيف المقابل زحاماً شديداً أغلبه من الشباب فى مثل عمرنا .. ولما لم يكن وراءنا شئ هام يدعو للعجلة فقد تلكأنا عند هذا الزحام وسألنا : " ليه الزحمة دى !؟ " .. فقيل لنا : " ده البيت الأخضر " .. كان (البيت الأخضر) مشهوراً وقتها لأنه كان مقر حزب (مصر الفتاة) أكثر الأحزاب المصرية شباباً وفتوة وحيوية فى مصر فى ذلك العهد .. " ولم هذا الزحام !؟ " .. وكان الرد : " الأستاذ أحمد حسين حا يخطب

النهاردة بمناسبة هجوم القوات الإنجليزية على مبنى مديرية أمن الإسماعيلية وقتلها رجال البوليس المصريين وإستيلائها على المبنى " ..

كانت مصر كلها تغلى غلياناً بسبب الإنذار البريطانى الذى وجهته قيادة القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس فى اليوم السابق لرجال البوليس المصريين فى مدينة الإسماعيلية بتسليم أسلحتهم والخروج من مبنى مديرية الأمن مستسلمين رافعى الأيدى فوق رؤوسهم .. فلما لم يستجيبوا للإنذار هاجمت القوات البريطانية فعلاً مبنى مديرية الأمن وقتلت الضباط والعساكر المصريين الذين كانوا شبه عزل !!.

وكان ذلك كافياً لنغير – صديقى وأنا – خط سيرنا وننضم إلى زحام الشباب الداخلين إلى (البيت الأخضر) مقر حزب (مصر الفتاة) ليستمعوا إلى إحدى خطب الأستاذ أحمد حسن الملتهبة التى كانت تقيم مصر وتقعدها فى ذلك الوقت والتى كان يحسب لها الملك فاروق والحكومة والإنجليز جميعاً ألف حساب .. كنا كغيرنا من شباب ذلك الجيل متحمسين لأحمد حسين الذى كان أصغر رؤساء الأحزاب المصرية سناً وأكثرهم شباباً وجرأة

وحيوية وحركة وإقتراباً وإلتحاماً مع الجماهير ..

دخلنا فعلاً وسط الزحام الهائل إلى داخل (البيت الأخضر) الذى كان عبارة عن فيللا كبيرة .. وعند المدخل كانت هناك (ترابيزة) صغيرة يجلس إليها أحد موظفى الحزب يسجل أسماء الداخلين وعناوينهم .. سجلت إسمى وعنوانى ولم يسجل صديقى إسمه وعنوانه .. لكن يبدو أننا كنا متأخرين جداً حتى أننا لم نستطع أن نجدموضعاً لأقدامنا فى داخل البيت لنتمكن من رؤية الأستاذ أحمد حسين شخصياً وهو يخطب .. فوقفنا فى ممرات البيت الخارجية وإكتفينا بالإستماع إليه عبر مكبرات الصوت دون أن نراه .. وإنتهى أحمد حسين من خطابه الملتهب الذى نادى فيه (الثورة الثورة الثورة) .. وإنصرفنا عائدين إلى بيوتنا دون أن نرى أحمد حسين ..

فى اليوم التالى مباشرة : السبت ٢٦ يناير من العام ١٩٥٢ إشتعلت القاهرة كلها بالحريق الهائل الذى أطلق عليه بعد ذلك يوم السبت الأسود حريق ٢٦ يناير ،

الذى ثار فيه الشعب كله على الملك فاروق وعلى حكومة الوفد برئاسة النحاس باشا .. إحترقت القاهرة ، وسقطت الحكومة ، وإعتقلت الحكومة الجديدة أحمد حسين بتهم تحريض الشعب على الثورة الثورة وعلى حرق القاهرة ، وإعتقلت معه كل الأسماء التى سجلت فى كشف الدخول إلى (البيت الأخضر) فى اليوم السابق ، وأنا منهم ، وصديقى لأ لأنه لم يسجل إسمه وعنوانه !! ..

* * *

كنت فى أجازة فى القاهرة فى شهر مارس منذ عامين ، وجاء يزورنى صديقى وجارى الأستاذ " فايز محمد على " المحامى ، الذى إعتذر لى عن تأخره بأنه كان يزر (الأستاذ أخمد) لأنه مريض جداً ، وتأخر عنده .. فسألته مستفسراً : " الأستاذ أحمد مين !؟ " .. فقال : " الأستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة " .. منعت لسانى فى آخر لحظة من أن أنطق مندهشاً : " هو لسة عايش !؟ " وحولتها على الفور إلى : " يا ريت لما تروح له مرة تانية تاخدنى معاك أزوره " .. وحكيت لفايز حكاية إعتقالى فى عام ١٩٥٢ لمجرد أننى سجلت إسمى وعنوانى فى كشف الدخول إلى البيت الأخضر رغم ننى لم أكن عضواً فى الحزب أصلاً .. ونقل فايز رغبتى للأستاذ أحمد حسين ، الذى وافق على أن أزوره على الرغم من حالته الصحية المتدهورة جداً ، والتى كان بسببها لا يستقبل أحداً ، حتى لا يراه أحد وهو على هذا الحال ..

كان أحمد حسين قد أصيب بالشلل منذ أكثر من ١٥ سنة .. شلل أقعد كل جسده فلم يترك فيه شيئاً يتحرك إلا يده اليمنى ، بصعوبة شديدة ، وعينيه ، وذهنه المتوقد المتوهج الذى يتذكر الماضى البعيد والأحداث البعيدة ، لكنه يعجز عن تذكر الماشى القريب .. ووصل الشلل إلى لسانه فأصبح يتحرك بصعوبة شديدة وبطريقة تجعل كلامه مضغوماً غير مفهوم إلا بالنسبة لأهل بيته الذين يعايشونه .. وإذا سمح لأحدٍ بزيارته فإن إبنته الصحفية " إيمان " تلازمه لتقوم بتفسير كلامه وتوضيحه لزائره

فى زيارتى الأولى تلك رفض أن أجرى معه حديثاً صحفياً ولا إذاعياً ، وقال أنه يستقبلنى فقط لأنه سمع من " فايز محمد على " قصة إعتقالى بسببه ٤ مرات ؛ فأراد أن يرانى وأن أراه ، لكن دون صحافة ولا إذاعة .. وإن كان قد سمح لى بتصويره ، على إعتبار أنها صور للذكرى وليست للنشر ، مع بعض أهله وزائريه ..

* * *

وعلى إمتداد سنتين كاملتين بعد ذلك ، وكلما كنت فى مصر ؛ لم أكف عن الإلحاح على صديقى الأستاذ " فايز محمد على " المحامى ، ليلح بدوره على الأستاذ أحمد حسين ، ليسمح لى بتسجيل حديث معه للراديو أو للنشر .. ودائماً كان الأستاذ أحمد حسين يعتذر ، أو بمعنى أدق (يرفض) .. لكن فى آخر مرة كنت فيها فى القاهرة ، وافق .. وكانت مجلة (المسلمون) التى تصدر فى لندن والتى أنا أحد كتابها ؛ هى واسطتى وشفيعى .. فقد رأى الأستاذ بعض أعداد المجلة وأعجبته .. وكان أن حظيت بلقاءٍ ثانٍ معه ، وبتسجيل تاريخى نادر للأستاذ أحمد حسين زعيم حزب (مصر الفتاة) لم يتح لأحدٍ قبلى ، خص به مجلة (المسلمون) ..

ولا يتصور أحد أن تلك كانت مسألة سهلة : أضع بينى وبينه جهاز التسجيل وأسأله ويجيب .. فقدكان بيننا طوال الوقت طرف ثالث يقوم بمهمة (ترجمة) كلام الأستاذ أحمد حسين وتفسيره وتوضيحه .. فإننى كنت أسأل سؤالى لأسمع الجواب عليه مرتين : مرة بلسان الأستاذ أحمد حسين المشلول فتصلنى إجابته عبارة عن كلام مضغوم وهمهمات غير مفهومة ، ثم أسمع تفسير وتوضيح هذه الهمهمات بصوت الأستاذ " فايز محمد على " المحامى ، صديقى وتلميذ الأستاذ أحمد حسين ، الذى كان الواسطة بينى وبينه ..

قلت للأستاذ أحمد حسين :

* كان هناك دائماً العديد من الأسئلة التى كان فى ذهنى أن أسألك إياها ..

أولاً : هل كان قيام ثور ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ومغادرة الملك فاروق لمصر مبرراً كافياً لأن تعتبر أن نضالك السياسى أو دورك السياسى قد إنتهى !؟ ..



- لأ .. لكن حين قامت الثورة فى مصر أرادت أن تنهى كل الأحزاب وأدوار كل السياسيين فى مصر ، بحيث لا يكون هناك أى دور إلا للثورة ورجالها .. حلت الثورة الأحزاب ، ولم أعترف نا بذلك ، فسافرت إلى خارج مصر .. وكنت أناقش حمال عبد الناصر بخطابا مفتوحة تنشر فى كل العالم ؛ أطالب فيها بالحريات وبالدستور .. فلما أعلن الدستور ، وكنت وقتها فى السودان ؛ عدت إلى مصر .. لكننى وجدت الجو السائد فى مصر وقتها لم يعد يسمح بالنشاط الحزبى ؛ فعدت إلى الإشنغال بالحاماة ختى عام ١٩٦٠ ، حتى جاءنى زميلى وتلميذى الأستاذ " فايز محمد على " فتركت له مكتبى وإعتزلت الحياة العامة كلها ، وقعدت فى البيت من يومها ..

* قلت أنك سافرت إلى خارج مصر بعد قيام الثورة !؟ ..

- سافرت إلى المملكة السعودية ، ثم إلى الشام فإنجلترا ، ثم السودان .. وأنا أعتبر أن السعودية هى وطنى الثانى ، والملك عبد العزيز آل سعود عليه رحمة الله كان يعتبرنى إبنه .. لكننى لم أقض فترة طويلة هناك .. كنت فى كل مرة أقضى ٤ أو ٥ شهور .. وكنت دائماً أنزل فى ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود .. وآخر مرة ذهبت فيها إلى السعودية كانت بعد أن أصبت بالشلل ، وكان ذلك بعد حرب ١٩٧٣ ..

قلت للأستاذ أحمد حسين :

* كان سؤالى : كيف إستسلمتم لمسألة حل الأحزاب فى مصر !؟ ..

– أنا من ناحيتى لم أوافق على قرار حل الأحزاب ، وداومت على كتابة خطابات مفتوحة إلى قيادة الثورة .. وألقيت المحاضرة المشهورة جداً فى (هيئة اتحرير) ، أول تنظيم حزبى أقامته الثورة ، المحاضرة التى قلت فيها : " ليس صحيحاً أنه لولا الجيش لما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، ولكن الصحيح هو أن يقال أنه لولا الجيش لما تأخرت الثورة حتى ٢٣ يوليو " !! .. قلت هذا الكلام فى قلب هيئة التحرير ، وكان موجوداً أثناء إلقائى هذه المحاضرة اللواء محمد نجيب الذى كان رئيساً للجمهورية وقتها ..

وكان جمال عبد الناصر يزورنى فى بيتى وكنا نجتمع كثيراً مع بعض .. لكن كان واضحاً أن هناك خلافاً شديداً بيننا فى وجهات النظر السياسية .. قلت له مرة : " إنت يمكن مش دارى إنك ماشى فى الفلك الأمريكانى " .. فقد كان يوجد وقتها مشروع أمريكى إسمه (النقطة الرابعة) ، ولكى ينفذه الأمريكان فى بلدٍ ما لابد وأن يخضع هذا البلد لمشروعهم .. وعلى هذا فقد إختلفت أنا وعبد الناصر ..

* كيف كان مقبولاً أن الملك فاروق كان يسمح بأن تصدر صحف ومجلات مثل (مصر الفتاة) و(الملايين) و(الصرخة) والمصرى وروزاليوسف والأخبار وغيرها من الصحف التى كانت تستطيع أن تقول فى الملك كل ما تريد أن تقول ؛ إبتداءً من الغمز واللمز وإنتهاءً بـ (رعاياك يا مولاى) الشهيرة جداً وقتها .. كيف كان الملك يسمح بحرية الصحافة ثم تجئ الثورة التى طالبت أول ما طالبت بالحرية ؛ لتلغى الأحزاب وتلغى الحرية !؟ ..

– الملك فاروق لم يكن سامحاً ولا سعيداً بذلك طبعاً .. لكن كانت تحكم البلد وقتها وزارة الوفد برئاسة النحاس باشا التى كان يهمها أن تسئ العلاقة بين الشعب وبين الملك .. فالوزارة إذن هى التى كانت تترك الحريات وليس الملك .. وحين قامت الثورة إعتبرت نفسها أنها هى الشعب وأن من يخالفها يخالف الشعب ..

وذلك هو ما يحدث دائماً فى الثورات ، أنها أول ما تبطش تبطش بالثوار أنفسهم الذين صنعوا الثورة .. وذلك هو ما حدث فى كل الثورات ، أنها تنتكس فتعادى من قـاموا بها .. لذا يقال دائماً أن الثورات تأكل أبناءها ..

* وهل تقبلت أنت ذلك !؟ ..

- أنا إعتزلت الحياة السياسية والحباة العامة كلها .. فطبعاً لم يكـن لـدىّ أسلحة إلا الكتابة ، فحين تمنع الثورة الكتابة فبماذا أحارب !؟ .. لكن عبـد الناصـر حاول أن يخرجنى من عزلتى فأرسل لى هنا فى بيتى من يعرض علىّ أن أختـار أى وظيفة لأعين فيها .. فقلت له أننى هنا داخل غرفة مكتبى هذه حر أفعل مـا أشـاء ، ولست مستعداً لأن أضع نفسى فى القيود ..

* * *

* يعنى هل نستطيع أن نقول أن إعتزالك السياسة كان نوعاً من المقاومة السلبية أو الإعتراض السلبى !؟ ..

- نعم ..

* تصورى أن الزعيم ليس محتاجاً إلى قواعد عسكرية تسانده ولا لقـوة جيش تقف إلى جواره .. وليس كل الزعماء مدججين بالسلاح أو وراءهـم ميليشـات تساندهم .. وأنت كان وراءك الشعب ووراءك قلمك ..

- لم يكن ورائى أى شئ ، ولا حتى الشعب ..

* ولا حتى الشعب !؟ ..

- لأن جمال عبد الناصر كان قد جعل نصف أعضاء البرلمـان عمـال وفلاحين .. يعنى عمل ما تمنيته أنا من زاوية ما .. كانت لى مطالب كثيـرة علـى رأسها الحرية ، التى كانت هى الشئ الذى لم يحققه جمال عبد الناصر .. أما فيما عدا ذلك فقد عمل جمال عبد الناصر للشعب .. وتلك كانت قوة جمال عبد الناصر ..

* لو أن الثورة فى مصر كانت لم تلغ الأحزاب بعد قيام الثـورة؛ هـل كنت تتوقع أن يصل حزب (مصر الفتاة) إلى الحكم !؟ ..

- قبل الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ؛ كنت أتوقع أن يصل (مصر الفتاة) إلى الحكم .. لكن بعد إنتهاء الحرب تغير تفكيرى ولم أعد أتوقع ذلك ، بل ولم أعد أطمح إليه ..

* كم كان عمرك حين قامت الثورة فى مصر فى عام ١٩٥٢ !؟ ..

- إحسبها أنت .. أنا مولود فى ٨ مارس عام ١٩١١ .. يعنى كان عمرى وقتها ٤١ سنة وعدة شهور ..

* يعنى كنت أكبر من عبد الناصر بنحو ١٠ سنوات .. هل رأيت أن جمال عبد الناصر كان قادراً على أن يؤدى الدور أو المهمة أو الرسالة التى كنت تنادى بها !؟ ..

- هو قد أداها فعلاً ، فيما عدا الحرية ..

* هل ناقشته فى ذلك !؟ ..

- كثيراً .. لكنه كان مقتنعاً بما يفعله .. إنما والشهادة لله أنه ظل وفياً لى فلم أتعرض لأى تعذيب من الذى كان يحدث فى وقتٍ جمال عبد النصر ، لأنه كان يحمينى هو شخصياً .. وبالرغم من أننا كنا مختلفين فى الرأى لكنه ظل يحترمنى حتى آخر يوم فى حياته .. وفى كل بلد كنت أذهب إليه كان السفير المصرى يستقبلنى ويبلغنى تحيات جمال عبد الناصر ..

* ألم تعتقل بعد قيام الثورة !؟ ..

- أعتقلت وضربت وأهنت .. فى ٤ مارس عام ١٩٥٤ حدث الخلاف الشهير بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، فأرسلت تلغرافاً لكل منهما قلت لهما فيه ما معناه (إن مصر ليست عزبة أبوكم .. مصر عايزة الديموقراطية .. فتختلفوا تصطلحوا مصر مالهاش دعوة بيكم ولا بخلافاتكم) .. فقبض علىّ وضربت وعذبت ، لكنه كان عذاباً محتملاً .. يعنى يوقفونى وظهرى للحائط وييجى عسكرى ويسدد بندقيته إلى صدرى وكأنه سيضربنى بالرصاص .. لكن جمال عبد الناصر بعد أن إستقر له الحكم وأبعد محمد نجيب ؛ أخرجنى من السجن وجعلهم يعتذرون لى ..

* هل أفهم من ذلك أن إعتقالك كان بأمر محمد نجيب وليس جمال عبد الناصر !؟ ..

– كان بأمر جمال عبد الناصر .. لكنه قابلنى بعد خروجى من السجن وقال لى معاتباً : " كده تطعننى فى ظهرى " .. يقصد التلغراف الذى أرسلته إليه ، ولم يكن يعرف أننى أرسلت نفس الصيغة إلى محمد نجيب وظن أننى أرسلت له وحده .. فقلت له أننى لا أطعن أحداً ، ولو كنت أريد أن أطعنه ما كنت أرسلت له تلغرافاً .. وأوضحت له أننى أرسلت إلى محمد نجيب أيضاً .. وكان جمال عبد الناصر يظن أننى قد إنحزت إلى جانب محمد نجيب ضده ، أى ضد عبد الناصر ..

لذا فإننى أقول أننى أشهد له أنه ظل يحترمنى باستمرار ، لأنه كان عضواً فى (مصر الفتاة) ، وهونفسه ذكر ذلك فى أكثر من مناسبة فى خطب عامة ، فقال أن (مصر الفتاة) هى التى أدخلته فى السياسة ، وكان دائماً يقول لى مداعباً : " إنت لازم تفتخر بأن لولا أحمد حسين لما كان جمال عبد الناصر " .. وكنت أقول له : " ياسيدى أنا مش عايز أفتخر .. أنا عايز حريتى فى أن أمارس عملى السياسى " ..

* وهل تذكره أنت شخصياً حين كان عضواً فى (مصر الفتاة) !؟ .

– طبعاً .. وأذكر الواقعة اتى أدخلته (مصر الفتاة) .. كنا نقوم بمظاهرة فى مدينة الإسكندرية فى عام ١٩٣٥ ، وإعترضنا البوليس وأمسكوا بى وإنهالوا علىّ بالضرب ، فهجم واحد من الجمهور على الذين كانوا يضربوننى ليحاول أن يخلصنى من أيديهم ، وكان عمره وقتها نحو ١٨ سنة ، فأمسكوه هو أيضاً وأخذوه معى إلى قسم البوليس .. وهناك إكتشفت أنه كان يدافع عنى دون أن يعرف من أنا ودون أن يعرف الحكاية أصلاً .. وعرف هو شخصيتى وأن هذه المظاهرة كان ينظمها حزب (مصر الفتاة) .. فخرج من قسم البوليس لينضم فوراً إلى شباب (مصر الفتاة) .. وهذه هى الرواية التى ذكرها هو بنفسه فى خطبة عامة بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية ..

ولكن لكى تعرف أن كل شئ يقدره ويخططه وينظمه الله ؛ فإننى قد جاءنى قبلك ناس كتير يريدون أن يسجلوا صوتى بشكله الحالى وصورتى بشكلى الآن ؛ فرفضت وإعتذرت لهم جميعاً ومنعتهم .. وها أنت تسجل صوتى وتصورنى وأنا بهذه الحالة ، ولم أمنعك ..

* ذلك شرف كبير أعتز به .. وقد يكون ذلك حدث لأنك قطعاً شعرت أن بيننا خطاً متصلاً من الود والحب والوفاء ..

– الذى قصدته هو أن الله هو الذى يفعل كل شئ ويدبر كل شئ .. هو الذى دبر دفاع التلميذ جمال عبد الناصر عنى سنة ١٩٣٥ ، ودبر لقائى اليوم بك فى عام ١٩٨٢ ..

* * *

* أستاذ أحمد حسين ؛ ألم يكن صعباً على زعيم شاب فى سنك وقتها – ٤١ سنة عند قيام الثورة – أن يعتزل السياسة ويعتزل الحياة العامة !؟ .. ٤١ سنة هى قمة الشباب والنضج وقمة البذل والعطاء والفداء ..

سكت أحمد حسين طويلاً وكأنه يعود إلى الماضى البعيد : ٣٠ سنة كاملة مضت على تلك الأيام الآن ، أيام قيام الثورة فى مصر ، وبعد أن كانت (الثورة الثورة الثورة) هى هدف رئيس (مصر الفتاة) ؛ أصبح مطالباً بأن يثور على الثورة

– أنا طول عمرى لا أفرق بين الجهاد السلبى والجهاد الإيجابى .. وحين إعتزلت السياسة وإعتزلت الحياة العامة كنت أعلن بذلك إستنكارى لما يحدث فى مصر

* حين قررت الإعتزال ، هل أعلنت إعتزالك للشعب بصورة أو بأخرى ، حتى يعرف الشعب أنك قد إعتزلت مرغماً ولا يظن أن سكوتك على ما يدوردليل الرضاء عنه .. المثل المصرى يقول (السكوت علامة الرضا) !! ..

– أولاً جميع الأحزاب كانت قد حلت فى ذلك الوقت ، يعنى أن الثورة قد ألغت دور كل الأحزاب ودور كل رؤساء الأحزاب بالأمر وليس برضائهم .. فأنا

كمحامٍ طلبت من نقابة المحامين إحالتى إلى المعاش ، يعنى لكى أحصل على المعاش وأعتبر (محامٍ على المعاش) ..

* هل كنت مقدراً أن – أولاً – ذلك الخبر سوف يصل إلى الشعب عموماً !؟ .. وثانياً ، حتى إذا وصل إلى الشعب ؛ هل سيفهم الشعب المقصود من وراء طلبك الإحالة إلى المعاش !؟ ..

– شوف .. هناك عبارة مأثورة تقول : (قل كلمتك وإمشى) .. فأنا قلت كلمتى ، ووجدت أن الدنيا قد تغيرت ولم يعد لى فيها مكان ، فمشيت .. لأننى وجدت نفسى مثل فرسان العصور الوسطى الذين كانوا يتبارزون بالسيوف ، فلما ظهر البارود والمسدسات والرصاص ؛ لم يعد أمام الفارس إلا أن يعلق سيفه على جدار بيته ويعتزل الفروسية ، ويصبح (فارس على المعاش) ويقعد فى بيته معتزاً بكرامته ولا يساير الحياة الجديدة التى لم يعد له مكان فيها .. وذلك هو ما فعلته ..

* كم كان معاش المحامى وقتها !؟ ..

– ليس فى المسألة (كان) و(أصبح) كان وقتها ثلاثين جنيهاً ولا زال حتى الآن ثلاثين جنيهاً !! ..

* وهل كانت الثلاثين جنيهاً كافية لإعاشتك أنت وأسرتك بعد إعتزالك ؛ أم كانت لك مصادر دخل أخرى تغطى نفقاتك وإحتياجاتك !؟ ..

– ليس لى أى مصادر دخل أخرى .. وكنت دائماً أقول أنه إذا كان ربنا يريد لى ن أموت من الجوع ، فلأمت ..

* وهل كانت هذه هى آخر علاقة لك بالثورة !؟ ..

– لأ طبعاً .. حين جاء أنور السادات أيضاً ، كان دائماً يشيد بى ..

* أقصد علاقة من ناحيتك أنت وليس من ناحية الثورة !؟ ..

– لم يكن لى أى علاقة بهم ..

* وأنت كمحامٍ ، وأنت كزعيم لحزب (مصر الفتاة) ؛ هل كان لديك وقت فعلاً تولى قضايا والمرافعة فيها !؟ ..

- كنت أترافع فى القضايا العامة ، مثل قضية مقتل النقراشى باشا ، وقضية المؤامرة الكبرى التى أتهم فيها الدكتور محمد صلاح الدين وعبد الفتاح حسن وكلاهما من أبرز وزراء ما قبل الثورة ، والصحفى محمد السوادى واللواء نصار .. وترافعت عن كل المتهمين وليس عن متهم واحد ..

* * *

قلت للأستاذ أحمد حسين :

* تحولت من كاتب سياسى إلى كاتب إسلامى ؛ حتى أن الأجيال التالية ، يعنى الذين عمرهم الآن ٤٠ سنة وكان عمرهم ١٠ سنوات فقط عند قيام الثورة ؛ لا يعرفونك كزعيم سياسى أو كاتب سياسى .. كيف كانت هذه النقلة !؟ ..

- فى تلك الفترة التى أحدثك عنها حولت نفسى من كاتب سياسى إلى كاتب إسلامى .. أنا لا أستطيع أن أبقى ساكتاً .. فبدأت أكتب فى المسائل الإسلامية .. ولا تستطيع أن تسمى ذلك (إنتقالاً) أو (نقلة) ؛ فأنا طول عمرى مهتم بالإسلام وأمور الإسلام .. وأذكر وأنا تلميذ فى المدرسة الإبتدائية أننى كونت جمعية أطلقت عليها (جمعية نصر الدين الإسلامى) .. فحل ناظر المدرسة الجمعية لأنه - كما قل لنا - لا يستطيع أن يتصور أن (شوية عيال صغيرين) ينصروا الدين الإسلامى .. كانت مدرسة (محمد على الإبدائية) فى حى السيدة زينب ، وكان ذلك فى عام ١٩٢٣ ، وحتى الآن لازلت أذكر إسم الناظر : " محمد توفيق البرادعى " !! ..

* هل قصدت بتحولك إلى الكتابة فى الإسلاميات تعريف الناس الذين كانوا يتابعونك سياسياً بأنك لازلت موجوداً على الساحة لكنك ممتنع - أو ممنوع - من الكتابة فى السياسة !؟ .. هل كان ذلك نوعاً من التلميح أو الإسقاط أو الإيحاء بشكل غير مباشر !؟ ..

- أنا لم أعد أهتم إلا بما أعتقده .. وأنا أعتقد أن العالم الإسلامى فيه يقظة .. وذلك كان تمشياً مع برنامج (مصر الفتاة) الذى يقول بلادك هى مصر والسودان ، تحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام

* حين تكتب فى الإسلام ، هل تكتب فى خط معين متوائم سياسياً مع ما تعتقده !؟ .. هل تريد أن تقول من مقالاتك الإسلامية شيئاً سياسياً !؟ .. هل أردت – أو تريد – أن توضح للشعب وجهة نظرك فى مسائل سياسية من خلال تلميحات دينية معينة !؟ ..

– أنا لم أعد أهتم بالشعب المصرى ، أقول له أو لا أقول له .. أنا أقول أفكارى وخلاص .. قرأوها أو لم يقرأوها ، سمعوها أو لم يسمعوها ، فهموها أو لم يفهموها .. أنا أقول كلمتى وأمشى ..

* هل كنت ، أو لازلت ، تكتب فى نواحى إسلامية معينة !؟ .. هل تكتب فى تاريخ الإسلام أو فى الشخصيات الإسلامية !؟ .. هل تكتب تحليلاً للمواقف الإسلامية !؟ ..

وخبا وجه أحمد حسين وبدا عليه السأم والملل والإكتئاب :

الناس كلها الآن تتكلم فى ذلك .. أنا لم أعد أنتظر الآن شيئاً إلا النهاية : الموت ..

* ربنا يطول فى عمرك .. لكن هل أنت تنتظر النهاية منذ كان عمرك ٤١ سنة !؟ ..

– أنا أنتظرها الآن رسمياً ، لأن عمرى تعدى الـ ٧١ سنة ، ومشلول منذ ما يقرب من ١٥ سنة ، وأتعذب جداً .. حياتى كلها الآن عذاب .. أنا كل ما أرجوه إن ربنا يوقف عذابى وينهى حياتى .. أنت شايفنى قاعد قدامك فتظن أننى مستريح هكذا .. لكننى لا أستطيع التحرك إلا بمساعدة " جمال " .. وحين يتركنى " جمال " فإننى لا أستطيع أن أفعل شيئاً .. فلا تظل تسألنى عايز أعمل إيه وأسوى إيه وكأننى شاب فى مقتبل العمر وفى كامل الصحة .. أنا لم أعد أطلب شيئاً أو أريد شيئاً إلا الموت .. أنا قلت كلمتى وأنهيت دورى وخلاص ..

* أدعو إلى الله أن يعطيك العمر من أجلنا نحن .. فلازلت فى وجدان وفى قلوب كل المصريين الذين من جيلى ..

- أشكرك جداً .. ما دمت أنت تريد أن يطول عمرى ليطول عذابى ، فأنــت حر .. (وضحك أحمد حسين لأول مرة منذ أن بدأت جلستنا ، لكنها كانــت ضــحكة مرة أقرب إلى البكاء .. وإستطرد) الذى أعرفه أننى الآن لا شئ ، ولا أريد شيئاً ولا أفكر فى شئ إلا فى الموت ، فى النهاية .. لقد أصبت بالشلل فى عــام ١٩٦٩ فــى أواخر عهد عبد الناصر ، فأرسلنى إلى لندن للعلاج ، لكن دون فائدة .. وبعد أن قمت من الغيبوبة قرأت فى دائرة معارف محمد فريد وجدى شيئين تأكدا تماماً بعد ذلــك .. قال أن الشلل ليس له علاج ، وقال أيضاً وليس هناك ما يمنع من أن يعيش المشــلول طيلاً .. وهاأنذا أمامك مشلول هكذا منذ ما يقرب من ١٥ سنة ..

* * *

* الشافى هو الله . أستاذ أحمد حسين ؛ لقد كتبت قصة حياتك فى ثلاثة أجزاء

- نعم .. سجلتها فى قصص (أزهار) و(الدكتور خالد) و(واحترقــت القاهرة) ..

* هل توقفت فى مذكراتك عند حريق القاهرة الشهير فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ !؟.

- لأ .. أكتب الآن (مصر فى ظل ٨ ملوك ورؤساء) .. ولن أتوقف عند حكم معين أو رئيس معين .. فأنا طول ما أنا عايش لا أتوقف عن الإضافة فى هــذا الكتاب ، الذى يعتبر مكملاً للأجزاء الثلاثة السابقة من مذكراتى ..

* هل سينشر قريباً !؟ ..

- أنا أكتب ولا أعرف هل سينشر أو لا ينشر .. الآن أو فيما بعد .. لكننــى مستمر فى الكتابة حتى أموت ..

* ولو جاءك ناشر الآن وطلب منك أن ينشره .. هل هو جاهز للنشر !؟.

- نعم .. جاهز للنشر ..

* ألم يطلب منك أحد أن ينشره !؟ ..

- أنا لا أحد يزورنى .. أنت فقط فى الفترة الأخيرة التى تزورنى بين الحين والحين ، وكأنك تلميذى وصديقى الأستاذ " فايز محمد على " ..

* وأين ذهب تلامذتك ومريدوك وكبار أعضاء (مصر الفتاة) الذين كـــانوا ملتفين حولك !؟ ..

– أكثرهم ماتوا ، والباقون مشغولون بالحياة .. وحتى أولادى أنفسهم لم أعد أراهم إلا فى المناسبات !! ..

* أرى معلقاً على جدران غرفة مكتبك التى نجلس فيهـــا الآن صـــورتين ، واحدة منهما للمهندس إبراهيم شكرى والأخرى للدكتور محمد حلمى مراد نائبه فـــى رئاسة حزبه .. لماذا !؟ ..

– هما اللذان خرجت بهما من دنيا الكفاح ، وأضف إليهما فايز محمد على ..

* ما هو موقعهما بالنسبة إليك !؟ ..

– إبراهيم شكرى كاد أن يموت سنة ١٩٣٥ حين ضربه البوليس بالرصاص وكان وقتهاعضواً فى حزب (مصر الفتاة) ، ولغاية الان يزورنى ، والعباءة الصوف التى ألبسها الآن هذه أهداها لى حين كان محافظاً للوادى الجديد .. والـــدكتور محمـــد حلمى مراد هو شقيق زوجتى وخال أولادى .. ويزورنى بين حين وآخر أيضاً ..

* الدكتور محمد حلمى مراد ؛ هل كان عضواً بارزاً فى (مصر الفتاة) !؟ .

– الدكتور محمد حلمى مراد رغم أنه أنبغ تلميذ من تلامذة (مصر الفتـــاة) إلا أنه لم يكن عضواً فى الحزب على الإطلاق ، لأنه كان وكيل نيابة ، وكان ممنوعاً على القضاة وأعضاء النيابة الإشتغال بالسياسة ، فكان يعطينا كل شئ بدون إسمه .. إبراهيم شكرى كان نائباً فى البرلمان ، فكان الدكتور حلمى يضع مشروعات القوانين وإبراهيم شكرى يتقدم بها إلى البرلمان .. وعلى سبيل المثال قانون الإصلاح الزراعى وضعه حلمى مراد وقدمه إبراهيم شكرى ..

* المهندس إبراهيم شكرى وحزب العمل الإشتراكى خرجا من تحت عباءة (مصر الفتاة) .. هل كان يستشيرك ، أو هل هو يستشيرك الآن ، فى أمور الحـــزب .؟!

- أنا لم أعد أحب أن أقول رأيى فى أى شــئ .. لأن المعــانى إختلطــت وتلخبطت ، حتى أننى أنا نفسى لم أعد أعرف ما هو الصحيح وما هو غير الصـــحيح .. والدنيا ماشية .. كده ماشية وكده ماشية ..

* لكن حين يطلب رأيك ، هل تقوله أم لا تقوله !؟ ..

- نحن الآن ، أنت وأنا ، نجلس معاً ، وأنت طلبت رأيى ، وأنا أقوله ..

* أفهم من ذلك أن المهندس إبراهيم شكرى لا يطلب رأيك فى شئ

- إبراهيم شكرى حين يزورنى أقول وجهة نظرى ، وهى دائماً متفقة مــع وجهة نظره (!!) ..

قلت للأستاذ أحمد حسين :

* الرئيس السادات فى مناسبات عديدة ، خصوصاً فى أيامه الأخيرة ؛ قال أن الحزبين اللذين لم يسيئا إلى الحياة الوطنية فى مصر قبل الثورة ، هما الحزب الوطنى وحزب مصر الفتاة .. ماذا كان رأيك فى هذا الكلام !؟ ..

- طبعاً كنت مسروراً .. وأنا كنت غالباً أؤيد السادات ، لولا ما فعلــه فــى أيامه الأخيرة .. وهو من الذين ينطبق عليهم الحديث (يعمل أحدكم مثل أهل الجنــة حتى إذا لم يبق بينه وبين الجنة إلا ذراع فإذا به من أهل النار) .. فالسادات عــاش طول مدة حكمه يقول الحرية والديموقراطية وإغلاق المعتقلات ؛ ثم فى آخر حياتــه إرتكب عكس كل ما كان يقوله ..

* حين إعتقل السادات صهرك الدكتور محمد حلمى مراد بين من إعــتقلهم فى حملة الإعتقالات الأخيرة التى سبقت مصرعه بشهر ؛ ألم تكتب رسالة مفتوحة إلى السادات تنبهه إلى خطورة ما يفعل !؟ ..

- أنت لا تريد أن تقتنع بأننى قد تركت الحياة نفسها .. ومع ذلك فإننى كنت قد أرسلت خطاباً شديد اللهجة إلى أنور السادات قبل إعتقال الدكتور حلمى مراد وليس بعده ، بخصوص كبت الحريات وأسلوب معالجة المشاكل مع الجماعات الإسلامية ..

* هل كنت ضد أو مع ترشيد الجماعات الإسلامية وتوضيح مسار العمل السياسى الإسلامى !؟ ..

– أنا ضد التطرف ، لكن السادات خلط الجماعات الإسلامية كلها دون تفرقة ، مع المعارضة ، وضرب الجميع ..

* * *

* الأستاذ أحمد حسين ، حضرتك والحمد لله وإمسك الخشب ؛ لا زلت متوقد الذهن ومتوقد الذكاء ..

وضحك الأستاذ أحمد حسين عالياً لأول مرة فى قعدتنا وهو يقول عبارة مصرية شهيرة :

نق بأه نق (بمعنى لا تحسدنى) .. على أى حال الحمد لله ..

* هل تلاقى صعوبة فى الكتابة !؟ ..

– أنا أكتب فى ٣ ساعات ما تكتبه أنت فى ٥ دقائق .. لبطء حركة اليد والفكر .. شوف أنا قاعد متكتف إزاى .. ولغاية ما أبدأ أضع يدى على الورقة أحتاج إلى ١٠ دقائق من المعاناة ..

* لماذا لا تملى على أحد ليكتب هو ..فيكون ذلك أسهل كثيراً وأكثر راحة لك

– أنت مصر على أننى إنسان طبيعى .. الحمد لله على ما أنا فيه .. لكن أنا بعد إنصرافك سأعود كما كنت قبل مجيئك .. أنا والكرسى اللى أنا قاعد عليه قطعة واحدة .. وجود أحد معى هو الذى يردنى إلى الحياة.

* كان السادات منذ عدة سنوات قد شكل لجنة لإعادة كتابة تاريخ مصر الحديث .. هل طلب منك وأنت مؤرخ لمصر فى القديم والحديث معاً ؛ أن تسهم بالمشاركة فى أعمال هذه اللجنة !؟ ..

وهز الأستاذ أحمد حسين رأسه نفياً فى سكون وأسى ، ولم يتكلم .. فقال الأستاذ " فايز محمد على " معلقاً أن الأستاذ أحمد حسين كتب (موسوعة تاريخ مصر

الحديث) فى ٥ أجزاء .. لكننى أصررت على الحصول على إجابة على سؤالى من الأستاذ أحمد حسين نفسه :

لم يتصل بى أحد للإشتراك فى لجنة إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث .. ربما لأنهم يعرفون أننى مريض ..

* ويعرفون أيضاً أنه على الرغم من أنك مريض لكنك قادر على الكتابة أسبوعياً فى جريدة (الشعب) وفى عديد من الصحف الأخرى .. هل تظن أنهم قصدوا أن يتجاهلوا دورك فى تاريخ مصر الحديث !؟ ..

– هذه هى سنة الحياة ، أن الذى يعيش أكثر تنساه الناس .. ويادوب حين يموت يرجعوا يفتكروه .. لكن وهو عايش الناس بتعتبره مات !! .

وأومأ الأستاذ " فايز محمد على " إلىّ أن أكتفى بهذا القدر ، بعد ساعة كاملة مرت الآن من الحوار المتصل ، حتى لا أسبب إرهاقاً للأستاذ أحمد حسين .. لكننى لم أشأ أن أقطع الحوار بيننا ؛ فاحتكمت للأستاذ حمد حسين الذى سألنى مبتسماً :

إنت لسه عندك حاجة ماقالتهاش !؟ ..

* أنا أريد أن أظل معك أطول وقت ممكن لغاية ما تزهق منى وتقول لى قوم إمشى ..

– خلينا كمان نصف ساعة ..

* أشكرك .. (موسوعة تاريخ مصر الحديث) التى كتبتها فى ٥ أجزاء ، تناولت فيها تاريخ مصر منذ متى وحتى متى !؟ ..

– منذ قبل التاريخ ، من العصور الجيولوجية لغاية ثورة سنة ١٩١٩ ،، لأننى أعتبر أن ثورة سنة ١٩١٩ شئ كبير جداً جداً .. ويوماً ما طلب منى أن ألخص دور (مصر الفتاة) فقلت أنها هى التى حملت جذوة الثورة سنة ١٩١٩ إلى يوليو ١٩٥٢ .. لأن الذين قاموا بثورة الجيش سنة ١٩٥٢ كانوا كلهم أعضاء فى (مصر الفتاة) .. وأنا على مر الزمن كنت أقول : يا شباب سنة كذا كونوا كشباب سنة ١٩١٩ ، وكتبت مقالات كثيرة فى هذا المعنى .. حتى عام ١٩٥٢ حين أصدرت عدداً من جريدة (

مصر الفتاة) كان المانشيت فيه يقول (الثورة الثورة الثورة) .. وصادرت الحكومة هذا العدد ، لكنه كان قد وصل فعلاً إلى عدد كبير من الناس قبل أن تبدأ الحكومة فى جمعه من السوق .. العدد الذى كان فيه الصورة الشهيرة التى كان التعليق تحتها (رعاياك يا مولاى) ..

* هذا العدد عندى حتى الآن ، وعند عدد كبير ن الأصدقاء من جيلى .. المدهش أننى حين أعتقلت من بيتى وأنا عمرى ١٨ سنة رأى وكيل النيابة هذا العدد على مكتبى ، فما كان منه إلا أن إبتسم وفتح درج مكتبى ودس

العدد فيه ولم يصادره !! ..

* حين سمح أنور السادات بعودة الأحزاب ، وعاد حزب (الوفد) تحت إسم (الوفد الجديد) .. أنا أتصور أن الزعيم السياسى ليس ملاكماَ أو لاعب كرة أو بطل رياضى ؛ إنما هو رمز أكثر منه شخص موجود بصحته وعافيته .. لماذا لم تعيد تكوين (مصر الفتاة) وتعود به إلى الساحة السياسية ولم يكن هناك ما يمنعك من ذلك ؟! ..

إبتسم الأستاذ أحمد حسين فى عتاب وهو يقول لى :

لقد بدأت أضيق بك ، لأنك لا تريد أن تعرف بأننى رجل مشلول وأننى أعيش الآن فى الوقت الضائع .. فأرجوك ألا تظل تعيد وتزيد فى هذه الحكاية ..

* متى بدأت تشعر أن لك دوراً سياسياً ينبغى أن تقوم به !؟ ..

– منذ طفولتى وأنا أقوم بدور سياسى .. أول ما بدأت الكلام وأنا طفل حفظونى فى البيت خطبة ، وكانوا يوقفونى فوق كرسى لكى أخطب وأقول هذه الخطبة .. لا أذكر كم كان عمرى وقتها ، لكننى أذكر الكلام الذى كنت أقوله : (ألا بالله قل لى يا فتى العصر ، ماذا تركت لربة الخدر) !! .. آهو ده كلام كان يقال سنة ١٩١٣ أو سنة ١٩١٤ .. وتجده منطبقاً على الوقت الحاضر أيضاً ..

* الأستاذ أحمد حسين ، ماذا كان يعمل والدك !؟ ..

وأشرق وجه الأستاذ أحمد حسين وعلت شفتيه إبتسامة كبيـــرة وهـــو يقـــول بسعادة :

– أيوه .. أنا أحب أن أتكلم عن أبى .. جدى كان كاتب حسابات ، فعلم أبـــى وهو صغير كيف يعمل الحسابات .. ولما كبر جدى فى العمر ولم يعد يـــرى جيـــداً أصبح أبى هو الذى يقوم عنه بعمل الحسابات خوفاً من أن يرفدوا جدى .. ثم إشـــتغل أبى كاتب حسابات فى الدوائر ، وكان ينتقل من دائرة إلى دائرة .. وأنا أعتقد أنه قـــد أورثنى أخلاقه ، لأنه فى ذلك الوقت البعيد كان يقدم إستقالته ويقـــول (كرامتـــى لا تسمح) .. وكانت الناس تندهش ويعتبرونه مجنوناً .. وأنا كبرت على مبدئه وتعلمت أن أقول (كرامتى لا تسمح) .. أذكر أنه كان كاتب حسابات دائرة عزيز باشا عزت ، وأنبه عزيز باشا يوماً ما فقدم إستقالته على الفور وترك العمل ومشى .. كان قد قام باستصلاح أرض بور يملكها عزيز باشا ، فمات خلال إستصلاح الأرض ٤ مواشـــى .. وحقد عليه كبار موظفى الدائرة لأنه إستطاع أن يصلح الأرض التى عجزوا هـــم عن إستصلاحها ، فأوغروا صدر عزيز عزت باشا عليه ودسوا له عنده ، فأنبه عزيز باشا من أجل المواشى التى نفقت ، وقال له : " لما يكون واحد غشـــيم زيـــك يبقـــى مالوش دعوة باللى ما بيفهمشى فيه " .. فثار أبى وقال للباشا : " إنت بتقول إنى غشيم علشان جوزين مواشى ماتوا وأنا صلحت لك ١٠٠ فدان ، الفدان إيحاره فى الســـنة ٣ جنيه ، يعنى زودت لك الإيراد ٣٠٠ جنيه فى السنة والمواشى ثمنها ٢ جنيه " .. وقدم إستقالته ومشى ..

* ما هو ترتيبك بين أخوتك !؟ ..

– أنت تتكلم الآن فى أشياء هى التى أنبسط منها ، لأننى أول مرة أتكلم فـــى هذه الموضوعت .. كان قبلى ٣ أو ٤ أخوة ماتوا كلهم ، فلما ولدت أنا قـــالوا أننـــى أيضاً سأموت .. وكانت قد ظهرت حديثاً فى مصر مسألة التأمين على الحياة ومندوبو شركات التأمين يمرون على المراكز والبنادر والقرى لشرح مسألة التأمين للنـــاس ، فسأل أبى مندوب شركة التأمين : " بتعملوا تأمين على حياة الأطفال الصـــغيرين !؟ "

.. فأجابه : " أيوه " .. فقال أبى : " يبقى حايجينا مكسب " .. (وضحك الأستاذ أحمد حسين وهو يتذكر هذه القصة) وآدينى عشت حتى صار عمرى ٧١ سنة الآن (وعاد يستطرد فى الإجابة على سؤالى الأصلى) أنا الكبير والصغير ، يعنى أنا الإبن الوحيد الذى عاش لوالدى .. قبلى كانوا ٣ أو ٤ كلهم ماتوا ، وبعدى مفيش ..

* حين توفى والدك ، هل كنت قد أصبحت زعيماً سياسياً معروفاً !؟ ..

– نعم .. حين توفى أبى كان عمرى ٣٠ سنة ، وكنت قد بدأت أكون معروفاً أنا وحزب (مصر الفتاة) وأنا عمرى ٢٥ سنة .. فكنت أطلب من أبى أن يجلس إلى جوارى على منصة الخطابة ، وأمام كل الناس المحتشدين لسماع خطبتى أنحنى على يد أبى لأقبلها .. كان يهمنى جداً أن يعرف الناس أننى أقبل يد أبى .. فقد أتعبته جـــداً وأنا ولد صغير ، وحين بدأت أعى لنفسى شعرت بالندم والأسف الشديد لذلك ، وبدأت أقدره وأحب أن الناس تعرف أننى وأنا رئيس لحزب (مصر الفتاة) أقبل يد أبى بكل خضوع وإحترام ، لكى أكون فى ذلك قدوة لباقى الشباب فى مسألة إحترام الوالدين ..

* * *

* وأولادك !؟ ..

– خمسة .. الأكبر مصطفى عمره ٤٢ سنة الآن ، وهو عضو مجلس إدارة شركة من شركات الإستثمار ، ثم إيمان وحرية وهمـــا تـــوأم عمرهمـــا ٢٨ ســـنة ، وكلتاهما صحفيتان ، مجدى وهو صحفى وأديب أيضاً ، وأخيراً إحسان وهى كـــذلك صحفية .. يعنى فى البيت ٤ صحفيين .. وهم يعملون فى صحف الأهرام ودار الهلال والشعب والتعاون ..

* أليس لأى واحد من أولادك إهتمامات سياسية !؟ ..

وبسرعة يرد الأستاذ أحمد حسين :

وهل فى البلد الآن سياسة !؟ ..

* هل صحيح ما يقال من أن (وراء كل رجل عظيم إمرأة) !؟ ..

خلال حوارنا أغرورقت عينا الأستاذ أحمد حسين بالدموع عدة مرات .. هذه المرة حين جاءت سيرة زوجته فى الحديث إنفجر فجأة مرة واحدة باكيـــاً .. تفجـــرت مشاعر الرجل العظيم المريض ولم يستطع كبحها ولا التحكم فيها .. ودخلت السيدة "

حسنية مراد " زوجة الأستاذ أحمد حسين ، وبعد أن حيتنا إتجهت فوراً إليه وإنحنت لتدثر قدميه بالعباءة الصوف وتحبكها حول صدره ، فقد كان اليوم بارداً ، وتعدل بديه فوق مسندى الكرسى المتحرك ..

– شوفيا إبنى .. حين حط علىّ مرض الشلل ظللت فى غيبوبة لا أعرف مدتها .. وبمجرد أن أفقت من الغيبوبة كانت أول كلمة نطقت بها قلت : " يا ماما " .. ومن ذلك الوقت لم تعد زوجتى فقط ، وإلا لم أكن لأحتملها ؛ لكنها أصبحت أمى .. وذلك هو ما يعزينى .. لأن الأم عطاء بلا حساب ..

كان ولابد من أن تمر فترة صمت فى ذلك الجو المشحون بالمشاعر والأحاسيس ؛ قبل أن أسأل الأستاذ أحمد حسين سؤالى الأخير :

* الأستاذ أحمد حسين ؛ هل كنت أنت الذى أسست جزب (مصر الفتاة) أم كان موجوداً من قبل وأنت إستمررت به !؟ ..

– أولاً الإسم نفسه قديم جداً ، منذ قبل مولدى .. فقد كان الزعيم مصطفى كامل يردد دائماً أنه يريد أن يوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة .. ثم إنبثق حزب (مصر الفتاة) من (مشروع القرش) .. المجموعة التى أنشأت (مشروع القرش) هى نفسها التى تحولت إلى (جماعة مصر الفتاة) ثم إلى حزب (مصر الفتاة) كعمل سياسى .. كانت فكرة (جماعة مصر الفتاة) فكرتى من زمان ، لكنها ظلت مجرد فكرة حتى بدأ الإلحاح علىّ من جماعة مشروع القرش لإخراج (جماعة مصر الفتاة) إلى حيز التنفيذ والوجود .. وكان أكثر الأصدقاء إلحاحاً فى ذلك هو الصحفى المعروف الأستاذ " محمد صبيح " .. وقد كان ، وخرج حزب (مصر الفتاة) إلى الوجود ..

* الأستاذ أحمد حسين ، أشكرك شكراً جزيلاً وأرجو ألا أكون قد أرهقتك وأثقلت عليك .. وأنا سعيد وممتن أنك تسمح لى بلقائك كلما طلبته .. وأرجو أن تأذن لى أننى كلما جئت إلى مصر أن أشرف

نشر فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العدد ٣١ – بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٨٢

توفى أحمد حسين فى ٢٦ سبتمبر ١٩٨٢

ملكة جمال تونس

تلميذة فى ثانوى !! ..

ضحكت على الإنجليز البنت العربية القادمة من تونس لتشترك فى مسابقة ملكة جمال العالم .. ضحكت عليهم وباعت لهم من نفس بضاعتهم .. تعلمت منهم لعبة الدعاية والبروباجندا ولعبتها عليهم ، وشربوها بسذاجة إنجليزية .. وخرجت الصحف الإنجليزية كلها وعلى صفحاتها الأولى صور ملكة الجمال العربية التى جاءت من بلدها لتشترك في مسابقة ملكة جمال العالم وهى ترتدى الحجاب وترفض أن تخلعه !! .. ونشرت عشرات النكت الكاريكاتيرية الإنجليزية عن ملكة الجمال التونسية التى تصر على المحافظة على التقاليد العربية وترفض الكشف عن وجهها أمام (الغرباء) !! .. وتثور الضجة الكبيرة المتوقعة ، وتقرر مديرة المسابقة " جوليا مورلى " إستبعاد الملكة التونسية – والعربية الوحيدة فى المسابقة – من الإشتراك فى باقى المراحل ..

وحين تصل الضجة إلى قمتها وتنال الملكة التونسية ما أرادته من الدعاية والنشر على أوسع نطاق . تضحك جميلة جميلات تونس ساخرة وهى لا تخلع الحجاب عن وجهها فقط ؛ وإنما تخلع الرداء التونسى التقليدى بأكمله ليظهر من تحته الـ (تى شيرت) ، ثم المايوه شخصياً .. وليتضح أن تحت القفطان التونسى جسماً من أجمل الأجسام (الملكية) الـ ٦٨ التى إشتركت فى المسابقة العالمية ..

* * *

الملكة العربية الوحيدة بين ملكات الجمال الـــ ٦٨ اللاتى إشتركن فى المسابقة تلميذة ثانوى فى تونس عمرها ١٩ سنة وبضعة شهور : " ملاك عبد الحميد نيملاغي " .. لا تعرف معنى إسمها : " نيملاغى " .. واحدة من ١٠ أشقاء وشقيقات لموظف متقاعد فى وزارة التخطيط بتونس .. فى بيتها ٣ شقيقات غيرها : " زينة " و" عفراء " و" فرناز " .. تعترف " ملاك " نفسها بأنهن جميعاً أجمل منها وجهاً ، لكنها هى أجملهن جسداً ..

قبل موعد الحفل الختامى لمسابقة ملكات الجمال بساعات قليلة كنت مع " ملاك نيملاغى " بعد أن حسم كل شئ وأصبح معروفاً – لديها ولدى باقى الملكات على الأقل – من منهن لا زالت أمامها فرصة فى التصفيات الأخيرة لتكون ملكة جمال العالم ، ومن التى إنتهت المعركة بالنسبة إليها .. فقد تم فى الليلة السابقة لليلة الختامية إختيار الـــ ١٥ ملكة الأول اللاتى سيقتصر الفحص الأخير عليهن لتكون واحدة منهن هى ملكة جمال العالم ..

صريحة جداً " ملاك " وطيبة زيادة عن اللزوم ولا تجيد لعبة التعامل مع الصحافة .. لكن وجود صديقتها الحميمة " ليلى شقنى " معها وإلى جوارها دائماً كان وراء تلك الفرقعة الإعلامية والدعائية التى حدثت .. " ليلى " لا تقل جمالاً عن " ملاك " وكانت هى الوصيفة الثانية فى نفس المسابقة التى فازت فيها " ملاك " بلقب ملكة جمال تونس هذا العام .. " ليلى " كانت تشترك معنا فى الحوار أنا و" ملاك " ..

* ملاك ، تلميذة الثانوى : هل أنت ملكة جمال تونس حقيقة !؟ ..

تضحك " ملاك " :

طبعاً ، وللمرة الثانية أيضاً ، المرة الأولى كانت منذ ٤ سنوات وكان عمرى ١٥ سنة ، وكنت الوصيفة الثانية لملكة جمال تونس .. ولم أشترك فى المسابقة منذ ذلك العام لأننى شعرت أيامها أننى عوملت كطفلة جميلة وليس كفتاة تستحق لقب ملكة جمال ، ففضلت التريث حتى يكتمل نموى الجسدى تماماً وأستحق اللقب عن جدارة .. وتصادف أننى كنت فى العام الماضى فى زيارة للندن فى الوقت الــذى أقيمت فيه

مسابقة ملكة جمال العالم الماضية ، وحضرت الحفل ورأيت مستوى الملكات ، فقررت فوراً أن أشترك فى مسابقة ملكة جمال تونس هذا العام وعينى على لقب ملكة جمـــال العالم ..

* يا سلام .. أنت واثقة من نفسك جداً .. وهل كنت تضمنين أنك ستفوزين بلقب ملكة جمال تونس أساساً حتى تجدين طريقك إلى لقب ملكة جمال العالم !؟ ..

تضحك ملاك ببراءة وطيبة :

كل شئ فى الدنيا يبدأ بالأحلام ويمر بالطموح . وأن يتحقق بعد ذلـــك أو لا يتحقق فهو شئ من عند الله .. والحمد لله قد تحققت أمنيتى الأولى : ملكة جمال تونس ، وأمنيتى الثانية : الإشتراك فى مسابقة ملكة جمال العالم ، والأمنية الثالثة وهى الفوز بلقب ملكة جمال العالم لازال علمها عند الله .. ومن يدرى فقد يتحقق هذا الحلم أيضاً وأصبح ملكة جمال العالم ..

كاذبة ظريفة وحسناء ملكة جمال تونس ؛ فقد كانت تعرف وهى تجلس معى أنها قد فقدت فعلاً – هى و٥٣ ملكة أخرى غيرها – فرصتها للحصول على اللقـــب ، وأنها لم تكن واحدة من بين الــ ١٥ ملكة اللاتى سوف يشتركن فى التصفيات النهائية التى ستجرى فى الحفل الختامى .. وكنت أنا أيضاً أعرف ذلك ، ومع ذلك :

* عظيم ثقتك بنفسك ، ذلك معناه أنك ترين نفسك أجمل من كـــل ملكـــات الجمال الــ ٦٨ المشتركات معك فى المسابقة !؟ ..

– من بين الملكات كثيرات أجسامهن جميلة جداً لكن وجـــوههن عاديـــة ، وكثيرات وجوههن جميلة جداً لكن أجسامهن ليست بنفس الجمال .. وقليلات جداً جداً من بينهن اللاتى تجمعن بين جمال الوجه وجمال الجسم معاً ..

* وأنت !؟ ..

تتذاكى علىّ " ملاك " بتواضع :

– جسمى جميل حقيقة ، لكننى على الأقل لست من بين الــ ١٥ ملكة الأولى اللاتي (قد يصلن) إلى التصفيات النهائية ..

" ملاك " كانت تعلم ، وأنا كنت أعلم ، لكنها لم تكن تعلم أننى كنت أعلم ، أن الـــ ١٥ ملكة الأول كن (قد وصلن) فعلاً إلى التصفيات النهائية !!.

* ملاك ، هل لديك (بوى فريند) ينتظرك فى تونس !؟ ..

– طبعاً ، وهل هناك فتاة فى عمرى ليس عندها حبيب أو (بوى فرينـــد) !؟

* وأسرتك تعرف بذلك !؟ ..

– تعرف ، ولكن تغمض عينيها مجاراة لظروف العصر والقرن العشـــرين الذى نعيش فيه .. أمى تعرف ، وهى قطعاً تقول لأبى فيما بينهما ، وبالتـــالى فهـــو عارف ومش عارف ، أو عارف وعامل نفسه مش عارف !! ..

* هل تتصورين نفسك بعد أن تنتهى المسابقة وتعودين إلـــى تـــونس ؛ أن ترتدين مريلة المدرسة مرة أخرى وتجلسين فـــى الفصـــل مـــع البنـــات التونســـيات المتواضعات زميلاتك اللاتى لسن ملكات جمال !؟ ..

– ماذا تتصور أنت أننى سوف أفعل !؟ .. طبعاً سأعود إلـــى المدرســـة .. فزت بلقب ملكة جمال تونس وأنا تلميذة وعدت إلى المدرسة فى اليوم التالى مباشـــرة .. لقب ملكة الجمال مجرد (لقب) وليس (شهادة دراسية) .. ولو فزت بلقب ملكـــة جمال العالم الليلة فلن يغير ذلك أى شئ فى حياتى ..

* ولو عرض عليك العمل فى السينما كبطلة لفيلم أمام " عمر الشريف " .. هل تقبلين !؟ ..

– أقبل ، ولكن بعد أن أعرف نوع الفيلم أولاً ..

أنكشها :

* يا سلام! وهل تتصورين أن لقب ملكة جمال العـــالم يتـــيح لـــك فـــرض شروطك على السينما وعلى عمر الشريف !؟ ..

تتراجع " ملاك " بسرعة وكأن العرض حقيقى وخشيت أن يطير من يديها :



- لأ طبعاً .. أقصد ألا يكون الفيلم من أفلام الجنس والتعرية المنتشرة فـــى أوروبا الآن ، فقط ..

* ولو عرض عليك أن تشتركى فى مسابقة لجمال العالم من شـــروطها أن تتعرى الملكة تماماً .. أمام الجمهور وأمام لجنة التحكيم !؟ ..

- أرفض طبعاً ، وبشدة ، ولا أشترك فى المســابقة أصـــلاً .. أنـــا لســـت رخيصة إلى هذا الحد .. أنا تلميذة تونسية عربية مسلمة ولست محترفة مســـابقات .. وهذه المسابقات التى أشترك فيها لمجرد أن تكون ذكريات ظريفة فى حياتى أحكيهـــا لبناتى وأحفادى ، فقط ..

* مادمت قد تكلمت عن حرية الفتاة العربية فى القرن العشرين التي تتيح لها أن يكون عندها (بوى فريند) كالفتاة الأوروبية تماماً ، فهل لازالت (عذرية الفتاة) عند الزفاف مسألة مهمة فى تونس حتى الآن !؟ ..

- فعلاً لازالت مهمة حتى الآن . لكن كثيراً من الشبان التونسيين الآن أيضاً لم يعودوا يهتمون بهذه المسألة عند الزواج .. تفكير الشبان - والشابات - التونســـيين قد إختلف كثيراً فى السنوات الأخيرة بعد إنفتاحهم على أوروبا ..

يا لهذا الإنفتاح ، ما أحلاه !! ..

(   )   /   /

الرجل الذى قضى ربع حياته فى السجون !! ..

" الحوار الذى أجراه الزميل حسين قـدرى مـع الأسـتاذ عمـر التلمسانى زعيم جماعة (الإخوان المسلمون) فى مصـر وأحـد كبار الشخصيات الاسلامية البارزة فى العالم الاسلامى ، والـذى هو موضوع غلاف هذا العدد ؛ حوار مثير ولا شك .. والاثـارة فى هذا الحوار يشعر بها القارئ من جانبين :

* الجانب الأول هو جانب إجابات وردود فعل الأستاذ التلمسـانى حيال الأسئلة التى وجهت إليه ، فقد وفق الأسـتاذ التلمسـانى - حفظه الله ومد فى عمره - إلى أبعد الحدود والدرجات فى أكثـر إجاباته ، ولكن إجاباته - أو على الأصح ردود فعله - فى بعض جوانب هذا الحوار- كما سنلاحظ فى هذا العدد والعدد المقبـل - كانت دون المستوى المتوقع من زعيم شعبى كبير فى مسـتواه . ولا يضيره ذلك فالكمال لله وحده، والعصمة للانبيـاء ولسـت أسمح لنفسى بالإشارة إلى الجوانب الناجحة من هذه الإجابـات أو الجوانب الأخرى منها ، فذلك شأن القارئ وحده دون غيره.

* أما الجانب الثانى الذى كان له دوره الفعال فى إضـفاء جـو الإثارة والجاذبية على هذا الحوار فهو الأسئلة التى إختارها الزميل حسين قدرى بعناية ، وطرحها بذكاء ، وتتبـع الإجابـات عليهـا باهتمام ، وأصر باستمرار على وضع أصابعه بيقظة ووعى على نقاط السؤال التى غفل عنها الجواب أو تغافل !! ..

على ان الأمانة تقتضى ان نبين لقرائنا الكرام أن بعض القناعـــات المسبقة لدى الزميل حسين قدرى المبنية على محبته للرئيس عبـــد الناصر وإعجابه به – والتى نختلف معه فيها – هـــذه القناعـــات لعبت دورها البارز فى اختياره لأسئلته ذات الطابع الإســـتفزازى التى لم تسلم من (الذاتية) فى بعض الأحيان ..

ومع ذلك ، وبعيداً عن تقييم الأفكار التى وردت فى هذا الحـــوار بميزان الصواب والخطأ ؛ الذى يخضع للإجتهاد البشرى ، فإنه – أى الحوار – فى عمومه ومن خلال القضايا التى أثارها ، والأمور التى طرحها ، والمسائل التى أجاب عليهـــا ، والمشـــكلات التـــى تركها معلقة .. إن هذا الحوار عمل صحفى ممتاز ..

ونظراً لأن القضايا المثارة في هذا الحوار هامة وكبيرة ، ونظـــراً لان هذه المجلة هى مجلة المسلمين جميعاً على اختلاف مـــذاهبهم ومشاربهم ونزعاتهم واجتهاداتهم ؛ فإن من الطيعى ان يكون الباب مفتوحاً لاحتضان الآراء الأخرى والإجنهادات المغايرة ، شريطة إلتزام أصحابها لشرط واحد فقط هو أدب الحوار ، وهدف واحـــد فقط هو الحرص على معرفة الحق الذى نرجو الله سبحانه وتعالى أن يريئا إياه فى كل الاحوال وأن
يهدينا إلى إتباعه دائماً وأبداً ..

رئيس تحرير مجلة (المسلمون)
زهير الأيوبى

حوار صريح مع عمر التلمسانى زعيم الإخوان المسلمين فى مصر ..

الرجل الذى قضى ربع حياته فى السجون !!..

في لحظة من اللحظات تصورت أن الرجل قد ضاق بى وبأسئلتى وأنه سوف يطردنى من بيته ..

كانت بداية حديثى مع الرجل الذى قضى ما يقرب من ربع حياته فى السجون ، عن جماعة (الإخوان المسلمين) فى مصر . . ثم أردت أن أقترب أكثر من فكـر الرجل المسئول عن الجماعة ، على اعتبار أنه ، بالتالى ، يمثل (فكر الجماعــة) .. وحميت المناقشة بيننا حتى نسيت أننى صحفى وهو موضوع ، وتحولت إلــى ممثــل ومدافع عن أفكار الشباب المسلم المتطور الحديث الذى يعيش فى الربع الأخيــر مــن القرن العشرين ويفكر بتفكيره .. وأرهقت الرجل بأسئلتى حتى كاد أن يفلت منه زمام صبره علىّ .. وظننت فى لحظة من اللحظات أنه سوف ينهى الحوار بيننا ويطردنى من بيته ، لولا التمسك بسماحة الاسلام من جانبه ، والتذرع بســماحة الاســلام مــن جانبى !! ..

رجل القانون السابق ، والمرشد العام الثالث لجماعة الإخوان المسلمين – التى تجمد نشاطها فى مصر منذ ثلاثين سنة– الأستاذ "عمر التلمسانى " ..

حين طلبت تحديد موعد لى مع الأستاذ " عمر التلمسانى " المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر ، سئلت عن الموعد الذى يناسبنى فقلت : ليكن صباح السبت .. وكان الرد بالإعتذار عن صباح السبت بالذات لأن الأستاذ سيكون مشغولاً باستقبال صحفى أمريكى ..

وحين ذهبت إلى موعدى معه عصر السبت كان عنوان بيته فى جيبى ، وظننت اننى لن أحتاج إلى العنوان ، فيكفى أن أسال عن بيت الأستاذ " عمر التلمسانى " من على مشارف الحى القاهرى القديم (غمرة) لكى أجد ألف من يدلنى على بيته .. فهو قطعا علم الأعلام وقطب الأقطاب فى الحى الذى يعيش فيه ، وفى الأحياء المجاورة أيضا .. لكننى ، لدهشتى الشديدة ؛ ظللت أتوغل فى شوارع الحى شارعاً بعد شارع ، وكلما سألت أحداً عن بيت الأستاذ " التلمسانى " إستعادنى الإسم ثم اعتذر بأنه لا يعرفه .. واحتاج الأمر فى النهاية أن أخرج العنوان من جيبى لكى أستطيع أن أصل الى بيته : (حارة من جوا حارة) كما نقول فى مصر عن العناوين الصعب الإستدلال عليها .. وأغلب الناس عرفوا إسم الحارة ولم يعرفوا إسم " التلمسانى " !! .. إلى هذا الحد الرجل بسيط ومنزو ومتوار ومقتصر و(فى حاله) وبعيد ومتباعد عن الشهرة والإعلان ..

وحين وصلت الى العنوان فى النهاية وقفت مشدوها أمام بيته فى الحارة الترابية غير المرصوفة التى لا تضم أكثر من بيتين قديمين متواجهين : هل هنا يسكن حقيقة ذلك الرجل الذى يدير ، وتدين له ، جماعة الإخوان المسلمين بملايينها المنتشرين فى مصر وفى أرجاء الوطن العربى !؟ .. وبعد أن إستقبلنى فى غرفة الجلوس فى بيته وعرفت منه انه تزوج للمرة الأولى منذ حوالى ٦٠ سنة ؛ عرفت ؛ بالتالى ، عمر الأثاث الذى نجلس عليه فى بيته .. رائحة القدم تفوح من البيت كله .. بيت قديم من البيوت المصرية الأصيلة المطلية جدرانها بالجير والتى لم يتغير فيها لون الطلاء منذ عشرات السنين ، حتى أن الطلاء قد سقط عن الجدران فى مواقع كثيرة من الغرفة التى جلسنا فيها ، والتى إستقبلت قبلى بساعات صحفياً أمريكياً جاء

من أمريكا خصيصا لمقابلة الرجل .. بيت مصرى أصيل شديد الاصالة ، قديم شـــديد القدم .. فى هذا المكان يعيش الأستاذ "عمر التلمسانى " ، ومن هــذا المكــان تــدار جماعة الإخوان المسلمين المنتشرة فى العديد من الدول العربية ..

الحرير والعدس والطعمية !! ..

* الأستاذ عمر التلمسانى ، هل حياة المسلم تلزمه بالتقشف !؟ ..

- لم يقل الإسلام بذلك ، بل قال : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) .. وقبلها بآية (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامـــة) .. أى أن التمتع بنعم الله فى الأرض وخيراته عن طريق الحلال لا حساب عليها فى الآخرة.

* إلى أى قدر !؟ ..

- إلى حد عدم الإسراف .. إلبس ما شئت لكــن لا تلــبس الحريـــر.. لأن الإسلام لا يجيز لبس الحرير للرجال ..

* لم يعد الحرير أغلى الأقمشة الآن ..

- نحن لا نلبسه تنفيذا لأمر الله .. لا نلبس الحرير لأنـــه أعـــد للنســـاء .. الرجال لا يلبسون الحرير لكن النساء يلبسن كما يشأن .. ولعل فى ذلك نظرة معنوية لها قيمتها .. وهى أن المرأة حين تلبس الحرير والرجل يكون خشناً فى لبسه تكـــون الحياة الزوجية متوازنة ولها طعمها !! ..لكن حين تلبس المرأة الحرير ويلبس الرجل الحرير يكون الإثنان ناعمين ، وذلك ليس مفروضاً فى الرجل .. ولـــيس معنـــى أن يكون الرجل خشناً فى ملبسه أن يلبس ملابس ممزقة ومقطعة و (هلاهيل) ، لكن أن يكون فيه مظهر الرجولة الكاملة ..

* الخشونة التى يقصدها الاسلام ، هل ممكن أن تصل إلى الفظاظة !؟ ..

- الاسلام ليس فيه خشونة .. وحين قال الرسول عليه الصلاة والســـلام : (إخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم) فإنما قصد بذلك ألا تجعل حياتك كلها ترفـــاً لأنـــك لا تدرى تقلبات الأيام كيف تكون .. فاذا عشت وأنت تعمل حساب أن الايام قلـــب ، إذا

خاشنك الدهر يوماً تكون قد أعددت نفسك لمقابلة هذه المخاشنة .. ذلك هوالمقصود .. إنما الاسلام فيه أكل طيب وفيه لبس طيب وفيه مسكن طيب .. فيه كل ما يمكـــن أن يتنعم به الانسان فى حياته الدنيا عن طريق الحلال .. إكسب حلالاً وأنفق فى حلال ، حتى لو اصبحت (ملياردير اً) وليس (مليونيراً) فقط .. الإسلام ليس فيه خشونة ، لكن الرسول يعلمنا أيضاً : حين ينعم الله علينا أن لا نستسلم إلى الترف لأن الأيام قلب .. فقد تفاجأ بكارثة مالية ، فإذا كنت قد أعددت نفسك وأنت فى حال الغنى والرخاء أن تأكل العدس مرة فى كل شهر ، تأكل الطعمية مرة كل شهرين .. فلو واجهتك أزمـــة فإن العدس والطعمية لن يكونا جديدين عليك ولا يضايقك أكلهما لأنك عارف طعمهما .. إنما لا خشونة ولا حرمان فى الإسلام .. الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (ما دخل اللين فى أمر إلا زانه ، وما دخل العنف فى أمر إلا شانه) .. فهو يـــدعو إلـــى اللين باستمرار ولا يدعو إلى الخشونة ولا إلى المخاصمة ولا إلى العـــداء ولا إلـــى التعالى ..

* أستأذنك فى إستيضاح نقطتين تتفرعان من إجاباتك : إذا وهبنى الله مـــالاً فجعلنى ملياردير اً أو (بليونيراً) – قل يارب – وأخرجت زكـــاة مـــالى وتبرعـــت لفقراء المسلمين ، ثم بقى لدىّ قدر كبير من المال : هل من حقى أن أنفقه كيف شئت .. ؟!

– إنما فى حلال . . يعنى لا تشرب به خمراً ولا تلعب به قماراً . . تستطيع أن تسوح به فى العالم لتمتع نفسك بمشاهدة الأقطار والأمصار الأخرى ، فإن الاسلام يدعو إلى السياحة ..

آتى أعمالاً !! ..

* أستاذ عمر التلمسانى ، أستأذنك ، لمن ليست لديهم فكرة كاملة عنـــك .. نقول لهم من هوعمر التلمسانى !؟ ..



- أنا من مواليد عام ١٩٠٤ ، يعنى عمرى الأن ٧٨سنة .. تخرجت فى كلية الحقوق عام ١٩٣١ .. كان ٢٧ سنة وقتها سناً مناسباً جداً للتخرج من الجامعة .. إشتغلت بالمحاماة حتى عام ١٩٥٤ .. وفى ذلك العام قبض علىّ أيام جمال عبد الناصر وحكم علىّ بـ ١٥سنة سجن .. وقضيت فى السجن الخمسة عشر عاماً كاملة ، حتى عام ١٩٦٩ .. وكانت التهمة : (أتى أعمالاً لقلب نظام الحكم) ..

* وهل كان ذلك صحيحاً فعلاً !؟ ..

- كلام فارغ .. الإخوان المسلمين ما تآمروا يوماً على قلب حكومة .. الإخوان كانوا يقولون هذا صح وهذا خطأ .. إنما لا مؤامرات ..

* وهل كانت المحاكمة عادلة !؟ ..

- لم تكن محاكمة حقيقية ، بل كانت محاكمة عسكرية محض .. كان رئيسها المرحوم " جمال سالم " ، وكانت المحاكمة عبارة عن تعذيب وضرب وإيذاء .. يعنى كان مطلوباً من المحكمة ان تحكم علىّ وليس أن تحاكمنى ..

فى عام ١٩٦٩خرجت من السجن .. خرجت من باب سجن ليمان طرة ، وعلى الفور أخذونى إلى معتقل مزرعة ليمان طرة !! .. يعنى غيرت موقع السجن

فقط ولم أخرج إلى الحرية ولم أعد إلى بيتى ولا ليوم واحد .. وقضيت فى معتقل مزرعة ليمان طرة سنتين أخريين حتى عام ١٩٧١، حين تولى السادات السلطة فأفرج عن المعتقلين السياسيين والمحكوم عليهم بالسجن .. وظللت فى عالم الحرية قرابة العشر سنوات حتى سبتمبر عام ١٩٨١، حين قبض السادات علىّ واودعنى فى السجن فى طرة مرة أخرى .. وتوفى هو فى ٦ أكتوبر ، وخرجت أنا من السجن أو من المعتقل فى ٢٦ ديسمبر ، يعنى بعد ٨٠ يوماً من مصرعه ، وبعد ٤ شهور تقريباً من إعتقالى ..

* هل كان الإفراج عنك لأسباب صحية !؟ ..

– لآ .. الرئيس الجديد حسنى مبارك رأى أن من حسن السياسة أن يفرج عن المتحفظ عليهم ، وكنت من بين الذين أفرج عنهم بشكل عام ..

* هل إلتقى الرئيس مبارك بك بعد الإفراج عنك ، كما فعل مع بعض الذين أفرج عنهم !؟ ..

– لا ..

* ألم يطلبك للقائه !؟ ..

– لا ..

* ولا أنت طلبت لقاءه !؟ ..

– ما طلبت يوماً أن أقابل حاكماً ..

<u>أنا لا أكره اليهود ..</u>

* أستاذ عمر التلمسانى : هل أنت زعيم !؟ ..

تساءل عمر التلمسانى فى دهشة بالغة أقرب إلى الإستنكار ، وكأنه يستمع إلى هذا السؤال لأول مرة فى حياته :

– زعيم !؟ .. ما إدعيت هذا يوماً من الأيام .. الظروف فقط هى التى وضعتنى فى هذا الموضع مع أننى أبعد الناس عن هذه الأدوار .. وتعجب لو قلت لك ، فى سنى هذا ، أننى أخجل من أن تصورنى وتنشر صورتى فى المجلة .. أجد فى

ذلك حرجاً كبيراً .. أنا رجل أعمل لله ، ما شأن الناس بالكتابة عنه فى الصحف ونشر صوره وما إلى ذلك .. أجد فى ذلك شيئاً من الحرج .. أنا إنسان عادى بعيد نفسياً تماماً عن كل هذه المسائل ..

* ما الذى تفعله لله !؟ ..

– بدأت فى الدعوة الله حين إلتحقت بالإخوان المسلمين فى عام ١٩٣٢ وأنا محامٍ .. فكنت أدعو إلى الله فى الحفلات وفى المساجد ، وأحضر قضايا الإخوان المسلمين فى المحاكم بلا مقابل ..

* هل كنت متخصصاً فى القضايا السياسية !؟ ..

– لا .. إنما كان عندى ميل طبيعى للإشتغال بالأعمال العامة ، لكن .. أنت تجرنى إلى الحديث عن نفسى وأنا لا أحب ذلك .. إنما ما دامت هذه رغبتك . فلك ذلك

أنا رجل – والحمد لله– ذو خلق .. وكل الأحزاب تعرف عنى هذا .. فى بدء حياتى قبل ان ألتحق بالإخوان المسلمين كان ممثل الوفد فى القليوبية هو " أحمد حمزة باشا " عليه رحمة الله .. طلب منى أن أنضم إلى الوفد وكنت عضوا باللجنة المركزية للوفد فى مديرية القليوبية ، التى هى محافظة القليوبية الأن .. ولنفس سمعة الخلق المعروفة عنى كان عن بلدتى (شبين القناطر) نائب فى البرلمان فى مصر إسمه "محمد بك الفقى " ، طلب منى أن أنضم إلى حزب (الأحرار الدستوريين) ، ودفع عنى الاشتراك ثم جاء ليقول لى أنه قد فعل ذلك ، فقلت له : " خلاص ، مادمت قد فعلت ذلك " .. لكن ولائى كان دائماً للإخوان المسلمين ..

* كيف كانت بداية علاقتك بالإخوان المسلمين !؟ ..

– كان مكتبى للمحاماة فى بلدة إسمها (شبين القناطر) فى القليوبية وليس فى القاهرة ..

* لماذا فى القليوبية وليس فى القاهرة !؟ ..

وأجابنى عمر التلمسانى باللغة الإنجليزية :

– أردت أن أكون الأول فى القرية وليس الثانى فى روما .. شبين القناطر هى بلدتى .. واعتقدت أننى حين أفتح مكتبى فى شبين القناطر وهى بلدة صغيرة محدودة ، وعلى اعتبار أننى إبن البلد فسوف أصبح معروفاً فيها بسرعة .. لكن القاهرة كانت مليئة بالمحامين المشهورين وانا محام جديد فلن آخذ فرصتى فيها وأصبح معررفاً بسرعة كما لو فتحت مكتبى فى شبين القناطر ..

وأنا كمحام كنت ثائرا ولا أقبل أى مساس بى ، ولوشعرت بأى مساس من المحكمة كنت أثور فى الجلسة ولا يسكتنى إلا أن ترفع الجلسة وينسحب القضاة إلى غرفة المداولة .. كنت محامياً مهذباً أحترم المحكمة ولا أتكلم فى غير الموضوع ، وحتى خصمى كنت أحترمه ولا أمسه ولا أجرحه ولا أناله بسوء .. فلا أقبل أن يمسنى أحد من قريب أو بعيد .. خصوصاً وأننى نشأت نشأة طيبة فى أسرة ميسورة الحال .. جدى عليه رحمه الله كان يمتلك نحو ٢٠٠ فدان و٪و ٨ بيوت فى القاهرة .. فكنت عزيزاً منذ نشأتى ولم أشعر للحظة واحدة أن من حق أى إنسان أن يجرحنى أو يمسنى .. لذا فعندما كنت محامياً عرض علىّ العمل فى القضاء وفى النيابة ، فرفضت .. لكى أكون حراً ولا سلطان لأحد علىّ من ناحية الوظيفة .. لأننى بمجرد أن أقبل وظيفة فى الحكومة – حتى لو كنت قاضياً أو فى النيابة – فسأصبح فوراً مرءوساً ..

و السادات – الله يرحمه– قابلنى مقابلة خاصة لكى يعرض علىّ أن أكون عضواً فى مجلس الشورى ، فرفضت وأصررت على الرفض .. وقلت له إننى لا أصلح لمثل هذه الأدوار .. قال : " لماذا لا تصلح !؟ " .. قلت له إننى لابد وأن أقول ما أعتقده ، والحق الآن لا يرضى الناس وأنا لا أريد أن أكتسب عداء الناس ، فاعفنى من مسائلة مجلس الشورى هذه .. وبعد أن خرجت من عند السادات طلبت من أحد المتصلين به أن يبلغ السادات بأنه إذا تصور إحراجى بأن يضع إسمى فى كشف المعينين فى مجلس الشورى دون رغبتى ، فسوف أعتذر علناً ..

* هل كان ذلك محاولة من السادات لاحتوائك سياسياً !؟ ..

- محتمل ..

* المسألة ليس فيها (محتمل) .. أنت فى موقع وسن وخبرة وحنكة سياسية تمكنك من أن تحكم ما إذا كان ذلك بقصد الإحتواء أم لا !؟ ..

- يحتمل أنه أراد ذلك .. فأنا أولاً معارض ، خاصة فيما يتعلق بمعاهدة (كامب ديفيد) .. فحين يجئ رئيس الدولة ليقول لمعارض أعينك عضواً فى مجلس الشورى ، وبإلحاح ، فلعله يرمى من وراء هذا إلى أن ذلك قد يسكتنى قليلاً .. لكننى أعتقد أن السادات كان أذكى من أن يفكر أن مثلى ممكن إحتوائه .. فأنا لا أريد مناصب ولا أريد شيئاً من الحكومة ، وليست لى إحتياجات أبداً .. أنا أريد فقط أن يتركونى أدعو إلى الله ليس أكثر .. وكما قلت لك أنا لا أكره أى إنسان فى الوجود .. لا أكره عبد الناصر ولا أكره السادات ، حتى اليهود أنا لا أكرههم ، لكننى أكره أعمال دولتهم إسرائيل وأقول لها أنت ظلمتى وأخذت حق المسلمين .. ولا أريد أن أرمى اليهود فى البحر ولا أن أحرقهم .. وكتبت فى مجلة (الدعوة) أنهى الشباب المسلم عن أن يمسوا السفارات أيام أن حرقوا السفارة الأمريكية ، وقلت لهم إنها سوف تكون خسارة علينا وليست عليهم ، فنحن الذين سنحرق ونحن الذين سنبنى مرة أخرى .. فشتمتنى إحدى الإذاعات وقالت إن عمر التلمسانى يحمى إسرائيل فى مصر !! ..

السكوت دليل الرضا !! ..

* أستاذ عمر التلمسانى : هل الشباب المسلم يستمع إليك !؟ ..

- الشباب يستمع إلىّ لسبب واحد ، هو أنه يعتقد أننى صادق فيما أقول .. وأنا إذا تحدثت مع الشباب لا أذكر أخطاء الشباب ومحاسن الحكومة .. لكننى أقول إن الحكومة أصابت فى كذا وأخطأت فى كذا ، وأنتم الشباب أخطأتم فى كذا وأصبتم فى كذا .. يعنى أكون فى كلامى منصفاً ولا أقول إن الشباب مخطئين على طول الخط ولا أن الحكومة مخطئة على طول الخط .. فكنت أجد إستجابة وإستماع من الشباب ..

وطالما إستعان وزير الداخلية السابق " النبوى اسماعيل " بى فى الذهاب إلى الجامعات والكليات لأهدئ من ثائرة الطلبة .. وكنت أنجح فيما أرسل إليه !! ..

* ومع ذلك فان كل الحركات (العنفوية) – فى السنوات الأخيرة ، فى مصر وفى غير مصر ، كانت من الشباب ومن الشباب المسلم المتطرف .. لماذا لم يستمع هؤلاء الشباب إليك !؟ ..

– أكرر لك .. إن أسلوب الإخوان المسلمين هو الدعوة والتربية وعدم العنف .. وإذا عدت إلى رسائل الإمام الشهيد "حسن البنا " فستجد أنه كان ينصح ويصر على عدم إستعمال العنف ، ويقول : "أنا لا أدعو إلى الثورة ولا إلى إستعمال العنف .. أنا أريد أن أربى رأياً عاماً فى البلد هو الذى يكيف الأوضاع فيها .. وحين يصبح الرأى العام من الشباب المسلم فسيكون القاضى من الشباب المسلم ورئيس الوزارة من الشباب المسلم ورئيس الجمهورية من الشباب المسلم .. كل هؤلاء سيكونون مثقفين ثقافة إسلامية ، فيغيرون هم على مهلهم " ..

لكن هناك شباباً متحمساً يريد أن يتعجل الخطوات ، ولا يجد فى صفوف الإخوان المسلمين الجو الصالح لاستخدام العنف ، فينفصلون عن الإخوان ويشتغلون لحسابهم الشخصى بعيدين عنا تماماً .. بل ويتهيموننى أنا بأننى كافر وبعيد عن الإسلام ، لأننى لم أوافقهم على ما يرون من إستخدام العنف والتصرفات التى تحدث منهم ..

* هناك مثل مصرى يقول (الميه ما تجريش فى العالى) ، وأيضاً (العين ما تعلاش عن الحاجب) .. هل المفروض ان يستمعوا هم إلى كلامك ويطيعوك ، أم أن تستمع أنت إلى كلامهم وتطيعهم !؟ ..

– أنا لا أستمع إلى كلام إنسان أبداً .. ولو كان لى رأى يغضب العالم كله ويرضى الله . فسأقوله دون أن يهمنى أى إنسان .. إنما الشباب المتحمس العنيف الضحل المحصول من الناحية الدينية ، ولو كانت معلوماتهم الدينية مستوفاة ما لجأوا إلى العنف .. وحين كانت جماعة (الإخوان المسلمين) موجودة – لأنها محلولة قانوناً

الآن– لم أكن أسمح لأحد أن يستعمل العنف أو يتطرف .. لكن هناك شباباً يريد أن يعمل مؤامرات ويضرب ويقتل .. فكان هؤلاء حينما تفشل جهودهم فى حمل الإخوان على هذا الأسلوب ، ينفصلون عن الإخوان ويكونون جماعات أخرى وحدهم ويشتغلون لحساب أنفسهم ..

* هل فصلتم أنتم أحداً من الإخوان لتطرفه !؟ ..

– الإخوان لم تفصل أحداً .. هم الذين كانوا يفصلون أنفسهم ويقولون إنهم عملوا جمعية كذا : جمعية الجهاد ، جمعية التكفير والهجرة ، حزب الله .. إلى آخره .

* السكوت علامة الرضا.. كون أنكم فى داخل الإخوان تعرفون أن هؤلاء الشبان متطرفون وممكن أن يرتكبوا شيئأ عنيفأ يغضب الله ويتعارض مع رسالة الإخوان ، ثم تكتفون بالصمت والسكوت عليهم حتى يستفحل خطرهم ويبدأوا فى ارتكاب الجرائم .. ألم يكن مفروضاً عليكم أن تقفوا فى وجوههم وتحاربوهم وتمنعوهم من إرتكاب ما يغضب الله، أو – وهو أضعف الإيمان– أن تبلغوا عنهم الجهات المسئولة ، حتى تمنعوا وقوع جرائم لا يقرها الاسلام !؟ ..

– نحن فى جميع الأدوار وجميع العهود ، كنا محاربين (بفتح الراء) من الحكام : فاروق ، عبد الناصر ، السادات .. هؤلاء جميعاً كانوا يحصرون جهودهم فى محاربة الإخوان وليس فى محاربة هذه الجماعات .. وكانوا أكثر حرباً وتضييقاً على الإخوان منهم على هذه الجماعات .. فكنا مشغولين بالدفاع عن أنفسنا. وحماية أنفسنا من الدولة .. ولم يكن لدينا فراغ ولا وقتٍ كافٍ لكى ندخل مع هؤلاء الشبان فى مناقشات أو فى حوار !! ..

رفضت فلوس الصحافة الأوروبية !! ..

* هل إلتقيت بهؤلاء الشبان المتطرفين خلال فترات إعتقالك ، خصوصاً الإعتقال الأخير فى سبتمبر ١٩٨١ !؟ ..

– فى الفترة الأخيرة هذه كنت معتقلاً وحدى فى حبس إنفرادى ، يعنى كان كل المعتقلين الأخرين مع بعضهم ، إلا أنا من دون الآلاف الذين كانوا معتقلين ، كنت فى حبس إنفرادى ..

* خوفاً عليك ، أم خوفاً من زعامتك لهم !؟ ..

– إيذاءً لى .. السادات كان يقصد ان يؤذينى بعد أن عرض علىّ عضوية مجلس الشورى ورفضتها ، وبعد أن وقفت منه مواقف أخرى كثيرة .. مرة كنت قد دعيت لحضور حفل الفكر الاسلامى فى الإسماعيلية ، وفى حضورى ووجودى وجه السادات إلىّ وإلى الإخوان كثيراً من الإتهامات وبأننا على صلة بالسعودية وما إلى ذلك من الإتهامات التى كانت تكال جزافاً وعلى مزاج الحاكم .. فأنا رددت عليه وقلت له : " لو ان أحداً غيرك قال لى هذا الكلام لكنت أشكوه إليك ، إنما أنت كرئيس جمهورية وليس هناك من هو أعلى منك لأشكوك إليه ، فإننى أشكوك إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنك إتهمتنى ظلماً وعدواناً " .. وكان ذلك فى مواجهته وهو جالس أمامى .. وكان رده عجيباً ، قال إنه لم يرد الإساءة إلىّ ، بعد كل هذه التهم ، وقال لى : " إسحب شكواك " .. قلت له : " مستحيل ، لقد رفعت إلى الله " !! ..

* حدث ذلك قبل إعتقالك الأخير بفترة !؟ ..

– بسنتين تقريباً .. فى عام ١٩٨٠ ..

* وخلال هاتين السنتين ، هل حاول السادات أن يؤذيك أو حاول أن يرضيك !؟ ..

– كان ، الله يرحمه ، يحمل علىّ فى كل خطبة ويتهمنى بالإتصال بجهات خارجية وأننى عميل وأننى أدعو إلى التخريب ، دونما أى دليل .. ولو كان تحت يده دليل واحد لاعتقلنى من وقتها ولقدمنى للمحاكمة .. لكنه كان يعلم أننى لا يمكن أن أكون عميلاً لأحد لأنه لا يستطيع إنسان أن يشترينى .. وإلا كان هو نفسه قد إستطاع أن يشترينى .. لأننى فى غنى عن هذه الدنيا ، ولو كنت من الذين يحرصون على المال لجمعت منه الكثير .. ولقد رفضت من بعض المجلات العربية التى تصدر فى أوروبا أن أخذ أجراً عن المقالات التى كتبتها فيها ، وعرض علىّ فى المقال الواحد ٢٠٠ جنيه إسترلينى .. قالوا لى نحن نعطى هذا الأجر لمن يكتبون ، قلت لهم إننى اكتب بلا مقابل لأننى أدعو إلى الله وأجرى عند الله .. ولو أخذت منكم أجراً فسأعتبر

نفسى أجيركم .. لكننى لوكنت صحفياً محترفاً لكان ممكناً أن آخذ آجراً .. فالصحفى يتقاضى أجراً نظير ما يكتبه لأن الكتابة هى مهنته .. لكننى لست صحفياً إنما أنا داعية إلى الله ..

النبى قبل الهدية !! ..

* ومع ذلك فأنت تقبل الهدايا !؟ ..

– أولاً ، لم يحدث أن أحداً من خارج الإخوان المسلمين قد أهدانى شيئاً .. لكن حين يجئ أخ مسلم يكون فى زيارة للسعودية أو فى أوروبا ويحضر لى معه قطعة صوف أو شيئاً من هذا القبيل ، أقبلها باعتبار أن (النبى قبل الهدية) ، وفى ذلك الحيز فقط .. إنما هدايا مالية مستحيل .. جاءنى مرة واحد من رجال الأعمال السعوديين وزارنى فى المجلة وقدم لى ١٠٠ دولار وقال لى إنها للمجلة ، فناديت الموظف المسئول عن الخزينة وقلت له أن يودع هذا المبلغ فى الخزينة ويسجل أنه من فاعل خير لا يريد أن ينكر إسمه .. فلما خرج موظف الخزينة أخرج الضيف السعودى ٥٠٠ دولار أخرى وقال هذا المبلغ لك أنت شخصياً .. قلت : " لماذا !؟ " .. قال : " لمصاريفك الشخصية " .. فقلت له : " شكراً" .. وناديت موظف الخزينة مرة ثانية وقلت له أن الأخ السعودى قد تبرع بـ ٥٠٠ دولار أخرى ، فضمها إلى المبلغ السابق ..

* ومع ذلك فأنت قد قبلت سيارة فاخرة فارهة ، كهدية شخصية !؟ ..

– أنا لم أطلبها ، لكن (الإخوان المسلمون) فى أمريكا وجدوا أن إمكانياتى لا تمكننى من شراء سيارة ، وأنا رجل متقدم فى السن لا أستطيع أن أزاحم فى الأوتوبيس ولا أن (أتشعبط) فى الترام .. فوجدوا أنه تسهيلاً لى لمباشرة عملى أن يرسلوا لى سيارة (بويك) .. فقلت لهم إن المسألة ليست مسألة سيارة ، دى عايزة سواق ، وعايزة بنزين ، وعايزة جاراج ، وعايزة إصلاح .. وأنا رجل لا أملك شيئاً .. فتعهدوا بأن يتكفلوا أيضاً بتكاليف السائق وبنزين السيارة والجراج ونفقات الإصلاح ، وقالوا إنهم يتعهدون بدفع كل هذه النفقات باستمرار ..

* وكيف يدفعون ذلك !؟ ..

- يرسلون لى فلوسأ من أمريكا للإنفاق على متطلبات السيارة (!!)

* أستاذ عمر التلمسانى .. من أين تنفق !؟ ..

- لى من نقابة المحامين معاش قدره ٦٠جنيهاً شهرياً ، هى كل دخلى والحمد لله ، وراض به وسعيد ..

* لكن هذا المبلغ مع مستوى الأسعار المصرية المرتفع الآن لا يكفى لأكثر من ٤ أو ٥ أيام !؟ ..

- ليس فى بيتى غيرى أنا وزوجتى ، وليس معنا أحد آخر على الإطلاق ..

* وأولادك !؟ ..

- لى إبن يعمل فى شركة الخطوط الجوية السعودية وتجنس بالجنسية السعودية منذ سنة ١٩٥٦.. وبعد أن حكم علىّ جمال عبد الناصر بالسجن ١٥ سنة طلبت من إبنى أن يبتعد عن مصر .. عمره الآن ٥٢ أو ٥٣ سنة ..

ولى ابن آخر يعمل فى وزارة الإسكان فى مدينة ١٠ رمضان ، ولى إبنتان متزوجتان لا تعملان .. وزوجاهما من رجال الأعمال ..

* إيجار شقتك التى نجلس فيها الآن !؟ ..

- ثلاثة جنيهات وربع جنيه .. وساكن فيها منذ ٢٠سنة تقريباً ..

* هل معاشك من نقابة المحامين يكفيك !؟ ..

- يكفينى ، لأننى ليس لدىّ مسئوليات .. لا أذهب إلى السينما ولا المسارح ولا غيره .. أنا رجل عايش فى بساطة كاملة ..

* هل لديك تليفزيون ملون !؟ ..

- عندى ، وهدية أيضاً ، من السعودية .. وكان أصلاً هدية لمجلة (الدعوة) .. لكن إخواننا فى المجلة قالوا لى : " ماذا سنعمل بتليفزيون ملون !؟ .. هو إحنا بايتين فى المجلة !؟ .. أنت عندك فى البيت تليفزيون أسود وأبيض ، هاته المجلة وخذ إنت التليفزيون الملون عندك فى البيت .. قلت لهم : طيب هاتوا الفرق !! ..

الفرق بين السادات وحسنى مبارك !! ..

* كيف آلت إليك رئاسة (الإخوان المسلمين) !؟ ..

- قانون الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين يقول " أنه فى حالة غياب المرشد يتولى أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سناً إدارة شئون الإخوان " .. فلما توفى الأستاذ " حسن الهضيبى " رحمة الله عليه ، كنت أنا أكبر أعضاء المكتب سناً ، فقط ..

* هل كانت هناك معارضة فى أن تتولى إدارة الجماعة !؟ ..

- قطعاً لا.. لأنه لا أحد يسعى إلى هذا المركز ، لأنه مسئولية صعبة ووعرة وكل إنسان يتهرب من أن يكون مرشداً للإخوان المسلمين ..

* مجلة (الدعوة) ، هل كانت تصدر من قبل ، أم أصدرتها أنت بعد خروجك من السجن عام ١٩٧١ !؟ ..

- مجلة (الدعوة) حصل على ترخيص بها الأستاذ " صالح العشماوى " سنة ١٩٤٤.. وظلت تصدر منذ ذلك الوقت حتى خرجنا من السجون عام ١٩٧١، فجاء صاحبها الأستاذ " صالح العشماوى " وقال لى بما أنه ليس للإخوان المسلمين مجلة فى الوقت الحالى ، والقوانين الآن تحرم إصدار صحف جديدة أو إعطاء تصريحات لصحف جديدة ، فلتكن (الدعوة) هى لسان حال الإخوان المسلمين .. فأصدرناها فى ثوب جديد بعد خروجنا من السجون .. ولم أتول رئاسة تحريرها ، بل كنت المدير المشرف على سياسة المجلة ، وكان رئيس تحريرها هو صاحبها الأستاذ " صالح العشماوى" .. إنما فى الحقيقة كنت أنا رئيس التحرير الفعلى ..

* الصحف التى تدعو للإسلام ، هل هى تحتاج إلى رئيس تحرير صحفى محترف يفهم فى الصحافة ، أم إلى رئيس تحرير رجل عالم بالإسلام والدعوة إليه !؟.

- هو الأساس إن أى أخ يتولى أى عمل ، سواء سياسى أو إقتصادى أو صحفى ؛ يجب أن يكون له إلمام بدينه أولاً ، لكى تكون كل تصرفاته على نسق إسلامى .. فلابد إذن لرئيس تحرير مجلة (الدعوة) أن يكون على إلمام بشئون دينه

.. لأن هذا الالمام يمنعه من المهاترة أو أن يسب ويشتم .. نحن كنا نشتم من الجميع ، لكنك حين تقرأ (الدعوة) منذ تولينا إصدارها حتى أوقفت فى سبتمبر ١٩٨١ ، تجـد أننا لم نشتم أحداً .. نتكلم فقط بشكل موضوعى .. يعنى نقول معاهدة (كامب ديفيد) سيئة .. ونقول سيئة لماذا .. لا قلنا إن السادات خائن ولا ان السادات سلم أو فرط فى الأرض .. الأشخاص لا نتكلم عنهم ، لكن الموضوع هو الذى يهمنا ..

* هل مجلة (الدعوة) موشكة على الصدور مرة أخرى !؟ ..

– إن شاء الله .. كان قد صدر حكم من المحكمة الإدارية بإلغاء القرار الذى قضى بسحب ترخيص (الدعوة) .. فلما أردنا أن ننفذ هذا الحكم ونفتح مقر المجلة – المغلق الآن بالشمع الأحمر– لكى نعيد إصدار المجلة ، عملت وزارة الداخلية إشكالاً فى الحكم .. ولن نستطيع فتح مقر المجلة إلا بعد أن يصدر الحكم فى هذا الاشكال .. وحين يصدر الحكم فى صالحنا بإذن الله فسيكون أمامنا شهر أخر نستعد فيه لإعـادة الصدور ..

* الإتجاه السائد الآن ان أحزاب المعارضة فى مصر ، وبالتالى صـحفها ، تعطى فرصاً للرئبس الجديد حسنى مبارك حتى يستطيع أن يبين ويفصح عن نفسه .. (الدعوة) حبن تعود إلى الصدور ، هل ستعطى للحاكم الجدبد هذه الفرصة حتى ترى إن كانت تصرفاته تستحق المعارضة أم لأ !؟ ..

– ذلك فى تقديرى هو أسلم الطرق للتعامل مع الحاكم : أن يعطى الفرصـة كاملة حتى تتبين خطواته .. ولما سئلت عن هذا من بعض الصحفيين قلت إن الرئيس الجديد حسنى مبارك بدأ بدءًا طيباً ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه إلى الإستمرار فى هذا الطريق ..

* أستاذ عمر التلمسانى وأنت عمرك ضعف عمرى تقريبـاً ، وأنـت ملـئ بالحكمة وبعد النظر.. ألم يقل الرئيس السادات نفس الكلام تقريبا حين تولى الحكم سنة ١٩٧٠ !؟ ..

– السادات كان له تاريخ سياسى قديم ، وعاشر الأحزاب وأتهم فى بعض القضايا السياسية .. يعنى كانت له ممارسات سياسية سابقة تعطيه قدراً من الدهاء آو المكر السياسى .. هذا الرجل حسنى مبارك لم يخض هذا المعترك .. رجل ناصع لا تشوب ماضيه الشوائب .. ونحن نرجو خيراً ونتعشم أن ترى مصر سنوات من الراحة بعد طول عناء .. ثم هو ترك للصحف أن تتحدث كما تريد .. وكانت خطوة المؤتمر الإقتصادى خطوة موفقة ، لأنه دعى للإشتراك فيه جميع الخبراء الإقتصاديين الذين كان السادات قد أبعدهم واستبعدهم من قبل .. وكانت لهم فى هذا المؤتمر خطوات موفقة نسأل أن يكون لها نتائج طيبة ..

* أستاذ عمر التلمسانى ، حين تصدر جريدة (الدعوة) مرة أخرى ، وهى قد أشتهرت كجريدة معارضة لها رنين خاص .. ستصدر وهى ليست معارضة تماماً خلال الفترة التى ستمنحونها للحاكم كمهلة حتى يستبين شكل حكمه .. هل تتوقع لها نفس الإنتشار !؟ ..

– كنا نطبع ٨٠ ألفاً ونوزع ٨٠ ألفاً ، فلم يكن لدينا رجيع على الاطلاق .. ولو كان لدينا إمكانيات أكثر لطبعنا ١٥٠ ألفاً أو ٢٠٠ ألف .. دار أخبار اليوم كانت تتقاضى منا ١١ ألف جنيه كتكاليف طبع شهرياً ، غير إيجار المقر ومرتبات المحررين والموظفين ..

* من أين كنتم تمولونها ، وكيف ستمولونها الآن !؟ ..

– من التبرعات التى يتبرع بها المسلمون فى كل مكان ..

* وحين تعود إلى الصدور الآن ، ما هى الكمية التى ستطبعونها بعد أن تصبح جريدة هادئة وليست معارضة تماماً ، فتفقد رنينها الخاص !؟.

– نفس الكمية ٨٠ الفاً .. فالمجلة لم تكن سياسية صرفة .. إنما كان فيها بحوث دينية وفقهية وإجتماعية وتهتم بشئون وأخبار العالم الاسلامى كله ..

* لأننى بعيد عن مصر منذ حوالى ٦سنوات تقريباً ، فإننى لم أر جريدة (الدعوة) ، فهل أجد عندك بعض الأعداد الأخيرة منها للإطلاع عليها !؟ ..

- للأسف لا .. لأنه بعد الأحداث الأخيرة فى عهد السادات فإن كل الإخوان قد تخلصوا من أى شئ يخص (الدعوة) فى بيوتهم .. لذا فلن تجد عندى ولا عند أى أحد من الإخوان أى نسخ او أعداد من (الدعوة) .. لأنهم كانوا يعلمون أنه لو فــتش البوليس بيوتهم ووجد أعداداً من (الدعوة) لكانت تهمة كافية ليأخذهم بها !! .

* هل تتقاضى مرتبأ من الدعوة كرئيس لتحريرها أو كمشرف على تحريرها ؟!

- معاذ الله ..

<u>لو كان هناك حزب مسيحى !! ..</u>

* أستاذ عمر التلمسانى ، ما الذى خرجت به من سنوات الإعتقال الـــــ ١٧ الأولى !؟ ..

- خرجت بمزايا كثيرة .. أولا تبين لى أن الحياة فى السجون فى حاجة إلى إصلاح كبير.. نظام السجون متعب ويضر أكثر مما ينفع .. الناحية الثانية وهى الأهم فى نظرى أننى لم أشعر أن السجن قد أثر علىّ من ناحية العقيدة .. فقد آمنت بأن ذلك قدر من أقدار الله أن أقضى فترة من عمرى فى السجن ، وانا أحمد الله علـــى قـــدره كيف كان .. والحمد لله أن الذى مر بى فى محنة السجن وظل إيمانى وعقيدتى كمـــا هما لم يتزعزعا .. وحاولوا معى مراراً وتكراراً أن أكتب تأييداً لجمال عبد الناصـــر لكى اخرج من السجن ، فرفضت ..

* هل كان جمال عبد الناصر ضد الإخوان المسلمين بشكل شخصى !؟.

- تقريباً ..

* لماذا !؟ .. ألم يكن عضوا فى الإخوان المسلمين فى فترة من الفترات !؟

- هو مر بجميع الأحزاب كما ثبت من تاريخه ، الشيوعيين ومصر الفتـــاة والوفد والأحرار الدستوريين والإخوان المسلمين ، ولو كان هنـــاك حـــزب مســـيحى لانضم إليه أيضاً.. إنما لماذا كان هو يدورعلى الأحزاب كلها !؟.. هو كان عنده ذكاء وكان عنده طموح .. فقبل أن يجئ إلى الحكم إتصل بالإخوان المسلمين ، والإخـــوان

المسلمين كانوا قد هيأوا الجو فى مصر تهيئة كاملة للتغيير ، ولذلك كانت الثـــورة – أوالإنقلاب كما أسميه أنا – فى سنة ١٩٥٢هادئة تماماً .. لا ضرب ولا قتل ولا دماء .. بمجرد أن أذاع الراديو أنه قد حدثت ثورة تقبل الناس الأمر بفرح زائــد .. وراح ضباط الثورة للملك وقالوا له : " إتفضل إمشى " ، فأخذ بعضه ومشى .. لم يحدث لا قتال ولا مقاومة ولاحاجة أبداً .. فالناس كانت مهيأة لذلك لأن حكم فاروق كان ســيئاً جداً .. وفاروق هو الذى إغتال الشيخ " حسن البنا " .. وكان جمال عبد الناصر يعتقد أن الإخوان المسلمين سيكونون أعوان له فيما يريد بعد أن تعاهد مع الإخوان على أن يطبق شرع الله .. فلما رأى من الإخوان إصراراً على تنفيذ الوعد ، وهو – كما قال عدد منً زملائه فى مجلس الثورة– كان لا يقبل معارضة من أحد ، وكان الرأى رأيه هو فقط .. فلما رأى منا العناد قرر أن يزيحنا من الطريق .. وأزاحنــا فعــلاً مــن الطريق ..

<u>نحن ضيوف !! ..</u>

* ومحاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى المنشية سنة ١٩٥٤ !؟ ..

– ثبت على ألسنة الكثيرين من المحيطين به أنها كانت محاولة مدبرة مــنهم هم ، لعمل شعبية لجمال عبد الناصر ..

* ومحمود عبد اللطيف الذى أطلق الرصاص على جمال عبدالناصر !؟ ..

– أعدم ظلماً وعدواناً .. لم يكن له أى دور ولم يطلق الرصاص على جمال عبد الناصر .. ثبت بعد ذلك أن الذى أطلق الرصــاص رجـل عسـكرى ، اطلــق الرصاص فى إتجاه معين حتى لا يصيب أحدا ولا يضر أحداً .. وبعد الحادث بأيــام نشرت جريدة (الأهرام) وباقى الصحف صورة لشاب صغير أسمر اللون قال إنــه وجد المسدس الذى أطلق منه الرصاص على جمال عبد الناصر ، وجاء سيرا علــى الأقدام من الإسكندرية حتى القاهرة لكى يسلم المسدس إلى المسئولين فى مصر !! .. تناقض .. ونفس الضباط الأحرار الذين كانوا حول جمال عبد الناصر كتبوا مرة فــى مجلة (روز اليوسف) أنهم إستقدموا من أمريكا خبيراً فى الدعاية لــيخطط لإيجــاد

شعبية لجمال عبد الناصر وكان هو الذى أشار عليهم بفكرة محاولة الإغتيال هـذه .. وأعدم فيها عدة أشخاص : محمود عبد اللطيف وعبد القادر عودة والشـيخ فرغلـى وابراهيم الطيب وهنداوى .. كلهم أعدموا ظلماً وعدواناً ..

* هل عوق ذلك حركة الإخوان المسلمين !؟ ..

– طبعاً عوقها كثيراً .. أخر الدعوة مئات السنين ..

شارع الهرم وصمة فى وجه مصر !! ..

وأواصل الحوار مع الرجل الذى قضى ربع حياته فى سجون عبـد الناصـر والسادات .. لقد تحدث عن الكثير من أسرار الخلاف بين جماعة (الإخوان المسلمين) وجمال عبد الناصر.. وعن موقفه هو شخصياً من قضية الشباب والعنف .. وترتفع درجة حرارة الحوار ويزداد سخونة ، حيث تبدو الفجوة واسعة بين طرفين ينتمى كل منهما إلى جيل مختلف كل الاختلاف عن الجيل الآخر ..

* إنتشار (الإخوان المسلمين) فى بعض الدول العربية ، كمـا فـى الأردن وفى سوريا وفى السعودية وفى الكويت وغيرها .. هل تضمهم حلقة واحدة !؟ ..

– الإخوان المسلمين فى كل مكان إخوان مسلمين .. يعرفون بعضهم البعض .. غير أنهم بتعليمات من بينهم بعيدين عن الإصطدام بحكام البلاد التى يعيشون فيهـا .. يعنى إذا كانت السعودية أو الكويت لا تريد أن تكون هناك هيئـات أو شـعب أو تشكيلات للإخوان المسلمين ؛ فالإخوان المسلمين يطيعون هذا القرار ولا يعارضـونه .. نحن ضيوف ونعمل عندكم ولا تدخل لنا فى شئونكم السياسية .. لكـن الإخـوان المسلمين يشتغلون بشئون الدعوة فى مصر ..

* أو ليست جماعة الإخوان المسلمين محلولة قانوناً فى مصر !؟ ..

– نحن نفترض فى أنفسنا فرضين : تشكيل ، وعقيدة .. التشكيل حله القانون ، ونحن نحترم ذلك .. لكن العقيدة فى القلب ولا يمكن لإنسان أو لقانون أن يحلهـا .. فنحن – سواء كان هناك وجود قانونى أو ليس هناك وجود قانونى لهم – نحن نـدعو إلى الله باستمرار ..

يوم واحد من ٦٠٢٩ يوماً !! ..

* الفرق بين الــ ١٧ سنة الأولى فى السجن أو المعتقل ، والـــ ٤ شـهور الأخيرة !؟ ..

– الــ ١٧ سنة الأولى كان فيها تعذيب مريع .. تعـذيب بـدنى : ضـرب وحرق بالنار وإحضار سيدات البيوت وهتك أعراضهن أمام ذويهن من المسجونين ..

* هل حدث ذلك لك شخصياً ، أم مجرد سمعت !؟ ..

– أنا لم يكن لى أحد والحمد لله .. كانت زوجتى الأولى رحمها الله فى حالة شلل كامل وكانت طريحة الفراش لا تغادره ولا تستطيع أن تغادره .. وإبنتاى كانتـا بعيدتين عنى فى بيت زوجيهما .. لكن ذلك حدث لبعض الإخوان (!!) ..

* هل رأيت ذلك بنفسك !؟ ..

– لا .. لكن سمعت .. ومن الذين وقع عليهم التعذيب أنفسهم .. والأكثر من ذلك أن محكمة الجنايات قد أثبتت هذا فى أحكامها ضد الذين قاموا بالتعـذيب حـين حوكموا بعد ذلك .. أمثال صلاح نصر وشمس بدران وغيرهما .. بـل إن المحكمـة قالت فى حيثيات الحكم أنهم قد دربوا الكلاب البوليسية على (إتيان الرجال) أو هتك أعراضهم !! ..

* والتعذيب الذى وقع عليك أنت شخصياً !؟ ..

– التعذيب البدنى الذى وقع علىّ كان مرة واحدة فقط .. أدخلت إلى غرفـة وعلقونى من وسطى متدلياً من السقف ، فأصبحت كأننى نائم على الهواء ، وانهـالوا علىّ بالسياط .. وكان عمرى ٥٠ سنة وقتها .. لكننى لم أعذب بعد هذه المرة علـى الإطلاق ..

* على امتداد ١٧ سنة فى السجن لم تعذب غير مرة واحدة فقط !؟ ..

– لأن جمال عبد الناصر كان يعلم علم اليقين أننى أبعد الناس عن العنـف وليس من طبيعتى أن أكون عنيفاً ..

* هل تتصور أن تعذيبك قد تم بعلم عبد الناصر أم بدون علمه !؟ ..

– هو كان يعلم باستمرار .. لأنه كانت تؤخـذ صـورة صـوتية ومرئيـة وتعرض عليه فى بيته خلال سهراته ..

* إن بعض الظن إثم .. كيف تتأكد من أن ذلك كان يحدث فعلاً !؟ .. هـل ثبت لك ذلك !؟ ..

– ثبت بطريق الإشاعات (!!) .. لكننا لم نكن معه فى قصره الـذى كـان يعيش فيه .. إنما كنا (نسمع) أن هذه الأعمال تسجل لها أشرطة صـوتية ومرئيـة وتعرض عليه ليشاهدها خلال سهراته ..

* هل تستطيع أن تتصور أن ذلك كان فيه شئ من المبالغة !؟ ..

– أنا أعتقد ان طبيعة جمال عبد الناصر العنيفة لا يستبعد منها مثل ذلك !!

* أنا لا أدافع عن جمال عبد الناصر ، لكن إذا كانت طبيعته العنيفة تسـمح بذلك ، أفلم يكن من باب أولى أنه كان يأمر بتعذيبك يومياً بدلاً من أن تعـذب مـرة واحدة فقط على امتداد ١٧ سنة كاملة !؟ .. يعنى يوماً واحداً فقط من ٦٠٢٩ يوماً !؟ .. أو لم يكن يستطيع أن يأمر بتصفيتك جسدياً وقتلك وينتهى الأمر ، والشعب الذى لم يقم بثورة لأن سيد قطب وحسن الهضيبى وعبد القادر عودة وكثيرون آخرون غيرهم أعدموا أو ماتوا ؛ لن يقوم بثورة لأن عمر التلمسانى قد (مات) فى السجن !؟

– هناك عشرات ومئات قتلوا وماتوا نتيجة التعذيب .. ودفنوا فى الجبل دون ان يدرى أحد .. وفى اليوم التالى ينشر فى الصحف أنه قد (فر) فلان فنعرف أن (فر) هذا معناها أنه قد مات .. ويذهب البوليس ليسبك الموضوع ، ليفـتش بيـوتهم وبيوت أهليهم وأسرهم ..

* وما الذى أعجز عبد الناصر عن ان يفعل ذلك معك أنت أيضاً !؟.

– لقد استمر ذلك عدة شهور ..

* لقد قلت لى الآن حالاً أنه حدث معك مرة واحدة فقط !؟ ..

– إستمر التعذيب مع باقى الآخوان لمدة شهور .. لكننى أنا عذبت مرة واحدة فقط لأننى رفضت أن أستجيب لجمال عبد الناصر(!!) ..

* وهل الذى يرفض الإستجابة لعبد الناصر شخصياً يعذب مرة واحدة فقط .. أم يظل ينكل به حتى يقول (حقى برقبتى) كما يقول المصريون حين يفيض بهم الكيل من المرمطة والبهدلة والتعذيب وسوء المعاملة !؟ ..

– هو التعذيب كان بغرض الحصول على إعترافات غير حقيقية من بعض الإخوان عن مسائل لا وجود لها .. وجمال عبد الناصر كان يعرف أننى لا صلة لى بمسائل العنف بالمرة .. فتعذيبى كان لكى يحصلوا منى على إعترافات أو بيانات أو معلومات .. تعذيب لا طائل ولا جدوى من ورائه .. وحسبه أنه قد سجننى ١٧ سنة كاملة وأنا فى سن الخمسين .. ودعك من الحياة فى السجن و .....

* أستاذ عمر التلمسانى .. إسمح لى أن أضع سطراً أخيراً فى هذا الموضوع حتى ننتقل منه إلى غيره .. أتصور أنه إذا كنت قد عذبت جسدياَ مرة واحدة فقط على امتداد ١٧ سنة ، فلأن عبد الناصر – حين علم بذلك – كان هو الذى أمر بعدم الإستمرار فى تعذيبك وليس العكس .. لأنه لو كان عبد الناصر قد أعطى الضوء الأخضر وأمر بتعذيبك لمزقوك إرباً إرباً .. إستجابة لأوامره وإرضاءً له .. ما علينا ، وماذا عن الشهور الأربعة الأخيرة التى أعتقلت فيها خلال نهاية حكم السادات وبداية حكم مبارك !؟ ..

– الأربعة شهور الأخيرة منها فترة من ٣ سبتمبر إلى ١٢ نوفمبر ، كانت أسوأ كثيراً من الـ١٧ سنة الأولى .. لأننى كنت فى حبس إنفرادى .. لا أحد يرانى ولا أرى أحداً .. وأنا فى سن الثامنة والسبعين .. وذلك فى حد ذاته تعذيب يفوق التعذيب الجسدى .. يعنى لو كانوا قعدونى مع الناس وضربونى كل يوم لكان أخف كثيراً على نفسى ..

لن أكون رئيساً للجمهورية !! ..

* سمعت أنه فى وقت ما فكر الإخوان المسلمون فى رفع قضية ضد الدولة يطالبون فيها بعدم شرعية قرار حل الجماعة !؟ ..

– هذه الدعوى مرفوعة فعلاً منذ أربع سنوات ، ولم يفصل فيها بعد.

* ولو حكم القضاء بعودة جماعة الإخوان المسلمين ، فهل تتصور أنه من الممكن أن ترفع باقى الأحزاب المصرية القديمة المحلولة قضايا مماثلة تطلب فيها أيضاً بعودة الأحزاب المحلولة ، مثل الوفد والسعديين والأحرار الدستورين ومصر الفتاة وغيرها !؟ ..

– الأكثر من ذلك أنه قد صدر فعلاً قانون بالسماح بتكوين الأحزاب أيام أنور السادات .. لكن وضع فى هذا القانون شروطاً تمنع أى هيئة دينية ان تقيم حزباً على قواعد دينية .. سواء اكان حزباً مسلماً أو مسيحياً .. ونحن كنا هيئة ولم نكن حزباً ..

* هل من حق الهيئة أن ترشح نفسها فى الانتخابات !؟ ..

– طبعاً.. مادام من حق أى مواطن أن يرشح نفسه ..

* فى أواخر برلمانات ما قبل الثورة فى مصر ، يعنى قبل عام ١٩٥٢ ، هل كان الإخوان المسلمون فى هذه البرلمانات !؟ ..

– لا .. كل الإخوان المسلمين الذين رشحوا أنفسهم فى الإنتخابات سقطوا ، أو أسقطوا .. وكنت أنا من بينهم وسقطت مرتين فى الإنتخابات فى أواخر أيام الملك فاروق (!!) ..

* وبعد الثورة !؟ ..

– لم نرشح أنفسنا .. لأننا عرفنا شكل الدور المطلوب من الذين سيدخلون مجلس الأمة أو مجلس الشعب .. فوجدنا أنه ليس هناك داعٍ لأن ندخل مجلس الأمة أو مجلس الشعب ..

* كيف سمح نظام الحكم الجديد فى مصر الآن للإخوان المسلمين بدخول الإنتخابات القادمة لمجلس الشعب !؟ .. هل لديكم الكوادر السياسية التى تستطيع ان ترشح نفسها !؟ ..

– موجودين والحمد لله ..

* تصورك انت – أقصد جماعة أو هيئة أو حزب الإخوان المسلمين– سوف تحصلون على كم مقعد فى مجلس الشعب !؟ ..

– لو تركت الانتخابات حرة تماماً وبغير تـدخل مـن الحكومـة لفـرض مرشيحها .. فسنحصل على الأغلبية الكاملة .. أما بغير ذلك فسوف نحصل على ٤٠ أو ٥٠ مقعداً فقط !! ..

* فإذا حصل الإخوان على الأغلبية كما تقول ، فبالتالى ستكون أنت رئيسـا للحكومة !؟ ..

– ليس لدىّ الإستعداد لأكون رئيساً للحكومـة .. فـبحكم سـنى وحـالتى الصحية لا أستطيع .. لكن هناك الكثير من الإخوان قادرين على تولى رئاسة الحكومة

* ولو حدث وفتح باب الترشيح لرئاسة الجمهورية فى مصر وطالبك الإخوان المسلمين بترشيح نفسك ، وكنتم واثقين من حرية الانتخابات !؟ ..

– لن اقبل .. فليس من طموحاتى أن أكون رئيساً .. وكمـا قلـت لـك إن الظروف وحدها هى التى جعلتنى مسئولاً عن الإخوان المسلمين .. ليس فى طبعـى ذلك .. أنا لا أحب الرئاسات ولا أن أدخل فى نقاش مع الناس ولا فى صراع مع أحد .. أنا أريد ان أدعو إلى الله فى هدوء فقط .. والذى يسمعنى يسمع والذى لا يسمع هو حر .. إنما الصراع والأخذ والرد والشد والجذب ليس فى طبيعتى .. لست حريصـاً ولا مهتماً بمسألة المناصب والمراكز.

* لو أنك رفضت أن ترشح نفسك للإنتخابات لرئاسة الجمهورية .. ورشحك الإخوان ، ونجحت .. هل تقبل نزولاً على رغبة الجماعة !؟ ..

– هم لن يستطيعوا ترشيحى غصباً عنى .. فإنهم حين يعرفون أننى مصـر على عدم القبول فسيحترمون رغبتى ولن يحرجونى أو يورطونى .. مادمت قد قلـت أننى لا أريد ذلك فمعناه أننى لا أريده ولن يستطيع أحد ان يرغمنى على ما لا أريد .. أنا كمسئول الآن عن الإخوان المسلمين مرغم على هذه المسئولية لأننـى لابـد وأن

أحترم نظم وقانون الإخوان المسلمين ما دمت عضواً فيها .. وذلك قـدرى أن أكـون مسئولاً .. لكن ليس فى طبعى الإستعداد لأن أنافس الناس على الدنيا ..

* وإذا فازت الجماعة فى الإنتخابات وأنت رئيس الجماعة .. فبالتالى ينبغى أن تكون رئيس اللحكومة ، يعنى رئيساً للوزراء !؟ ..

– أنا لا أريد أن أكون مسئولاً .. أنا أحب الى قلبى أن أكون جندياً مـن أن أكون قائداً .. المسئولية مسألة خطيرة جداً ، إنما أنا فقـط أخ مسـلم أبـدى رأيـى ومشورتى للإخوان عندما يطلبونها .. إنما لا أريد أن أكون مسئولاً لو حدث وتـولى الإخوان المسلمين الحكم ..

<u>البارات والكباريهات وشارع الهرم !! ..</u>

* من هو التالى لك فى الترتيب فى الإخوان المسلمين !؟ ..

– الأسماء لا تذكر ..

ويستطرد عمر التلمسانى :

– وهناك تعقيب أود ان أذكره هنا .. الناس يجزعون من عبـارة (تطبيـق الشريعة الإسلامية) .. يقولون لى : أنت تريد أن تربك الدنيا .. الخمر حرام والزنـا حرام والسرقة حرام وحدود وضرب وقتل ورجم وما إلى ذلك .. وهم لا يتصـورون الأمور على حقيقتها .. فلو جاءت حكومة الإخوان المسلمين لن تصبح فى اليوم التالى فتقفل البارات والكباريهات .. أبداً .. ليس ذلك هو الإجراء الطبيعى الإسلامى أبداً .. هذه لخبطة تنتج شراً أكثر مما تنتج خيراً .. البارات والكباريهـات لهـا رخـص ، والرخص لها مدد معينة مفروض أن تجدد كل مدة ما .. كرخص السـيارات مـثلاً ، وكلما إنتهت المدة فالرخصة ينبغى أن تجدد .. حين تجيئنى رخصة (بار) لكى تجدد ، لا أجددها .. وحين تجيئنى رخصة كباريه لكى تجدد ، لا أجددها ..يوماً بعد يـوم وأسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعد شهر ستختفى البارات والكباريهات .. هكـذا بهـدوء وبالراحة وبدون عقد وببساطة خالص ..

مسألة إثبات الزنا مسألة عسيرة جداً ويلزمها شهود أربعة وشـــروط صـــعبة معروفة .. يعنى مسألة تطبيق الحد ستكون عسيرة جداً .. لكن لو أن كل زانٍ عــرف أن الحد سوف يطبق عليه لو ضبط متلبساً فسيراجع نفسه قبل أن يرتكب الزنا ، وليس كالعلانية الواضحة الفاضحة الآن.. مسألة شارع الهرم هذه مسألة مخجلة جداً فى أمة مسلمة وشعب مسلم .. لقد قرأت فى الصحف المصرية منذ أيام أن شرطة الآداب قــد أغلقت أحد كباريهات شارع الهرم لأن الراقصة كانت ترقص بصورة فاضحة وتــأتى بحركات مثيرة للغرائز تماماً ..

* هل هناك عقاب ما للمسلم الذى يرتاد هذه الكباريهات !؟ ..

– المسلم شرعاً ممنوع أن يرى المنكرات ، أوأن يحضر مجالس المنكرات .. فإذا حضر مجلس منكر فللحاكم أن يعذره : يضربه أو يحبسه أو يوبخــه .. لــيس فيها (حــد) لكن فيها تعزير ..

* فإذا إرتاد تلك الكباريهات مسيحى !؟ ..

– ولو .. أيا كان .. مادام مصرياً .. كل إنسان فى أى بلد من البلاد خاضع لقانون البلد الذى هو فيه ، بصرف النظر عن ديانته وعن جنسيته .. حين تقرر دولة إنجلترا مثلا ألا تزيد سرعة السيارة فى منطقة وسط المدينة عن ٢٠ ميلاً فى الساعة ، هل يستطيع واحد مسلم أن يخالف ذلك بحجةأأنه مسلم !؟ .. هــل يســتطيع واحــد إيطالى أو فرنسى أو ألمانى أن يقول : ما ليش دعوة ، القانون ده للانجليز بس !؟ .. القانون قانون ويسرى على كل من يعيش على أرض البلد ..

قانون الأحوال الشخصية !! ..

* قانون الأحوال الشخصية الذى صدر فى مصر منذ عدة سنوات ، والــذى يسميه العامة فى مصر (قانون جيهان) ، الذى أعطى للمرأة حقوقاً أكثر بكثير مــن التى كانت لها .. هل أعطى هذا القانون للمرأة المصرية المسلمة أكثر ممــا أعطاهــا الإسلام !؟ ..

– قانون الأحوال الشخصية الذى صدر أخيراً لم يأت من فراغ .. لان الذين أصدروه إرتكزوا إلى أراء فقهاء ، لكنها أراء ضعيفة وليست قوية .. لذا كانت معارضة المسلمين لهذا القانون فى مصر .. وكان الأحسن والأليق بالنسبة للمسلمين أن يؤخذ برأى الناس ورأى الأغلبية ورأى الشعب .. وكان من الخير أن يبقى قانون الأحوال الشخصية القديم على ما كان عليه ..

والمرأة فى الإسلام لها من الحقوق ما لا يتصوره إنسان .. لا تجد إمرأة فى العالم كله لها حقوق مثل ما للمرأة فى الإسلام .. إنما المسلمين قد ضيعوا هذا فى القرون الأخيرة من إنحطاطهم وتأخرهم وتخلفهم .. فأطلق على المسلمات نظام الحريم وما إلى ذلك .. وقالوا أن هذا هو الإسلام والإسلام لا يقر ذلك .. الإسلام يعطى المرأة كل الحقوق التى يستمتع بها الرجل كاملة (ولهن مثل الذى عليهم بالمعروف) لكن (وللرجال عليهن درجة) لأن الرجل هو الذى يقوم بالإنفاق على البيت .. لكن أن يكون الرجل هو الذى يكد ويكدح ثم لا تكون له الهيمنة على بيته فـ (المركب التى لها ريسين تغرق) .. والمرأة إذا كان لها رأى وللرجل آخر لا يستقيم شأن الأسرة .. إنما المرأة لها حقوقها الكاملة تحققت فى الشرع الإسلامى نفسه .. يعنى مهما أعطوها من حقوق لم يصلوا بها إلى حقها الفعلى الذى أعطاه لها الإسلام .. الإسلام لا يرغم المرأة على أن تعمل فى بيت زوجها (!!) ..

* يا سلام .. من الذى يعمل إذن !؟ .. الزوج !؟ ..

– أنت حر ..

* أنا حر كيف .. لماذا تزوجتها إذن !؟ .. لكى تخدمنى أم لكى تقعد وتضع رجلاً على رجل وتتفرج علىّ !؟ ..

– تزوجتها للفراش ..

* فقط للفراش !!!؟ ..

– لا تستخدمها ولا تتعبها .. الأكثر من ذلك أن من حقها ألا ترضع إبنها (!!) ..

* عظيم .. أرضعه أنا إذن !؟ ..

– لأ طبعاً .. لكن تؤجر واحدة ترضع الطفل .. شفت الحقوق التى تتمتع بها المرأة إلى أى حد !؟ ..

* أستأذنك القول : أليس فى ذلك مهانة وتحقير وإذلال للمرأة أن أكون أتزوجها لكى ، فقط ، أسحبها ورائى إلى الفرش كلما أردت ذلك !؟ ..

– الله سبحانه وتعالى جعل الرجل والأنثى لحفظ النوع الإنسانى .. فإذا تعطل هذا ، البشر سيبيدون وينقرضون .. الرسول عليه الصلاة قال : " تزوجوا الودود الولود فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة " .. وحين أقول أن الزوجة ليست مرغمة على أن تخدم زوجها فذلك تكريم للمرأة وليس إهانة لها ..

* ومن يخدمنا نحن الاثنين !؟ ..

– أنت حر .. إخدم نفسك .. الرسول فى بيته كان يكنس البيت ويساعد زوجته ويخيط نعله بنفسه ويرتق ثيابه .. ولم يكن يقول يا عائشة خيطى لى الجلابية .. أنت تعطى الزوجة المهر فى مقابل (البضع) فقط .. فى مقابل أن تذهب معك إلى الفراش ..

* ولماذا فى هذه الحالة أصرف عليها من مالى !؟ .. ما دامت هى تستمتع فى الفراش كما أستمتع أنا ، ولا تكد ولا تتعب بينما أكد أنا وأتعب أنا !؟ .. هى أيضاً تستمتع .. لماذا أدفع أنا وتستمتع هى !؟ ..

– أنت الرجل .. أنت المشرف على البيت ..

* مشرف على البيت فى ماذا إذا كانت هى لن تفعل شيئاً فى البيت .. يعنى رئيس بغير رئاسة .. حتى حينما تنبسط هى وتستمتع هى أدفع أنا المهر !؟ ..

– حكمة الله تعالى أن جعل حفظ النوع البشرى وليد التزاوج .. لابد من زواج مشروع وحلال ليستمر بقاء الجنس البشرى .. بغير هذا ستنقضى البشرية فى يوم من الأيام .. إذا كان هذا هو الغرض كما جاء فى الحديث فالمرأة فى البيت تشرف على أولادها وهذا تفضل منها ، وإذا كنست فى البيت فهذا تفضل منها ، وإذا

طبخت فهذا تفضل منها .. وذلك يحدث فى كل بيوت العالم تقريباً وليس فى بيوت المسلمين فقط .. المرأة تعمل كل هذه الأشياء تفضلاً منها ، لكن الإسلام لا يرغمها على ذلك ، تكريماً لها ، لأنها لا تتزوج لكى تخدمك .. فهى ليست خادمة .. إنما هى تزوجتك لتكون أسرة .. والأسرة لا تتكون إلا بهذه الطريقة : رجل وإمرأة ينجبان أطفالاً .. إنما خدمة الزوجة للزوج لا .. والرسول عليه السلام قال : " تناكحوا تناسلوا " ولم يقل " تلذذوا " ..

* أستاذ عمر التلمسانى .. إسمح لى أن أناقشك فى ذلك كإنسان عربى مسلم ، كبشر، كبنى آدم : أنا كزوج مهما كانت جنسيتى وديانتى – حتى وأنا مسلم – لا أؤدى الجنس كواجب قومى ولا خوفاً منى على مستقبل الجنس البشرى أن يختفى وينقرض ، فيلختف ولينقرض لأن الحفاظ على الجنس ليس مسؤوليتى الشخصية ولست مكلفاً من هيئة الأمم المتحدة بالحفاظ على الجنس .. إنما أنا أؤدى الجنس لأنى أستمتع به وأجد فيه لذة لم أكتشفها أنا ، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذى أعطانى الإحساس بها .. وأنا أستطيع أن أفعل ذلك دون زواج ودون مسؤوليات ودون أن أصرف دم قلبى على إمرأة ما محددة .. فإذا تزوجت فأنا أتزوج لكى أنظم حياتى وأستريح من مرمطة العزوبية وبهدلتها وأكل المطاعم والمعلبات .. أتزوج إمرأة لكى تشاركنى حياتى ومستقبلى وتحمل إسمى وتقاسمنى نجاحى .. وفى الوقت نفسه ترعانى وترعى بيتى وأولادى بتوع مستقبل البشرية ، وترتق ثيابى إذا تمزقت وتغسلها إذا توسخت وتعد لى لقمة طيبة وتقابلنى بابتسامة جميلة حين أعود من عملى مكدوداً مهدوداً مرهقاً .. ولا أتصور أن الإسلام يعتبرنى أو يعتبر الرجل المسلم عموما – فحلاً أو ثوراً أو (طلوقة) ويعتبر المرأة المسلمة بقرة أو عنزة أو جاموسة ، وظيفة الزواج بالنسبة إليهما معاً (زرب) الأطفال كل ٢٧ ثانية ومقر عملهما الرسمى فى الفراش فى غرفة النوم .. أنا غير مسلم بذلك .. ولو أننا قلنا أن الإسلام يقول ذلك لأمتنع كل الشباب المسلم ، بل وكل (الإخوان المسلمين) عن الزواج ..

– الله سبحانه وتعالى وضع النداء الطبيعى فى الذكر وفى الأنثى ليتم التناسل .. لولا وجود هذا النداء الطبيعى لما وجد التناسل ، ليس فى البشرية فقط .. لكن فى الحيوانات أيضاً .. ولو رأيت القطة وماذا تفعل لإغراء القط الذكر .. حاجة عجيبة جداً .. أنثى تغرى ذكرها ..

* ومع ذلك فالقطط لا دخل لها بمستقبل البشرية ..

– نداء الطبيعة لابد من الإستجابة له .. وضع هذا النداء لحفظ الجنس .. سواء أكان إنساناً أم حيواناً ..

* هذا النداء إذن مشترك بيننا : أنا أستمتع وهى أيضا تستمتع ، فإذا كنت أنا أتعب وأشقى خارج البيت للحصول على المال الذى أنفق منه على البيت ، وهى تتعب فى البيت الذى نعيش فيه معا لكى تبقيه نظيفاً مرتباً ، وتعد الطعام الذى سنتناوله معاً ، فتكون الواجبات إذن مقسمة علينا نحن الاثنين .. لكن إذا لم تؤد هى دوراً فى البيت فيكون الغرم كله واقع علىّ أنا – كرجل – وحدى .. لماذا أتعب مرتين !؟ ..

– الرجل جعل ليتولى شئون بيته ، إنفاقاً وقوامة على البيت .. وجعلت الزوجة لحفظ النسل .. الشغل فى البيت يعتبر تطوعاً وتبقى كتر خيرها ..

* والله يا أستاذ تلمسانى لو فتح هذا الموضوع بهذا الشكل وعلمت به النساء المصريات – وأنا أتكلم عن المصريات فقط لأن كلينا ، أنت وأنا ، مصريان– لو علمن بأن الإسلام بقول بألا تعمل المرأة فى بيتها ، لرفضت أى واحدة منهم بعد ذلك وكلهن (ناقصات عقل ودين) أن تمد يدها فى أى شئ فى البيت ، ولو وقعت ملايين من حالات الطلاق وإتخربت ملايين البيوت فوق رءوس أصحابها فى مدى شهر واحد .. وكان ذنبهم جميعاً فى رقبتك .. لأنه إذا جاز ذلك فى صدر الإسلام أيام السبايا وأسيرات الحروب وملك اليمين ، لما جاز الآن ومرتب الزوجين الشابين معاً لا يكفى لمجرد المسكن والأكل ، وأيضاً نريد ألا تعمل الزوجة فى البيت .. وبالتالى لا تعمل كذلك خارج البيت .. هذه والله مسألة صعبة جداً وعسيرة ، بل ومفزعة ، وتتعارض تماماً مع كون أن (الدين يسر) ..

– نحن نتصور ذلك .. لكن ذلك لا يحدث .. لأن كل فتاة تتـــزوج ســـتكون حريصة على بيتها ونظامه ونظافته وعلى أن تعد لزوجها أطيب الطعام الذى يحبه فى البيت .. لكن كل ذلك يكون تطوعاً منها وكرماً ..

* لو ظللنا ألف ساعة وساعة نناقش فى هذا الأمر فلن أقتنع به .. وأتصور أن ملايين الشباب المسلمين مثلى لن يقتنعوا به .. لذا فإننى سأتركه هكذا معلقاً مفتوحاً .. وننتقل إلى موضوع آخر ..

ليست بهذه البساطة !! ..

* أستاذ عمر التلمسانى : ما هو تفسير (وما ملكت أيمانكم) الآن !؟ ..

– أولاً (ملك اليمين) كان نتيجة الغزوات والحروب .. والنساء اللاتى كن يؤسرن يكن (ملك يمين) الآسرين .. الآن ليس هناك حرب وبالتالى ليس هناك سبايا ولا (ملك يمين) بالمعنى الإسلامى .. (ملك اليمين) معناها أسيرة الحـــرب غيـــر المسلمة ..

* الإختلاط فى الجامعات !؟ ..

– أنا أقر أن تتعلم الفتاة فى الجامعة إلى أرقى مراتب التعليم ، لكن وحـــدها فى كليات منفصلة عن كليات البنين .. لأن إختلاط الفتاة بالفتى فى هذا السن المبكـــر كمن يضع الكبريت بجوار البنزين ، فلنتحاشى هذه الخطورة ..

* دخلت الفتاة الجامعة المصرية فى أواخر العشـــرينيات ، لأن أول دفعـــة خريجات كانت عام ١٩٣٣ على ما أذكر .. إذن الفتاة العربية دخلت الجماعة منذ اكثر من ٥٠ سنة ، ما حدث واستمر ودام منذ ٥٠ سنة ، فى كم ســـنة تســـتطيع تغييـــره والعودة به إلى ما كان عليه فى عشرينيات هذا القرن !؟ ..

– لو اننى كنت وزيراً للمعارف أو للتعليم الجامعى ، فـــإن لـــدينا ســـيدات حاصلات على درجة الدكتوراة فى الهندسة وفى الطب وفى العلوم وفى كـــل المـــواد الجامعية ، النظرية أو العملية .. سأصدر قراراً بأن الفتيات وحدهن يقمن بالتـــدريس

لهن الدكتورات النساء .. وليس هناك ما يمنع أن يدرس الأستاذ الرجل للطالبـــات .. فأجعل الفتيات الطالبات فى مكان والطلبة فى مكان آخر.. المسألة بهذه البساطة ..

* قطعاً المسألة ليست (بهذه البساطة) .. فالجامعات عندنا ليست مصـــممة على أن يكون فيها العدد من المدرجات والمعامل الذى يسمح بـــأن نقســـم الطالبـــات وحدهن والطلبة وحدهم .. فتكون المشكلة مشكلة مكان قبل أن تكون مشـــكلة أســـاتذة رجال وأستاذات نساء .. ماذا سوف تفعل إذن !؟ ..

– العالم كله يقوم على التخطيط .. أطلب الرجل المسئول عن التخطــيط ، وأقول له أنا أريد أن الفتيات والفتيان كلا منهما يتعلم وحده .. فيقــول لـــى أعطنـــى فرصة سنة أو سنتين أو ثلاث حتى يتم بناء المدرجات اللازمة .. وفى خـــلال هـــذه المهلة ممكن أن تجلس الفتيات معاً فى جانب من المدرج والفتيان معاً فـــى الجانـــب الأخر ، بحيث لا تكون كل فتاة (مزنوقة) بين شبان .. وأنا ذهبت لألقى محاضرات دينية فى الجامعة ، فكنت أذهب مبكراً فأدخل إلى أى مدرج لأستمع إلى الدرس الذى يلقيه الأستاذ .. فكنت أجد الفتيات جالسات (صندوتشات) بين الشبان ، وإنتبـــاههن منصرف تماماً عن الأستاذ ، يتضاحكن ويتمازحن مع الشبان .. لكن لو أن الفتيـــات وحدهن والفتيان وحدهم لكان التركيز على الدرس أكثر لأن كلا منهما لن يشغل نفسه بآخر ولن ينشغل عن الدرس بشئ آخر ..

* أستاذ عمر التلمسانى ، هل الديمقراطية موجودة فى الإسلام !؟ ..

– الإسلام أبو الحرية ..

* فإذا إعترضت الفتيات على ذلك ورفضن .. هل هـــذا الإعتـــراض مـــن حقهن !؟

– كل إنسان يستطيع أن يقول ما يشاء إلا أن يخالف الشريعة .. لأن الشـــرع ليس من وضع البشر لكنه من وضع الله سبحانه وتعالى .. إن كنت مسلماً فالدليل على إسلامك هو أن تطيع تعاليم الله سبحانه وتعالى وتعاليم الرسول على الصلاة والسلام ..

فإن أبيت أن تخضع لهذه التعاليم فأنت لست مسلماً ، قل أنا لست مسلماً وأعمل كما تشاء .. لا إكراه فى الدين .

السفيرة ، والخلوة الشرعية !! ..

* أستاذ عمر التلمسانى : حفيدتك أستاذة فى الجامعة .. لو أوفدتها جامعتها إلى انجلترا ، مثلاً ، كأستاذة زائرة فى إحدى جامعات بريطانيا ، وهى عاقلة ورشيدة وكبيرة ، لكنها غير متزوجة .. هل توافق أنت أم تعترض !؟ ..

- أعترض طبعاً .. لأن نداء الطبيعة لا سلطان لإنسان عليه .. هناك أشياء فى الإسلام إسمها (سد الذرائع) .. يعنى أننى لا أعرض إنساناً لخطر لثقتى فيه ، فقد تكون ثقتى فيه أكبر من أن يستطيع أن يقوم بها .. إن الله قد وضع فى الرجل وفى المرأة معانى لحفظ الجنس .. فأنا لا أعرض إبنتى أو حفيدتى لهذه الأخطار ، ومن الخير ألا أسمح لها أن تسافر إلى بلد غريب وحدها .. إلا إذا رافقها زوج أو أخ

* أستاذ عمر التلمسانى ، فى حكومة مصر وزيرة سيدة منذ حوالى ٢٥ سنة .. وفى الأردن أيضا وزيرة ، وفى سوريا كذلك ، وقد يكون فى حكومات عربية أخرى وزيرات وأنا لا أعلم .. هل يقر الإسلام أن تكون المرأة وزيرة !؟ ..

- أغلبية علماء المسلمين لا يقرون هذا ، لكن العالم الإسلامى الجليل الفذ الفحل المشهور " إبن حزم " يبيح للمرأة أن تكون وزيرة ..

* وهناك إمرأة سفيرة لمصر الآن فى إحدى الدول الأوروبية ، وهى سيدة مطلقة .. هل تقر ذلك !؟ ..

- لا .. يوجد شرعاً شئ إسمه (الخلوة الشرعية) .. والمفروض ألا يغلق باب على رجل وإمرأة غريبين عن بعضهما .. فلنفترض أن هذه السفيرة لها سكرتير رجل أو أن أحد معاونيها فى السفارة رجل يعرض عليها أوراقاً والباب مغلق عليهما .. ليس ذلك طعناً فى هذه السيدة السفيرة ، وأنا أعرفها ، لكن الإسلام يعتبر ذلك (خلوة شرعية) وهى ممنوعة قطعاً ..

* ومع ذلك فأنت و" إبن حزم " سمحتما به للوزيرة .. ورغم أن ذلك لا يسرى على المرأة الوزيرة أو السفيرة فقط ، لكنه يسرى على أى موظفة ولها مكتب مستقل له باب يقفل عليها وتتعامل مع مرؤوسين رجال أو مع عملاء رجال ..

– أنا أبيح للمرأة أن تكون طبيبة او مدرسة او مشرفة إجتماعية ، أى عمل يتناسب مع المرأة .. لكن (الخلوة الشرعية) بشكل عام ممنوعة ..

* ترأس الآن بعض حكومات العالم نساء .. مسز نهرو فى الهند ومسز تاتشر فى إنجلترا .. ذلك غير بعض الدول التى تحكمها ملكات ، مثل انجلترا وهولندا والسويد والنرويج والدانمرك وغيرها .. هل تقر ذلك !؟ ..

– وحكمت بعض المحاكم فى أوروبا بإقرار الشذوذ الجنسى .. وعقد فى أمريكا وفى بعض دول أوروبا زواج رجل على رجل .. هم (بيهجصوا زى ما هما عايزين) !! ..

* يعنى لا تقر أن تكون هناك رئيسة وزراء أو ملكة إمرأة على رأس دولة ما !؟ ..

– لا .. قطعاً لا ..

* ومع ذلك فقد حكمت مصر الإسلامية منذ فترة ليست بعيدة جداً ملكة هى شجرة الدر ..

– وكان عهداً يعلم به ربنا ..

* عضوات مجلس الشعب فى مصر ، هل تؤيد وجودهن فى مجلس الشعب !؟ ..

– لا بأس .. النظر فى تحسين امور الشعب شئ لا بأس به ..

* وإذا كان لديها جلسة فى مجلس الشعب وأمرها زوجها ألا تذهب !؟ ..

– تطيع زوجها أولاً ..

* الدكتورة وزيرة الشئون الإجتماعية الآن فى مصر أو فى الأردن .. لو أن زوجها قرر فجأة ألا تستمر زوجته فى الوزارة !؟ ..

– عليها أن تطيعه فوراً .. وإذا لم تطعه يسرحها بإحسان ..

* فإذا لم يرد أن يسرحها .. هل يستطيع على ان يرغمها على أن تستقيل !؟ ..

– لا إرغام فى الإسلام ..

* وإذا أصر على عدم إستمرارها فى الوزارة وفى الوقت نفسه رفض أن يسرحها ..

– يكون رجلا متعصبا ومتعنتا .. الاسلام لا يكره انسانا على ما لا يريد أبداً .. من حقها ان تختار الوزارة وتترك الزوج إذا رأت أن ذلك فى مصلحتها .. و(إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) ..

* أستاذ عمر التلمسانى ، قضينا الأن معا مايزيد عن ٣ ساعات .. شكرا جزيلاً لك ، وأرجو ان تتسع صفحات مجلة (المسلمون) لكل ماقلناه ..

نشر فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العددين ٣٣ و٣٤ بتاريخ ١١ و ١٨/ ٦ / ١٩٨٢ ..
توفى الشيخ عمر التلمسانى فى ٢٢ مايو ١٩٨٦ ..

سمير صبرى ..

لماذا هربت من مصر ؟ ..

الآن ، وقد خرج عبد المنعم الصاوى من وزارة الثقافة والإعلام ، أو بمعنى أدق وقد خرجت الوزارة معه ؛ هل يمكن أن تروى القصة الحقيقية لإيقـاف سـمير صبرى !؟ .. قيل لنا أن ذلك سيصادر المجلة فى القاهرة .. وقلنا لا .. فحكاية وقـف مقدم برنامج (النادى الدولى) حكاية غريبة ، والزج بإسم الرئيس السادات فيها يتنافى مع الواقع الملموس فى حياة المصريين .. والسبب الذى يقال يثير الدهشة ويخرج أكثر من علامة إستفهام حول عقلية الذين كانوا يديرون وزارة الإعلام .. وإذا كان سـمير صبرى على يقين من أن قرار وقفه لا يمكن أن يكون قد صدر من رئاسة الجمهورية ؛ فنحن على يقين أكثر أن الحديث عنه لا يتعارض مع حرية الصحافة ، ولا يسـبب المصادرة ..

* * *

سمير صبرى يذكرنى دائماً بـ " جين كيلى " .. فكلاهمـا يـرقص ويغنـى ويمثل فى السينما ويقدم برامج فى التليفزيون .. وكلاهما ساجد على ركبتيه أمـام أى فستان حتى لو كان معروضاً فى فاترينة .. وكلاهما قفز إلى أعلى الدرجات بسـرعة صاروخية .. ثم فجأة توقف نمو " جين كيلى " وأصبحنا لا نراه على شاشة السينما إلا

مرة كل عدة سنوات .. وفجأة ، وبجرة قلم ، وجدنا سمير صبرى وقد إختفى من كل شئ ومن المجالات الفنية فى القاهرة ، ليظهر هنا فى لندن ، واحداً من عشرات الطيور الفنية المصرية المهاجرة من عاصمة العروبة إلى عاصمة الضباب ..

* * *

لم يكن سمير صبرى صديقى من قبل .. كنا نلتقى فى أروقة وفى مكاتب وفى ستوديوهات مبنى الإذاعة والتليفزيون الكبير فى القاهرة فنتبادل التحية مرة ونتجاهل بعض عشر مرات .. كنت أندهش لنشاطه الشديد وأستغرب كيف يستطيع أن يفعل كل هذا الذى يفعله فى ٢٤ ساعة فى اليوم فقط !؟ .. كل شئ فى مصر ممكن أن يتم بالواسطة .. لكن ما الذى تستطيع (الواسطة) أن تفعله مع شخص مثل سمير صبرى !؟ .. قطعاً هو ليس مقدم برامج تليفزيونى وإذاعى بالواسطة ؛ لأنه فعلاً يقدم برنامجاً ناجحاً ومتميزاً بشهادة الجمهور العادى الذى يسمعه ويراه ويتابع برامجه فى الراديو وفى التليفزيون ويعجب بها .. بدليل أنه فى الإستفتاءات التى تتم سنوياً عن أحب برامج التليفزيون المصرى عند جماهير المشاهدين ؛ كان برنامج (النادى الدولى) الذى يقدمه سمير صيرى هو البرنامج الأول دائماً على امتداد ٨ سنوات متصلة حتى آخر إستفتاء تم فى شهر أبريل من هذا العام ١٩٧٨ ..

وقطعاً هو ليس ممثلاً بالواسطة ؛ لأنه مقبول ولا بأس به كممثل وكفتى أول ، أو حتى ثانى ، على قلة الفتيان الأوائل فى السينما المصرية الآن : محمود ياسين – حسين فهمى – نور الشريف – حسن يوسف – محمود عبد العزيز ..

وقطعاً هو لا يغنى أغانيه الأجنبية بالواسطة لأنه لا يستطيع أن يفرض نفسه مطرباً على الجمهور وإلا (كان غيره أشطر) كما يقول التعبير المصرى ..

ولم تكن المشكلة فى نظرى أنا هى كيف نجح سمير صبرى فى كل هذه المجالات فى وقتٍ واحد ؛ بل كانت المشكلة فى كيف يستطيع سمير ان يجد الوقت الكافى فى يومه ، الذى هو مثل يومى ومثل يومك ومثل أيام الآخرين جميعاً : ٢٤ ساعة فقط ، ليفعل كل ذلك ..

ثم كانت المشكلة الأخرى التى جدت مؤخراً : كيف يمكن ، بعد كل ذلك ؛ أن نجد سمير صبرى فجأة وكأنه قد (خلع) من (كل ذلك) ليتسكع فى لندن حتى ليكاد – تقريباً أيضاً – لا يفعل شيئاً ذا بال ..

هذه هى المسألة ..

أن تنجح فى أوروبا فذلك شئ طبيعى جداً ويقال عنك على الفور أنك (موهوب) .. وأن تنجح فى بلد عربى – بشكل عم ، وخصوصاً فى مصر – فسوف يقال عنك على الفور أنك (مسنود) .. وذلك ما كان يعتقده الجميع عن سمير صبرى ، وكنت ً أعتقده – بصورة أو بأخرى – أنا نفسى .. وما كان يتردد عن أن برنامج (النادى الدولى) هو (عزبة) سمير صبرى الشخصية يفعل به وفيه ما يشاء دون رقيب أو حسيب ؛ يستضيف من يشاء ويغفل من يشاء ويستغل البرنامج لحسابه الشخصى ولحساب عمله السينمائى ، بأن يدعو فى حلقات البرنامج كل أسبوع المنتجين والمخرجين السينمائيين الذين يعمل معهم ليعلنوا فى دعايات سافرة مكشوفة عن أفلامهم الجديدة التى يشترك فى بطولتها سمير صبرى ، نفسه ، ويعرضون فى البرنامج لقطات ومشاهد من هذه الأفلام ليكون بطل هذه المشاهد هو سمير صبرى ، نفسه ، وليكيلوا الثناء والمديح لسمير صبرى من خلال البرنامج !! .. والمفروض فى هذه الحالة – من باب تقاليد وأخلاقيات العمل التليفزيونى والإعلامى – أن يحذف سمير صبرى أو مخرج البرنامج فى أثناء عملية (المونتاج) هذا المديح وهذا الثناء وهذه المشاهد التى يكون بطلها السينمائى هو نفسه مقد البرنامج التليفزيونى الذى تقدم فيه .. لكن كل شئ يبقى على ما هو عليه : إعلانات صريحة بغير أجر يدفع للتليفزيون كجهاز ، عن الأفلام والأعمال الفنية التى يشترك فيها مقدم البرنامج : سمير صبرى !! ..

* * *

وهاجم انقاد والصحفيون المصريون بشدة (عزبة سمير صبرى) التى إسمها (النادى الدولى) وشنوا عليه أعنف الحملات الصحفية التى كان ممكناً أن تسقط

وزارة بأكملها ، لكن شيئاً لم يؤثر فى سمير صبرى على الإطلاق .. ويتغير مديرو التليفزيون المصرى وسمير صبرى باقٍ على ما هو عليه فى كل العهود وفى كل العصور ومع كل المديرين .. ويتغير وزراء الإعلام المسئولون عن التليفزيون وسمير صبرى باقٍ على ما هو عليه .. ويتغير مخرجو (النادى الدولى) ولا يتغير شئ فى (النادى الدولى) .. حتى إنطلقت تشنيعة تحرف الإسمين معاً لتقول : (برنامج النادى الصبرى يقدمه سمير دولى) !! .. ولم تفلح كل هذه الأقلام فى وقف سمير صبرى عند حده كما كانت تلح وتطالب .. وإستمر ذلك طوال الثمانى سنوات لأخيرة.

ولكن الذى لم يستطع كل الصحفيين وكل الأقلام فى مصر أن تفعله ؛ فعلته راقصة مصرية ، وراقصة درجة عاشرة أيضاً !! ..

* * *

بدأت الحكاية بفقرة عادية جداً فى برنامج (النادى الدولى) فى آخر حلقة له منذ عدة شهور .. كانت ضيفة الفقرة راقصة مصرية ربع معروفة إسمها " فيفى عبده " .. راقصة أفراح وليالى ملاح وبالكتير ترقص فى الكباريهات والملاهى الليلية المتواضعة .. لكن هذه الفقرة بالذات فى (النادى الدولى) كانت سبباً فى شهرة " فيفى عبده " ، وفى الوقت نفسه سبب نكبة سمير صبرى !! ..

دار الحوار بين سمير صبرى والراقصة فيفى عبده كأى حوار يدور بين مقدم برنامج تليفزيونى إسمه (النادى الدولى) وراقصة ليس فيها أى شئ (دولى) يبرر تقديمها فى برنامج كهذا بالذات .. حوار عادى بسيط حاول سمير بقدر إمكانه أن يضفى عليه أى شئ يجعله مهضوماً أو مبلوعاً .. حتى وقعت الكارثة حين سأل سمير الراقصة الضيفة : " إنت منين !؟ " .. فأجابت الراقصة على الفور وبفخر واعتزاز : " من ميت أبو الكوم " !! ..

وإنفجرت القنبلة تحت أقدام سمير صبرى ولم يستطع أن (يلم نفسه) وأرتج عليه ولم يعرف كيف يستطرد فى الكلام بعد ذلك ؛ فإن أى كلمة أو أى تعليق على كون أن الراقصة من نفس قرية رئيس الحمهورية قد يفسر مليون تفسير مهما كان هذا

التعليق .. وظل سمير صامتاً نحو نصف دقيقة وهو لا يدرى ماذا يقــول ولا كيــف يتصرف .. نصف دقيقة = ٣٠ ثانية فى وقت الإذاعة سكتة طويلة جداً أمام المســتمع أو المشاهد لو تعلمون .. ولم يجد سمير فى نهاية هذا الصمت الطويل أى حل إلا ن (يفوت) و (يطنش) ويترك المسألة كلها تمر ببساطة كأنه لم يسأل هذا السؤال وكــأن الراقصة لم تجب بشئ !! ..

واستمر الحديث بعد ذلك بينهما بعد ذلك عادياً جداً دون إشارة لهذه المسألة أو ذلك السؤال ؛ حتى سألها بعد ذلك سؤالاً آخر عادياً جداً لا صلة له على الإطلاق بما سبق .. قال لها : " لماذا لم تلمعى إلا فى السنوات الأخيرة فقط !؟ " ..

وكتن هذه المرة هى القاضية !! ..

* * *

قال لى سمير صبرى فى لندن :

– فوجئت فى اليوم التالى لإذاعة البرنامج وأنا أقرأ صحف الصــباح فــى بيتى قبل نزولى للتليفزيون بخبر منشور فى كل الصحف يقول أنه قد صــدر قــرار بإيقاف سميرصبرى !! .. الشئ الذى لم تستطع عشرات الأقلام التــى هــاجمتنى أن تفعله ؛ إستطاعت كلمة – لم أقلها أصلاً – مع راقصة متواضعة أن تفعله !! ..

وأضاف :

– لم أفعل شيئاً على الإطلاق .. مجرد إستسلمت ، رفعت يداى إلى أعلــى واستسلمت ، مادام قرار إيقاف (النادى الدولى) وإيقافى عن التعامل مع التليفزيون قد صدر من وزير الإعلام المسئول عن التليفزيون فلا فائدة فى عمل أى شئ .. صعدت إلى الطابق التاسع فى مبنى التليفزيون وقابلت الأستاذ عبد المنعم الصاوى وزير الإعلم وقتها الذى قابلنى متجهماً وقال لى ما معناه أن الرئيس السادات قد غضب جــداً مــن التعريض بإسم قريته فى النادى الدولى ، وبناءً عليه فإن علىّ أن أنتظر حتى ينجلــى الموقف !! .. وهكذا خرجت من مكتب وزير الإعلا بلا شئ محدد ..

وتصادف فى نفس الأسبوع أننى كنت على موعد مع عثمان أحمـــد عثمـــان الوزير السابق رئيس شركة (المقاولون العرب) وصهر الرئيس السادات ، وكان معه فى نفس اللقاء المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب وصهر الـــرئيس الســـادات أيضاً .. فسألانى عما حدث ورويته لهما ؛ فلم يجد كلاهما فيه ما قد يستدعى غضـــب الرئيس السادات إلى هذا الحد .. وأشركا معهما محمود أبو وافية – عـــديل الـــرئيس السادات – فى الرأى فلم ير هو أيضاً ما يمس الرئيس السادات أيضاً ، وتطوع لـــيكلم الرئيس السادات فى الموضوع ، ففوجئ بأن الرئيس أصلاً لم يشاهد هذه الحلقة بالذات من البرنامج ولم يعرف بما حدث فيها ، وسأل وزير الإعلام فى ذلك .. فلكى يبـــرر عبد المنعم الصاوى وزير الإعلام مسألة إيقافى (قلب فى الدفاتر القديمة) و(جـــاب لى القديم والجديد) كما نقول فى مصر ، لكى يبرر قراره بإيقاف (النادى الـــدولى) وإيقاف سمير صبرى معه..

سألت سمير :

* ما هو (القديم) الذى إستند إليه وزير الإعلام المصرى !؟ ..

– الحكايات والقصص المشهورة عن أن (النادى الدولى) هو عزبة سمير صبرى الخاصة يفعل فيها وبها كما يشاء وأستضيف من أشاء وأرفض من أشاء وأتكلم مع ضيوف البرنامج كما أشاء وأستغله فى الدعاية لنفسى كممثل سينمائى ..

* ألم يكن ذلك صحيحاً فعلاً !؟ ..

– قطعاً لأ .. لسبب بسيط جداً ، هو أن العكس تماماً هو الـــذى يحـــدث .. فيكفى أن ترفع تماضر توفيق أو ماما سميحة أو هند أبو السعود أو أحمد سعيد عبـــد الحليم أو أى مسئول غيرهم فى التليفزيون ، يكفى أن يرفع أى واحد فـــيهم ســـماعة التليفون فى مكتبه لـــ (يأمر) سمير صبرى بأن يستضيف فلان أو علان أو فلانة أو علانة ؛ لكى أكون (مضطراً) إلى أن أفعل ذلك وإلا فلن يستمر البرنامج ، كما حدث مع الراقصة فيفى عبده بالذات ؛ فإن هند أبو السعود هى التى طلبت منى أن أستضيفها ..



* لكن ماذا عن الضيوف الذين تفرضهم أنت على البرنامج !؟ ..

- يا صديقى تأكد أن سمير صبرى – أو أى مقدم براج آخر فى التليفزيون – لا يستطيع أن (يفرض) أى ضيف على برنامجه ؛ لأن المسألة ببساطة جداً هو أننى قبل موعد التسجيل بوقتٍ كافٍ لابد وأن أكتب أسماء الضيوف الذين أقترحهم فى كشف ، وهذا الكشف يرصع بـ ١٦ توقيعاً من كل المسئولين فى التليفزيون ، إبتداءً من تماضر توفيق وماما سميحة وسعاد خشيلة وهمت مصطفى وهند أبو السعود وأحمد سعيد أمين وأسماء أخرى كثيرة بحكم وظائفها .. وأى إعتراض على أى ضيف من أى واحد من هؤلاء الـ ١٦ يكفى لشطب إسم الضيف المقترح ، دون حتى أن يكون من حقى أن أناقش هذا الإعتراض ..

أذكر لك شيئاً يدهشك !؟ .. كم تتصور أننى أتقاضى من التليفزيون أجراً مقابل كل حلقة من حلقات (النادى الدولى) !؟ .. لا تتعب نفسك فى تصور الرقم لأنك لن تستطيع أن تذكر المبلغ الصحيح أبداً : عشرون جنيهاً فقط لا غير عن كل حلقة من البرنامج التى مدتها ساعتين كاملتين .. تصور !! ..

* لكنك لم ترد على سؤالى بعد : ما هو (القديم) بالتحديد الذى إستند إليه عبد المنعم الصاوى لاستمرار إيقاف النادى الدولى وإيقافك !؟ ..

- كلام فاضى وشكاوى كيدية قدمها واحد من الذين كانوا يشتركون من قبل فى إعداد البرنامج ثم إختلفت معه .. فقدم هذه الشكاوى ..

* من هو !؟ ..

– صحفى مصرى إسمه سمير سويلم ؛ إدعى أننى حين سجلت لقـاءً مـع السفير البريطانى فى القاهرة ساومته فى أن يوجه لى دعوة لزيارة إنجلترا وإلا فلـن أذيع ذلك اللقاء .. وأشياء سخيفة أخرى من هذا القبيل ، حققت معى فيها وقتها إدارة الشئون القانونية فى التليفزيون وثبت عدم صحتها فأهملت .. لكنها الآن عادت تطـل برأسها من جديد لأنه كما يقول المثل الشعبى المصرى (البقرة لما تقع تكتر سكاكينها !!) ..

* ذلك فقط !؟ ..

– ومشكلة أخرى كانت السفارة المصرية فى تركيا طرفاً فيها .. حين كنت فى زيارة إلى تركيا ولم أكن موفداً من التليفزيون المصرى فلم يكن معى أى أجهـزة تسجيل ولا تصوير ولا حاجة أبداً ، لكننى أردت أن أنتهز الفرصة وأسجل لقاءً مـع السفير المصرى فى تركيا ، فطلب هو من التليفزيون التركى أن يقدم لى التسـهيلات اللازمة لتسجيل هذا اللقاء .. فقدم فعلاً التليفزيون التركى مشكوراً كل التسهيلات من مصورين ومسجلين وعمال إضاءة وعمال كاميرات ، وقدم أيضاً الفيلم الخام الذى تم عليه التصوير ..وطلب التليفزيون التركى – وهذا من حقه طبعاً ، بل هـو أضـعف الإيمان – أن يرسل إليه الليفزيون المصرى فى مقابل التسهيلات التى قـدمها لـى ، أفلاماً لرقصات شعبية لفرقة رضا .. لكن التليفزيون المصرى ساق الشطارة والفهلوة وأراد ألا يقدم للتليفزيون التركى أى مقابل .. وكانت تأشيرة المسئول فى التليفزيـون المصرى تقول أنه إذا أراد التليفزيون التركى أن يحصل على أفلام لفرقة رضا فليدفع ثمنها !! .. فلما طلب التليفزيون التركى – وذلك من حقه أيضـاً – مـن التليفزيـون المصرى أن يدفع أجر التسهيلات التى قدمها التليفزيون التركى لسمير صبرى ؛ كان رد التليفزيون المصرى أنه لم يطلب هذه الخدمات ، وكانت أزمة !! ..

* وماذا أيضاً !؟ ..

– والحكاية المشهورة التى إدعت أن مذيعتى التليفزيون اللتين كانتا تشتركان معى فى تقديم (النادى الدولى) عند بدايته ؛ قد صالتا وجالتا فى مغامرات غرامية وسهرات على مستوى الأمراء والحكام حين كنا فى زيارة لأبو ظبى ، ذلك لأننا جميعاً ، أنا وهما ، قد إختفينا عن الأنظار فى أبو ظبى ليلة عودتنا إلى القاهرة ، وقيل أن سمير صبرى يعمل قواداً للمذيعتين اللتين تعملان معه ..

* سمعت هذه الحكاية وقتها ..

– كانت كاذبة ومختلقة ولا أساس لها من الصحة بالطبع .. كل الذى حدث هو أن عفاف عبد الرازق مذيعة التليفزيون المصرية التى كانت تعمل فى أبو ظبى أيضاً فى ذلك الوقت ، وكان معها زوجها الصحفى المصرى المعروف نبيل عصمت (أبو نضارة) ، قد وجها الدعوة إلى ثلاثتنا ليأخذانا فى سيارة عفاف فى زيارة إلى (دبى) لنستكمل مشترواتنا منها ونبيت فيها الليلة ، ومن مطارها نأخذ الطائرة فى الصباح التالى إلى بيروت فالقاهرة .. وحدث ذلك فعلاً .. ولم يتركنا نبيل عصمت وزوجته عفاف عبد الرازق لحظة واحدة حتى وضعانا على سلم الطائرة .. وذلك معناه أن المذيعتان كانتا بريئتان ألف مرة مما نسب إليهما ..

* ومع ذلك فقد أبعدتا من بعد هذه الحكاية عن الإشتراك فى تقديم (النادى الدولى) وأوقفتا عن العمل فترة ..

– كما حدث معى مؤخراً .. لم يثبت علىّ أى شئ ومع ذلك فأنا الآن مبعد وموقوف عن العمل أنا والنادى الدولى ..

* وما يقال عن أن سمير صيرى يستغل برنامج النادى الدولى لتدعيم عمله الآخر كممثل سينمائى !؟ ..

– تستطيع أن تقول العكس تماماً .. وهو أن سمير صبرى يستغل عمله وصلاته وإرتباطاته وعلاقاته كممثل سينمائى فى تدعيم برنامج النادى الدولى ..

* إشاعة سرت فى القاهرة عقب إيقاف النادى الدولى بأنك (هربت) إلى أوروبا .. وها أنت الآن فعلاً فى لندن !! ..

– أنا لم أهرب من مصر ولن أهرب من مصر ، فلم أفعل شيئاً يستحق أن أهرب من مصر من أجله .. وحتى لو توقف برنامجى فى التليفزيون وتوقف تعاملى مع تليفزيون القاهرة إلى الأبد فلن أترك مصر .. فأنا الآن نجم سينمائى معروف وواحد من فتيان الشاشة المصرية الأوائل .. يكفينى إذن عملى فى السينما .. وأنا أحياناً – حين يتسع وقتى – أغنى فى الأندية الليلية .. يعنى لن أجوع ولن أتشرد إذا توقف عملى فى تليفزيون القاهرة ..

* إذن ما سبب هذه الإشاعة !؟ ..

– كنت مرتبطاً بالمجئ إلى لندن لمدة أسبوعين لتصوير مسلسل تليفزيونى فى ستوديوهات لندن ، دون أى إرتباط بإيقاف النادى الدولى .. بالعكس : كنت قد سجلت عدة حلقات مقدماً من النادى الدولى لتذاع خلال فترة غيابى فى لندن .. لكن حين جاء قرار إيقافى عن العمل فى التليفزيون وإختفائى من القاهرة ومعرفة البعض بأننى قد سافرت إلى لندن ، تكونت الإشاعة هكذا وإنتشرت هكذا ..

* والذى تفعله فى لندن الآن !؟ ..

– صورت المسلسل التليفزيونى الذى كنت مرتبطا به ، وإسمه (خنجر فى ظهر الحب) قصة نبيل عصمت وإخراج محمد عبد العزيز ، وإشترك معى فيه يسرا ويوسف وهبى وسامية جمال وغيرهم ..

* لكنك فى لندن منذ أكثر من ٣ شهور ، وكان المفروض أن تبقى أسبوعين فقط !! ..

– يعنى .. سأعود إلى مصر قطعاً إن لم يكن اليوم فغداً .. فأنا واثق أن الأمر حين يبلغ مسامع الرئيس سوف يحسمه بعدله المعروف .. لكننى لست متعجلاً على العودة .. فإننى كنت محتاجاً فعلاً إلى فترة ألتقط فيها أنفاسى وأعيد حساباتى وأراجع خطواتى بالنسبة للماضى وللمستقبل .. لكن تأكد أنه ليس هناك أى شئ يمنعنى من العودة إلى مصر فى أى وقت .

نشر فى مجلة (الحوادث) اللبنانية فى صدورها من لندن – العدد ١١٥١ – بتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٩٧٨

لو لم أكن فنانًا لكنت ملاكماً محترفًا ..

الفنان فى مصر لا يستطيع أن يعيش من فنه !!

وأنا تلميذ كانت أكره الحصص الى قلبى هى حصة الرسم ، وأحب حصة إلى قلبى هى – طبعاً – حصة الألعاب !! .. واقصى درجة حصلت عليها فى الرسم كانت دائماً (النهاية الصغرى) يعنى ٤ درجات فقط ، يعنى ما يكفى لأن (أعبر) من سنة دراسية إلى أخرى .. وكانت هذه هى الدرجة التى حصلت عليها فى إمتحان الشهادة الإبتدائية رغم ان ترتيبى كان السابع على مصر كلها بفارق ٣ درجات فقط عن (الأول) .. يعنى لو كنت قد حصلت فى مادة الرسم على ٨ درجات فقط من ٢٠ لكانى ترتيبى الأول .. ولو مرة واحدة فى حياتى ..

لذا ، كنت طول عمرى أنظر الى الفنانين التشكيليين الذين يرسمون اللوحات وينحتون التماثيل على أنهم عجينة أخرى من البشر حباها الله بنعمة الفن ، ومن أن يشعروا بالتفوق والإمتياز على بقية البشر من أمثالى الذين لا يستطيعون أن يرسموا كرة بنج بونج ولا بيضة مسلوقة ، فما بالك إذا كان واحد منهم فناناً من نوعية ومستوى " صلاح طاهر " ..

مع الفنان " صلاح طاهر " كان هذا اللقاء الذى توغلنا فيه معاً فى ذكريات طفولته وصباه وشبابه ..

* * *

" أبداً لم يكن هناك أى حد فى أسرتى كلها له علاقة بالفن التشكيلى ، لكن كانت لهم علاقة بالفنون الأخرى : الأدب – الشعر – الموسيقي – الغناء .. أخوالى كانوا من هواة الشعر والموسيقى والغناء .. ووالدى كان يهوى الأدب والشعر.. وكان فى بيتنا مكتبة قيمة كبيرة من كتب التراث والأدب والفكر الإسلامى .. ومن حسن حظى أن وجدت فى طفولتى تشجيعاً من أخوتى ومن والدتى ومن أبى .. وكنت أصغر أخوتى فكان الوقت كله أمامى وحدى لأتشبع وأتشرب بكل الفنون التى كان يزخر بها بيتنا .. فمثل أى طفل كنت أرسم .. كل الأطفال يرسمون فى سن مبكرة جداً .. وكلما كان المناخ الذى يتربى فيه الطفل ملائماً كلما نمت هوايته للرسم والفنون وترعرعت فى جو صحى مشجع .. فكنت أرسم باستمرار .. ثم حدثت فى يوم من الأيام قصة غريبة جداً حكاها لى صديق لوالدى بعد حدوثها بعشرين عاماً " ..

* * *

" كان والدى وشلة من الأصدقاء يجتمعون دائماً فى مكتبة لبيع الكتب أسمها (المكتبة السلفية) فى شارع عبد العزيز قرب ميدان العتبة الخضراء ، كان يملكها " محب الدين الخطيب " الذى كان أديباً ومن كبار المثقفين ، وكان يخصص غرفة كبيرة فى المكتبة ليجتمع فيها شلة الأصدقاء المهتمين بالأدب فى شكل صالون أدبى من الصالونات التى كانت متعددة ومنتشرة فى ذلك الوقت .. وكان أبى يصحبنى معه دائماً إلى هذا الصالون وأنا طفل عمرى نحو ٦ سنوات .. وكنت أجلس مستمعاً مصغياً لكل ما يدور من أحاديث دون أن أشارك فيها طبعاً ..

وفى يوم من الأيام كان أحد ضيوف هذا الصالون الأدبى شاب سورى لسه راجع من إنجلترا مؤخراً ، اسمه " صلاح الدين العظم " من عائلة (العظم) الشهيرة فى سوريا .. فصلاح العظم هذا سألنى كما نسأل كل الأطفال عادة : " عايز تطلع إيه لما تكبر يا صلاح !؟ " .. فقلت له على الفور : " عايز أطلع فنان كبير رى رافييل " !! .. فاندهش " صلاح العظم " جداً أن طفلاً صغيراً فى هذا السن يكون قد سمع أصلاً عن رافييل !! ..



ومرت على هذه الواقعة ٢٠ سنة أو أكثر ؛ ثم إلتقينا بالصدفة أنا وصلاح الدين العظم فى إفتتاح معرض لى فى الإسكندرية ، فذكرنى هو بهذه القصة التى لم أكن أنا نفسى أتذكرها !! ..

ولغرام والدى الشديد بالأدب والشعر فقد كان مهتماً جداً بأن يجعلنى أحفظ قصائد الشعر وأنا فى سن صغيرة جداً ٨ أو ٩ سنوات.. وكان يكافئنى على كل قصيدة أحفظها بقرش تعرفة مكافأة – ٥ مليمات – وكان ذلك مبلغاً كبيراً وقتها بالنسبة لطفل فى سنى .. فحفظت قصائد رائعة للبحترى ، والمعلقات .. كل قصيدة بقرش تعريفة .. وطبعاً كنت أحفظها ولا أفهمها ، لأننى كانت عينى على القرش وليس على القصيدة .. وطبعاً كان ذلك أسلوباً غريباً من أبى أن أحفظ شيئاً لا أفهمه ، لكنه كان يعلم أن هذه القصائد سوف ترسخ فى ذهنى الصغير وتختزن فى اللاشعور حتى يجئ اليوم الذى قرأتها فيه وأنا كبير ، فتكون هى الركيزة الأدبية التى تكونت وأدخرت فى ذهنى منذ الطفولة ..

* * *

وفى نفس الوقت كانت تقام فى بيتنا صالونات موسيقية أو جلسات موسيقية للسيدات : كانت أمى وصديقاتها يجتمعن فى بيتنا يوماً محدداً كل أسبوع ، كان يسمى وقتها (يوم المقابلة) .. فيعزفن على العود والقانون والآلات الموسيقية الأخرى ويغنين الأغانى التى كانت ذائعة ومنتشرة فى ذلك العصر والموشحات القديمة والبشارف .. وكنت أنا – كطفل – مسموحاً لى بحضور هذه الجلسات الموسيقية الغنائية وأستمتع بها .. فتركت هى الأخرى أثرها فى نفسى وفى تكوينى الفنى ، حتى أننى فى سن الـ ١٥ بدأت أعزف على الكمان .. درست الكمان وعزفت عليه بإجادة لمدة تزيد عن ١٠ أو ١٢ سنة .. ولا زالت عندى هذه الكمان حتى اليوم ، وهى كمان قيمة جداً ..

* * *

كل هذه العوامل أكملت بعضها البعض فى تكوينى الفنى منذ طفولتى الباكرة .. وهى الأشياء التى تغرس من بدرى فى نفوس الأطفال فتظل تتفاعل بداخلهم حتى يجئ الوقت الذى تظهر فيه وتصبح جزءً من شخصيتهم وتحدد مستقبلهم ..

الحاجة الثانية التى أعتقد انها أثرت فى تكوينى وجعلت منى فناناً ؛ أن أبى كان يأخذنى معه إلى القناطر الخيرية ، وحدنا ، كل يوم أحد لنقضى اليوم كله فى حدائقها ونقعد تحت الشجر ندردش ونتكلم ونحكى .. ويشرح لى لماذا يختلف اللون الأخضر فى هذا الزرع عن اللون الأخضر فى النجيل الذى نجلس عليه أو زرع آخر، والفرق بين هذه الشجرة وشجرة أخرى ، وهذه الوردة ووردة أخرى ، وماذا يحدث لألوان النباتات حين تنعكس عليها أشعة الشمس وحين تكون فى الظل .. كلام على قدر عقلية طفل فى سنى ، لكن أبى كان يفتح أمامى أبواباً من المعرفة ومن التذوق الفنى أشعر الآن تماماً كم أنا مدين له بها .. وكان عمرى فى ذلك الوقت نحو ١٠ سنوات .

وقبل ذلك العمر وفى سن أصغر: ٤ أو ٥ سنوات ، كان أبى يقعد معى يحكى لى حكايات وحواديت خيالية أسطورية تفتح ذهنى وتجعلنى أتخيلها وأرسم لها صوراً

فى خيالي .. وهو أسلوب فى التربية عرفت فيما بعدما عندما كبرت ودرست علم النفس ، أن مسألة تفتيح وإشغال الطفل من سن ٣ أو ٤ سنوات حتى سن ٨ سنوات هى مسألة هامة جداً تظل نتيجتها وحصيلتها بعد ذلك مع الطفل طول عمره .. يعنى غرس بذور الخيال فى الطفل لتظل تنمو معه حتس تتفتح تماماً وتثمر تماماً وهو فى سن العشرين تقريباً .. وبعد سن الـ ٨ سنوات وحتى سن البلوغ تبدأ مرحلة قوة الملاحظة .. الأول خيال خرافى ، والآن قوة الملاحظة التى ترتكز على المشاهدة والمقارنة والتحليل والإستنتاج .. هذه مرحلة لابد وأن يمر بها الطفل وتأخذ وقتها حتى تثمر فى نهايتها شاباً يبدأ رحلته فى الحياة وهو مزود بكل ما شحن فيه فى مراحل طفولته وصباه ويفاعته ..

* هل كان الوالد يفعل ذلك معك أنت بالذات ، أم فعله مع كل أخوتك الذين سبقوك !؟ ..

– لا أعرف .. لأننى كنت أصغر أخوتى الأربعة ، وكان الفارق فى السن بينى وبين أكبر أخوتى ٢٠ سنة .. فيجوز أنه فعل ذلك معهم جميعاً ، ويجوز أن أفكار التربية هذه كان أبى قد توصل إليها (على كبر) فكانت من حظى أنا .. لكن المحصلة النهائية هو آننى الوحيد من بين الأخوة الأربعة – ولدين وبنتين– الذى أثمرت فيه هذه الطريقة فصار فناناً هو أنا فقط .. لكن فى نفس الوقت كانت أختى الأكبر منى مباشرة صاحبة صوت جميل وتغنى .. وكانت والدتى ترعى فينا جميعاً هذه النواحي ، رغم أنها كانت سيدة بسيطة لم تدخل الجامعة ولم تتعد فى دراستها المرحلة الإبتدائية شأن كل بنات عصرها وجيلها ..

* * *

وفى مرحلة البلوغ ؛ وهى مرحلة حرجة جداً ، وجدت نفسى – أيضاً دون سوابق فى العائلة – إهتممت بالرياضة جداً .. وفى سن الـ ١٨ كنت بطل القطر المصرى فى الملاكمة لعدة سنوات حتى سن الـ ٢١ أو الـ٢٢ ، فى وزن خفيف المتوسط .. وهى مسألة أخجل من نفسى جداً الآن كلما تذكرتها !! .. الرياضة البدنية

فى مرحلة البلوغ هامة جداً لتفريغ الطاقة الجسدية التى تكون متزايدة مع هذه السن .. إنما للأسف أنا (أقلعت) عن الرياضة حين إلتحقت بكلية الفنون الجميلة فانصـــرفت تماماً إلى الفن .. وكانت هذه واحدة من المتناقضات فـــى حيـــاتى .. كنـــت أهـــوى الموسيقى وأعزف على الكمان ، وأيضاً فنان ورسام .. وفى الوقت نفسه بطـــل فـــى رياضة عنيفة كالملاكمة !!.. يعنى مزيج بين رقة الموسيقى وســـمو الفـــن وعنـــف الرياضة !! ..

كنا وقتها نسكن فى مصر الجديدة ، وكان أحد أصدقائى يحتفل بعيد مـــيلاده ودعانى لأعزف على الكمان فى الحفل .. وكان من بين المـــدعوين صـــديق لوالـــد صديقى هذا هو الأديب الكبير " عباس محمود العقاد " الذى كنت أراه وألتقى به لأول مرة .. وكنت طول عمرى ولازلت مغرماً بالقراءة ، ومكتبتى الآن تضـــم ٢٥ ألـــف كتاب وعاملة لى مشاكل لأن الكتب قد أصبحت مكدسة فى كل مكان فـــى البيـــت .. وكانت دراستنا فى المدرسة الإبتدائية باللغة الإنجليزية إبتداءً من سنة أولـــى ، وكنـــا نجيد اللغة الانجليزية قراءة وكتابة وحديثا ونحن فى سن العاشرة .. فكان ذلك أكبـــر حافز لى على القراءة والإطلاع ليس بالعربية فقط لكن بالإنجليزية أيضاً .. وقـــرأت ضمن ما قرأت كتاباً مطبوعاً سنة ١٩٠٨ – ولازال هذا الكتاب عندى حتـــى الآن – إسمه (مختارات من شوبنهاور) .. " شوبنهاور " الفيلسوف الألمانى العظيم ، قرأته بالإنجليزية وأنا عمرى ١٨ سنة .. وكان " شوبنهاور " فيلسوفاً متشائماً يرى أن الحياة مليئة بالشرور وليس فيها شئ واحد جيد يجعلنا نتحملها إلا : الفن !! .. والمدهش أن " شوبنهاور " أيضاً كان يعزف على الكمان !! ..

* * *

المهم ، فى حفلة عيد ميلاد صديقى هذا تعرفت على " عباس محمود العقاد " .. فبعد أن عزفت على الكمان جلست إلى جوار الأستاذ " العقاد " أتكلم معه ، فسألنى مندهشاً : " إنت صلاح طاهر بتاع الملاكمة !؟ " .. قلت له : " آه " .. فضحك طويلاً وهو مندهش لهذا الفتى الذى يجمع بيت ترف الفن وعنف الرياضة .. ثم زادت دهشته

حين سألنى عن قراءاتى فتكلمت معه عن كتباب (مختارات من شـوبنهاور) الـذى كنت يادوب له مخلص قراءته .. فازدادت دهشة العقـاد أن وجـدنى قـد قـرأت " شوبنهاور " وبالانجليزية وأنا فى هذا السن .. فزاد والد صديقى على ذلك بـأن قـال للعقاد : " ورسام أيضاً وطالب فى كلية الفنون الجميلة " !! .. فطلب " العقاد " منى أن أذهب إليه فى صالونه الأدبى الذى يعقده فى بيته كل يوم جمعة .. وبالفعل إنضـممت إلى صالون العقاد وأنا عمرى ١٩ سنة ، وظللت لا أتخلف عنه أسبوعاً واحداً حتـى آخر يوم فى حياة " العقاد " حتى توفى فى عام ١٩٦٤ ..

* * *

وكان للعقاد فضل كبير فى تكوينى الفنى والأدبى بعد ذلك .. فقد كنت الإبـن الروحى له .. كان يتناول عشاءه فى الساعة الثامنة مساء بالضبط ، ثم يخرج من بيته بعد العشاء مباشرة ليتمشى حتى العاشرة أو العاشرة والنصف فى شـوارع وحـدائق مصر الجديدة الهادئة .. فكنت أحياناً أتعشى معه وأحياناً أذهب إليه بعد العشاء مباشرة ، لننزل لنتمشى معاً .. فيحكى لى وأحكى له عن آخر ما قرأه وقرأتـه .. ونتبـادل الرأى فيه والحديث عنه .. فكنا عاملين (صالون أدبى متحرك) كل ليلة بعد العشـاء .. فكنا نفعل كما كان يفعل أفلاطون وسقراط وأرسطو (مدرسة المشـائين) الـذين كانوا يتناقشون ويتحاورون وهم يتمشون .. هذه المرحلة من علاقتى بالعقاد أثرت فى تكوينى الفنى والأدبى تأثيراً كبيراً .. ففى ذلك الوقت رغم كل مشاغلى كنت أقرأ لمدة ٦ ساعات فى اليوم على الأقل حتى أستطيع أن ألاحـق " العقـاد " .. الآن تقلصـت ساعات قراءاتى إلى ساعة واحدة أو ساعتين كل يوم حسب ظروفى لأن مشاغل الحياة الآن أصبحت أكثر كثيراً .. رغم أننى أستطيع والحمد لله أن أستفيد من وقت يـومى كله ولا أبدد منه دقيقة واحدة ، وهذه نعمة من نعم الله الكبرى ..

* * *

وتركت الملاكمة والرياضة عموماً مرة واحدة ، وإنصرفت إلى الفن تماماً .. وتلك كانت أكبر غلطة فى حياتى عانيت منها كثيراً بعد ذلك .. لأن ترك الرياضة بعد

١٠ سنوات من ممارستها يومياً ينبغى أن يحدث بالتدريج وليس فى يوم واحد وبشكل قاطع هكذا .. لأن أجهزة الجسم التى إعتادت على الرياضة ترتبك .. فكانت النتيجة أن تعبت أعصابى حتى أننى إحتجت إلى العلاج .. حتى ألهمنى الله وهدانى إلى رياضة (اليوجا) – منذ ٤٥ سنة الان– فأمارسها الآن بمعناها الواسع وليس بمعناها الجسدى فقط ..

فقد صادفنى مرة فى نادى الجزيرة الذى أنا عضو قديم فيه ، زميل درس (اليوجا) على أستاذ متمرسٍ .. لأن (اليوجا) لابد وأن تلقن .. ثم توسعت أنا فى دراسة (اليوجا) حتى أننى تلقيت كورس فى اليوجا فى لندن .. وعندى الآن مكتبة كبيرة من كتب (اليوجا) جمعتها خلال رحلاتى المتعددة إلى أوروبا وأمريكا ..

* * *

سنة ١٩٦٢ كنت مديراً لدار الأوبرا المصرية ؛ فدعتنى أوبرا فيينا فى النمسا لزيارتها .. والنمسا هى أكبر شعب موسيقى فى العالم وأخرج أعظم موسيقيى العالم من مؤلفين وعازفين ، حتى أنهم فى النمسا يدرسون النوتة الموسيقية لتلامذة المرحلة الإبتدائية ، فيكبر الطفل النمساوى الصغير وهو يقرأ النوتة الموسيقية كما يقرأ لغته التى تربى وكبر عليها ..

وحين وصلت الى فيينا والفندق المحجوز لى فيه ، وجدت على باب الفندق الشيال الذى يستقبل النزلاء ويحمل حقائبهم الى داخل الفندق ثم الى غرفهم ؛ وفى الأسانسير فى الطريق الى غرفتى فوجئت بالشيال الذى يحمل حقيبتى يدندون جزء الكورال من السيمفونية التاسعة لبيتهوفن !! .. الشيال النمساوى يغنى بتهوفين وأنا مدير الأوبرا لا أستطيع أن أفعل ذلك !! ..

حكاية أخرى حدثت لى فى فيينا أيضاً : وأنا قاعد فى الأوبرا أتفرج على عرض أوبرا (دون جوان) .. على كل كرسى (أباجورة) صغيرة جداً حتى تستطيع أن تتابع البرنامج المطبوع فى يدك على ما يقدم على خشبة المسرح .. ومعظم الرواد يأخذون معهم النوت الموسيقية لما يعزف أمامهم .. ونحن نتابع

الموسيقى التمهيدية التى تسبق العرض قبل رفع الستار ، وهى جزء من موسيقى (دون جوان) نفسها ، وجئت بجارى فى المقعد المجاور لى يزغدنى منبهاً وهو يقول بدهشة شديدة : " المايسترو غلط " !! .. مشاهد عادى إكتشف أن المايسترو قد أخطأ .. لكن الناس هناك مؤدبين ومهذبين فلم يحدث لا تصفير ولا ضجة ولا زعيق ولا شوشرة لأن المايسترو قد أخطأ .. لكن جميع المشاهدين والمستمعين لاشك قد عرفوا – كما عرف جارى – أن المايسترو قد أخطأ ..

* * *

* أستاذ صلاح طاهر ، بالمناسبة ، هل نحن فى مصر شعب أوبرالى !؟ .. هل نحن نتذوق الأوبر ا؟ .. هل توافق الأوبرا بشكلها المعروف مزاجنا الشرقى !؟ .. هلالالالى، هلالالالو وحاجات كده لا تفهم تسعة أعشارها !؟ ..

– شوف يا سيدى العزيز.. هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات وكتب لبحثه .. لكن باختصار فإن القرن العشرين الذى نعيش فيه الآن .. العالم كله يسير ويتطور بسرعة جداً .. للإيقاع السريع فى التطور نحو العالمية ، والعالمية ليست فقط فى الإقتصاد أو فى السياسة ، لكن أيضاً فى الثقافة وفى الفنون ، هذا الإتجاه الى العالمية يفرض علىّ وعليك إستيعاب كل آفاق الفن وأن نتفاعل معها .. لازم كل الناس تعرف شكسبير وتقرأ شكسبير وتتفرج على مسرحياته .. وأنا أقول شكسبير على سبيل المثال لأنه معروف عندنا فى مصر .. فهل لأن شكسبير إنجليزى فالمفروض أن نتجاهله ونكرهه لأننا مصريين ونكتفى بمعرفة نجيب محفوظ وطه حسين والعقاد والمازنى لأنهم مصريون مثلنا !؟ ..

* الذى أقصده بسؤالى : هل نحن شعب متذوق للأوبرا ؟ .. أنا كنت أذهب للأوبرا مع أمى وأنا طفل وكنت أضيق بمشوار الأوبرا هذا .. وحين كبرت وقرأت وتثقفت واشتغلت صحفياً وعشت فترة طويلة من حياتى فى أمريكا وفى أوروبا برضه لم أستطيع أن أتذوق الأوبرا ، وحين أدعى إليها أذهب مرغماً من باب تأدية واجب إجتماعى أو صحفى فقط لا غير، لكننى لا أفهمها ولا أستمتع بها وأفضل عليها أن

أجلس فى بيتى أقرأ كتاباً أو أستمع إلى موسيقى – غير أوبرالية – وأنا محسوب على المثقفين ، فكيف بالإنسان المصرى العادى الذى لا نستطيع أن (نصنفه) مع المثقفين .. ؟!

– التذوق لمثل هذه الفنون الرفيعة كالأوبرا والباليه والموسيقى السيمفونية يحتاج إلى تربية منذ الصغر وأن ينشأ الطفل وهو يسمعها ويشاهدها وليس أن يفاجأ بها (على كبر) .. وذلك معناه أننا نحتاج إلى أن نربى الجيل القادم والأجيال القادمة على ذلك منذ الصغر ، أما الكبار الآن فإذا أحبوها وفهموها فكتر خيرهم ، ويعتبر ذلك مزاجاً شخصياً فردياً وليس مزاجاً أو تذوقاً جماعياً كالشعب النمساوى مثلاً .. التذوق العام لا يحدث فى يوم وليلة أو بقرار وزاري ، لكنه يحدث بالتدريج ومنذ الصغر ويكبر مع الناس حتى يصبح جزءاً من عاداتهم ومن علاقتهم بالفنون ..

* هل كان ذلك من واجباتك حين كنت مديراً لدار الأوبرا المصرية التى قضيت فيها ما يقرب من ثلاثة سنوات ونصف !؟ ..

– أبداً .. ولعلى لا أبالغ إذا قلت أننى كنت (مديراً شرفياً) لدار الاوبرا المصرية ، بينما كان الذى يدير الأوبرا فعلاً حد غيرى !! .. فأكبر مصيبة ممكن ان تلحق بالفنان هو أن تعينه الدولة موظفاً إدارياً ، وحتى لو كان وزيراً فهو برضه موظف إداري .. الفنان ينبغى أن تتركه الدولة لفنه ولفنه فقط .. لكن أن تشغله عن فنه وعن إبداعه بالذهاب إلى مكتب كل يوم والإنشغال بأمور المخازن والتوريدات ومشاكل الموظفين وده راح وده جه ، فتلك نكبة على الفنان تصيب فنه فى الصميم .. الفنان ينبغى أن يكون فناناً فقط ولا شئ غير ذلك ..

* * *

– أبى كان رجل أعمال يعمل بالتجارة والإستيراد والتصدير ، فى الوقت الذى أنا لا علاقة لى فيها بالتجارة على الإطلاق ، حتى عندما أبيع لوحاتى – وذلك نوع من التجارة – فأنا تاجر خايب جداً .. الوالدة لم تكن تعمل .. أنا أصغر ٤ أخوات بنتين وولدين .. أخ أكبر ثم البنتين ثم أنا .. أخى كان مهندساً مدنياً ، والبنتين لم تعملا

تكوينى خليط من ٤ عناصر: جد أبى كان هندياً وإسمه " محمد على الهندى " .. الجد الثانى لأبى كان سورياً ويقال أنه كان إيرانى الأصل ، جد أمى كان مصـــرياً من قرية اسمها (بهنس) .. جدها الآخر تركى .. فاجتمعت العناصر الأربعة : هندى وإيرانى ومصرى وتركى ، لكن أنا شخصياً مولود فى مصر فى العباسية الشرقية فى نفس الشارع الذى كان يسكن فيه الموسيقار مدحت عاصم فى البيت المجاور لنا تماماً وإن كان اسم الشارع قد ضاع من ذاكرتى الآن .. وكنا أصدقاء عمر أنـــا ومـــدحت عاصم ..

دخلت مدرسة الحسينية الإبتدائية ، ثم فؤاد الأول الثانوية ، ثم مدرسة الفنون الجميلة العليا ، اللى هى كلية الفنون الجميلة الآن .. كان مقرها وقتها فى شـــبرا ثـــم إنتقلت الى الجيزة وأنا معها حتى تخرجت فيها وهى فى الجيزة ، ثـــم حـــين قمـــت بالتدريس لمرحلة الدراسات العليا فيها كانت قد إنتقلت الى مبناها الحالى فى الزمالك .

أول وظيفة إشتغلتها كنت مدرس رسم فى مدرسة المنيا الإبتدائية.. ثم إنتقلت الى العباسية الثانوية بالإسكندرية ، وكان من بين تلامذتى فيها الدكتور " محمد عبـــد القادر حاتم " الذى أنشأ التليفزيون فى مصر وكان نائباً لرئيس الوزراء فى وقت مـــن الأوقات ، ثم نقلت الى القاهرة إلى مدرسة فؤاد الأول الثانوية التى كنت قبـــل ذلـــك تلميذاً بها .. ثم مدرساً بكلية الفنون الجميلة التى تخرجت فيها .. ثـــم عينـــت مـــديراً لمتحف الفن الإسلامى حين كان مقره إلى جوار سينما قصر النيل فى شـــارع قصـــر النيل .. ثم مديراً لمكتب وزير الثقافة الدكتور " ثروت عكاشة " فى ذلك الوقت ، ثـــم مدير عام الفنون الجميلة والمسئول عن الحركة الفنية فى مصر كلها .. ثم مدير عـــام لدار الأوبرا ، ثم المستشار الفنى لجريدة (الأهرام) منذ عام ١٩٦٦ حتـــى الآن .. يعنى أكثر من ٢٥ سنة الآن ..

وأنا من مواليد ١٢ مايو عام ١٩١١ .. دفعة الأستاذ " نجيب محفوظ " الـــذى كان تلميذاً معى فى فصل واحد فى مدرسة الحسينية الإبتدائية ثـــم فـــى فـــؤاد الأول الثانوية .. وكان أخاه الأكبر – الله يرحمه – هو مدرســـى الخصوصـــي ، وكنـــا –

ولازلنا – صديقين جداً أنا والأستاذ نجيب محفوظ .. أيضا من شلة المدرسة الابتدائية معنا الموسيقار " عبد الحميد توفيق زكى " بس هو كان أصغر منا شوية .. لكن بقيـــة شلة الزملاء والأصدقاء فى ذلك العهد إختفت وتوارات مع الأيام ، حتى أنه من النادر جداً الآن أن ألتقى بصديق من شلة زمان يذكرنى بنفسه ويقول لى فاكر لما كنـــا مـــع بعض واحنا صغيرين أو واحنا شبان ..

* * *

عندى إبن واحد هو " أيمن صلاح طاهر " ، وهو خريج كلية الفنون الجميلة أيضاً لكنه لم يكن أتلميذى ، فقد تخرج بعد أن تركت أنا الكلية بفترة .. وقد تعلق أيمن جدا برياضة الغوص تحت الماء ومزجها بهوايته للتصوير الفوتوغرافى تحت الماء ، وتخصص فى البحر الأحمر بالذات ودرسه دراسة جيدة حتى أنه حصل على شهادات فيه ، وهو يعتبر الآن عالماً متخصصاً فى البحار وفى البحر الأحمر بالذات ، وعمل أفلاماً كبيرة وهامة كتصوير سينمائى تحت الماء لحساب شركات يابانيـــة ويونانيـــة ومصرية .. وعنده مالا يقل عن ٣٠ ألف (سلايد) كلها تحت الماء .. وهو بصوره الفوتوغرافية يتحدى بها الفن التشكيلى وأقام معارض كثيرة فى كل أنحـــاء العـــالم .. وهو متفرغ تماماً لفنه وقادر على أن يعيش منه ..

ولان أيمن هو إبنى الوحيد فقد جعلنى جداُ منذ فترة طويلة .. حفيدى الأكبـــر عمره الأن ١٦ سنة وحفيدى الأصغر عمره ١٤ سنة .. الحفيد الأصغر هو فيلســـوف العائلة حتى أننى إشتريت له خصيصاً دائرة المعارف البريطانية .. وهو يعيش معـــى فى بيتى الآن بعد وفاة زوجتى ..

* هل لك تلاميذ تستطيع أن تقول أنهم (من مدرسة صلاح طاهر) !؟ .

– لأ.. لأننى كنت طول عمرى مشغولاً بفنى عن أن أعمل لنفسى تلاميذاً .. وإتجاهى التجريدى الأن مشهور ومعروف فى العالم كله وبيعتبر مدرسة جديدة مـــش فى مصر فقط لكن – وأقولها مع التواضع الشديد – فى العالم كله .. أنا عندى كتـــاب عن الفن التجريدى فى العالم كله فيه أسماء حوالى ٣٥٠ فناناً من كل أنحاء العـــالم ،

كلهم معاصرين .. لو طلعت منهم ١٠ بس فنانين عباقرة حقيقيين بصحيح يبقى كويس أوى .. ولو إفترضنا أن عدد المشتغلين بالفن التشكيلى فى العالم كله الآن ١٠٠.٠٠٠ فنان ، فلو قدرت تطلع منهم ٢٠ فنان عبقرى تبقى شرفت القرن العشرين .. فليس كل من تخرج فى كلية الآداب نجيب محفوظ وليس كل من تخرج فى كلية الحقوق توفيق الحكيم وليس كل من أمسك فرشاة فناناً عظيماً ..

* * *

– الفنان التشكيلى زى الشاعر .. الشاعر لا يكفى أن يكون متمكناً من اللغة العربية لكن يكون شاعراً جيداً ، لكن ينبغى أن يكون موهوباً كشاعر .. اللغة مهمة ، لكن الموهبة الشعرية شئ آخر .. الفنان التشكيلى الرسام مثلاً ، لا يكفى أن يكون قادراً على الرسم .. لأن القدرة على الرسم هى اللغة التى يتعامل بها الرسام ، كل رسام ، لكن الموهبة هى أن يستطيع أن يقول شيئا بالرسم .. وكما أن هناك شاعر وبس هناك رسام وبس .. وهناك أيضاً شاعر موهوب ورسام موهوب ..

ذهب شاب الى البحترى وقال له : أنا أهوى كتابة الشعر فبماذا تنصحنى لكى أكون شاعراً جيداً !؟ .. فقال " البحترى " : إذهب فاحفظ ألفى بيت من الشعر ثم عد إليّ ".. فذهب الفتى وحفظ ألفى بيت من الشعر خلال سنتين ثم عاد إلى " البحتري " وأخبره بذلك .. فقال له البحترى : " الآن اذهب فانسهم وعد إليّ مرة أخرى " !! .. والمقصود من هذه الحكاية أن الذى يريد أن ينتج فناً جيداً عليه أن يقرأ كثيراً ويتعلم كثيراً وينصقل كثيراً ويستفيد من خبرة من سبقوه .. ثم يبدأ بعد ذلك ينتج فناً يقدمه للناس .. وذلك لا يحدث فى يوم أو يومين أو شهر أو شهرين ، لكنه يحدث بعد سنوات طويلة من الغوص فى بحور الفن ، أدباً أو شعراً أو رسماً أو نحتاً أو موسيقى .. ثم بعد ذلك يبدأ الفنان الجيد يقدم نفسه ويقدم فنه .. فإن لم يكن لديه جديد يقدمه يختلف عمن سبقوه أو إضافة جديدة فيكون لا قيمة له .. " إسحق نيوتن " صاحب (نظرية الجاذبية) الشهيرة التى بنى على أساسها الطيران كما نراه الآن .. حين وقف ليلقى محاضرة فى جامعة لندن على جمهور كبير من مثقفى عصره ، قال لهم : "

إننى إذا كنت أرى أبعد ممن سبقونى فلأننى أقف على أكتافهم " .. وذلك هو بالضبط الفن فى كل فروعه : أن تستفيد وتتعلم من خبرة من سبقوك ، ثم تضيف أنت جديـــداً لمن سبقوك ..

نشر فى مجلة(المحيط الثقافى) القاهرية – العدد ٦٦ بتاريخ ١ / ٤ / ٢٠٠٧

محمد عبده .. المطرب وليس الشيخ !! ..

رغم أن زيارته للندن كانت سريعة لم تزد عن ٧٢ ساعة ؛ فقد جاء ليغنى في حفلة واحدة ، جاء قبل الحفلة بيوم وسافر بعدها بيوم .. لكننا خلال هذه الـ ٧٢ ساعة إلتقينا ٣ مرات .. إزددت بعدها إيماناً واقتناعاً بالمثل الشعبى المصرى الذي يقول قيراط حظ ولا فدان شطارة .. فإن مسألة الشطارة لو كانت هى وحدها التى لعبت دورها في حياة محمد عبده لكان الآن - على الأكثر - عاملاً باليومية يشتغل فى ورش اصلاح السفن فى ميناء جدة بالسعودية ، ولحرم العالم العربى من صوته .

صديقى محمد عبده .. من أنت !؟ ..

- أنا محمد عبده عثمان الجيزاوى ، من بلدة (صابية) بإقليم الحجاز بالمملكة العربية السعودية ، عمرى ٢٧ سنة ومولود في شهر رجب سنة ١٩٥٠ ، لكننى لا أعرف تاريخ ميلادى بالضبط بالشهور الإفرنجية .. أنا الرابع من خمسة أخوة : أختين وأخين غيرى .. أخ كان يعمل فى الحكومة السعودية وأصبح الآن تاجراً ورجل أعمال ، وأخى الأصغر منى يعمل فى الخطوط الجوية السعودية ، الوالد متوفى وكان يعمل (نوخودة) أو رباناً فى السفن الشراعية قبل أن تنقرض وتحل محلها السفن الحديثة .. وقد كان المفروض أن أعمل أيضاً فى البحر ، أو بالتحديد فى المهن المتعلقة ببناء السفن ، لأننى درست فى مدرسة الصناعة وحصلت على الدبلوم فى بناء السفن عام ١٩٦٤ .

□ ولكن !؟ ..

- لكن الذى حدث هو أننى كنت أهوى الغناء وكنت أغنى جميع الأغانى التى تصل إلى سمعى ؛ خصوصاً الأغانى الحجازية بحكم أننى من الحجاز ، والملكة السعودية لأنها مترامية الأطراف فإنها تضم حصيلة عظيمة من التراث المتنوع الذى يمثل أصالة الجزيرة العربية□. وبمجرد أن أنهيت دراستى قررت أن أتجه رأساً إلـــى الغناء . لكن أسرتى حاولت أن تجعلنى أعدل عن إحتراف الفن ، فإن إشتغال الرجـــل بالعمل الفنى فى السعودية ليس عيباً لكن فى الوقت نفسه لا يشجع عليه كحرفة مقبولة فى المجتمع .. لكننى كنت مصراً على أن أحترف الفن .. قد يكون إصراراً بلا مبرر وقتها لكننى أؤمن بأن أى إنسان يمكن أن يحدد أو يختار لنفسه مستقبله وخط سيره فى الحياة .. ما عدا الأشياء التى تكون خارجة عن إرادته ولا يستطيع أن يتحكم فيهـــا ، مثل الفن□□

□ والآن بعد أن أصبحت مشهوراً ؛ هل لا يزالوا يعارضون !؟ ..

- كان خوفهم على من ألا أستطيع الإستمرار أو النجاح فى الفن ، لكنهم بعد أن إطمأنوا على مستقبلى وأحسوا أننى أعطى من داخلى كفنان ، أصـــبحوا الآن راضين عنى ، وأنا أسير ببركتهم□.

□ وقبل أن تصبح مشهوراً !؟ ..

- كنت قد بدأت فى سن مبكرة جداً أغنى فى برامج الأطفال فى الإذاعة السعوية وعمرى ٨ سنوات .. ثم تمرنت فى قسم الموسيقى بالإذاعة السعودية كهـــاوٍ لمدة سنتين قبل أن يدرج إسمى كمطرب درجة ثالثة ، وكانت أول أغنية لى قصـــيدة مطلعها (أعلل القلب والفؤاد عليل ، وصبرى وقد عز اللقاء قليل) .. ولم تشتهر هذه القصيدة لأنها كانت كلاسيكية وتقليدية جداً ، كما أننى نفسى لم يكن صوتى فى ذلـــك الوقت ناضجا بعد كصوت متمرن□.

□ وأول أغنية إشتهرت لك !؟ ..



– كانت أغنية (الرمش الطويل) فى عام ١٩٦٧ وكان عمرى وقتها ١٧ سنة .. وأيضاً كان صوتى لم ينضج بعد كفاية ، وكنت حتى ذلك الوقت أغنى داخل السعودية فقط.

ثم !؟ ..

– أول مرة غنيت خارج السعودية كانت فى لبنان عام ١٩٦٧ أيضاً ، وهناك سجلت أول إسطوانة لى ، وكانت أغنية إسمها (صابية) أتغنى فيها بإسم بلدتى التى نشأت فيها أسرتنا .. نوع من محاولة إثبات شخصيتى وتقديم نفسى للناس لكى يعرفوا من أنا ومن أين .. ونجحت هذه الأغنية نجاحاً كبيراً لأنها كانت مرتبطة بإحساس الأصالة فى نفسى.

ثم !؟ ..

– رحت على القاهرة عام ٦٩ لأسجل عدة إسطوانات وعدة أغنيات للإذاعة .. وترددت على القاهرة كثيراً من وقتها ، وغنيت فى حفلاتها ، لكننى لم آخذ نصيبى من الشهرة فيها إلا فى عام ١٩٧٢.

□ بعد ٤ سنوات كاملة فى القاهرة ؛ لماذا !؟ ..

- حتى بدأ المستمع المصرى يتلمس فى صوتى شيئاً لم يسمعه من قبل من المطربين الموجودين فى ذلك الوقت ، شيئاً مختلفاً .. وكانت أول أغانى غنيتها فى القاهرة عام ١٩٧٢ هى (لاتردين الرسائل) التى كتبها " بدر محسن " و(أيووه) التى كتبها " دائم السيف " ، والأغنيتين من تلحينى .. واشتهرت الأغنيتان جداً وأحبهما الناس فى مصر ، وبدأت إذاعات القاهرة المختلفة تذيعهما كثيراً .. ومعهما جاءت الشهرة والحمد لله.

* * *

□ ألا تجئ الشهرة إلا إذا قدمتها القاهرة !؟ ..

- قطعاً .. لم يكن ممكناً أن أشتهر شهرتى العريضة التى أنا فيها الآن إذا لم أغنى فى القاهرة .. رضينا أو لم نرض فإن مصر هى الواجهة العريضة فى العالم العربى التى يمكن من خلالها تقديم أى نموذج من النماذج الفنية للعالم العربى كله .. وهى بحكم تقدمها فنياً وموسيقياً تستقطب إليها معظم المواهب والعناصر الفنية من مختلف أرجاء الوطن العربى والشرقى.

□ من الذى يلحن لك أغنياتك !؟ ..

- أنا .. من بعد نجاح أول أغنية لحنتها (الرمش الطويل) التى عرفت الناس بى فى السعودية إبتداء.

□ وملحنى القاهرة !؟ ..

- لحن لى بليغ حمدى أغنية واحدة لم يكتب لها النجاح للأسف ، هى أغنية (يا ليلاه) .. وكانت فيها (تيمة) سعودية ..

□ رغم أن بليغ حمدى يقول أنه أحسن ملحن فى مصر الآن ومنذ عشر سنوات !؟ ..

- أحسن ملحن فى مصر الآن بلا جدال هو رياض السنباطى.

□ وبعد رياض السنباطى !؟ ..

- محمد الموجى.

□ رصيدك الآن من الأغانى !؟ ..

- نحو ٢٠٠ أغنية .. أشهرها (لاتردين الرسائل) و(أيووه) و(أبعاد) و(دستور) و(خطأ خطأ) و(أنت محبوبى) و(جلبى ياللى) .. ومجموعة أغانى الأخيرة : (بعاد كنتم ولا قريبين) و(ليلة ليلة) و(أسمر عبر) و(ضنانى الشوق) و(بعد ١٦ سنة) و(مالك ومال الناس) .. وأغاني أخرى كثيرة.

* * *

□ شهرتك تسعدك !؟ ..

- حين إحترفت الفن ما كان فى مخيلتى أبداً أن هذا القدر من الشهرة سوف يكون من نصيبى .. لكننى إحترفت لإشباع غريزة الفن فى نفسى .. ومع ذلك فحين جاءت الشهرة شعرت أننى فى داخلى فى بعض الأحيان تعيس جداً ، لكن ليس للسبب التقليدى الذى يقول أن الشهرة تقييد لحرية الفنان ؛ لكن يبدو أن الفنان الذى يسعد الناس عادة لا يكون موفقاً فى إيجاد السعادة لنفسه شخصياً.

□ متزوج !؟ ..

- ليس بعد .. لكننى (متملك).

□ يعنى إيه (متملك) !؟ ..

- يعنى عاقد قرانى أو (كاتب كتابى) باللهجة المصرية .. يعنى تستطيع أن تقول أننى فى عداد الأزواج .. على وزن (فى عداد الأموات)!.

□ ياساتر .. الزواج ليس سيئاً إلى هذا الحد ؛ إنه أقل من ذلك قليلاً .. ومن هى سعيدة الحظ التى نقلتك إلى (عداد الأزواج) !؟ ..

- فتاة سعودية ليست من الأسرة لكنها من الجيران فى جدة .. لازالت طالبة فى المرحلة الدراسية المتوسطة .. وسنتزوج فى شهر شعبان القادم بإذن الله.

□ هل تظن أن الزواج قيد على حرية الفنان !؟ ..

- لا أظن أن هذا الكلام صحيح ولا أؤيده.

□ إذن هل ستصحب زوجتك معك فى رحلاتك الفنية !؟ ..

- حين يكون الفنان مرتاحاً ومستقراً فلا بأس طبعاً من أن يصحب زوجته معه فى رحلاته الطويلة ، لكن إذا كانت الرحلات قصيرة ولأيام قليلة فإن من الصعب على الإنسان أن يجعل زوجته تجرى وراءه فى كل مكان هكذا□.

* * *

□ أشهر مطرب سعودى الآن !؟ ..

- من أشهر المطربين السعوديين الآن ومن الذين يتسابقون على تقديم وإيجاد إنتاج جيد محمد عبده□.

□ وطلال مداح !؟ ..

- بدأت أنا وطلال مداح نغنى في القاهرة فى وقت واحد ، لكنه هو كان قد بدأ قبلى فى الحقيقة .. وطلال مداح أكبر منى سناً وفناً□.

□ بعد وفاة عبد الحليم حافظ ؛ من في تقديرك أحسن مطرب فى مصر الآن !؟ ..

- دون مجاملة ؛ لا أحد .. أحسن من يغنى فى مصر الآن محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي ومحمد رشدى .. محمد رشدى فى صوته الريف المصرى كله بكامل أصالته وفطرته□.

□ والمطربون الجدد !؟ ..

- أسمع فيهم جميعاً خلفية وظل عبد الحليم حافظ□.

□ مسألة خلافة أم كلثوم ..

- المقارنة صعبة بين أم كلثوم وأى واحدة أخرى قطعاً .. لكن يوجد على الساحة الفنية الآن وردة ثم نجاة ثم فايزة أحمد .. وأعتقد أن وردة هى أصلح صوت الآن يعبر□.

□ وفيروز !؟ ..

– حين تقارن بين فيروز وأم كلثوم في العالم العربى والعالم الغربى ؛ تجد أن أم كلثوم مشهورة جداً فى العالم العربى ، لكن فيزور أكثر شهرة عند المستمع الأوروبى لأنها غنت له بالانكليزية والفرنسية ، وحتي أغانيها العربية مستساغة بالنسبة للأذن الأوروبية.

□ هل معنى ذلك أنك تضع فيروز وأم كلثوم على مستوى فنى واحد : واحدة شرقى والثانية غربى !؟ ..

– قطعاً لا .. ليس هناك أدنى مقارنة بين صوت وموهبة فيروز بصوت وموهبة أم كلثوم .. لكن مسألة .الشهرة هذه مسألة أخرى ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد ١٨ – بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٧٨

سيد درويش .. قبل أن يصبح قطاع عام !! ..

فى ستوديو رقم ١ فى التليفزيون ، وأثناء تصوير أوبريت (العشرة الطيبة) إستعداداً لتقديمها فى ذكرى وفاة مؤلفها الفنان الخالد " سيد درويش " ؛ فوجئ العاملون فى الأوبريت ببرقية تقول بالحرف الواحد : (أوقفوا العمل فى أوبريت العشرة الطيبة وإلا سأحملكم المسئولية الأدبية والمادية) !! ..

البرقية كانت بتوقيع " محمد البحر سيد درويش " ، إبن سيد درويش !! ..

* * *

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يطالب فيها محمد البحر سيد درويش بإيقاف أى عمل فنى ينتسب إلى إسم أبيه من قريب أو من بعيد .. فقد بعث قبل ذلك ببرقيات إلى المسرح وإلى الإذاعة وإلى التليفزيون ، والسينما ، يطالب هذه الهيئات الرسمية بإيقاف العمل وتحميلها المسئولية الأدبية والمادية إن هى إستمرت فى ذلك !!

ولعل مثل هذه التصرفات تطرح تساؤلاً هو : هل ما يتركه الفنان من عمل وجهد وإنتاج هو حق مكتسب لأسرته توجهه حيث تشاء دون النظر إلى أن هذا الفنان هو إبن هذا الشعب ومن نتاج مرحلة معينة يمر بها الشعب ؛ وعلى هذا ففنه وجهده وإنتاجه ينبغى أن يكون للشعب أيضاً حق فيه ..

إن المشرع قد أدرك هذا الوضع فلم يتركه ؛ وإنما أعطاه إهتماماً خرج فى صورة قاعدة محددة توضح علاقة أسرة الفنان بفنه وعمله وإنتاجه ، كما توضح حق

الشعب فيما يتركه الفنان من تراث فنى .. والقاعدة صدرت فى عام ١٩٥٤ تحت رقم ٣٥٤ .. وبالرجوع إلى هذه القاعدة تجدها تجعل لأسرة الفنان الحق فى عمله وإنتاجه وجهده بعد موته ، وحددت لهذا الحق زمناً هو خمسون عاماً بعد وفاة الفنان ، بعـدها ينتقل الحق كله إلى الدولة .. معنى ذلك أنه بعد ٣ سنوات من الآن – ونحن الآن فى عام ١٩٧٠ – فى عام ١٩٧٣ يكون قد مضى على وفاة الفنان الخالد سيد درويش ٥٠ سنة ، وبعد ذلك تصبح كل أعماله ملكاً لكل الناس وليس لورثته فحسب .. وهذا هـو الوضع الطبيعى بالنسبة لأعمال فنان عظيم مثل سيد درويش .. لكن الغير طبيعـى حقاً هو أن يرد " محمد البحر " إبن سيد درويش حين واجهته بذلك قائلاً : " والله يـا أخى لن أفعل شيئاً .. يعنى هو أنا عرفت أعمل حاجة خلال الـ ٥٠ سـنة الماضـية حتى أستطيع أن أفعل شيئاً بعد أن تنتهى حقوقنا !؟ .. لكن الذى يهمنـى وأحـب أن أوضحه لكل الناس هو أننى مستعد من الآن للتنازل عن هذه التركة الفنية العظيمة لمن يصونها ويحرص عليها ولمن ترى الدولة أنه كفء لصيانة ألحـان وأعمـال سـيد درويش .. فأنا لو كنت أريد أن أستفيد منها مادياً بأى شكل – كما يتصور النـاس – كنت سافرت لبنان كما يفعل البعض ، وسجلت مليون إسطوانة وكسبت مـن ورائهـا مليون جنيه .. لكن أنا يهمنى الشكل وليس أى شئ آخر ..

ويستطرد " محمد البحر " قائلاً :

– على العموم أنا عمرى الآن ٦١ سنة ، وبما إنى موظف فى مؤسسة النقل العام فى الإسكندرية ، وبحكم كادر النقل العام يسمح للموظف بالإستمرار فى العمل حتى سن ٦٥ سنة ؛ على الرغم من هذا كله فإننى أفكر فى الإستقالة فى العام القادم حتى أتفرغ لتسجيل كل تراث سيد درويش على إسطوانات .. فلـو سـاعدتنى الدولة فلها الشكر والحمد .. أما إذا لم تساعدنى فسألجأ إلى أى طريق يوصلنى إلـى ضمان تسجيل هذا التراث النادر لمنع العبث به وتشويهه بعد موتى .. وآخر محاولـة لى فى هذا السبيل أننى وقعت عقداً مع شركة إسطوانات (صوت القاهرة) لتسـجيل إسطوانات من النوع الكبير الذى يطبع على كل إسطوانة ١٠ أغانى لسيد درويـش ، على أن تقوم بتسجيلها فرقة الموسيقى العربية بالذات ..



ولم أعلق على رده هذا ، رغم أنه كان قابلاً للتعليق ؛ وإنما بدلاً من ذلك أردت إستكمال صورة محمد البحر فى ذهنى من خلال إستمرار الحديث معه .. بحيث تكون أسئلة الحديث هى بعض الإتهامات التى توجه إليه ، ولكى أرى أيضاً إن لم تدنه هذه الإتهامات فمن تدين !؟ ..

* الإتهام الأول يقول أن والدك الفنان الخالد سيد درويش حين مات سنة ١٩٢٣ كان عمرك أقل من ١٠ سنوات ، وذلك معناه أنك لم تعاصره فى سن مناسبة للحفظ عنه شخصياً .. فى الوقت نفسه عاصره فنانون لازالوا أحياء حتى الآن ، فى مقدمتهم سيد مصطفى وعلى الحارس .. والإتهام هنا هو أن هناك من يحفظ سيد درويش أكثر منك ، وأنك حفظت ألحان أبيك نقلاً عن واحد منهم هو على الحارس ..

ويفكر محمد البحر قليلاً ثم يجيب كأنه يدافع :

– جزء من هذا الإتهام صحيح ، وجزء منه غير صحيح على الإطلاق .. فأولاً أنا من مواليد أول يناير سنة ١٩٠٩ ووالدى سيد درويش توفى كما تعلم فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، يعنى حين مات كان عمرى أكثر من ١٤ سنة ، وأعتقد أن هذا السن مناسب للحفظ ، خصوصاً إذا كان الحفظ من المنبع الأصلى أو المصدر الأصلى الذى أعيش معه فى بيت واحد .. وبحكم نشأتى مع سيد درويش وفى بيته كنت سميعاً وفاهماً ، يعنى بالبلدى (ودنى حلوة) .. وفى فترة السبع سنوات الأخيرة من حياة

سيد درويش كانت أعماله وألحانه وأوبريتاته تقدمها كل مسارح القاهرة فى وقتٍ واحد .. فكان يقوم بالتلحين للريحانى والكسار ومنيرة المهدية وجوق عكاشة وكـازينو دى بارى .. ولما كنت أنا إبنه الأكبر فكان دائماً يأخذنى معه .. ومن هنا كـان حفظـى لأغلب أعمال المرحوم والدى من بداية البروفات إلى إتمام اللحن ..

يعنى لما أكون معه فى بيت واحد تخرج وتولد فيه كل الألحان الجديـدة ؛ ألا أكون – فى هذه الحالة – أقدر على الحفظ من غيرى !؟ .. خاصة وأننى كنت أعـد نفسى لأكون مطرباً فى المستقبل ، وبالطبع كنت أهتم بكل ما يفعله والدى على إعتبار أنه هو نفسه مطرب .. ولا أنكر – بهذه المناسبة – أن والـدى كـان يـرفض هـذا المستقبل لى ويصر على ألا أكون مطرباً ، بحجة أنه لا يريد لى التعب والمعاناة ، أو على حد تعبيره (القرف والمرار) .. حتى أنه ذات يوم إزداد غضبه منى بسبب أننى كنت أريدأن أغنى إلى درجة أنه ضربنى بكرسى !! ..

أما فيما يتعلق بالأستاذ سيد مصطفى فهو كان ضمن فرقة علـى الكسـار ، وبالتالى فهو قطعاً يحفظ الألحان التى ألفها سيد درويش لهذه الفرقة .. لكن فيما عـدا هذه الألحان لا يستطيع سيد مصطفى أن يقول أنه يحفظ أحسن منى ، لأننا هنا علـى الأقل نتساوى فى حالة أننا نحفظها (سماعى) .. وفى الوقت نفسه أحب أن أذكر أن هناك ألحاناً لوالدى لا أنا ولا سيد مصطفى ولا أى واحد يستطيع القول أنه حافظها ..

ويسكت محمد البحر ليستمع إلى إتهامى الثانى :

* يقال أنك بتصرفاتك هذه قد إستطعت أن تمنع وتحجب أعمال سيد درويش العظيمة عن الأجيال الحالية التى لم تستمع إلى سيد درويش فى وقته ولا بعده بقليل ؛ وعلى هذا الأساس فإن الأجيال الحالية لم تتعرف على سيد درويش إلا حين قدمت من خلال أعمال الآخرين .. وأنه لولا وجودك لكانت أعمال سيد درويـش قـد وصـلت بانتظام إلى كل الأجيال الحالية من خلال سيد درويش مباشرة ..

ويرد محمد البحر ثائراً :

– هذا خطأ .. إن أعمال سيد درويش التى إعتبرتها الدولة (تراثاً قوميـاً) يهم البلد كلها ؛ إستباحها قلة من الناس لأنفسهم وكأن هذه الأعمال ليس لها صاحب .. وبعد ذلك تتهمونى بأن تصرفاتى منعت أعمال سيد درويش من الخروج إلى الناس !؟ .. أنا لم أمنع أى حاجة ، ولا حتى أنا قادر على منع حاجة .. الإذاعة والتليفزيون لم أتقاضى منهما مليم واحد عن إذاعة أعمال سيد درويش منـذ ١٠ سـنوات .. سـيد درويش نفسه كان شديد الإهتمام بوصول أعماله إلى الناس بأرخص ثمـن ممكـن .. والعقد الذى أعطيك صورته الآن وقعه سيد درويش مع المهندس " إميـل عريـان " لتأسيس شركة بينهما لطبع النوت الموسيقية لألحان سيد درويش وتوزيعها على الناس بسعر ١٠ قروش للنوتة الواحدة .. لقد وجدت هذا العقد فى جيب سيد درويـش يـوم وفاته ؛ فاعتبرت أن هذا العقد رغبته الأخيرة بل ووصيته لى على عمل لـم يمهلـه الموت لإتمامه ، تركه لى كإبن لأنفذه من بعده .. معنى هذا أن سيد درويـش كـان حريصاً على وصول ألحانه الصحيحة المضبوطة المكتوبة بالنوتة الموسيقية ، إلى كل الناس وبأقل التكاليف .. والعقد كما هو واضح أمامك موقع بتاريخ أول أغسطس سنة ١٩٢٣ ، ووالدى توفى فى ١٥ سبتمبر ، يعنى بعد شهر ونصف فقط من تاريخ العقد

* * *

* الإتهام التالى : يقولون أن الإذاعة كانت قد أعطتك الفرصة كمطرب يغنى ألحان سيد درويش كما هى ؛ إلا أن صوتك لم يكن مناسباً ؛ لذلك فـإن سـبب كـل غضبك وثورتك وبرقياتك وقضاياك هو أن الجهات الفنية تختار لألحان سيد درويـش الأصوات المناسبة لتغنيها ولا تختارك أنت ضمن هذه الأصوات !! ..

– أولاً أنا أحب أن أذكرك أن صوت سيد درويش نفسه لم يكن (صوت حلو) وإنما كان عريضاً وأجش ، لكنه كان ملحناً عبقرياً عظيماً جداً وممتازاً .. وبالنسبة لى أقول أنه لولا ألحان سيد درويش كنت لا أغنى ، ولا أحب أن أغنى ألحاناً خاصة لنفسى .. بدليل أننى سجلت للإذاعة ١٠٠ لحن من ألحان يد درويش ولم أحـاول أن أعمل لحناً خاصاً بى ..

وأحب أن أذكر أيضاً أن الذى منع إذاعة الـــ ١٠٠ لحن بصوتى هو المرحوم محمد حسن الشجاعى مستشار الإذاعة ، الذى كتب بخط يده – الله يرحمه – مـــذكرة تقضى بمنع صوت محمد البحر .. وبرغم وفاة محمد حسن الشجاعى منذ عدة سنوات إلا أن الإذاعة لازالت على موقفها منى ؛ فلم تذع الألحان المسجلة بصوتى ..

ومرة ثانية أكرر أن ثورتى وغضبى وقضاياى هى فى الأصل حرص علـــى بقاء أعمال سيد درويش بالصورة التى كان يحبها هو ..

* * *

* الإتهام الثالث : هذا الإتهام يذكرنى به ردك الأخيـــر حيـــث يقـــول : أن المرحوم محمد حسن الشجاعى كان قد سجل أوبريت (العشرة الطيبة) للإذاعة بشكل لو كان سيد درويش نفسه موجوداً لما كان ينتظر أفضل منه .. ومع ذلك فأنـــت قـــد رفعت قضية على الإذعة مطالباً بإيقاف إذاعة (العشرة الطيبة) ، وأوقفتها فعـــلاً .. والإتهام هنا هو أنك تريد (فلوس) بأى شكل عن أداء أعمال سيد درويش !! ..

– غير صحيح .. وللمرة الألف أقول لكل الناس أننى لا تهمنى الفلوس بقدر ما يهمنى أن أعمال سيد درويش تصل إلى الناس بالشكل الذى ألفهـــا بـــه والـــدى .. أعمال والدى ليست (فولكلور) يقولون عنه أنه ليس له صاحب ، وكل واحد يغيـــر ويبدل فيه كما يريد تحت إسم (التطوير) ، كما يحدث الآن فى الفولكلور المصرى ..

إن الدليل على أن الفلوس لا تهمنى هو أننى تنازلت فى عام ١٩٥٤ لـــوزارة الثقافة عن رواية (شهرزاد) ، وكانت النتيجة أن باقى الورثة رفعوا علـــىّ قضـــية طالبونى فيها بمبلغ ٥٠٠ جنيه !! ..

يجب أن يعرف الجميع أن الأمر ليس بيدى وحدى .. أنا مجرد حارس على التراث الفنى .. فهناك أخى حسن البحر ووالدته وأولاده ، وكلهم ورثة مثلى ، وهناك والدتى وأولادى أيضاً ..

وبالنسبة للفلوس ؛ ليست هناك جهة مسئولة تتكرم من نفسها وتطلبنا لتســلمنا حقوقنا .. بل العكس هو الذى يحدث باستمرار : نطالب بحقوقنا فلا نجد إستجابة وإنما

نجد نفس العبارة : " قدامكم المحاكم .. روحوا إرفعوا قضية " !! .. فنضطر إلى رفع القضايا .. وأضرب لك مثلاً بأوبريت (شهرزاد) الذى قدمته فرقة الإسكندرية مؤخراً : القاعدة المعمول بها أننا نأخذ فى اللحن الواحد ١٠٠ جنيه من مؤسسة المسرح ، كما حدث فى أوبريت (الباروكة) مع نفس المؤسسة .. وعلى ذلك يكون لنا ١٥٠٠ جنيه عن أوبريت (شهرزاد) التى فيها ١٥ لحناً .. تنازلنا كورثة عن ٥٠٠ جنيه مساهمة منا فى نشر وعرض أعمال سيد درويش ، وقمت بتحفيظ المشتركين فى الرواية كل الألحان الخمسة عشرة .. وجاء المسؤلون وشاهدوا العرض ورضوا عنه ، حتى أن السيد رئيس هيئة المسرح قال لى بالحرف الواحد : " أنا حاخلص لك كل حاجة فى مصر " .. ونزلت بعدها إلى القاهرة وقابلت السيد رئيس هيئة المسرح فى مكتبه ، فقال لى بالحرف الواحد أيضاً : " إحنا عملنا لك شيك بـ ١٢٠ جنيه " !! .. فقلت له مندهشاً : " الـ ١٢٠ جنيه دول هل هى أجر تحفيظى الألحان للمطربين !؟ " .. فقال : " لأ .. هذا أجر رمزى للرواية كلها .. إعذرنا .. الهيئة مافيهاش فلوس " !! .. قلت له : " يعنى إشمعنى حكاية الأجر الرمزى دى ماتجيش غير على دماغنا إحنا بس ورثة سيد درويش " .. ورفضت أن أتسلم الشيك.

* * *

* الإتهام الأخير يقول أنك صاحب أكبر عدد من القضايا بسبب سيد دويش.

ويرد محمد البحر على طريقته الخاصة :

- كل هذه الضجة من أجل ١٠ قضايا لا غير .. أربعة منها حكم فيها لصالحنا ، وواحدة حكم فيها ضدنا ، وخمسة لازالت منظورة أمام المحاكم .. وقد يعذرنى من يتهمنى لو عرف أن ما يدفعنى لرفع القضايا هو حرصى الشديد على تراث سيد درويش الذى إعتبرته الدولة (تراثاً قومياً) .. وفيما يتعلق بالقضايا المرفوعة منى ضد الإذاعة ؛ فإننى قابلت الأستاذ " مدحت عاصم " مستشار الإذاعة وعرضت عليه الصلح ، فطلب منى التنازل أولاً عن كل حقوقى وبعد ذلك (تفكر) الإذاعة فى الصلح .. فقلت فى ضميرى " بلاش .. خلينا كده أحسن !! ..

وينتهى الحديث مع محمد البحر سيد درويش بالإصرار على أنه برئ من كل الإتهامات .. فإن كان هو حقاً برئ من إتهامات يتفق عليها أكبر عدد من الناس ؛ فمن الذى يكون مداناً إن !؟ ..

هذا هو السؤال ....

نشر فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) القاهرية – فى العدد ١٠٣٥ – بتاريخ ١٦/ ٥ / ١٩٧٠

توفى محمد البحر سيد درويش فى ٣٠ / ٧ / ١٩٨٦

على بابا .. فى شوارع لندن !! ..

عزيزى القارئ .. أستأذنك فى أن يكون هذا اللقاء مـــع المطـــرب الشـــعبى المصرى " محمد طه " باللهجة العامية المصرية ؛ فإنه من الصعب جداً أن نتصـــور محمد طه وهو (يرطن) بالفصحى ، فلو كلمت محمد طه بالفصحى فإنه لن يفهمنى ، تماماً كما لو أننى كلمته بالإنجليزية ، وشئ طبيعى جداً أن تكـــون اللهجـــة العاميـــة المصرية هى (وسيلة الإتصال) الوحيدة بينى وبين المطرب الوحيد فى مصـــر الآن الذى يغنى على المسرح وهو يلبس الطربوش والجلابية !! ..

وحين إلتقيت بمحمد طه لم يكن قد مضى عليه أسبوع واحد بعد فى العاصمة الإنجليزية ؛ فدعوته إلى جولة سيراً على الأقدام فى شوارع لندن الرئيسية الهامـــة ، ولم يجئ محمد طه وحده ؛ إنما جاءت معه فرقته كلها بطرابيشهم الحمراء وجلاليبهم الفضفاضة .. وطبعاً كانوا بشلتهم (فرجة) فى أوكسفورد ستريت وبيكاديللى سيركس وترافلجار سكوير ومحطت الأندرجراوند .. نزلوا يتفرجون على لندن فتفرجت لندن عليهم .. وكان لدى الأطفال الإنجليز من التمييز ودقة الملاحظة ما جعلهم يكتشفون أن محمد طه هو كبير الجماعة ورئيسها ؛ فصاروا يشيرون إليه ويلوحون له بأيديهم وهم يصيحون : " آلى بابا .. آلى بابا " يعنى (على بابا) !! .. وحين دعوت محمد طـــه وفرقته ليركبوا الأندرجراوند كان سرورهم أعظم ..وجلس محمد طه إلى جوار سيدة إنجليزية فاخرة حسناء أربعينية بلاتينية الشعر ، فسعدت السيدة الأربعينيـــة لمنظـــره

ووجهت إليه كلاماً باللغة الإنجليزية لم يفهمه طبعاً ، لكن ذلك لم يمنعه من أن يميـــل عليها ليهمس فى أذنها باللغة العربية : " يا مسا الجمال والدلال والحسن ع الغـــالى .. والجميل إسمه إيه بأه بالصلاة ع النبى " !! ..

* * *

وكان حوارى مع محمد طه بعد ذلك غريباً جداً وفريداً فى نوعه .. فلم يكـــن فيه أسئلة وأجوبة بالطريقة الصحفية المعتادة ؛ إنما نستطيع أن نعتبره أنه كان (حواراً غنائياً) بينى وبين محمد طه ، غنائياً من طرف واحد فقط فأنا لا أغنى .. لكن كـــل سؤال وجهته إلى محمد طه رد عليه بالغناء ، حتى أننى تمنيت لو إستطعت نشر هذا الموضوع الصحفى على إسطوانة أو على شريط كاسيت يوزع على القراء مع المجلة .. !!

* عزيزى الأستاذ محمد طه ؛ هل هذه هى أول مرة لك تغنى فيها أوروبا !؟

- يا طبيب الجراح تعالى لى وشوف حالى ..

باعرف دوا الناس وماعرفشى دوا حالى

فت أبويا وأمى وولادى ضنا حالى

مشيت لفيت بقيت فى البلاد آخر الناس

ولفيت ما خليت بلاد العرب يا ناس

ورحت أمريكا وجيت لندن لقيت أهلى وحبايبى

وناس تعرف دوا الناس ولا تعرف دوا حالى

دا الصبر طيب

يا مسا الجمال والدلال والورد يا غالى

ع الحلو دور..

- فعلاً دى أول مرة أغنى فيها فى أوروبا وفى لندن ، لكن لفيت كل الـــبلاد العربية ، ورحت أمريكا قعدت فيها ١٧ يوم من حوالى ٣ سنوات .. كنت أنا وفرقتى



مع فرقة محمد عوض المسرحية ، وكانت معانا نبيلة عبيد .. وعملنا هنـــاك كمان فيلم إسمه (رحلة العجائب) أخرجه حسن الصيفى .. كنت طول عمرى قبل ده البلد الوحيدة فى أمريكا اللى أعرف إسمها وأسمع عنها هى شيكاغو ، وتصـــادف إن أول حفلة غنيت فيها فى أمريكا كانت فى شيكاغو .. كنت باسمع عــن شــيكاغو دى الضرب والسرقة والعصابات والمسدسات والمدافع الرشاشة ؛ فإتخضيت لما عرفــت نى حاغنى هناك ، وقلت للفرقة بتاعتى : " دا احنا رايحين نغنى فى شيكاغو يارجالة ، نعمل إيه ؟ .. مش واجب برضه ناخد معانا شوية مطاوى والا حاجــة !؟ " .. لكــن ربنا سلم وماحصلشى حاجة .. رحنا كليفلاند وسان فرانسيسكو وديترويت وبوســطن وواشنطن ونيويورك .. كانت الرحلة بترتيب من جمعية عربية فى أمريكــا بتجمــع تبرعات ..

* أكتر شئ لفت نظرك فى أمريكا !؟ ..

– الناس .. الناس هناك بتوع عمل وشغل وبــس ، مفــيش حاجــة إســمها أصحاب ولا حبايب .. مفيش حاجة أبداً تلهيهم عن العمل .. أما بالنسبة لأمريكا نفسها البلد والمبانى والعمارات والتقدم : عالم تانية خالص غيرنا ، حاجة فوق العقل وفــوق

الخيال .. وزرت هناك المركز اللى طلع منه الراجل اللى راح القمر فى سفينة الفضاء فى نيويورك حنب البيت الأبيض دوغرى – (عذراً للقارئ : مدن أمريكا كلها تتشابه عند رجل طيب كمحمد طه ؛ وضع هيوستون وواشنطن ونيويورك فى مكان واحد .. لكن لا بأس ، فكلها فى النهاية – وذلك هو الأهم – مدن أمريكية) –

* من الذين غنيت لهم فى أمريكا !؟ ..

– عرب وأمريكان .. أنا صوتى فيه طابع الريف المصرى الأصيل ، فالأمريكان لما بيسمعوا الصوت والنغمة المصرية بيشعروا أنهم بيسمعوا فن أصيل وكويس .. زى إحنا مثلاً لما بنسمع الأغانى الهندية وبننطرب لها من غير ما نفهم هما بيقولوا إيه ، لكن برضه بننطرب لها ..

* * *

* كنت أول صحفى كتب عنك فى بداية ظهورك سنة ١٩٥٨ ، يعنى من ٢٠ سنة بالضبط الآن ، حين ظهرت فى فيلم (حسن ونعيمة) .. ما الذى .....

ولم يتركنى محمد طه أكمل سؤالى وإنما إنفتح منشداً بطريقته المميزة الأداء :

ع الأصل دور وقول للنور يا قدرى
فالوا بتدرى المعانى أنا قلت من بدرى
يارب خلّى حسين واحفظ لنا قدرى
ويوم ما جيت لندن كان يومها ليلة قدرى

* أشكرك .. أكمل سؤالى .. مرت ٢٠ سنة منذ بدأت تصبح مشهوراً كفنان شعبى له طابع متميز .. ما الذى ....

محمد طه لم يهتم بمقاطعتى له وإنما إستطرد فى إنشاده يحيى الزميلة الإذاعية الأردنية " ليلى نجم " مقدمة البرامج فى إذاعة الــ ..ا العربية التى كانت تحضر لقاءنا لكى تسجل معه هى أيضاً يعدى :

أنا حسبت النجم لقيت فى النجوم ليلى

يا ما قيس سهر الليالى عشان ليلى
شمس الضحى تطل وتسلم على ليلى
وحسين حبيبى وطبيبى وحبيب ليلى

* أكمل سؤالى : ما الذى تطور أو تغير فيك كفنان خلال هذه الـ ٢٠ سنة ؟!

يرد على سؤالى ببساطة أبناء القرية المصرية :

كفاية أوى إنى قدرت أنقل موال القرية المصرية وغناء القرية المصرية إلى المدينة المصرية ، وبعد كده نقلت موال القرية المصرية إلى أمريكا ، وآدبنى معاك دلوقتى آهه فى بريطانيا ..

ويبدأ محمد طه فى الإنشاد مرة أخرى :

يا مصر يا معلمة الدنيا العلام والدين
وإدى الحبايب والقرايب بالأمان وإدى
ع الأصل دور .. آى آى آى يا عينى
يا رب لجل النبى بالقرآن راضينا
بمحمد وعيسى نبى الله نكسب أراضينا
ويبقى الصفا والوفا يسكن أهالينا
وتعود أرض سينا والقدس لاصحابها وتروق أهالينا
وأفرح وأغنى وأقول لمصر الجميلة الأصيلة عادت لبالينا

* محمد طه : لو لم تكن الفنان محمد طه لكنت قد أصبحت إيه !؟ ..

– كنت بقيت عسكرى زى الوالد .. والدى كان عسكرى فى السكة الحديد ، وكنت أنا حابقى عسكرى فى أى حتة .. وعمرى الآن ٥٠ سنة تقريباً ..

* من أين فى مصر !؟ ..

– أنا أصلى صعيدى لكن أمى من بحرى

لفيت جميع البلاد قبلى مع بحرى
يا طالب السعد أصل الهوا بحرى
المية من قبلى لكن الهوا بحرى
ع الأصل دور

– أنا من سوهاج ، صعيدى من قبلى ، لكن الوالدة من القناطر الخيريـــة ، بحرى ..

* عندك أولاد !؟ ..

قالوا تحب مين أغلى منك قلت الغالى إبنى
قالوا تحب مين أغلى منك قلت مفيش أغلى منى إلا الأصيل إبنى
أحب إبنى ولو فى القسمة يغلبنى
وأحب وطنى العزيز ولو حبه مغلبنى
وأحب إبنى سليم ولو عيان يتعبنى
أسهر الليالى عشان أطبب بنتى مع إبنى
وهو صغير أتمنى له النجاح والأفراح كتير يا ابنى
أبوس النار ما تحرقنيش أبوس خده يلهلبنى
آه يا حبيى آه
إنت الحبيب وطبيى آه ..

* كم عدد أولادك !؟ ..

عندى ولاد ، ولاد .. يا رب خلّى ولادنا ونجح كل الطلبة ونجح الأولاد وولادنا
يارب جميع الولاد والطلبة وولادنا
أنا إبنى صالح يكون صالح بأولادنا
وعندى يحيى .. المقام يحيى بأولادنا
وعندى سعيد وجمال جمال النصر لبلادنا
وعندى نادية وصباح أقيم الأفراح لبلادنا

وعندى كريمة ووداد النصر زاد فى بلادنا

آدى اللى خلانى أسيب الوطن وأتغرب وأعود لبلادنا

وأحفظ وداد البلد والولد وأقول يا مصر يا بلادنا

النار ولا العار ولا استعمار فى بلدنا

* كم أعمارهم !؟ ..

أنا إبنى صالح بكالوريوس تجارة

ونادية سنة نادية فى الثانوية

وكريمة فى الإعدادى يا رب نجحها

ويحيى فى الشرطة إلهى أشوفه فى رتب عالية

وسعيد يا رب نجحه السنة دية

وعندى صباح بكالوريوس تجارة وإدارة فى اللغة بسلام

عندى وداد وكريمة فى الكرم يا مدللة

ع الأصل دور

* ما شكل علاقتك بأولادك !؟ ..على إعتبار إنك راجل شعبى وطيب وبسيط وهم جميعاً متعلمين كما أرى !؟ ..

راجل بيكرم ضناه له حق داعيا له

مادام بيكرم ضناه يبقى الحق أول عياله

يحبوه الناس والإخلاص داعية له

وما أسعد الإبن لما الأم داعية له

مادام كرمت الأهالى طبعاً تعيش مرتاح

والخير يسعى إليك دايماً فى كل طريق

واللى إتوعد بالشقا قول لى منين يرتاح

واللى معاه ربنا يكسب فى كل طريق

ع الأصل دور .. وآه آه آى يا عينى

* لندن .. ما رأيك فيها !؟ ..

– لندن ؟ .. يا رب أشوف مصر زى لندن .. يا رب أشوف مصر فى عظمة لندن ..

* ما الذى أعجبك فيها !؟ ..

– أولاً الأمانة .. الأمانة فى العمل وفى التعامل وفى التجارة .. هنا مفيش فصال ولا مساومة ..

* وكيف تتفاهم مع الإنجليز !؟ ..

– والله هنا معانا صديقنا الأستاذ إبراهيم توفيق من المنصورة .. بقينا أصحاب وحبايب والراجل كتر خيره مش بيسيبنا .. ولما بننزل نشترى حاجة هو اللى بيتفاهم عننا وبيتكلم مع البياعين فى المحلات بالإنجليزى ..

* ألم تفكر أنت فى أن تتعلم اللغة الإنجليزية ما دمت قد بدأت تعرف الطريق إلى أوروبا وأمريكا هكذا !؟ ..

– آه ضرورى بإذن الله لازم آخد (كرسى) إنجليزى أول ما أنزل مصر – (يقصد " كورس ") .. لكن أنا هنا إتعلمت شوية كلمات إنجليزى ع الماشى كده .. يعنى لما أركب تاكسى وآجى نازل بأقول للسواق : " همتش " .. مش كده ؟ .. – (يقصد " هاو ماتش ") .. ومش مهم أسمع هوبيقول إيه لأنى مش حافهمه طبعاً .. لكن بأبص للعداد وأعرف هو مسجل كام وأعطيه الحساب بزيادة شوية علشان البقشيش ..

* هل تجد نفسك مشهوراً ومعروفاً فى شوارع لندن كما أنت فى مصر أو فى البلاد العربية !؟ ..

– آه طبعاً .. طول ما أنا ماشى فى الشوارع هنا الناس تشاور علىّ وتقول : " محمد طه آهه " .. وفيه ناس بتيجى تسلم عليا وتطلب تتصور معايا .. وفيه واحدة ست إنجليزية زى القمر قعدت جنبى فى البتاع ده اللى بيمشى تحت الأرض – (يقصد الأندرجراوند) – ميلت عليا وقعدت توشوش فى ودنى طول المسافة وأنا مش فاهم حاجة أبداً .. ويمكن لو كنت فهمت هى بتقول إيه كانوا بقوا تمانية ..



* هم إيه اللى كانوا بقوا تمانية !؟ ..

الحب لله ومن قصد الحلال مش عيب

ما دام محبة لله وحب الشرف مش عيب

أنا باحبك .. باحبك عجبى نور الحب داوينى

إتجوزت واحدة وإتنين وتلاتة وأربعة وخمسة

وستة وسبعة داوينى

وإذا كنت عيان مفيش غير الأولى تداوينى

* أفهم من ذلك أنك تزوجت ٧ مرات فعلاً !؟ ..

- آه .. إتجوزت ٧ فعلاً .. لكننى لم أنجب غير من الأولى ..

ليلى نجم الزميلة المذيعة الأردنية يبدو الذعر الحقيقى على وجهها وتصيح بلهجتها الأردنية الظريفة : " سبعة كيف !؟ .. مو معقول .. راجل واحد يتجوز سبعة !؟ .. ها النسوان كتيرات فى مصر لها الحد !؟ " ..

لم يفهم محمد طه لهجة ليلى الأردنية فالتفت إليها متسائلاً ، لكننى عاجلته بسؤال آخر حتى لا (يشبك) معها :

* هل تزوجت عن حب !؟ ..

ففكر قليلاً ثم قال بتردد :

ـ آه .. تقريباً !! ..

* المسألة ليس فيها (تقريباً) .. إنت ناسى إذا كنت قد أحببت أم لا !؟ ..

– يعنى .. ما هو مفيش شجرة ماهفهاش الهوى ..

* وغنيت للحب !؟ ..

– أغلب الأغانى بتاعتى عن الحب وعلى الحب : حب الرضا والقناعة ، وحب الأهل والوالدين ، وحب الأولاد وحب الوطن وحب الأخلاق السامية والعالية .. أمى دعت لى مرة وقالت لى : " يا إبنى إنت حا تلف بلاد العالم كلها ، روح ، ربنا يجعل فى وشك جوهرة وفى حنكك سكرة " ..

الحب غالى شغل بالى معاك يا جميل

بلاش معاندة وخصام خف الدلال يا جميل

إيه فايدة الحب من غير الرضا يا جميل

الله جميل ويحب كل جميل

ومادام باحبك أبيع الروح علشانك

وأطلب من الله فى كل مكان على شانك

الحب غالى وإنت قبالى ونور البدر من شانك

خدنى لحنانك ونسينى الكلام يا جميل

وقبل أن أفتح فمى لأوجه له سؤالاً آخر يعود لينشد من جديد :

ياللى إنت بتلوم على العشاق إعذرهم

أهل المحب فى (جورة) نار تعا زورهم

لو دقت طعم الفراق والحب تعذرهم

باتوا سهارى يطول الليل على حالهم

فاتوا البلد والولد وإنضنى حالهم

ياما سهروا الليالى على المحبوب دوا حالهم

لو شفت حالهم مع الأيام تعذرهم

الكلام بينى وبين الفنان الشعبى محمد طه ينتقل من موضــــوع لموضـــوع ، ونبتعد عن موضوع ثم نعود إليه بعد فترة .. فمع رجل بسيط وطيب مثل محمد طه لا تستطيع أن تضع أسئلة محددة تحصره وتحاصره فيها لأنه هو نفسه ممكن أن يتكلم فى موضوعين أو ثلاثة موضوعات فى الوقت نفسه !! ..

*أستاذ محمد طه : ماذا رأيت من لندن !؟ ..

- رحت الشارع اللى إسمه توكسفورت ده - (يقصد أوكسفورد ستريت) - ورحت الحتة اللى فيها عرب كتير اللى إسمها إيرس كورتو - (يقصد إيرلز كورت) - ورحت حتت كتير ماعرفهاش ..

* زرت متحف مدام توسو !؟ ..

- عايز أروحه إن شاء الله ، وكمان عايز أروح متحف الشمع ..

الزميلة " ليلى نجم " بسيطة وصريحة ؛ أرادت أن تصحح معلومات محمــد طه فتقول له أن متحف الشمع هو نفسه متحف مدام توسو ، فزغرت لها وهمست لها بحدة : " إسكتى " .. سمعنى محمد طه فقال على الفور :

أيوه هو ده .. هو بإسم واحدة ست .. هى إسمها إسكتى ؟ ..

لكن ليلى لم تسكت وشرحت لمحمد طه أن متحف الشمع هونفسه متحف مدام توسو .. لكن محمد طه مع ذلك لم يلتقط الإسم جيداً .. وصل إلى أذنه شــيئاً آخــر ، فأنشد :

مدام " تسوء " .. مادام تسوق العربية ودينى

على مدام " تسوء " ودينى أشوفها وأشوف شمعها بعينى

علشان متحف الشمع ده نور ونور عينى

وقبل ما أروّح مصر أتملى من لندن يا نور عينى

ثم يستطرد :

– أنا عايز أروح أحج أنا والفرقة بإذن الله .. رحت حجيت قبل كده ٣ مرات أنا وأبويا ومراتى ، وربنا كرمنى وبنيت جامع فى القناطر الخيرية وضميته لـوزارة الأوقاف بإسم (جامع الحاج محمد طه) ، وبرضه أنا اللى بأصرف عليه من خيـر ربنا

* السبب الأكبر فى شهرتك : الصحافة أم السينما أم الإذاعة أم التليفزيون أم الإسطوانات والكاسيتات !؟ ..

– الإذاعة طبعاً .. قبل ما أدخل الإذاعة كان الله يرحمه زكريـا الحجـاوى عامل فرقة إسمها (فرقة الفلاحين) .. وبعدين جلال معوض طلبنى أغنى فى حلقـة من برنامج (أضواء المدينة) .. ومن وقتها بدأت أغنى فى الإذاعة .. والكلام ده كان من ٢٢ – ٢٣ سنة ..

* يعنى كان عمرك وقتها ٢٧ – ٢٨ سنة .. حتى ذلك الوقـت مـاذا كنـت تشتغل !؟ ..

– كنت باشتغل عامل نسيج فى مصنع المحلة الكبرى وفى شركة كفر الدوار وفى شبرا الخيمة .. كنت وقتها غاوى فن وبأغنى فى أفراح العمال أصحابنا .. وفى سنة ١٩٥٢ بطلت النسيج خالص وكان أجرى أيامها جنيه بحاله فى اليوم ، وجنيه سنة ٥٢ كان حاجة كبيرة أوى .. وآخر مصنع إشتغلت فيه نده لى المدير بتاعه وقال لى : " يابنى صاحب بالين كداب .. يا تغنى ، يا تشتغل فى النسيج .. سأعطيك أجـازة ٦ شهور .. إذا مشيت كويس فى الغنا الله يسهل لك ، وإذا ربنا ماوفقكش تعالى تانى وأنا حاحجز لك وظيفتك " .. قعدت الست شهور دول متفرغ للفن تمام ، لكـن مـاكنتش باكسب ١٠ قروش فى اليوم طول المدة .. لكن الهواية وحب الفـن واخـدانى أكتـر وبقيت عايز أغنى وبس .. وبعدين ربنا سبحانه وتعالى أكرمنى وقامـت ثـورة ٢٣ يوليو فى مصر وغنيت وأخدونى فى الإذاعة ، وبعدها التليفزيون ، وبعدها السينما .. ومشيت الحال وربنا فتحها فى وشنا وبقينا عال الحمد لله ..

* ولما تحولت من عامل نسيج إلى مغنى ؛ ماذا كان رأى زوجتك !؟ ..

- هى ماإتخضتش ، لكن أبوها بس اللى حب يطلقها منى ، وأخد بنته عنده فى بيته فى القناطر الخيرية ..

* بسيطة .. وبعدين !؟ ..

- رحت لأبوها وقلت له خلاص يا عمى .. ما هو أصله عمى .. خلاص يا عمى حاأبطل غنا بس رجع لى مراتى .. فرجعها لى على الشرط ده .. وفضلت محافظ على كلامى لغاية ما وضعت طفلها .. أصلها كانت حامل وقتها فى إبننا البكرى .. يوم ما ولدت مارحتش مصنع النسيج اللى كنت باشتغل فيه ورحت غنيت فى فرح .. لما جه أبوها يقول لى إنت ياابنى مش وعدت بإنك خلاص مش حاتغنى ؟ .. قلت له : " آه .. بس الكلام ده أيام ما كانت حامل ، دلوقتى هى ولدت ، عايزها يااللا شيل مع السلامة ، خدها هى وإبنها " .. وهى قالت له : " خلاص بأه يابا ، خلينى معاه " .. وعاشت معايا من يومها لغاية النهاردة ، وهى أم كل ولادى .. والست لما يكون قلبها على قلب راجلها تعيش معاه ع الملح والتفاح !! ..

* * *

* ما الفرق بينك وبين محمد عبد المطلب !؟ .. أنت يقال عنك المطرب الشعبى محمد طه ، وهو يقال عنه المطرب الشعبى محمد عبد امطلب .. يعنى كلاكما مطرب وكلاكما شعبى .. ما الفرق بينك وبينه !؟ ..

- " طلب " مطرب أغانى ، أنا فنان موال .. أنا عندى موهبة إرتجال الموال ، لكن " طلب " يأخذ أغنية مكتوبة من مؤلف ويعطيها لواحد ملحن يلحنها له ويحفظ اللحن وبعدين يغنيه .. لكن " طلب " ماتقدرشى تعطيه إسم حد وتطلب منه يقول عليه موال ..

* من الذى يؤلف لك الكلام !؟ ..

- ما أنا قدامك آهه ، أنا مؤلف ..

* والذى يلحن لك أغنياتك ومواويلك !؟ ..

– ما أنا برضه قدامك آهه ، أنا ملحن .. هو الكلام واللحن بيطلعوا منى كده بالسليقة .. دى موهبة من عند ربنا ..

* من الذى يسمعك وأنت تغنى فى لندن !؟ ..

– كل الناس .. أولاً إخواننا العرب كتير ، من السعودية والمغرب والجزائر وليبيا والأردن ومن سوريا ومن مصر ، ومن لندن برضه ، آه .. ما هو لسة فيه شوية إنجليز فى لندن برضه .. ده أنا حتى سمعت إنهم بيفكروا يسموا إنجلترا (جمهورية بريطانيا العربية المتحدة) !! ..

* بتشعر أن هناك فرقاً بين الجمهور الذى يسمعك هنا والذى يسمعك فى مصر مثلاً !؟ ..

– آه .. هنا بيقى الجمهور مشتاق أكتر ومتجاوب أكتر .. ليه ؟ .. مصر مجالها واسع والفنانين فيها كتير ؛ إنما هنا فى لندن مفيش غير محمد طه أو وديع الصافى أو فهد بلان .. يعنى ٣ – ٤ فنانين محدودين وكل واحد فينا له لون .. والعربى اللى عايش هنا غريب برضه ..

يا اللى حبايبك بعيد يوم العيد راسلهم
ولو بجواب للأحباب إبعت وراسلهم
واللى باحبه بعت لى جواب
فرح فؤادى فى يوم العيد
طمننى على كل الأحباب
وعرفت إن الكل سعيد
ومادام حبايبى بخير وأمان
لازم أكون مسعود فرحان
وأقول يا رب فى كل أدان
إسترها إنت كريم وهاب

ـ الناس لما تسمع ده تهيص وتتبسط لأنها مشتاقة لبلادها العربية ..

* أستاذ محمد طه ؛ مثلت فى السينما !؟ ..

– كتير ..

* هل تتصور نفسك فى يوم من الأيام بطلاً لفيلم وتمثل أدوار الغـرام مـع سعاد حسنى وتبوس ميرفت أمين وتحضن نجلاء فتحى ، مثلاً يعنى .. وتلبس بنطلون جينز وقميص ملون نص كم وتروح تستناها على باب المدرسة وهى تقوم بدور تلميذة !؟ .. يعنى زى محمود ياسين وحسين فهمى ونور الشريف وحسن يوسف !؟ ..

الزميلة " ليلى نجم " الصريحة حديثة العهد بمحاورة الفـانين ومحاصـرتهم بالأسئلة المرحة المحرجة ؛ أخذت سؤالى على أنه غباوة منى أن أسأله سؤالاً كهذا ، لكنها (جت تكحلها عمتها) كما نقول فى مصر ؛ فـ (زامت) مستنكرة وهى تنظر إلىّ بحدة : " إنت مو شايف شكله !؟ " .. لكن ربنا ستر فلم يفهم محمد طه كلامها ولم ينتبه له ، فرد قائلاً :

لو حصل كده كانت مراتى تتخانق معايا وتسيب لى البيت وتمشى .. أصـل إحنا ناس فلاحين .. لكن أنا ممكن أطلع فى دور إبن بلد زى محمد رضا مثلاً .. لكن كل الأفلام اللى مثلت فيها قبل كده كنت بأطلع أغنى وأمشى وماليش دعوة بحـوادث الفيلم بعد كده ؛ يضرب يقلب ماليش دعوة .. لكن اللى حصل مرة إننا طلعنا فى فيلم مع فؤاد المهندس إسمه (فيفا زالاطا) ، طلعت أنا والفرقة لابسين كاوبوى وبـرانيط كبيرة زى الحلل كده ومعانا مسدسات .. كان شكلنا عجب .. ولما طلعنا نغنى ومعانا الأرغول الكبير إفتكروه مترليوز وضربوا علينا بالنار ..

* ولو تلقى إبنك صالح عرضاً من أحد المخرجين ليمثل فى السينما ، هـل توافق !؟ ..

– أوافق .. ما أوافقشى ليه .. يمثل ..

– ولو جاء نفس العرض لصباح لكى تمثل !؟ ..

– صباح !؟ .. ما هى صباح بتمثل ..

* صباح بنتك بتمثل !؟ ..

- لأ طبعاً .. صباح المطربة ..

* أنا أقصد صباح بنتك .. هل توافق على أن تمثل فى السينما !؟ ..

- لأ طبعاً ..

* إشمعنى وافقت على إن يمثل إبنك ، وبنتك لأ !؟ ..

وينشد محمد طه بيتاً واحداً فقط ، بصوتٍ عالٍ مجلجل :

العرض غالى وأنا غالى لأحبابك ..

ثم بعود ليستطرد :

- أنا صعيدى ، والصعايدة مخهم ناشف شوية ، فأنا مش حاقبل إن حد يبوس بنتى قدامى .. ماعندناش حاجة إسمها تمثيل بالنسبة للبنات ..

* هل سمعت عن الطلبة المصريين الذين يجيئون إلى لندن ليعملوا فيها خلال فترة الصيف !؟ ..

- بيتعبوا آخر تعب .. إبنى صالح جه مرة لندن فى الصيف قعد شهر ، صرف ألف جنيه ورجع مصر يجرى ..

* ولو بنتك صباح الطالبة فى الجامعة طلبت منك أن تسافر لندن وحدها كما سافر شقيقها صالح !؟ ..

- أقول لها لأ طبعاً .. وهى كمان ماتقدرشى تطلب منى طلب زى ده .. لأنها عارفة إنهم حتى مش بيروحوا المصيف لما أكون أنا مش موجود فى مصر ، ومراتى ماتخرجشى من باب البيت طالما أنا مش موجود فى البيت ، وحتى لو أبوها مات ماتخرجشى إلا لما أرجع وتقول لى ..

* محمد عبد الوهاب لحن لشكوكو ولحن لفؤاد المهندس .. هل لحن لك !؟ .

- يا ريت عبد الوهاب يلحن لى موال .. لكت برضه مش حايعرف يعمله زى ما ألحنه أنا ..

* * *

ويودعنا محمد طه وهو ينشد :

يا مسا الجمال والدلال والورد ع الغالى
ع الأصل دور
آه آه آى يا عينى
لو شفت جارك بخير إفرح له وإدعى له
ومهما يقسى عليك إحسن وداعى له
ياما أسعد الإبن لو الأب داعى له
كلامنا بلدى وتشهد له جميع الناس
وفى الكلام تورية وبرضه فيه جناس
وبحق سورة (تبارك) و(الضحى) و(الناس)
من حبته الناس تبقى الأهل داعية له
ع الأصل دور ..

نشر فى مجلة (الدستور) اللندنية – العدد ٤٠٣ – بتاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٧٨ ..

أبو الخير كله ..

الدكتور " زكى بدوى " ينادى بإسم والده .. فإن إسم والده هو " زكى بدوى " ؛ وإنما إسمه الشخصى هو " محمد أبو الخير " .. لكن لأنه موجود فى أوروبا بشكل دائم الآن ومنذ أكثر من ٣٠ سنة ؛ فهو – كعادة الأوروبيون – ينادون الشخص بلقبه وليس بإسمه الشخصى ؛ إذن هو هنا " الدكتور زكى بدوى " ، فقد إعتاد أن ينادى بلقبه وهو " د. بدوى " أو " د. زكى بدوى " ؛ حتى تعود على ذلك وأصبح هو القاعدة ؛ ولو نادى أحد عليه الآن بإسم " د. محمد " أو " د. أبو الخير " لأثار ذلك إستغرابه ودهشته ورن رنيناً غريباً فى أذنيه ..

د. محمد أبو الخير زكى بدوى لعله ألمع رجال الدين الإسلامى خارج الوطن العربى .. فكثير من المسلمين فى مصر لا يعرفونه ، رغم أنه مصرى ، وفلاح من أعماق ريف مصر .. لكنه معروف فى أوروبا منذ أكثر من ٣٠ سنة ، وهو أشهر رجال الإسلام فى بريطانيا ، وكل مسلم فى إنجلترا أو المملكة المتحدة يعرفه .. قد يكون صلى وراءه إماماً فى المركز الإسلامى ، أو يكون قد إستفتاه فى فتوى ما ..

– ولدت فى إحدى قرى مركز الزقازيق بمحافظة الشرقية فى عام ١٩٢٢ .. وتعلمت فى معهد الزقازيق الدينى ، وتخرجت فى عام ١٩٤٧ فى كلية أصول الدين بالأزهر الشريف .. وفى عام ١٩٥٠ أوفدنى الأزهر فى بعثة إلى بريطانيا حيث درست علم النفس وتخرجت فى (الكلية الجامعية [illegible]) بجامعة لندن ، ثم حصلت على الدكتوراة من جامعة لندن أيضاً .. وبعد عودتى إلى مصر

أوفدنى الأزهر فى عام ١٩٥٥ لإنشاء كلية إسلامية جامعية فى (الملايـــا) ، التـــى نسميها نحن العرب (الملايو) .. ثم إلتحقت بجامعة (سنغافورة) كأستاذ ، لكى أبدأ فيها بتدريس اللغة العربية والإسلام لأول مرة فى تاريخها فى عام ١٩٥٦ .. وفى عام ١٩٥٨ إنتقلت إلى (كوالالمبور) للمشاركة فى إنشاء جامعتها التى بدأت العمل فعـــلاً فى عام ١٩٦٠ .. وفى عام ١٩٦٤ دعتنى جامعة (أحمدوبللو) فى نيجيريا للعمل بها كأستاذ للدراسات الإسلامية ، لأنهم كانوا بصدد إنشاء قسم للدراسات الإسلامية علـــى نمط جديد يجمع بين الحديث والقديم فى نفس الوقت : يحتفظ بأصول الثقافة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه يستطيع وضع الإسلام بطريقة ســـليمة حديثـــة تواجـــه المشـــاكل المعاصرة .. وإستمررت بجامعة (أحمدوبلو) كأستاذ للدراسات الإسلامية ١٣ ســـنة حتى عام ١٩٧٦ .. وفى تلك الفترة إنتخبت عميداً للكلية عدة مرات ومديراً لها عـــدة مرات .. فى عام ١٩٧٦ دعتنى جامعة (الملك عبد العزيز) فى السعودية للتـــدريس بها كأستاذ باحث فى (مركز الحج والأبحاث) ، وعملت بها حتـــى عـــام ١٩٧٩ .. وكنت أؤدى عملى وأنا مقيم فى بريطانيا لأن عملى الأساسى كان البحث ومراجعـــة الأبحاث ، وحضور إجتماعات (مركز الحج والأبحاث) فى جدة من حين لآخـــر .. وفى خلال هذه الفترة ، فى عام ١٩٧٨ ، طلب منى أن أتولى إدارة (المركز الثقافى الإسلامى) فى لندن ، على أن يكون ذلك لمدة سنتين أضع فيهما أسس الإدارة ، حيث كانت مشاكل الإدارة ومشاكل المركز كثيرة وأواعه فيها شئ من الإضطراب .. وكان المفروض أن أنتهى من هذه المهمة فى عامين كما كان الترتيب ؛ لكن هـــذه المهمـــة إستمرت ٤ أعوام .. والآن أودعت أمور المركز على أصول وأسس واضحة وأموره تسير بشكل جيد الآن .. وكانت الصعوبة هى نفسها الموجودة فى كل المراكز الدولية عموماً ، والمؤسسات الدولية العربية على وجه الخصوص ، وهى المشاكل الماديـــة ، وكلنا فى الهم شرق .. أما فيما عدا ذلك فالحمد لله أمورنا تسير جيدة والمركز يقـــوم الآن بعمله وواجباته جيداً .. وفى الوقت الحاضر أنشأنا هنا فى بريطانيا مركزاً للدين الإسلامى ، وهو خارج عن (المركز الثقافى الإسلامى) .. الهدف من المركز الجديد



أن يكون مؤسسة يكون أعضاؤها من العلماء المتخصصين فى الشريعة فقط ، والهدف من ذلك أن يكون مؤسسة يلجأ إليها المسلمون للفتوى ، فتكون فتاوى بعيدة تماماً عن الأهواء والأغراض وتمثل فيها جميع المذاهب الإسلامية المعترف بها .. ولا توجد – بالمناسبة – فتوى ملزمة فى الإسلام .. الفتوى تلزم المفتى فقط .. ولكن توضع أمام السائلين الإجابة والفتوى حسب ما هو موجود فى المصادر الشرعية ، وحسب فهم أعضاء المركز للظروف إجتماعية التى تحيط بالمسلمين الذين يعيشون فى الغرب .. لأن مشكلتنا فى الغرب أن لنا ظروفاً خاصة وأحوال خاصة لا يستطيع رجل دين فى غير هذه البيئة أن يفتى فيها فتوى تسمع وتطاع ويكون لها معنى .. فلابد للمفتى أن يكون مدركاً للمصادر الألية للإسلام ، يكون مدركاً للشريعة ، يكون مدركاً لكتب الفقه ، يكون مدركاً للقرآن والحديث .. مدركاً لكل هذا ؛ وفى الوقت نفسه يكون مدركاً للظروف الإجتماعية المحيطة به حتى يتحقق مقصد الشريعة .. لأن الشريعة تهدف لأغراض خاصة لابد من وقوعها .. فكل ما يحقق غرض الشريعة يكون شرعياً ، وكل ما يعارض غرض الشريع يكون غير شرعى .. فالهدف الأساسى إذن أنه لابد وأن يكون هناك من يفتى الناس على علم بأحوالهم هنا فى الغرب .. وهذا المركز الجديد فى طريقه إلى التسجيل الآن فى بريطانيا كمؤسسة خيرية ، المفروض أن يكون أعضاؤها خمسة أعضاء على الأقل .. وموجود الآن فعلاً خمسة من المؤهلين الجديرين ، لكن الباب مفتوح طبعاً لكل العلماء الموجودين فى الغرب أن

ينضموا إلينا : الشيخ جمال مناع ، الشيخ زهران ، الشيخ حامد خليفة ، وأنا .. ونحن نمل أن يعين إخواننا العراقيون ، أو العرب الشيعة واحداً ، وأن يعين (الزيدية) واحداً أيضاً ؛ حتى تكون الجالية العربية الإسلامية الموجودة هنا فى الغرب ممثلة كلها ، وتكون وجهة نظر كل مذهب من المذاهب الإسلامية ممثلة وموجودة فى المركز الجديد ..

* * *

دكتور " محمد أبو الخير زكى بدوى " لديه بنت وولد ، ليلى وفارس :

- ليلى عمرها ٢٣ سنة ، تخرجت فى كلية العلوم بجامعة لندن قسم الـ (مايكروبيولوجى) ، وبعد تخرجها فى كلية العلوم فهى تدرس الآن : القانون !! .. تريد أن تتخصص فى القانون وتطبيقه على الأسس العلمية ، وذلك موجود فى بريطانيا .. رئيسة الوزراء نفسها مسز " ثاتشر " تخرجت فى كلية العلوم قسم الكيمياء الحيوية ثم درست القانون .. فارس عمره ١٩ سنة ، وهو فى طريقه إلى الجامعة الآن ، ولازال يختار بين أن يدرس الأدب الإنجليزى أو يدرس الإقتصاد ..

زوجتى إنجليزية ، أسلمت فى عام١٩٥٢ قبل زواجنا بأربع سنوات ، فى عام ١٩٥٦ .. كنا زميلين فى نفس القسم عندما كنت طالب بعثة فى بريطانيا ، لكننا لم نكن صديقان فى ذلك الوقت .. إهتمت بالإسلام وقرأت فيه كثيراً ثم أسلمت .. وسافرت إلى الملايو وعدت إلى لندن عام ١٩٥٦ حيث إلتقينا مرة أخرى وتزوجنا فى نفس العام ..

توفى الدكتور " محمد أبو الخير زكى بدوى " فى ٢٥ يناير عام ٢٠٠٦ ..

بليغ حمدى .. هل أنت مغـرور !؟ ..

أنا أحسن ملحن فى مصر الآن ..
وكل الموسيقى الشرقية منقولة عنى !! ..

لو أن طالب الجامعة " بليغ عبد الحميد حمدى " كان قد أتم دراسته فى كليـــة الحقوق بجامعة القاهرة لكان قد أصبح الآن ، من المؤكد ، محاميـــاً درجـــة عاشـــرة يترافع أمام محاكم القاهرة الإبتدائية فى قضايا النشل والسرقات الصغيرة ومشاجرات نساء الحوارى والضرب بالشوم وبالروسية ، ويمكن – لو ربنا فتح عليه – يترافع فى قضية إختلاس ٤ جنيهات و٣٢٨ مليماً ناقصة فى عهدة موظف غلبان فى أحد دواوين الحكومة المصرية ..

لكن لأن الفن موهبة من عند الله يمنحها لمن يشاء ؛ فقد أصبح طالب الحقوق الفاشل " بليغ عبد الحميد حمدى " هو (أشهر) ملحن فى العالم العربى الآن

* * *

فى فندق [والدورف هوتيل] فى وسط لندن كان بينى وبين " بليغ عبد الحميد حمدى " الشهير بـــ " بليغ حمدى " هذا اللقاء ..

- عزيزى بليغ حمدى ، لو دخلنا فى الموضـــوع مباشـــرة دون التمهيـــدات والمناورات : ما هو موقعك الآن بين الملحنين المصريين !؟ ..

– هذه المرحلة سوف تترك للتاريخ ليقيمها .. فهناك وسائل وأساليب لبروز أشخاص وتسليط أضواء خاصة عليهم .. لكن هذه الأضواء سوف تنتهى بمجرد إنتهاء هؤلاء الأشخاص ، وبعدها يكون التاريخ كفيلاً بتحديد الحجم الحقيقى لكل واحدٍ منهم .. وأنا مؤمن بأن فترتنا هذه بالذات سيعاد تقييمها يوماً ما ..

* السؤال لازال قائماً : ما هو موقعك الآن بين الملحنين المصريين !؟ ..

– فى إقتناعى الشخصى أننى كنت خطوة فى البحث عن التراث الشعبى المصرى ومحاولة إيجاد (باسبور) أو (هوية) أو (شخصية) لألحاننا .. إيماناً منى بأن الإغراق فى المحلية هو طريق الوصول إلى العالمية

* لم يكن ذلك رداً على سؤالى ؛ لذا سوف أسأله بطريقة أخرى : من هم أحسن خمسة ملحنين فى مصر الآن ، بالترتيب !؟ ..

– بليغ حمدى ، كمال الطويل ، سيد مكاوى ، محمد الموجى ..

* هؤلاء أربعة فقط ، أليس هناك خامس إذن !؟ .. كما أنك لم تذكر محمد عبد الوهاب ولا رياض السنباطى ..

– أنت تتكلم عن من يصنعون فناً الآن .. رياض السنباطى فى (الشرقيات) ، كان .. محمود الشريف لا يجارى .. محمد عبد الوهاب إتجاه وحده .. هؤلاء (كانوا) .. إتجاهات ليس لها علاقة بنا نحن الذين نصنع الفن فى مصر الآن .. إتجاهاتهم كانت مرحلية ولازال ممكناً أن يستمروا ، لكن ليس بنفس القوة التى كانوا عليها زمان ..

* يفهم من كلامك أن عبد الوهاب قد توقف !؟ ..

– من زمان .. ما يقوله عبد الوهاب لحناً الآن قاله منذ سنوات طويلة ولم يعد لديه جديد يقدمه .. ورياض السنباطى حدد نفسه فى الكلاسيكية الشرقية وأيضاً لم يقدم فى السنوات الأخيرة جديداً فيها .. لكن محمود الشريف لأن إلهاماته كلها من الشعبيات فإنه من الممكن أن يفاجئنا فى أى لحظة بعمل جديد ..



* فرضاً أن كل جيل لابد وأن يقدم جديداً وإلا ما حدث التطور .. ما الجديد الذى قدمه جيل ما بعد عبد الوهاب !؟ ..

– أنا قدمت ما يغنيه هذا الجيل منذ ١٠ سنوات وحتى هذه اللحظة .. ليس فى مصر وحدها بل فى المنطقة العربية كلها .. فكل الألحان التى قدمتها مشتقة من الشعبيات المصرية والعربية ، ولم يكن أحداً ممن يصنعون فن الموسيقى ملتفتاً إلى هذا التراث الهام الواضح الشخصية فى الموسيقى .. وبعدى إتجه ملحنو العالم العربى من السعودية إلى تونس والمغرب لينهلوا منه .. وذلك ما حدد الشخصية العربية فى الموسيقى ..

* فى أوروبا نستمع إلى الأغنية الأوروبية بنفس اللحن من أكثر من مطرب وأكثر من مطربة ، وأحياناً نسمعها بنفس اللحن بأكثر من لغة أيضاً : بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية ، وهكذا .. كملحن : كيف ترى ذلك !؟ ..

– ذلك هو ما أنادى به أنا من زمان .. قلت أن من حق أى مطرب يشعر بلحنٍ ما غناه غيره ؛ أن يغنيه هو أيضاً بطريقته .. سيكون ذلك زيادة فى إسعاد الأذن العربية حين يستمع كل واحد إلى الأغنية التى يحبها من الصوت الذى يحبه ..

وإختلاف اللهجات فى المنطقة العربية سيعطى تجديداً إذا غنيت الأغنية الواحدة بأكثر من لهجة .. فنحن فى مصر مثلاً فى وطن واحد تختلف فيه اللهجات من الإسكندرية إلى بورسعيد إلى الصعيد إلى النوبة .. فما بالك بالوطن العربى كله وكل دولة فيه لها لهجتها الخاصة أو حتى لهجاتها الخاصة .. وحين غنى كل من عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة أغنية (لا تكذبى) أحبها من نجاة الذين يفضلون صوت نجاة ، وأحبها من عبد الحليم الذين يحبون صوت عبد الحليم ، وأحبها من عبد الوهاب الذين يحبون صوت عبد الوهاب ، وهكذا ..

* ولو لحن بليغ حمدى لفيروز ، ولحن ملحن سعودى لوردة ، مثلاً .

– الموسيقى فى المنطقة العربية كلها ، بما فيها المغرب العربى ، إذا تداولناها فى نسبها وإيقاعاتها وتعبيراتها على أصوات مطربين ومطربات من هذه المنطقة كلها ؛ فذلك إثراء لفن الموسيقى ليس فى المنطقة العربية وحدها ؛ إنما قد تصل هذه الألحان إلى العالم كله ..

* بدأت حياتك مطرباً ، ثم تحولت إلى ملحن منذ فترة طويلة ، والآن أنت أيضاً تكتشف فى نفسك مؤلفاً للأغانى .. أليس ذلك تبديداً لطاقتك الفنية !؟ ..

– بالضبط بالضبط بالضبط أنا لا أؤلف أغانى ؛ لكن فكرة الأغنية ، وذلك موجود فى العلم كله ، قد تنبع من عند الملحن وقد تبدأ مع المؤلف أو الشاعر ويندمج هو والملحن فى تكملتها .. والذى يحدث معى هو أنه أحياناً تكتمل فكرة متكاملة فى داخلى نظماً وموسيقى ، فأضعها على النوتة الموسيقية كاملة .. لكن هذه مجرد تجارب ليست مستمرة بالنسة لى .. وعلى أى حال فإن شارلى شابلن كان يفعل ذلك ، وشارل أزنافور يفعل ذلك الآن .. ، فهو يكتب أغنياته ويلحنها ويغنيها .. وفى أوروبا يفعلون ذلك وإن كنت لا أتذكر منهم الآن غير شارل أزنافور ..

* يقال أنك تتدخل بالتبديل والتعديل فى كلمات الأغنيات التى تلحنها ، وأنت ملحن ولست شاعراً أو مؤلفاً غنائياً ..

– أنا لا أستطيع أن آخذ أى كلام أغنية قضية مسلماً بها ، وإذا إحتجت إلـــى تغيير حاجة منه فيجب أن أناقشها مع المؤلف حتى أقتنع بها ، فإذا لم أقتنع فلا بد من أن تتغير ، لأننى لن ألحن كلاماً أنا غير مقتنع به .. فمثلاً أغنية عبد الحليم حـــافظ (على حسب وداد جلبى) حين قدمها لى مؤلفها " صلاح أبو سالم " كانت الفكرة فيهـــا حلوة لكن السياق أو الكوبليهات لم تكن مرتبة بالشكل الذى فى ذهنى ، إذ كان الكـــلام فيها على أنها أغنية عادية وليست أغنية شعبية .. ولكى تتلحن بإطار شـــعبى عـــادى أعدنا صياغة الكلام مرة أخرى من ناحية الإيقاع الشعرى حتى تطابقت الفقـــرات أو الكوبليهات على بعضها .. ولم يغضب المؤلف " صلاح أبو سالم " من ذلك

* لكن غيره غضب .. أعرف أن مرسى جميل عزيز حين طلبت منـــه أم كلثوم أن يكتب لها أغنية (سيرة الحب) إشترط ألا يمد أحد يده فى كلام الأغنية بأى تعديل : لا الملحن ولا أم كلثوم نفسها .. وقد كانت أم كلثوم معروفاً عنها هذه المسألة أنها تتدخل بالتعديل فى كلام أغنياتها ..

– إذا كان مرسى جميل عزيز قال كده فمحتمل أن يكون هذا الكلام قد حدث بينه وبين أم كلثوم شخصياً .. وقد أعطتنى أم كلثوم كلام أغنية (سيرة الحب) ولحنته دون أن أعرف أنه من تأليف مرسى جميل عزيز .. لكن لو كان فى الكلام أى حاجة لم تعجبنى لكنت قد طلبت من مرسى جميل عزيز أن يغيرها .. إنما كلها كانت أعمال متكاملة ولم تكن فى حاجة إلى أى تغيير لأن مرسى جميل عزيز شاعر عظيم .. وقد لحنت له بعد ذلك لأم كلثوم أيضاً (فات الميعاد) و(ألف ليلة وليلة) ..

* هل يأتى وقت يشعر فيه الفنان أنه لم يعد لديه جديد ليقدمه للناس !؟ ..

– لا أظن .. لكن أحياناً يأتى وقت على الفنان يشعر فيه أنه ولابد وأن يخرج خارج الدائرة لكى يستطيع أن يتأمل ذاته .. فالفنان محتاج كل ٥ سنوات مثلاً لأن يعيد حساباته ويعيد تأمل نفسه وما أعطاه وما يجب أن يعطيه .. أحياناً تمر بى فتـــرة أشعر فيها بأننى لا أريد أن ألحن وأريد فقط أن أستريح وأعيد تأمل نفسى .. فأنـــا لا

أترك دوامة العمل تأخذنى حتى تجعلنى لا أشعر بأننى محتاج إلـــى الراحـــة وإلـــى التجديد.

* ما الذى فقده (الملحن) بليغ حمدى بوفاة (المطرب) عبد الحليم حـــافظ ؟!.

– ليس هناك أرض فقدتها بعد وفاة عبد الحليم حافظ .. لا شك أن عبد الحليم كان من الأصوات التى كنت أحبها ، ولا شك أن أهم ما كان فى عبد الحلـــيم فهمـــه للموسيقى وإحساسه بالعمل الذى أريد أن أقدمه من خلاله .. فقدنا صوتاً عظيماً بـــلا جدال .. لكن ذلك ليس معناه أن فن الغناء فى مصر قد توقف بوفاة عبد الحليم حافظ .

* لماذا فشل لحن سيد مكاوى لوردة (أوقاتى بتحلو معاك) !؟ ..

– بالعكس .. نجح .. وسيد مكاوى فى حدود سيد مكاوى قدم شيئاً ظريفـــاً وعظيماً ، لكن رؤياه الموسيقية محدودة المعالم فى الصياغة الموسيقية ..

* هل إستمع الناس إلى (أوقاتى بتحلو معاك) وفى ذهنهم صوت أم كلثـــوم وصورة أم كلثوم ؛ على إعتبار أن الأغنية كانت أصلاً ملحنة لتغيها أم كلثوم !؟ ..

– لأ .. بدليل أن الأغنية نجحت والناس أحبتها .. كما أن مطلع الأغنية فقط قد تم تلحينه لأم كلثوم قبل وفاتها ، أما باقى الأغنية فقد لحنها سسيد مكاوى لوردة ..

* ولو كنت أنت الذى لحنتها هل كان ممكناً أن تكون أحسن أو أنجح أكثر !؟

– مؤكد أننى كنت سألحنها بطريقة مختلفة ، لأن تصورى الموســيقى غيـــر تصور سيد مكاوى الموسيقى ، وخلفيتى غير خلفيته وأفكارى غير أفكـــاره ، فقطعـــاً كانت الأغنية ستكون شيئاً مختلفاً .. لكن اللحن عموماً كان ظريفاً فى حدود شخصـــية سيد مكاوى التى أعرفها ..

* هل أغنيات وردة ممنوعة من الإذاعة من إذاعات القاهرة الآن !؟ ..

– صحيح .. لأنها غنت فى ليبيا فى مارس أو أبريل الماضى .. لكن هـــذه مسألة مؤقتة طبعاً ، وإن كانت قد قاربت على سنة كاملة الآن ..

* المعركة الدائرة فى أوساط المطربات فى مصر الآن حول الخلافة علـــى عرش أم كلثوم ؛ ما رأيك فيها !؟ ..

– ليس هناك شئ إسمه خلافة على عرش أم كلثوم .. الفنان حين ينتهـــى لا خلافة له ولا خليفة .. وإذا لم يكن للجديد شخصية مستقلة فلن يكون ولن تكون له قيمة فنية على الإطلاق .. معركة الخلافة على عرش أم لثوم هذه معركة مفتعلة من بعض الصحفيين وبعض الفنانين .. لكن أؤكد لك أنه لا توجد مطربة فى مصر قد فكرت فى ذلك ..

* هل يمر الغناء فى مصر الآن بحالة ركود !؟ ..

– لا نستطيع أن نسميه (ركوداً) .. لكن عندما تتشابك الظروف السياســـية فى أى بلد فى العالم يحدث للفن فى هذا البلد نوع من التوقف ليتأمل كل ما يدور حوله من أحداث .. وذلك موجود فى المنطقة العربية كلها الآن .. وذلك هو الذى أثر علىّ أنا شخصياً كأى فنان تنعكس عليه الأحداث السياسية فى بلده ..

* (الطرب) .. هل إختفى من الغناء العربى !؟ ..

– الطرب مازال وسيظل موجوداً مادام القرآن الكريم موجـــوداً .. المقـــرئ يظل ساعة أو ساعتين يقرأ فى سورة سيدنا يوسف ، مثلاً ، ويخرج من البياتى إلـــى الرصد إلى السيكا ثم يعود إلى البياتى مرة أخرى .. ما دام القـــرآن يتلـــى فســـيظل الطرب موجوداً فى الموسقى العربية ..

* سمعت أنك ووردة منفصلان وكل منكما يعيش وحده ..

– غير صحيح .. لكن أحياناً أذهب إلى شقتى القديمة فى شارع بهجت على فى الزمالك حيث كنت أسكن قبل ن أتزوج وردة ، لأنهـــا أصـــبحت الآن ســـتوديو للبروفات ولمقابلاتى مع الناس ، وكأنها مكتبى .. وذلك حتى أبتعد عن العمل تمامـــاً حين أعود إلى البيت ولأجدد علاقاتى بالنسبة للشغل وبالنسبة للبيت ..

* إلى أى حد تتدخل فى عمل وردة !؟ ..

- لا أتدخل على الإطلاق فى أعمال وردة الفنية إلا فيمايتعلق بلقاءاتنا الفنيـــة معاً كملحن وكمطربة .. لكن غير ذلك فأنا أترك لها مسئولياتها كفنانة تتحملها بنفسها كاملة ، كما كانت تفعل قبل أن نتزوج ..

* قبل أن تتزوج وبعد أن تزوجت .. هل تتصور أن من الأفضل للفنـــان ألا يكون متزوجاً ، أو على الأقل ألا يكون زوجاً تقليدياً !؟ ..

- مشكلة الفنان والزواج مثل الذى يقول : لا الخالى مرتاح ولا المشـــغول مرتاح .. لا تقدر تقول أن الزواج للفنان كويس ولا تقدر تقول إن الزواج للفنان وحش .. لأنها عملية شديدة التعقيد .. فأحياناً يحس الفنان براحة شديدة للإنتظام فى حياته ، وأحياناً يمل من هذا النظام وهذا الإنتظام .. أحياناً يشعر بأنه يريد إنساناً معيناً ليبقـــى فى حضنه ويكون مسئولاً عنه ، وأحياناً يضجر من هذا الحضن وهذه المسئولية .. لا وأنا أعزب كنت سعيداً تماماً ولا وأنا متزوج سعيد تمامـــاً .. الفنـــان لا يســـتطيع أن يعرف بالضبط ماذا يريد .. وهكذا أنا ..

نش فى جريدة [المنار] اللندنية – عدد رقم ١٦ – ١٩٧٨/٢/١١

توفى بليغ حمدى فى ١٢ / ٩ / ١٩٩٣

حديث لم يحدث ، وحوار لم يتم ..

الشيخ كشك .. شقيقى !! ..

- أول قضية رفعت على الشيخ كشك وهو عمره ١٢ سنة !!
- فشلت الجراحة لأنها أجريت فى وقت صلاة الجمعة !! ..
- جمال عبد الناصر .. كرم الشيخ كشك ، ثم سجنه !! ..
- الشيخ كشك : اللى إتلسع من الشوربة ينفخ فى الزبادى !!

لم يكن هذا اللقاء ، ولا هذا الحديث ، متصوراً ولا متفقاً عليه ولا على البال إطلاقاً .. وقبل أن يحدث بدقيقة واحدة لم أكن أنا شخصياً أعرف أنه سوف يحدث .. لكن كان له قصة طريفة تستحق أن تروى وأن أحكيها للقراء ..

لى فى القاهرة مجموعة صغيرة من أقرب الأصدقاء إلى نفسى ، أربعة أصدقاء ، نلتقى جميعاً مرتين كل أسبوع عندما أكون فى أجازة فى مصر .. منها مرة أكيدة ثابتة الموعد منذ سنوات طويلة : بعد صلاة الجمعة .. ويكون لقاؤنا هذا أقرب إلى ندوة نناقش فيها أمور الحياة وأمور الدنيا والدين .. وفى آخر مرة ذهبت فيها إلى القاهرة كان فى دفترى توجيهات من رئيس تحرير مجلة (المسلمون) التى تصدر من لندن والتى أنا أحد كتابها ؛ بأن ألتقى بعدد من الشخصيات الإسلامية محددة بالإسم ،

من بينها الشيخ " عبد الحميد كشك " ، الذى أطلقت عليه مجلة (المسلمون) لقب (الداعية النجم) ، وهو كذلك فعلاً ..

فى لقاء الجمعة هذا سألت الأصدقاء إن كان أحد منهم منهم يعرف رقم تليفون الشيخ كشك أو كيف السبيل إلى الإتصال به .. فسألنى الصديق " فايز محمد على " المحامى : " لماذا !؟ " .. فحكيت لهم السبب .. فقال " فايز " : " سوف أحدد لك موعداً معه " .. قلت : " وهل تعرفه !؟ " .. قال : " طبعاً .. فأنا محاميه " !! ..

* * *

فى اليوم التالى إتصل بى " فايز " وأخبرنى بالموعد الذى إتفق عليه مع الشيخ " كشك " ، ومر علىّ عصراً لنذهب بسيارته إلى بيت الشيخ " كشك " .. وصعدنا ثلاثة طوابق على السلم – وفايز ممنوع من صعود السلالم بأمر الأطباء – ثم كانت المفاجأة على باب شقة الشيخ " كشك " : الشيخ كشك غير موجود !! .. " كيف !؟ .. وهناك موعد متفق عليه !؟ " .. " أضطر الشيخ إلى السفر إلى قريته فجأة ظهر اليوم لأسباب عائلية " !! .. وقال " فايز " ونحن نهبط الطوابق الثلاث على السلم مرة أخرى والإحباط والخذلان والضيق ، والحر ، يعصف بأصابنا ويضيق صدورنا : " أعتقد أن الشيخ كشك موحود فى البيت ، لكنه ربما يكون نائماً ونسى أن يخبر أهل بيته بالموعد ولم يشاءوا هم إزعاجه .. تعال نذهب إلى بيت شقيقه عبد السلام القريب جداً من هنا .. وعبد السلام يتصرف " ..

وعلى بعد خطوات فعلاً كان بيت الأستاذ " عبد السلام كشك " ، لتكون المفاجأة الثانية لى اليوم ؛ إذ لم يكن لدىّ أى فكرة عنها من قبل : أن إكتشفت أن الشارع الذى فيه بيته يحمل إسم (شارع الشيخ عبد الحميد كشك) !! .. فإن القاعدة فى مصر هى ألا يطلق على الشوارع أسماء أشخاص أحياء .. وهذه هى أول مرة ، فى تصورى ، يحدث فيها خروج على هذه القاعدة ..



ودهش الأستاذ " عبد السلام كشك " المحامى والشقيق الأكبر للشيخ " عبد الحميد كشك " حين قلنا له أنه قيل لنا أن الشيخ " كشك " غير موجود ؛ فإنهما كانا معاً فى الصباح ولم يذكر له الشيخ " كشك " شيئاً عن نيته السفر إلى قريته ، بل أنه حين ذكره بموعده مع الصحفى القادم من لندن قال أنه متذكر الموعد وأنه فى إنتظارى .. وقال لنا الأستاذ " عبد السلام " أنه يعتقد نفس ما إعتقدناه نحن من أن الشيخ " كشك " قد نسى أن يخبر أهل بيته بموعدى معه ، وذلك كل ما فى الأمر ..

وجلسنا نشرب القهوة ، بينما ذهب إبن الأستاذ " عبد السلام " إلى بيت عمه ليستطلع الأمر .. وفى إنتظار عودته دار بيننا هذا الحديث حول الشيخ " كشك " ، وكان جهاز التسجيل مفتوحاً .. وحين عاد الإبن بعد فترة وتهامس مع الأب بعيداً عنا ، ثم جاء الأستاذ " عبد السلام " مرتبكاً ليقول لنا كلاماً لم أقتنع به أنا ولا " فايزمحمد على " .. قال أن الشيخ " كشك " قد سافر فعلاً إلى القرية ظهر اليوم فجأة دون ترتيب سابق ، نظراً لظروف طارئة ، وأنه لا ينتظر أن يعود قبل ١٠ أو ١٢ يوماً !! .. وطلب منى الأستاذ " عبد السلام " أن أتصل به تليفونياً فى مكتبه بعد أسبوعين ليحدد لى موعداً جديداً مع الشيخ " كشك " ..

ونزلنا ، " فايز " وأنا ، من عند الأستاذ " عبد السلام كشك " .. وفى طريق عودتنا رحنا نناقش ما حدث ونقلبه على كافة أوجهه .. كان كل منا مقتنعاً بأن الشيخ " كشك " كان موجوداً فى بيته لكنه أنكر نفسه لسبب ما ، وإختلفنا حول السبب .. قال " فايز " أنه يتصور أن الشيخ " كشك " بعد إعتقاله الأخير فى أواخر عهد الرئيس السادات قد أصبح يخشى لقاء الغرباء ويعتقد أنهم ربما يكونوا مدسوسين عليه من

أحهزة الأمن لاستدراحه فى الحديث !! .. وكان تصورى أنا غير ذلك : فقد تصورت أن الشيخ " كشك " بعد ما لقيه فى فترة الإعتقال قد أصبح زاهداً فى تسليط الأضواء عليه تلافياً لحدوث مشاكل ومتاعب جديدة مع الدولة .. شأنه فى ذلك شأن الكثيرين ممن يعتقلون فى سن كبيرة نسبياً ، ويلاقون أثناء الإعتقال معاملة سيئة تجعلهم يقررون – بعد الإفراج عنهم – أن يضعوا أنفسهم ، باختيارهم أو بالأمر (!!) فى الظل ، خوفاً – أو تخويفاً – من تكرار تجربة الإعتقال مرة أخرى .. وى الوقت نفسه قد يكون الشيخ " كشك " قد ظن أننى لأنى أكتب لمجلة تصدر فى لندن بعيداً عنه جداً ؛ إحتمال أن يحدث تغيير أو تحريف لحديثه ، مما قد يسبب له مشاكل جديدة هو فى غنى عنها .. ولدينا فى مصر مثلين شعبيين فى هذا الموضوع يقولان : (إبعد عن الشر وغنى له) و(اللى إنقرص من الثعبان يخاف من الحبل) !! ..

وقطع " فايز محمد على " الشك باليقين حين جاءنى فى مساء اليوم التالى وهو يكا ينفجر ضيقاً وغضباً ، ليقول لى أن الشيخ " كشك " موجود الآن فى القاهرة فعلاً ولم يسافر إلى أى مكان ، وأنه تأكد من ذلك من صديق مشترك أدى معه اليوم صلاة الظهر !! ..

ومن باب العناد الصحفى ، وفى النفس غصة ألم ؛ إتصلت بالأستاذ " عبد السلام كشك " بعد أسبوعين كما طلب منى ، لأسأله عن أخبار الشيخ " كشك " .. وكان الرد كما توقعته تماماً : الشيخ " كشك " لازال فى القرية ، وقد يظل هناك لمدة أسبوع أو أسبوعين آخرين !! ..

وطبعاً لم أتصل بالأستاذ " عبد السلام كشك مرة أخرى .. لكننى قبل أن أعود من القاهرة إلى لندن بيومين ، عرفت السبب الذى جعل الشيخ " كشك " يتهرب من إستقبالى ..

* * *

كنت على موعد مع فضيلة الشيخ الدكتور " محمد الطيب النجار " رئيس جامعة الأزهر .. وبينما أنا فى مكتب سكرتيره فى إنتظار الدخول إليه ؛ قال لى

السكرتير أنه قد أثار دهشته حين إتصلت به لأطلب تحديد موعد لى مع الشيخ الدكتور " النجار " ، أن أقدم له نفسى على إعتبار أننى قادم من لندن ممثلاً لمجلة (المسلمون) ، فى حين أنه يعرف أن للمجلة مكتباً فى القاهرة .. وبعد أن حدد لى الموعد مع الشيخ " النجار " فعلاً إتصل بمكتب (المسلمون) فى القاهرة ليسألهم ، فجاءه الرد بـأنهم لا يعرفون أى شئ عن وجودى فى القاهرة فى الوقت الحالى لأنهم لم يبلغهم ذلـك مـن المجلة فى لندن ، كما لم أتصل بهم أنا من القاهرة ، لذا فهم لا يعتقدون أننى موجـود فى مصر فى الوقت الحالى !! .. وكان ذلك صحيحاً فعلاً .. فلا أنا إتصلت بمكتـب المجلة فى القاهرة ، ولا المجلة فى لندن أبلغت مكتبها بوجودى فى مصر ..

وحين أبلغ السكرتير ذلك للدكتور " النجار " ، رد عليه بأن : حتى لو كـان يدعى أنه يمثل مجلة (المسلمون) ، فماذا سوف نخسر باستقباله !؟ .. إنه لا يريـد أكثر من حديث صحفى !! ..

حين حكى لى سكرتير الدكتور " النجار " هذه الحكاية ؛ قفز إلى ذهنى علـى الفور تهرب الشيخ " كشك " المفاجئ من إستقبالى وإدعائه السفر خـارج القـاهرة .. فلعله هو أيضاً قد فعل نفس ما فعله سكرتير الدكتور " النجار " من محاولة التأكد من شخصيتى بالإتصال بمكتب (المسلمون) فى القاهرة ، وتلقى نفس الرد .. لكـن رد الفعل عند كل من الشيخين كان مختلفاً .. فالدكتور " النجار " لم يعتقل ولـم يسـجن وليست لديه حساسيات معينة ضد إستقبال أحد لا يعرفه ، وعنده حـق .. والشـيخ " كشك " أيضاً عنده حق وله العذر فى حساسيته ضد الغرباء ولا أسـتطيع أن ألومـه عليها .. فالأمثال المصرية حول هذا النوع من الحساسية كثيرة ومتعـددة : (اللـى إتلسع من الشوربة ينفخ فى الزبادى) و(اللى إنقرص من الثعبان يخاف من الحبل) .. وقد كان من حظى ونصيبى أن يظننى الشيخ " كشك " (حبلاً) أو (زبـادى) .. لكن سواء كنت هذا أو ذاك فأنا أقدر مشاعره وظروفه وأعذره .. غفر الله لنا جميعاً ، إذا أمكن !! ..

* * *

وحين إجتمعت مع رئيس التحرير فى لندن بعد عودتى من القاهرة ، لأخبره بحصيلة زيارتى للقاهرة من المواد الصحفية ، وحكيت له ما حدث لى مع الشيخ " كشك " ؛ ضحك طويلاً ، وسألنى عما قاله " عبد السلام كشك " عن أخيه الشيخ " عبد الحميد " فرويته له .. فقال رئيس التحرير على الفور : " يا راجل .. إن هذا هو الجديد فعلاً عن الشيخ كشك الذى لم يروى ولم ينشر من قبل .. إكتب حديثك مع عبد السلام كشك وهاته فوراً " !! ..

وقد كان ..

فى إنتظار عودة المبعوث الذى ذهب للإستفسار عن الشيخ " كشك " فى بيته ؛ يحكى لى الأستاذ " عبد السلام كشك " المحامى والأخ الأكبر للشيخ " عبد الحميد " ذكرياته عن طفولة الشيخ :

- كان عمى الشيخ " عبد الفتاح كشك " مأذوناً وإماماً لمسجد بلدتنا (شبراخيت) .. وكان شقيقى الشيخ " عبد الحميد " وقتها طفلاً عمره نحو ١٢ سنة تلميذاً فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم .. وفى يوم جمعة ذهب إلى عمى " عبد الفتاح " وقال له : " يا عمى بلاش تخطب إنت النهاردة ، لأننى أريد أن أخطب أنا لصلاة الجمعة " !! .. فقال له عمى : " يا عبد الحميد إنت لسه صغير ماتعرفش " .. ورد " عبد الحميد : " معلش .. سيبنى أخطب النهارده " .. فتركه عمى يخطب فى المصلين فى صلاة الجمعة وهو طفل عمره ١٢ سنة .. وأعجب المصلون بخطبة الشيخ الصغير " عبد الحميد واستزادوه .. ومن بعدها إعتمد عليه عمى الشيخ " عبد الفتاح كشك " وتركه يخطب كل يوم جمعة فى المسجد .. وهكذا واجه الشيخ " عبد الحميد كشك " المصلين وخطب فيهم لأول مرة هو بعد طفل فى الثانية عشرة من عمره

ووهو فى هذه السن عمل لنا أزمة ذات مرة فى خطبة من خطبه ؛ حين هاجم المستشفى الحكومى فى البلدة وقال أن الممرضات يأكلن أكل المرضى ، وأن المريض الذى يشكو من ألم فى عينيه يصرفون له (مزيج) ، والذى يشكو من ألم فى بطنه

يصرفون له (مزيج) ، والذى يشكو من الروماتيزم يصرفون له (مزيج) !! .. و(المزيج) هو دواء واحد رخيص جداً كان أطباء المستشفيات الحكومية فى القرى المصرية يصرفونه لكل المرضى لكل الأمراض ، لأنه لا يضر فى شئ وفى الوقت نفسه لا يفيد فى أى شئ !! .. وكان الصبى " عبد الحميد كشك " حتى ذلك الوقت لم يمرض بعينيه وكان سليم البصر تماماً .. فذهب الدكتور " محمد سليم " كبير أطباء المستشفى إلى مركز البوليس وقدم شكوى ضد والدى ، لأن الشيخ " عبد الحميد " وقتها كان طفلاً عمره ١٢ سنة ووالدى هو ولى أمره والمسئول عنه طبعاً .. وفوجئنا برجال البوليس يدقون البيت يطلبون والدى .. وذهب والدى إلى مركز البوليس وسألهم : " خيراً .. ماذا حدث !؟ " .. فقالوا له : " إبنك عبد الحميد هاجم المستشفى وهاجم الحكيمباشى مدير المستشفى ، ومدير المستشفى قدم بلاغاً للبوليس ضدكم ، وسيقيم ضدكم قضية قذف " !! .. ووقتها تدخل كبار رجال البلدة عند مدير المستشفى ليسحب شكواه وحفظ المحضر .. لكنه مع ذلك فإن الطفل أو الصبى " عبد الحميد " لم يكف عن خطبة الجمعة ولم يكف عن مهاجمة الفساد الذى كان يستشعره ويحس به ويؤلمه وهو طفل فى هذه السن ..

* * *

ووهو فى هذه السن أيضاً أنشأ جمعية فى البلدة أسماها (جمعية التوحيد) جمع فيها التلاميذ من أمثاله وأقرانه الذين يماثلونه فى العمر .. فكان سكرتير الجمعية الذى عمره ١٢ أو ١٣ سنة أيضاً يوقع باللغة الإنجليزية على إيصالات الإشتراكات ، إظهاراً للثقافة يعنى !! .. فعاتبه الصبى " عبد الحميد كشك " مندهشاً : " بقى إحنا إسمنا جمعية التوحيد وإنت بتمضى بالإنجليزية " !! ..

وكان الصبى " عبد الحميد " سليم البصر تماماً حتى ذهب إلى الإسكندرية ليلتحق بالمعهد الإبتدائى الدينى هناك .. كان عمره حوالى ١٤ سنة تقريباً سنة ١٩٤٨ ، وفى السنة النهائية رابعة إبتدائى ، وكان يقيم فى القسم الداخلى التابع للمعهد لأن الأسرة كانت تقيم فى البلدة (شبراخيت) بمديرية البحيرة – محافظة البحيرة الآن –

فى هذه السن بدأ يشعر بالتعب فى عينيه .. وحين إزداد المرض إنقطع عن الدراسة لأننا بدأنا نعالجه فى كل مكان نعرف أن فيه طبيب عيون مشهور فنذهب به إليه .. حتى أن والدى أخذ الصبى " عبد الحميد " وذهب به إلى بلدة إسمها (الدلنجات) فى محافظة البحيرة أيضاً لأنه سمع أن فيها طبيب عيون مدحه الناس .. وعالجه هذا الطبيب فى (الدلنجات) لمدة شهرين ، لكن حالة " عبد الحميد " لم تتحسن .. كان قد أصيب بماء على عينيه ، وهى عملية تجرى الآن بسهولة جداً وبغاية اليسر ، لكنه فى ذلك الوقت لم يكن الطب قد توصل إلى علاجها الذى وصل إليه الآن ..

ونشرت مجلة (آخر ساعة) أن هناك طبيباً مشهوراً للعيون إسمه " أحمد عز الدين " فى حى العباسية فى القاهرة ، يجرى عمليات ترقيع القرنية ، وقالوا عنه أنه (عيسى العصر الذى يشفى مرضى العيون) !! .. فتمسكاً من أبى بالأمل أخذ الصبى " عبد الحميد " وجاءا إلى القاهرة ، وكان ذلك عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ ، وإتفقنا مع الطبيب فعلاً ، ولازلت أحتفظ عندى حتى اليوم بالإيصالات التى أخذناها من هذا الطبيب .. إتفقنا مع الطبيب على أن يجرى العملية للشيخ " عبد الحميد " فى مقابل ٤٢ جنيهاً .. وكان ذلك مبلغاً كبيراً جداً وقتها يعادل ٥٠٠ جنيه على الأقل الآن .. وحين جاء والدى ومعه الشيخ " عبد الحميد " لإجراء العملية فى القاهرة كنت أنا فى ذلك الوقت عام ١٩٤٩ – ١٩٥٠ طالباً فى السنة الأولى بكلية الحقوق ، وكان " عبد الحميد " عمره حوالى ١٦ سنة تقريباً .. ودفعنا الأتعاب للطبيب وأجرى العملية للشيخ " عبد الحميد " فعلاً ، لكنه أجراها فى وقت آذان الجمعة ، حتى أن والدى طلب من الدكتور ألا يجرى العملية فى ذلك الوقت بالذات وأن يؤجل إجراءها إلى ما بعد صلاة الجمعة ، لكن الطبيب أصر !! ..

سألت الأستاذ " عبد السلام كشك " مستفسراً :

* وما الفارق يا أستاذ عبد السلام !؟ ..

– كان الإحساس أنه (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فذروا البيع وإسعوا إلى ذكر الله) .. المفروض أننا فى يوم الجمعة نترك كل شئ من أجل صلاة الجمعة

.. وكانت إرادة الله أن فشلت العملية .. وظل الشيخ " عبد الحميد " يعالج طيلة سنتين بعدها ، حتى يئسنا ووجدنا ألا فائدة ، فقرر أن يعود إلى الدراسة ..

* * *

كان الشيخ " عبد الحميد " قبل السنتين اللتين ضاعتا فى العلاج قد أنهى دراسته الإبتدائية .. ورغم أنه كان ترتيبه (الأول) على الشهادة الإبتدائية – وطول عمره كان ترتيبه (الأول) فى كل مراحل التعليم – إلا أننا حين ذهبنا به لإلحاقه بالمعهد الدينى الثانوى رفضوا قبوله لأنه تخلف عن الدراسة لمدة سنتين دون عذر ودون أن نخطر إدارة المعهد الثانوى بأنه منقطع عن الدراسة من أجل العلاج .. لأن المعاهد الأزهرية مرتبطة ومتصلة والإنتقال فيها من الإبتدائى إلى الثانوى بشكل آلى دون حاجة إلى التقديم ، فكأنه (قد تخلف عن الدراسة) .. وكان لنا بين معارفنا أستاذ فى كلية الشريعة فوسطناه لإعادة قيد الشيخ " عبد الحميد " فى المعهد الدينى الثانوى ، وقد كان ، وعاد إلى الدراسة فعلاً ، وإنتظم فيها حتى أنهى دراسته الثانوية الدينية فى معهد القاهرة الدينى الثانوى ، وإلتحق بكلية أصول الدين .. وحصل على جائزة فى عيد العلم تسلمها من الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٦١ أو ١٩٦٢ .. وكان عمر الشيخ " عبد الحميد " وقتها حوالى ٢٨ سنة تقريباً ..

وسمعت من واحد من زملائه فى كلية أصول الدين أنه عندما كان الأستاذ ينتهى من شرح الدرس أو المحاضرة يقول للشيخ " عبد الحميد " : " قم فعقب يا شيخ عبد الحميد " .. فيقوم الشيخ " عبد الحميد " للتعقيب ، لكنه لا يكتفى بالتعقيب فقط على ما قاله الشيخ الأستاذ ؛ إنما يعرض أيضاً آراء الفقهاء فى الموضوع الذى كان الشيخ الأستاذ يحاضر فيه .. يعنى يقول : " فضيلتك قلت كذا وكذا ، لكن الفقهاء يرون فى هذا الموضوع كذا وكذا " .. وهكذا ..

* * *

يستطرد الأستاذ " عبد السلام كشك " المحامى فى ذكرياته عن شقيقه الداعية الشيخ " عبد الحميد كشك " :

– كان عمنا – كما ذكرت – إمام مسجد .. وكان لنا عم آخر أستاذ فى كلية أزهرية ، وجدى أيضاً كان رجل دين وكان يدير مكتباً لتحفيظ القرآن الكريم فى البلدة ، لذا كان كل أهل البلدة يقولون عن جدى (سيدنا الشيخ) .. ومكتب تحفيظ القــرآن يعنى (كتاب) من الكتاتيب التى كانت منتشرة فى الريف وفى القرى المصرية علـــى عهدنا ، تعلم الأطفال اللغة العربية والدين ومبادئ الحساب قبل أن يلتحقوا بالمدرســـة الإبتدائية أو الأولية أو الإلزامية .. أما الوالد فكان تاجر بقالة ، بقال ..

ترتيب الأخوات : الأولى سيدة متزوجة ، وبعدها أنا " عبد السلام " محامٍ ، ثم فضيلة الشيخ " عبد الحميد " ، ثم " عبد الستار كشك " وهو خريج حقوق أيضاً ، ثـــم سيدة متزوجة ، ثم " عبد المنعم " وهو مهندس .. يعنى ٣ صبيان وبنتين ..

قلت للأستاذ " عبد السلام كشك " :

* جرت العادة فى الأسر الريفية أن الإبن الأكبر هو الذى يلحــق بـــالأزهر لكون شيخاً ..

– ذلك صحيح ، وقد حاول والدى أن جعنى أدرس فـــى المعاهـــد الدينيـــة ، وأحضر لى فى البيت شيخاً ليحفظنى القرآن الكريم ؛ إنما لا أدرى لماذا وجدت مسألة حفظ القرآن الكريم فى سنى وقتها صعبة للغاية ، فلم أستطع حفظ القرآن الكـــريم .. أحفظ الآن آيات كثيرة من القرآن الكريم إنما سوراً متكاملة لأ .. فإتجهت نحو التعليم العام .. وكان من حظ الشيخ " عبد الحميد " أن يكون الإتجاه الدينى من نصيبه هـــو ، لأنه حفظ القرآن الكريم وهو صغير جداً وكان مقبلاً على دراسة الدين بشغف كبير ..

* ألاحظ أنك حين تتكلم عن الشيخ عبد الحميد – وهو أخيك الأصغر – أنك تقول عنه (فضيلة الشيخ) .. حين تكونان وحدكما هل تناديه (يا عبد الحميد) أم بـــ (يا فضيلة الشيخ) !؟ ..

– أناديه دائماً (يا فضيلة الشيخ) .. وهو من ناحيته أيضاً يحترمنـــى جـــداً لدرجة أنه حتى الآن ونحن فى هذا العمر حين يسلم علىّ ينحنى ليقبل يدى لأنه أخـــى الأصغر ، رغم أن الفارق بيننا فى العمر خمس سنوات فقط ، وهو رجل دين .. لكنه

يفعل ذلك حباً فىّ .. وحين يكلمنى لا ينادينى إلا بـــ (يا أستاذ عبد السلام) .. وهكذا شكل العلاقة بيننا نحن الأخوة الخمسة جميعاً .. كان والدى رحمه الله حنوناً جداً وكان لا يضرب أحداً من أولاده ولايشتمهم .. فكان حين يريد أن يعاقب واحداً من أولاده أو يخيفهم من العقاب يقول لهم : " سأقول لعبد السلام " .. فنشأوا جميعاً على أننى لست أخاهم الأكبر فقط لكننى أيضاً فى منزلة أبيهم ..وكنت أضربهم فعلاً وقت اللزوم ..

وكان الشيخ " عبد الحيد " وهو طفل يكره الإستحمام جداً ولا يقبل على عملية الإستحمام إلا بصعوبة شديدة ، شأن كل الأطفال فى سنه ، فكان يهرب من البيت فى يوم الإستحمام ويختفى تماماً ، فكنت ألف وأدور وراءه فى شوارع وحوارى وأزقـــة البلدة كلها حتى أعثر عليه وأقفشه وأعود به إلى البيت غصباً عنه لكى يستحم !! ..

* * *

– وقد أعتقل فضيلة الشيخ " عبد الحميد كشك " مرتين .. مرة فى أبريل عام ١٩٦٦ ، وأفرج عنه فى ٣٠ مارس ١٩٦٨ .. يعنى أول مرة كانت سنتين بالضـــبط وكانت فى عهد الرئيس حمال عبد الناصر .. أما المرة الثانية فكانت تلك التـــى فـــى نهاية عهد الرئيس السادات ؛ فاعتقل الشيخ " كشك " فى ٣ سبتمبر عام ١٩٨١ وأفرج عنه فى ٢٧ يناير عام ١٩٨٢ .. يعنى بقى معتقلاً ما يقرب مـــن خمســـة شـــهور ، وبالضبط ٤ شهور و ٢٤ يوماً .. وكان الإتهام هو (التحريض على الفتنة) .. وقـــد أنكر هو ذلك لأنه فعلاً لم يحرض على الفتنة .. ولم يكن هذا الإتهام له وحده ؛ لكـــن تهمة (التحريض على الفتنة) كانت موجهة إلى كل الذين أعتقلوا وقتهـــا .. وكـــان المقصود بالعملية كلها أن السلطان لا يريدهم أن يفتحوا أفواههم على الإطلاق ..

وخلال فترة الإعتقال الأخيرة أصيب الشيح " كشك " بارتفاع فى ضغط الـــدم وتعب نتيجة ذلك فنقل إلى مستشفى (قصر العينى) حيث قضى فيه الشهور الـــثلاث الأخيرة حتى تم الإفراج عنه ، فأفرج عنه من المستشفى ..

* هل كان المقصود من نقل الشيخ " كشك " من السجن إلى المستشفى نوعـــاً من التكريم أو الإراحة من السجن حتى يتم الإفراج عنه !؟ .. وبمعنى آخر : هل كان المرض مجرد (حجة) لكى ينقل من السجن إلى المستشفى !؟ ..

- لأ .. كان مريضاً فعلاً ، ونقل إلى المستشفى بناءً على تقرير طبيب ..

* هل حكى لك أنه قد حدث تعذيب فى السجن بالنسبة له !؟ ..

- لأ .. لم يحدث له أى تعذيب فى الحقيقة .. لا هو ولا لكل المشايخ الذين كانوا معتقلين معه وقتها ..

قلت للأستاذ " عبد السلام كشك " :

* الشارع الذى تسكنان فيه إسمه (شارع الشيخ عبد الحميد كشك) .. من الذى أطلق الإسم على الشارع : الناس !؟ أم الدولة التى إعتقلت الشيخ كشك !؟ ..

- ليست الدولة على أى حال .. إنما هذه المنطقة تقسيم أراضى تابع لجمعية تعاونية للإسكان ؛ ونحن أعضاء فى هذه الجمعية ، وأول من بنى بيتاً فى هذه المنطقة هو أنا .. وعادة تسمى الشوارع فى المناطق التابعة للجمعيات الإسكانية بأسماء أول من بنوا بيوتاً فيها .. فسألونى هل أحب أن يسمى الشارع بإسمى أو بإسم فضيلة الشيخ " عبد الحميد كشك " .. قلت لهم : بإسم الشيخ طبعاً ، وق كان .. وكان ذلك من نحو ٦ سنوات تقريباً .. يعنى عام ١٩٧٦ ..

* متى بدأ فضيلة الشيخ يصبح مشهوراً !؟ ..

- من قبل الإعتقال الأول ، يعنى منذ عام ١٩٦٢ تقريباً ، وكان عمره نحو ٢٨ سنة .. وكان جمال عبد الناصر قد كرمه فى نفس السنة ثم إعتقله سنة ١٩٦٦ ..ولدينا صور للشيخ " عبد الحميد " وهو يتسلم جائزة عيد العلم من يد الرئيس جمال عبد الناصر ..

* أبناء الشيخ عبد الحميد كشك !؟ ..

- لديه ٧ أبناء .. أكبرهم عبد السلام – على إسمى – وقد ولد فى عام ١٩٦٧ حين كان الشيخ " كشك " فى المعتقل أول مرة .. وعبد السلام الآن تلميذ فى سنة أولى ثانوى .. بعده " عبد المنعم " على إسم عمه الأصغر المهندس " عبد المنعم كشك " .. ثم " محمد " ثم " أسماء " ثم" خديجة " فـ " مصطفى " ، وأخيراً " فاطمة الزهراء " .. أربعة صبيان و٣ بنات .. الأكبر عمره ١٥ سنة والصغيرة عمرها سنة

واحدة .. وقد نشرت صورة " فاطمة الزهراء " مع أبيها الشيخ " عبد الحميد كشك " فى جريدة (لواء الإسلام) بعد الإفراج عنه وكتب تحت الصورة أنها إبنه " مصطفى " ؛ لكنها فى الحقيقة كانت " فاطمة " وليست " مصطفى " ..

* * *

* المسجد الذى إمامه الشيخ " عبد الحميد " مشهور ومعروف بإسم (مسجد الشيخ كشك) .. هل كان له إسم آخر أصلاً !؟ ..

– إسمه الأصلى (مسجد عين الحياة) .. لكن ذلك الإسم إنقرض الآن تماماً ، حتى أنك لو سألت فى المنطقة عن (مسجد عين الحياة) فلن يتعرف عليه أحد ولن يتذكر أحد أنه هو نفسه المسجد المشهور الآن بإسم (مسجد الشيخ كشك) وكأنه إسمه الأصلى ..

* الشيخ عبد الحميد ؛ هل سافر إلى الخارج !؟ ..

– فقط إلى السعودية للحج .. لكن إبنه عبد المنعم هو الذى سافر إلى لندن مرتين للعلاج وأجريت له جراحة هناك ..

* كم يتقاضى الشيخ عبد الحميد أرباحاً عن الأشرطة المسجلة لأحاديثه التى تباع فى كل مكان !؟ ..

– ولا مليم على الإطلاق .. الشيخ عبد الحميد كشك لا صلة له بإنتاج أو توزيع هذه الأشرطة ولا يكسب منها مليماً واحداً .. الناس تسجلها من المسجد ثم تطبعها وتوزعها وتبيعها دون العودة إليه ودون أى تدخل من جانبه .. لدرجة أننى أنا شخصياً حين أحتاج إلى شريط من أشرطة أحاديثه المسجلة لكى أهديه لزملائى الذين يطلبون منى تسجيلاته ؛ فإننى أشتريه من السوق وأدفع فيه ١٧٠ قرشاً مثلى مثل أى زبون عادى ..

وهذه الأشرطة عليها خطب ودروس دينية ؛ لأن الشيخ " عبد الحميد " قد إعتاد بعد أن يلقى خطبة الجمعة ويصلى بالناس ، أن يلقى درساً دينياً .. وهو لم يكن يتكلم فى السياسة كما يظن البعض ؛ لكنه كان يتكلم فى الدين الإسلامى ولا يبغى إلا

المصلحة .. وكان كل كلامه عن الإستقامة وسلامة القصد وحسن التصرف والتشبه بسيدنا عمر بن الخطاب ، وحث الشباب على الإجتهاد فى العمل .. وكان دائماً يقول : " نحن نريد الطبيب المسلم والمحاسب المسلم والقائد المسلم .. يعنى لا يريد من الشباب المسلم أن يكونوا مسلمين خائبين وغير دارسين وغير متعلمين ، وكان يتناول الإنحرافات فى كل مكان ، ويذكر إسم المكان ونوعية الإنحراف ، بغرض الإصلاح .. فإن كل همه هو الإصلاح ..

* وهل لا يزال يخطب نفس النوعية من الخطب بعد خروجه من المعتقل !؟.

- الشيخ كشك لا يخطب حالياً – (المحرر : ذلك حتى لحظة إجراء هذا الحديث مع الأستاذ عبد السلام كشك منذ عدة أسابيع) – فمنذ أن خرج من المعتقل لم يعد حتى الآن إلى عمله الرسمى كإمام لمسجد (عين الحياة) الشهير بـ (مسجد الشيخ كشك) .. وهناك الآن إمام آخر معين من قبل وزارة الأوقاف يؤم المصلين لصلاة الجمعة ويخطب خطبة الجمعة فى مسجد (عين الحياة) الآن !! ..

* والناس الذين إعتادوا الإستماع إلى الشيخ كشك فى مسجده !؟ ..

- يذهبون إلى المسجد فى الوقت الحالى كأى مسجد آخر .. فهو بيت الله أولاً وأخيراً وليس بيت الشيخ كشك ..

* هل يذهب إلى المسجد الآن نفس العدد من المصلين الذين كانوا ذهبون أيام الشيخ كشك !؟ ..

- لا طبعاً ..

* هل أظهر الناس إعتراضهم ، بصورة أو بأخرى ، على عدم وجود الشيخ كشك فى مسجده بعد خروجه من الإعتقال !؟ ..

- يعنى .. الناس الذين كانوا يذهبون إلى المسجد خصيصاً من أجل الإستماع إلى الشيخ كشك لم يعودوا يذهبون ، والناس الذين كانوا يجيئون من بلاد أخرى لكى يؤدوا صلاة الجمعة خصيصاً فى (مسجد الشيخ كشك) لم يعودوا يأتون !!

* يعنى هل نستطيع أن نقول أن المسجد لم يعد يمتلئ بالمصـــلين الآن فـــى غياب الشيخ كشك !؟ ..

– المسجد لم يكن قاصراً على باحة المسجد فقط ؛ لكن كـــان خلفـــه مظلـــة مسقوفة مساحتها كمساحة أربعة مساجد .. فهى مبنية بنفس مســـاحة المســـجد لكنهـــا متعددة الطوابق .. فضلاً عن الشوارع الجانبية المحيطة بالمسجد والقريبة منه التـــى كانت تفرش فيها الحصر وتمتلئ عن آخرها تماماً بالمصلين الذين يسدون الشوارع .. وقد جاء التليفزيون الأمريكى وصور هذا الإكتظاظ والإحتشاد والتجمع لسماع الشـــيخ كشك .. كل ذلك لم يعد يحدث الآن !! ..

* الأستاذ عبد السلام كشك ، أشكرك شكراً جزيلاً وأتمنى أن نلتقى على خير دائماً ..

نشر هذا الموضوع فى مجلة (المسلمون) اللندنية – العدد ٤٤ – بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٨٢

توفى الشيخ عبد الحميد كشك فى ٦ ديسمبر ١٩٩٦ ..

المذيع الذى فتح الميكروفون ليقول للمستمعين :

إليكم الآن أغنية الجندول ..

تأليف على محمود طه ، تلحين وغناء عمى !! ..

أول إثنين عرفتهما عند بداية إشتغالى بالصحافة كانا : المخرج صلاح أبو سيف والفنان سعد عبد الوهاب .. ولعل لقائى بصلاح وسعد فى بدايتى الصحفية كان السبب فى استمرارى فى العمل الصحفى ؛ فإن دماثة أخلاقهما وظرفهما ورقتهما وتواضعهما وحسن تعاملهما وكون أنهما لم يشعرانى للحظة واحدة بأنهما فنانان كبيران ملئ السمع والبصر وأنا مجرد صحفى صغير يبدأ خطواته الأولى ؛ بل أشعرانى بأنهما صديقان أكثر منهما فنانان يتعاملان مع صحفى ..

وعلى امتداد السنوات الطويلة التى مرت على إشتغالى بالصحافة حتى الآن ظلت صلتى بالإثنين : صلاح أبو سيف وسعد عبد الوهاب ؛ وطيدة وأكيدة وثابتة .. أول إثنين أرفع سماعة التليفون لأتصل بهما عند وجودى فى مصر ، وأول واحد يتصلان به حين يكون أيهما فى لندن ..

سعد عبد الوهاب بالذت يجمع بينى وبينه عاملان مشتركان آخران : هو أن كلانا بدأ حياته مهندساً ، كما أن كلانا من أبناء الإذاعة المصرية التى عملنا فيها فى بداية حياتنا العملية بعد التخرج ..

كانت بداية سعد عبد الوهاب لا تتبئ أبداً بما هو فيه الآن .. كـان يخطـط لنفسه أن يصبح طبيباً ؛ لكنه وجد نفسه يتخرج فى كلية الزراعة .. وكان المفـروض تبعاً لذلك أن يقضى حياته الوظيفية مهندساً فى شركة السكر فى (نجع حمادى) فـى أقصى صعيد مصر حتى يصبح رئيس مجلس إدارتها قبل أن يخرج إلى المعاش بعدة شهور أو بعدة سنوات .. لكنه لم يستمر فى شركة السكر إلا شهراً واحداً فقط ليس إلا ، ثم وجد نفسه أمام ميكروفون إذاعة القاهرة أيام لم يكن فيها إلا البرنامج العام فقـط الذى كان يذيع ٩ ساعات فقط فى اليوم .. ويفتح سعد عبد الوهاب الميكروفون ليقول (هنا القاهرة) ويقرأ نشرات الأخبار قبل كل جيش المذيعين المعروفين اللامعين الآن .. بل وقبل أن يولد أصلاً الجيل الحالى من المذيعين والمذيعات الذين واللاتى ربما لا يعرفون أن الموسيقار المطرب النجم السينمائى سعد عبد الوهاب قد حلس قبلهم وقبلهن فى نفس الأسنوديو وأمام نفس الميكروفون ليقول : نقدم لكم الآن نشرة الأخبار الثانية يقرؤها عليكم سعد عبد الوهاب !! ..

* * *

فى أمسية فى الأسبوع الماضى ، فى بيتى فى لندن ؛ سألت سعد عبد الوهاب

* ماذا تبقى فيك الآن من مذيع الإذاعة بعد ٤٠ سـنة مـن إبتعـادك عـن الميكروفون كمذيع !؟ ..

– أشياء كثيرة .. لأننى لم أبتعد عن الإذاعة يوماً ما .. كل ما فى الأمر أننى غيرت موقعى أو نوعية عملى فيها وكأننى نقلت من إدارة إلى إدارة أخـرى داخـل الإذاعة ، فتحولت من مذيع وراء الميكروفون إلى مطرب وراء الميكروفون أيضاً .. وحين أدخل الإذاعة الآن فأنا لا أدخلها كأى فنان آخر داخل ليسجل أغنية أو حـديثاً ؛ لكننى أدخلها كبيتى القديم الذى تربيت فيه وكبرت فيه وظللت ٧ سنوات كاملة يعرفنى المستمعين خلالها كمذيع أقرأ نشرات الأخبار وأربط فقرات البرامج .. وكانت بدايـة شهرتى عند الناس (المذيع سعد عبد الوهاب) قبل أن يعرفونى كالمطرب والملحـن والممثل سعد عبد الوهاب .. يعنى شعورى الآن وأنا داخل ‘لى الإذاهة كشعور لاعب

كرة القدم القديم الذى إعتزل اللعب وتحول إلى مدرب .. فهو لازال يتعامل مع نفس الكرة ونفس الملعب وإن إختلف دوره فيه وموقعه منه .. فهو إبن هذا الملعب ، وأنا إبن هذه الإذاعة .. وكل الذين يعملون فى الإذاعة المصرية الآن إما زملاء جيلى الذين كبروا وأصبحوا يقودون الإذاعة الآن ، أو هم من أولادى وتلاميذى أو أولاد أولادى وتلاميذ تلاميذى !! ..

* هل تذكر التشنيعة التى قيلت عنك أيام أن كنت مذيعاً !؟ ..

ينفجر سعد ضاحكاً وهو يقول :

– طبعاً ، وهى دى حاجة تتنسى .. قيل عنى وقتها أننى فتحت الميكروفون مرة لأقدم أغنية (الجندول) .. فقلت : أيها السادة إليكم الآن أغنية الجندول من تأليف الشاعر على محمود طه تلحين وعناء عمى !! ..

* * *

* أنت إبن الشيخ حسن عبد الوهاب شقيق الموسيقار محمد عبد الوهاب .. هل أنت الوحيد الذى يقول لعبد الوهاب (يا عمى) !؟ ..

– لأ طبعاً .. نحن أربعة أخوة : ولدين وبنتين ، أنا أكبرهم .. وكلنا نقول للأستاذ عبد الوهاب (يا عمى) ..

* وهل لك أعمام آخرين غير الأستاذ عبد الوهاب !؟ ..

– طبعاً .. فالأستاذ عبد الوهاب واحد من ١١ أخاً وأختاً .. لكن أغلبهم توفوا أطفالاً .. حتى أننى لا أذكر منهم غير عمٍ واحد آخر وعمة أخرى ، وطبعاً الأستاذ عبد الوهاب ووالدى الشيخ حسن .. يعنى لم أر من أعمامى وعماتى الـ ١١ إلا ٣ فقط ، بالإضافة إلى والدى ..

* أعرف أنكم جميعاً : جدتك والدة أبيك الشيخ حسن عبد الوهاب والأستاذ محمد عبد الوهاب ، وأسرتك ، أسرة الشيخ حسن ، والفنان محمد عبد الوهاب ؛ كنتم تعيشون جميعاً فى بيت واحد كبير فى حى العباسية .. يعنى أنك نشأت فى بيت

فيه شيخ وقرآن ، وفيه أيضاً موسيقار مصر الأشهر وقتها وحتى الآن ؛ هل جعلـك ذلك تفكر فى مستقبلك كشيخ ، أو كفنان !؟ ..

- إطلاقاً .. لا هذا ولا ذاك كان وارداً على بالى بالنسبة لمستقبلى .. فقد كنت أخطط لنفسى أن أدرس الحقوق لأصبح قاضياً .. قاضى بالذات وليس محامياً .. ثم تراجعت هذه الأمنية ليحتل تفكيرى بعدها أن أكون طبيباً ..

* هل كان لك نشاط فنى مع الفرق الجامعية أثناء دراستك فى كلية الزراعة!؟

- على الإطلاق لم يكن الفن وارداً على بالى أبداً .. يعنى أحياناً كنت أدندن وأغنى لنفسى وحدى .. لكن لم يخطر على بالى أبداً وقتها أننى يوماً ما سأكون مطرباً محترفاً ..

* كون أن عمك هو الموسيقار الشهير جداً وقتها محمد عبد الوهاب ؛ هل أفادك أم لا !؟ ..

- أريد أن أوضح شيئاً هاماً : ليس فى الفن واسطة .. ولن تحب الجماهير صوتك وألحانك لمجرد أنك قريب أو من أسرة فنان آخر ، حتى لو كنت قريب رئيس الجمهورية .. والدليل على ذلك أنه ليس بين أبناء محمد عبد الوهاب نفسه الخمسة واحداً أصبح فناناً .. إبراهيم خالد إبن شقيق السيدة أم كلثوم حاول أن يكون مطرباً ولم يستمر .. نادية ذو الفقار حاولت أن تكون ممثلة ولم تستمر رغم أنها إبنة سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة وإبنة عز الدين ذو الفقار واحد من أعظم المخرجين الذين عرفتهم السينما العربية ، وأعمامها فنانان كبيران جداً هما محمود ذو الفقار وصلاح ذو الفقار ، وربيبة الفنان العالمى عمر الشريف الذى تربت وكبرت فى بيته ورافقته سنوات طويلة .. والأمثلة كثيرة .. الفن هو أن تكون فناناً جيداُ أو لا تكون ، ولن يساعدك غير ذلك أبداً .. لكن من المؤكد أن شهرة عبد الوهاب لفتت الأنظار إلىّ ، من باب الفضول على الأقل .. فأراد الناس أن يروا ما هى إمكانيات هذا الفنان اللى طالع جديد ويقال عنه أنه إبن شقيق محمد عبد الوهاب .. فمؤكد أن شهرة عبد الوهاب قد أفادتنى ولم تضرنى .. وإن كانت لم تفدنى فى عملى بقدر ما أفادتنى بتسليط الأضواء علىّ أكثر ..



* ومع ذلك فإن كل تلامذة عبد الوهاب فى الفن لم ينجح منهم أحد : لمعــوا كالشهاب لفترة قليلة جداً ثم إختفوا تماماً : رءوف ذهنى ثم محمد أمين ثم جلال حرب .. لماذا لم ينجح ولا واحد من هؤلاء ويستمر رغم أن عبد الوهاب تبناهم وإحتضنهم ورعاهم فنياً ولحن لهم وقدمهم فى أفلام من بطولتهم .. ومع ذلك لم يستمر ولا واحد منهم ..

- كل واحد منهم كان له ظروفه .. لكن فى رأيى أن جلال حرب كان ممكناً أن يكون شيئاً عظيماً لولا أنه يئس مبكراً وترك الفن وترك القاهرة كلها ورحل إلــى الإسكندرية وتوظف هناك وإحتجب إلى حدٍ ما .. ولو كان قد صمد قليلاً وبقــى فــى القاهرة لكان له شأن آخر .. جلال حرب فنان ممتاز صوتاً وألحاناً ..

* * *

* كم فيلماً قدمت للسينما !؟ ..

- سبعة أفلام : العيش والملح ، بلدى وخفة ، أختى ســتيتة ، ســيبونى أغنى ، بلد المحبوب ، علمونى الحب ، بالإضافة إلى فيلم تليفزيونى إسمه (جــرس

نص الليل) لم بعرض بعد فى دور السينما .. وكانت بطلات أفلامى : نعيمة عاكف ، ماجدة ، صباح ، إيمان ،زهرة العلا وسناء مظهر .. ثم إبتعدت عن السينما وأنا فـــى قمة نجاحى وشهرتى ، لسبب لم يكن يخطر على بالى ولا على بال أحد ..

* وهو !؟ ..

- ذهبت إلى الحج فى أواسط الستينيات ، وهناك طلبوا منـــى أن أقـــدم أغنية عن الحج فى الإذاعة السعودية ، وحدث .. فطلبوا أغنية أخرى ، فغنيت أغنيـــة للأمير عبد الله الفيصل .. فطلبوا أغنية ثالثة ثم رابعة وخامسة .. وطالت فترة إقامتى فى السعودية .. ثم بين السعودية والكويت والإمارات ، حيث لحنت النشـــيد الـــوطنى لدولة الإمارات .. ومرت سنوات وسنوات حتى عدت إلى مصر بعد نحو ٢٠ سنة .. لكن لم يحدث أننى كنت موظفاً فى أى إذاعة عربية كما أشيع فى وقتٍ من الأوقات .. فقد كنت دائماً ولازلت وسأظل فناناً متفرغاً لفنى فقط ..

ولست نادماً كثيراً هلى الفترة التى قضيتها بعيداً عن مصر .. فحين عدت إلى القاهرة وجدت أغنياتى لا تزال تذاع ولا تزال منتشرة بين الناس كأننى لم أبتعد عـــن مصر يوماً واحداً ، والحمد لله على ذلك ..

* وماا ى ذهنك ومشروعاتك فى مصر بعد غيبة كل هذه السنوات الطويلة ، وأنت لم تعد الفتى غض الإهاب بطل (العيش والملح) ولا الشاب الناضـــج فـــى (علمونى الحب) !؟ ..

- فى ذهنى مشروعات تليفزيونية وليست سينمائية .. وهى تصوير أغنيـــات تليفزيونياً .. ولو وجدت فيلماً غنائياً جيداً فسوف أقدمه فوراً ..

* * *

* أنت كبير الشبه جداً – فى ملامح الوجه – بعمك الأستاذ عبد الوهـــاب .. هل أفادك ذلك أم أضرك !؟ .. وهل يخلط الناس بينكما أحياناً !؟ ..

يضحك سعد وهو يجيب :

- يخلطوا بيننا لأ .. لأن مهما كان شبهى بالأستاذ عبد الوهاب فهو عبد الوهاب ليس بملامح وجهه فقط ، لكن بشخصيته وإشعاعه .. إنما تقدر تقول إن الشبه بيننا فيه شئ من الطرافة والظرف فقط لا غير .. يعنى لا هو ضار ولا مفيد .. المدهش فى هذه الناحية أننى أشبه عمى كثيراً جداً عما يشبهه أى واحد من أولاده هو.

* وماذا أخذت من طباع عمك !؟ ..

- الدقة والنظام والإخلاص جداً فى العمل ، والإتقان والتجويد إلى حد المبالغة ، والخوف من الزكام والأنفلونزا ..

* هل كان عمك يبدى رأيه فى ألحانك !؟ ..

- كنت أتعمد ألا أجعله يسمع ألحانى إلا بعد الإنتهاء من تسجيلها فعلاً .. وأتعمد ذلك حتى لا أتأثر بملاحظاته الفنية وأنفذها فتصبح ألحانى خارجة من تحت معطف محمد عبد الوهاب .. ألحانى هى ألحان سعد عبد الوهاب وحده فقط ، وستظل كذلك ..

نشر فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) – العدد ٢٩٣٨ – بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٩١

توفى سعد عبد الوهاب فى ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٤

من صفحات ألف ليلة وليلة يخرج :

سندباد بحرى جديد .. من أيرلندا !! ..

الزمان : يوليو عام ١٩٦٩ ..

المكان : سفينة الصيد المصرية (برنيس) فى وسط المحيط الأطلنطى ..

شغلتنى هذه الفكرة وقتاً طويلاً : فكرة أن يتطوع (الخواجات) الآن لمحاولة إثبات وتأكيد أن البحارة العرب فى سالف الأزمان كانوا ملاحين مهرة إستطاعوا أن يعبروا بسفنهم البدائية المحيط الأطلنطى من الساحل الأفريقى إلى الساحل الأمريكى .. يتطوع المغامرون (الخواجات) لإثبات قدرة العرب البحرية قديماً ؛ بينما نجلس نحن العرب الآن مرتاحين نضع ساقاً فوق ساق فى إنتظار نتيجة جهود الخواجات ، لكى نفرح ونسعد ، ونمد يدنا إليهم بحفنة من الذهب جزاءً لهم على أنهم بسطونا وأسعدونا وجعلونا نتذكر أمجادنا الماضية !! ..

كان الرحالة النرويجى " ثور هايردال " فى ذلك الوقت من صيف عام ١٩٦٩ يحاول أن يعبر المحيط الأطلنطى بمركبه المصنوع من الخوص المجدول ليثبت أن قدماء المصريين كانوا يقومون بنفس الرحلة فى زمانهم .. وكنا نحن ٨٤ شاباً مصرياً

على سفينة صيد السمك المصرية (برنيس) فى رحلة صيد فى المحيط الأطلنطى أيضاً إستغرقت شهرين كاملين .. وكان على السفينة معنا أربعة (خبراء روس) لأن السفينة كانت مصنوعة فى روسيا وفكرة الصيد فى المحيط الأطلنطى واردة إلينا أصلاً من روسيا .. لكن قبطان السفينة المصرى " عبد السلام داود " ركن الخبراء الروس تماماً طوال الرحلة ولم يستعن بهم ولا لحظة واحدة .. وكانت النتيجة أن هذه الرحلة كانت أنجح رحلات السفينة (برنيس) وحققت خلالها – بدون خبرة الخبراء الروس – ثلاثة أضعاف ما حققته فى رحلاتها السابقة التى كان الخبراء الروس يفتون بخبراتهم فيها .. وكان القبطان " عبد السلام داود " – الذى جاء من السلاح البحرى المصرى – رجل بحر حقيقياً من قمة رأسه إلى إخمص قدميه ؛ تشعر معه أن هذا الرجل ولد ليكون رباناً وقائد سفينة .. لكن يظل السؤال : لو أن عبد السلام داود ذهب وقابل نفس المسئولين المصريين أو العرب الذين قابلهم النرويجى " ثور هايردال " فهل كانوا سيقتنعون بفكرة (العربى) كما إقتنعوا ورحبوا بفكرة (النرويجى) هايردال !؟ .. لا أظن !! ..

مممممممممممممممممم

الزمان : بعد ١٥ عاماً .. إحدى أمسيات شهر نوفمبر عام ١٩٨٤ ..

المكان : حى [illegible] فى شمال مدينة لندن ..

كنت أتلمس طريقى تحت وابل المطر المنهمر إلى عنوان مسكن الرحالة الأيرلندى " تيم سيفرين [illegible] " فى شارع [illegible] فى حى [illegible] ؛ وأنا أفكر فى نفس الفكرة اتى ظلت تشغلنى ١٥ عاماً : لماذا المغامرون الأجانب هم الذين يهتمون بإثبات أمجاد العرب البحرية ولا نهتم نحن العرب أنفسنا بذلك !؟ .. هل خلاص إنتهت من نفوسنا روح المغامرة والمجازفة بعد أن أصبحنا كعرب – فى مجموعنا – أثرياء بما فيه الكفاية لنجلس ونضع ساقاً على ساق ونترك (تلك الأعمال الشاقة) للأجانب ليقوموا بها بدلاً عنا ، أو بمعنى أدق يقوموا بها فى خدمتنا !؟ .. وإذا كنا صرحاء أكثر نقول أننا (نستأجرهم) ليعيدوا هم كتابة تاريخنا لنشتريه منهم مرة أخرى !؟ ..

* * *



حول الدفء المنبعث من المدفأة فى غرفة مكتبه جلسنا نتبدل الحديث ؛ " تيم سبفرين " وأنا .. كلانا كاتب رحلات وكلانا البحر هوايته وإهتمامه وعشقه ، وكلانا – إلى حدٍ ما – يعيش من كتابة أدب الرحلات ..

" تيم سيفرين " شاب أيرلندى فى أوائل الأربعينيات لكنه يبدو أصغر من ذلك كثيراً ، ولد فى الهند قرب حدودها مع الصين ، لأسرة أيرلندية عاشت فى الهند منذ ما يقرب من قرنين من الزمان .. أبوه وجده وأبو جده ولدوا فى الهتد بعد أن جاء جده الأكبر إليها فى أيام عز الإمبراطورية البريطانية وحين كانت الهند هى (جوهرة التاج البريطانى) لكى يعمل فى زراعة وتجارة الشاى ، ولكن حين ولد " تيم " كانت شمس الإمبراطورية البريطانية قد بدأت تغرب عن الهند ؛ فأرسلته الأسرة طفلاً ليتعلم فى مدارس إنجلترا ثم فى جامعاتها ، ويستكمل دراسته الجامعية فى أمريكا ليدرس الجغرافيا ويتخصص فى تاريخ الترحال واالرحلات ، ويتخرج فى عام ١٩٦٧ وعمره نحو ٢٦ سنة ، ليحدد طريق مستقبله على الفور أن تكون مهنته ومهمته فى الحياة هى الرحلات ، رحالة .. وكان قد بدأ فعلاً فى تنفيذ ذلك أثناء دراسته ، فزار كل أوروبا ، من السويد إلى أسبانيا ، وزار مصر والمغرب وتركيا واليونان والهند وأفغانستان وأمريكا .. ونشر أول كتاب من كتبه الثمانية بعد تخرجه من الجامعة بشهر واحد ..

وكان " تيم " ينفق على رحلاته بنفسه بما كان يكسبه من الكتابة عنها ، أثناءها وبعدها ، لبعض الصحف والمجلات الأوروبية والأمريكية ، حتى أنه كان

يتبقى له بعد كل رحلة ما يكفى لدفع جزء من نفقات دراسته فى الجامعة .. فقد كـان السفر فى ذلك الوقت رخيصاً ، بالإضافة إلى تمتعه بالإمتيازات والتخفيضـات التـى تمنح للطلبة عادةً ، بل وأحياناً – إتباعاً للموضة أو التقليد الذى كان قد بدأ ينتشـر ى ذلك الوقت – كان يستعمل وسيلة (الأوتوستوب) أو التوصيلات القصيرة المجانيـة من أصحاب السيارات العابرة ، فى التنقل من مكان إلى مكان ..

قلت لـ " تيم سيفرين " :

* عزيزى مستر سيفرين ، أنا أعرف أن أشهر رحلاتك هى التى نسـميها (رحلة عمان) وأطلقت عليها أنت (رحلة سندباد) .. لكن لماذا لا نبدأ من البدايـة .. لم تكن (رحلة عمان) هى أولى رحلاتك البحرية ، أليس كذلك !؟..

– بل كانت رحلتى الثانية من هذا النوع .. أما ارحلة الأولى فكانت قبل ذلك بنحو ٣ أعوام .. كنا أربعة شبان عبرنا المحيط الأطلنطى إلى كندا فى رحلة إستمرت أربعة شهور كاملة ١٢٠ يوماً ، على قارب شراعى صغير طوله ٣٦ قـدماً ، مـن الطراز القديم جداً صنعناه بأنفسنا من جلود الحيوانات وليس من الخشب ، تماماً كمـا كان القدماء يصنعون قواربهم .. وكانت رحلة شديدة الخطورة تحطم فيها القارب ، أو بمعنى أدق (تمزق) على الجليد الحاد كالسكاكين ، فأضطررنا إلى إصلاحه ونحـن فى وسط الأطلنطى ..

* وماذا أردت أن تثبت بهذه الرحلة !؟ ..

– أردت أن أثبت أن هذه القوارب كان ممكناً أن تعبر المحيط الأطلنطى من سواحل أوروبا إلى سواحل أمريكا الشمالية وكندا فى الـزمن القـديم .. لأن هنـاك أسطورة قديمة تقول أن قديساً أيرلندياً يدعى " سانت برادين " قد قام بنفس هذه الرحلة فى عام ٧٥٠ ، بعنى قبل " كريستوفر كولمبس " بما يقرب من ألف عام .. وأردت أن أؤكد أن ذلك كان ممكناً فعلاً فى ذلك العهد القديم بتلك القوارب الصغيرة ذات الشراع الواحد التى كانت متاحة وقتها .. وأثبتنا ذلك فعلاً ..

* * *

قلت لــ " تيم سيفرين " :

* قمت برحلتك هذه عام ١٩٧٧ ، يعنى بعد حوالى ١٠ سنوات من قيام الرحالة اننرويجى الشهير " ثور هايردال " برحلتيه اللتين عبر فيهما المحيط الأطلنطى فى قارب مصنوع من الخوص المجدول وفى نفس مسار رحلتك تقريباً .. ما الفرق إذن بين رحلتك ورحلات " ثور هايردال " !؟ .. فإذا كنتما تريدان إثبات نفس النتيجة فقد أثبتها " ثور هايردال " قبلك بعشر سنوات وإنتهى الأمر ..

ويرد " تيم سيفرين " بسرعة وكأنه كان يتوقع هذا السؤال وكانت إجابته عليه جاهزة ومعدة سلفاً :

– تستطيع أن تقول عن النرويجى " ثور هايردال " أنه الشخص الوحيد الآخر الذى قام بمثل هذه الرحلة .. لكن " هايردال " كان إهتمامه الأكبر ثقافياً .. فقد كان يريد أن يثبت أن القدماء كشعوب ودول وأمم كانوا يستطيعون القيام بمثل هذه الرحلات بشكل جماعى ، أو ما يعنى أنه كان هناك مسار ملاحى أو (خط بحرى) دائم ومنتظم بين سواحل العالم وسواحل أمريكا .. فى حين أننى أردت أن أثبت أن هذه الرحلات كان ممكناً أيضاً أن تتم بشكل فردى أو بأشخاص قلائل جداً ..

* * *

* ثم كانت رحلتك الثانية هى (رحلة سندباد) ..

– فكرت فى الرحلة الثانية من مسقط فى عمان إلى كانتون فى الصين ، على مركب عربى الطراز والتصميم ، فى نفس مسار طريق التجارة العربية فى قديم الزمان عبر الخليج .. الطريق البحرى الذى كان متبعاً فى القرن الثامن والقرن التاسع ، يعنى من ألف سنة وأكثر .. وكانت هذه الرحلة بتنظيم وإشراف وتمويل وزارة الثقافة فى سلطنة عمان ، التى تحملت ودفعت كل النفقات ؛ لإثبات التاريخ البحرى العمانى القديم : سفينة شراعية بلا ماكينات ولا أجهزة ، صنعناها بنفس الطراز الذى كانت تصنع به السفن الشراعية منذ ألف عام مضى ، ولم نستعمل المسامير على الإطلاق فى تثبيت ألواح السفينة بعضها ببعض ، لكننا إستخدمنا الحبال المصنوعة من

ليف جوز الهند .. وكانت السفينة طولها ٩٧ قدماً وعليها طاقم مكون من ٢٠ فـرداً ، نصفهم من البحارة العمانيين الذين جاءوا من عائلات صيادى السمك ولـديهم خبـرة كبيرة بالبحر ، والآخرون علماء وباحثين من إنجلترا وأيرلندا وأستراليا وأمريكا والهند وتركيا والإتحاد السوفييتى .. وطبعاً لم يكن من بينهم سيدة واحدة ، فلم تكن النسـاء تركبن البحر فى ذلك الزمن القديم ..

* وكيف إخترت بحارتك !؟ ..

– سمعوا عن الرحلة أثناء الإعداد لها وأثناء بناء السفينة ؛ فتقدم عدد كبيـر إخترت منهم ١٠ فقط .. ورغم أنهم تقاضوا أجوراً عن عملهم على السـفينة خـلال الرحلة ؛ إلا أننى أحب أن أسميهم (متطوعين) لأن الرحلة كانت قاسية جداً أساسـاً وإستغرقت سبعة شهور ونصف ، أو ٢٢٥ يوماً .. فقد بـدأت فـى نـوفمبر ١٩٨٠ وإنتهت فى يونيو ١٩٨١ ، من عمان إلى الهند إلى سرى لانكا إلى سـومطرة إلـى سنغافورة إلى الصين .. وكنا نترك السفينة تماماً لإتجاهات الريح ، فلم يكن لـدينا إلا الأشرعة فقط .. وهذه الرحلة تعتبر كأنها ربع دورة حول العالم كله ..

* * *

* وإنتهت الرحلة فى كانتون بالصين ..

– حين وصلنا إلى الصين إعتبرنا أن الرحلة قد تمت وأننا إستطعنا إثبات أن البحارة العرب القدماء كانوا يقومون بمثل هذه الرحلة فى نفس خط السـير .. وعـاد طاقم السفينة من الصين إلى عمان بالطائرات ، بينما شحنت السفينة نفسها فوق سفينة أخرى حديثة عادت بها ٱلى عمان ؛ حيث سيقام متحف بحرى عربى يضم السـفينة (سندباد) وغيرها من الآثار القديمة التى لازالـت موجـودة عـن البحـارة العـرب والعمانيين القدماء ..

وقد صورنا خلال الرحلة فيلماً وثائقياً مدته ٣ ساعات عرض فى تليفزيونات العالم العربى كه وفى معظم دول العالم ، وعرض فى مصر أيضاً ، وعرضته القنـاة المستقلة فى التليفزيون الإنجليزى منذ نحو عام فى ٣ حلقات فى ثلاثة أيام متتاليـة ..

وتحمل نفقات إنتاجه التليفزيون العمانى .. وحصل الفيلم بعد عرضه على عدد من الجوائز فى مهرجانات الأفلام الوثائقية ، كان آخرها مهرجان هيوستون فى أمريكا منذ ستة شهور فقط ..

قلت لـــ " تييم سيفرين " :

* لماذا أنت شخصياً مهتم بهذ النوع من الرحلات !؟ ..

– أولاً لأنها تعطينى مادة لكتبى التى أصدرها والمقالات التى أكتبها فى مختلف المجلات ، كالمجلة الجغرافية العالمية .. كما أننى أستمتع بهذه الرحلات بشكل شخصى جداً لأننى رجل رحالة والسفر فى دمى وجزء من تكوينى ..

*هل تعتقد أنك الآن مشهور ومعروف فى العالم العربى بعد رحلتك على السفينة (سندباد) !؟ ..

– أعتقد أن الرحلة نفسها الآن مشهورة جداً فى العالم العربى .. وأشعر بأنه كان على العرب الحديثين أن يعلموا عن تاريخهم البحرى المجيد .. وقد كتبت كتابى بعنوان (رحلة سندباد) ونشر بالإنجليزية أولاً ، ثم ترجم ونشر بالفرنسية والألمانية والسويدية ، ويترجم الآن إلى اللغات الروسية والبولندية والأسبانية .. وذلك معناه أن الناس الآن فى كل هذه البلاد الذين لم يكونوا يعرفون أى شئ عن الملاحة العربية فى العصور القديمة ؛ قد أصبحوا الآن يعرفون أن البحارة العرب كانوا أعظم بحارة فى العالم (!!) ..

* أشرت إلى العديد من اللغات التى ترحم وسيترجم إليها كتابك عن (رحلة سندباد) ؛ لكن اللغة العربية لم تكن من بين هذه اللغات !! ؟؟

– أعرف أنه قد تمت ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية فعلاً فى عمان لتقوم بنشره وزارة الثقافة فى مسقط ، لكننى لا أعرف إن كان قد صدر بعد أم لا !! ..

* هل قمت برحلات أخرى بعد رحلة (سندباد) !؟ ..

– فى الصيف الماضى صيف ١٩٨٤ قمت برحلة ثالثة بدأت من اليونان فتركيا عبر البحر الأسود وبمحاذاة ساحل تركيا الشمالى ، إلى جورجيا بالإتحاد

السوفييتى .. أيضاً للخوض فى عالم البحر القديم عبر العصور والقرون الماضـــية .. وقمنا بهذه الرحلة على قارب طويل بـــ ٢٠ مجدافاً ، وبالتالى ٢٠ مجدفاً .. تصـــور ٢٠ رجلاً يجدفون لمدة ٩٠ يوماً (!!) ..

* وهل كان ذلك القارب كبيراً إلى الحد الذى يسمح بتخزين تمـــوين وغـــذاء ٢٠ شخصاً لمدة ٣ شهور !؟ ..

– لا طبعاً .. لكننا كنا نسير بمحاذاة الساحل دائماً ، ونبيت كل ليلة فى القرية التى نجد أنفسنا على مقربة منها عند حلول المساء ، ونشترى أكلنا من تلك القرية .. وقد تركت هذا القارب فى إسطنبول الآن ، لأننى فى الصيف القادم سوف أســتخدمه مرة أخرى فى رحلة عبر البحر الأبيض هذه المرة ..

* * *

* ما هى أخبار الرحالة النرويجى " ثور هايردال " الآن !؟ ..

– إنه يعيش فى إيطاليا الآن ، لكنه لا يقوم برحلات أخرى فى الوقت الحالى .. لازال يسافر هنا وهناك لكنه لا يقوم بـــرحلات بحريـــة الآن .. وهـــو الآن فـــى السبعينيات من عمره قطعاً ..

* أنت الآن فى أوائل الأربعينيات من عمرك .. هل تتصور أن هناك عمراً أو سناً معيناً ينبغى للرحالة أن يتقاعد عنده !؟ ..

– أنا شديد الأعجاب بـــ " ثور هايردال " ، لأن آخر رحلاته قام بها وهو فى أوائل الستينيات من عمره .. وذلك معناه أن أمامى ٢٠ سنة أخرى من الرحلات فـــى البحر قبل أن أبدأ أفكر فى الإعتزال .. ولو إستطعت فعلاً أن أستمر حتى ذلك العمـــر فسأكون سعيداً جداً .. المهم أن أجد دائماً أفكاراً جديدة لرحلات جديدة ..

* الأهم أن تجد ممولاً جديداً لهذه الرحلات الجديدة .. هل تركت لك رحلاتك وقتاً لتتزوج !؟ ..

– كلا .. فأنا أسافر وأرحل كثيراً .. ولو نظرت إلى الرحالة القدماء فســتجد أنهم حتى لو كانوا متزوجين فإنهم لم يكن لهم حياة أسرية حقيقية يتيحها لهـــم الوقـــت الذى يقضونه على البر بين رحلة وأخرى ، فهم إما عائدون من رحلة أو يســتعدون

ويتأهبون ويجهزون للرحلة التالية .. وعلى سبيل المثال فإن بيتى الأساسى فى أيرلندا ، لكننى لا أراه أكثر من شهر واحد على الأكثر كل سنة ، لأننى دائماً على سفر !! ..

نشر فى مجلة (الحياة السياحية) الشهرية فى باريس – العدد ٢٠ – بتاريخ فبراير ١٩٨٥ ..

العربة أمام الحصان !!..

فتى الشاشة المصرية والعربية الأول الآن " محمود ياسين " فى لنـــدن فـــى الوقت الحالى يمثل مسلسلاً تليفزيونياً .. هو ومجموعة الفنانين والفنانات المشـــتركين فى المسلسل جميعهم ينزلون فى فندق واحد فى ضاحية [يوشى] على أطراف لندن .

أدخل على " محمود يس " غرفته فى الفندق لأجده يجلس متربعاً على السرير وقد تبعثرت وتناثرت أمامه صفحات سيناريو الحلقة من المسلسل التى ستصور فـــى اليوم التالى ، وقلمه فى يده يجرى بنفسه تعديلات على المشـــاهد التـــى ســـوف يـــتم تصويرها غداً .. التعديل يقوم به " محمود ياســـين " علـــى المشـــاهد ككـــل ، دوره وأدوارغيره !! .. من بين بطلات المسلسل فنانة المسرح العظيمة " أمينة رزق " التى كانت نجمة كبيرة على المسرح قبل أن يولد " محمود ياسين " نفسه بعشرين سنة على الأقل ! ..

* * *

أسأله :

* محمود ياسين .. هل يكفى إسم محمود ياسين الآن لإنجاح أى عمل فنـــى .؟!

□ لأ ، على الإطلاق وبعيداً عن التواضع واقتراباً من الموضوعية .. العامل الأساسى لنجاح أى عمل فنى هو النص وقيمته الموضوعية ومدى ما فيه من رؤيـــة

فنية نظيفة .. وحين ينكفل لهذا النص عناصر لها خبرتها ونوظفها التوظيف الصحيح فإن ذلك يكون إضافة لصالح العمل ويكون ذلك هو النجاح ، وإلا ليذهب محمود ياسين والعمل الفنى فى (طوكر) !! ..

* إلى أى حد يتدخل محمود يس فى العمل الفنى الذى يؤديه !؟ ..

وفهم محمود ياسين أننى أقصد أوراق السيناريو المبعثرة أمامه على الأرض وفوق السرير يقوم بتعديلها .. فأجاب (

– حين أكون أمثل مع مخرج جديد فمن اللائق أن المخرج نفسه هو الذى يطلب ويستفيد من خبرات محمود ياسين بعد ٦٠ فيلماً لى فى السينما الآن !!.

* أليس ذلك معناه أنك تضع العربة أمام الحصان !؟ ..

– المفروض أن المخرج هو قائد العمل الفنى مهما كان وزنه ومهما كانت قيمته وأقدميته كمخرج ، لكن على أى حال ذلك ليس مستغرباً على السينما فى مصر .. فأنا أعرف أن فاتن حمامة توافق على المخرج نفسه أصلاً أو ترفضه.

ليست فاتن وحدها الآن هى التى تفعل ذلك ، فإن السينما المصرية حتى الآن ما زالت تدور فى مدار سينما النجوم ، والتكوينات تبدأ أولاً من خلال بطل وبطلة ثم يأتى بعدها المخرج ، يذهب المنتج إلى " فاتن حمامة – أو غيرها – ليسألهم : تحبوا نجيب مين مخرج !؟ ..

* من فى السينما المصرية الآن ، غير فاتن حمامة ومحمود ياسين ، يحدث معهم ذلك !؟ ..

حسين فهمى ونور الشريف وسعاد حسنى ونجلاء فتحى وآخرين وآخريات !!.

* * *

* محمود ياسين .. من أنت !؟ ..

– شاب بورسعيدى ، عمرى ٣٧ سنة وعدة شهور .. الوالد كان موظفاً بهيئة قناة السويس .. ترتيبى السادس بين ١٠ أخوة : ٤ بنات و٦ صبيان ، دراستى

الإبتدائية والإعدادية والثانوية فى بورسعيد ، وتخرجت فى كلية الحقوق جامعة عـــين شمس عام ١٩٦٤□.

* والفن !؟ ..

□ بدأ معى فى حفلات السمر والكشافة وفرق التمثيل المدرسية فى إبتـــدائى وإعدادى وثانوى وجامعة .. ومازال معى حتى الآن□.

*أذكر أننى سمعتك مرة تقول إنك لم تكن تتمنى أن تكون ممثلاً سينمائياً !؟.

□ فعلاً .. منذ ١٢ سنة حين كان عمرى ٢٥ لم يكن لى رغبة أكثر مـــن أن أكون ممثلاً مسرحياً ، وفى المسرح القومى بالذات على وجه التحديد .. فمن خـــلال أراء الآخرين أن شكل أدائى على المسرح كان ملفتاً للنظر ، وأنا نفسى كنت حاســـس بكده ، لكن لم يكن لدىّ أى تصور أننى بعد هذا الدور الصغير جداً فـــى مســـرحية (سليمان الحلبى) سأصبح محمود ياسين الذى يعرفه الناس الآن ، لكن كان كل أملى أن أكون ممثلاً مسرحياً .. أما بالنسبة للسينما فلم تكن إطلاقاً فى محيط أمالى ولـــم أكـــن أفكر فيها ، بل لعلى كنت رافضاً لها أيضاً .. ولم يكن رفضى لها إلا تصـــوراً منـــى أننى لا أصلح للعمل السينمائى ولا أملك مواصفات نجم السينما .. وقـــد بنيـــت هـــذا التصور على أساس أنه كانت هناك فكرة خاطئة عند السينمائيين بأن النجم الســـينمائى هو الشاب الحليوة المسمسم الجميل التقاطيع ، ذلك بالإضافة إلى أن الموضوعات التى كانت السينما تقدمها فى تلك الفترة كانت موضوعات ساذجة جداً .. كانت هـــذه هـــى تصوراتى وقتها .. وكانت تصورات حقيقية إلى حدٍ كبير□.

* ثم !؟ ..

– ثم إكتشفت فيما بعد أن بين السينمائيين فنانين لهم أفكارهم وقيمتهم الثقافية وتفكيرهم ورؤياهم الفنية السليمة الناضجة ولديهم الرغبة فى تقديم مستويات ممتـــازة من السينما .. بالإضافة إلى أنه مع بداية عملى فى السينما كانت ظاهرة النجم الحليوة قد بدأت فى الإنحسار والإختفاء حتى بالنسبة للسينما العالمية كلها ..

* وحسين فهمى .. ألا يعتبر من النجوم الحليوة الذين تتكلم عنهم !؟ ..

□ قطعاً حسين فهمى ليس ضمن الملاحظات التى قلتهـا .. حسـين فهمـى سينمائى أصلاً درس الإخراج فى مصر ثم درسه أكثر فى أمريكا ليكون مخرجـاً .. وكون أن البعض يراه كممثل فذلك ليس عيباً لأنه أصلاً ليس غريباً على السينما وليس دخيلاً عليها ، إنما أنا أتكلم عن لاعب كرة مشهور أو لاعب تنس أو طاولة مشـهور نجعل منه نجماً سينمائياً بالعافية لمجرد أنه لاعب مشهور أو لمجرد أنه حليوة □

* * *

* أنت لم تتخرج من معهد التمثيل فى مصر ، ومع ذلك فأنت أشهر ممثل فى مصر الآن !؟ .. ما دور معهد التمثيل بالضبط فى تخريج ممثلين ممتازين !؟ ..

□ معاهد التمثيل عموماً فى أى دولة فى العالم فيها سينما ؛ هـى الطريـق الشرعى أو الطبيعى أو المنطقى الذى يعلم فن التمثيل أو تكنيـك التمثيـل .. لكنـه بالضرورة لا يخلق ممثلاً ما لم تتوفر فيه الموهبة أصلاً .. معهد التمثيل قطعاً لـيس هو السبيل الوحيد لإظهار ممثلين ممتازين□

* من من جيلك من الممثلين تخرجوا فى معهد التمثيل !؟ ..

□ نور الشريف وعزت العلايلى وصلاح قابيل ، وإن كان صلاح لـم يأخـذ حظه الكامل بعد فى السينما .. أيضاً لا ننسى من الأجيال التى سبقتنا فريـد شـوقى وشكرى سرحان والمرحوم صلاح سرحان ، فهم أيضاً من خريجى معهد التمثيل□

* لكن فريد شوقى وشكرى سرحان كانا ممكن أن ينجحـا ويلمعـا دون أن يتخرجا من معهد التمثيل ، كما حدث معك أنت شخصياً !؟ ..

- صحيح□

* ثم .. هل يعتبر نجاح ٣ أو ٤ نجوم على مدى ٢٥ سنة ؛ نجاحاً لمعهـد التمثيل !؟ ..

لا إجابة□

* * *

* لماذا أنت هنا فى لندن !؟ ..



□ أنا هنا لأمثل حلقات تليفزيونية جديدة .. فعلى امتداد سنوات عملى فى السينما لم أمثل للتليفزيون غير (الدوامة) منذ ٥ سنوات ونجح نجاحاً كبيراً .. وبعد (الدوامة) مثلت مسلسلاً آخر إسمه (بعد الضياع) ، وهو إنتاج سعودى صور فى مصر ولم يعرض حتى الآن رغم مضى سنتين على إنتاجه .. ونتيجة لما لمسته من تأثير مسلسل (الدوامة) على الناس إكتشفت أن مسلسلاً تليفزيونياً واحداً يساوى ١٠ أفلام سينمائية ، لأنه يوجد كثير من الناس لا يذهبون إلى السينما فنذهب إليهم المسلسلات لغاية عندهم فى البيوت□.

* وإذا حسبناها مادياً : ١٣ حلقة" تليفزيونية × ٥٠ دقيقة لكل حلقة فيكون المجموع ٦٥٠ دقيقة أو نحو ١١ ساعة .. الفيلم السينمائى عادة يكون نحو ٩٠ دقيقة .. يعنى المسلسل التليفزيونى يساوى فى وقته ومجهوده نحو سبعة أفلام .. أنت تتقاضى فى الفيلم فى مصر الآن ١٢ ألف جنيه .. أفهم من ذلك أنك تتقاضى فى هذا المسلسل أجراً ٨٤ ألف جنيه !؟ ..

وضحك محمود ياسين فى استغراب وهو يتفحصنى ملياً كأنه يتوقع أننى أخفى فى كمى مأمور ضرائب مثلاً□.

* وعندما نحسبها مادياً.. بالفلوس يعنى !؟ ..

إبتسم محمود وهو يجيب فى ديبلوماسية وبشكل من ينـــوى ألا يـــرد علـــى تساؤلى مهما حاولت)

□ أنا دايماً الحمد لله كسبان .. الشهر الذى أقضيه فى لندن يساوى تماماً مـــن ناحية الوقت الشهر الذى أقضيه فى القاهرة .. الـــ ٣٠ يوم بالعربى هى نفسها ٣٠ يوم بالإنجليزى .. والمهم نوعية العمل الذى أعمله هل أحبه أم لا ، ثم تـــأتى الحســـابات المادية بعد ذلك .. وعلشان أريحك فحين تأتى مسألة (بعد ذلك) فأنا برضه كسبان .

* ما الجديد الذى تقدمه بعد ٦٠ فيلماً فى السينما فى هذا المسلسل الذى تقوم بتمثيله الآن !؟ ..

وحكى محمود يسن باختصار وبشكل عام فكرة المسلسل ، فقلت)

* لكن الفكرة ليست جديدة ، ونفس الفكرة بالضبط عولجت فى أكثر من فيلم أجنبى وفى ٣ أفلام مصرية على الأقل .. مثل (أمير الظلام) و(الشموع السوداء) الذى قام ببطولته صالح سليم ونجاة الصغيرة وأخرج الفيلمان المرحوم عز الـــدين ذو الفقار ، وقام هو نفسه ببطولة الفيلم الأول ، وفيلم (أغلى من عينيا) الذى قام ببطولته عمر الحريرى وسميرة أحمد على ما أذكر ..

وبدا على محمود ياسين ما يشبه الضيق وهو يدافع عن مسلسله الجديد الـــذى يشترك أيضاً فى إنتاجه□

□ كما نعرف جميعاً فإن العبقرية الإنسانية لم تخلق ولم تبتكر حتى الآن غير ٢٤ فكرة تدور حولها كل الموضوعات فى السينما والمسرح وفى التليفزيـــون وفـــى الأدب وفى الروايات وفى القصص وفى كل إنتاج فنى .. المسألة ليست فى الحدوتـــة ذاتها لكن فى طريقة معالجتها ، وقطعاً " يوسف فرانسيس " كاتب القصة والسيناريو له رؤياه الفنية الخاصة ، ويعرف مثلك تماماً أن نفس الفكرة عولجت كثيراً من قبل ، ولو لم يكن عند " يوسف فرانسيس " رؤية جديدة لما كتب هذا العمل□

* وبالنسبة لك أنت شخصياً .. ما الجديد فى الدور !؟ ..

□ لعبت كثيراً دور مريض نفسى .. لكننى لم ألعب من قبل دور المعالج النفسى ..

* * *

* هل لا يزال يحدث فى السينما المصرية الآن أن الممثل يوقع عقداً على بياض دون أن يعرف القصة التى سيمثلها أو دوره فيه أو أى شئ عنها ، المهم أن يقبض العربون !؟ ..

□ ذلك لا يحدث معى أنا شخصياً على الأقل .. وهناك مخرجون يرسلون لى سيناريوهات فلا أفتحها أصلاً وأعيدها إليهم شاكراً ومعتذراً بارتباطات قد لا تكون موجودة فعلاً .. وقد أكون فى حاجة إلى كل مليم من العربون ، لكننى لا أقبل مسألة (على بياض) هذه□

* وإذا كان المخرج الذى يرسل إليك هذا العقد الذى على بياض حسين كمال ، الذى إكتشفك وقدمك للسينما !؟ ..

ويعتدل محمود ياسين بحدة فى جلسته على السرير ليقول لى بما يشبه الاستنكار :

– سأظل مديناً لحسين كمال طول عمرى .. وبشكل محدد فإن حسين كمال لعله المخرج الوحيد الذى يعلم عنى ما لا أعلمه أنا عن نفسى ، ويعرف ما أستطيع أن أقدمه أكثر مما أعرف أنا ..

* وإذا كان المخرج صاحب العقد على بياض هو صلاح أبو سيف !؟ .

□ أجرى إليه ولا أنتظر حتى يصلنى العقد□

* وكمال الشيخ !؟ ..

□ أنزل إلى الأستديو فوراً ولا أنتظر حتى ينتهى من كلامه□

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد ١٢ – بتاريخ ١٤ / ١ / ١٩٧٨ ..

في عيد ميلاد الـ ا.. العربية الأربعين ..

الرجل الذى يحمل سلم العروبة بالعرض!

مستمعو إذاعة الــ ا.. العربية فى الأربعينيات ومستمعو إذاعة " صــوت أمريكا " فى الخمسينيات وحتى أواسط الستينيات ، قطعاً يذكرون إسمه جيداً ، وسوف يسعدهم أن يقرأوا عنه الآن .. أما مستمعو نفس الإذاعتين بعد ذلك ، وباقى القــراء ؛ فإنهم قطعاً يلتقون بخزانة ذكريات متحركة عن تاريخ الإذاعــة العربيــة والإذاعــة الأمريكية باللغة العربية : " عيسى خليل صباغ " ..

إلتقينا فى أروقة مبنى الــ (بوش هاوس) أو الــ " بى. بى. ســى " حــين قدمه لى " يعقوب مسلم " أحد مديرى الإذاعة العربية فأدركت على الفور أننى أضــع أصابعى على مفاتيح تاريخ الإذاعة البريطانية العربية ..

نبتدى منين الحكاية !؟ ..

حين جاء الشاب " عيسى خليل صباغ " إلى بريطانيا لأول مرة وهــو فــى العشرين من عمره ، وكان ذلك فى أواخر الثلاثينيات ، لم يكن فى تقــديره ولا فــى تصور من أرسلوه أنه سوف يستقر فيها زمناً طويلاً ، ثم يقضى حياته بعد ذلك متنقلاً سواحاً بعيداً عن وطنه ، حتى اليوم ، دون أن يعمل فى وطنه نفسه ولا ليوم واحد !! ..

فحين أنهى الشاب الفلسطينى " عيسى " دراسته فى الكلية العربيــة بالقــدس أوفدته الإدارة البريطانية فى فلسطين وقتها مبعوثاَ إلى جامعة (إكستر) فى مقاطعة (دافن) ببريطانيا ، لدراسة الجغرافيا والتاريخ ، تمهيداً لأن يعود مفتشاً عامــاً لهــاتين المادتين فى مدارس فلسطين .. لكن القدر والنصيب ، والحرب أيضاً ؛ كانت تخطــط لعيسى مستقبلاً مختلفاً تماماً ..

فى يناير عام ١٩٣٨ بدأت إذاعة الــ " بى . بى . ســى " إرســالها باللغــة العربية من لندن .. وفى سبتمبر ١٩٣٩ بدأت الحــرب العالميــة العظمــى الثانيــة وإنقطعت سبل المواصلات المدنية أو كادت بين الشرق العربى وأوروبا ؛ فتوقــف (المورد) الذى كانت تستمد منه الإذاعة الجديدة الأصــوات والمــذيعين والمتحــدثين ومقدمى البرامج .. لذا فقد أرسلت الإذاعة البريطانية تعميماً أو نداءً إلــى الجمعيــات البريطانية كلها : " إذا كان لديكم طلبة عرب تشعرون أن عندهم مواهب فى الكتابــة فشجعوهم على أن يكتبوا لنا ونحن نذيع لهم " .. ويلتقط " عيسى " الشاب العشــرينى هذا النداء وهو يدرس فى جامعة (إكستر) فيرسل إلى الإذاعة نصاً بعنوان (الغريب فى الغرب) يتكلم فيه عن مشاهدته كشاب عربى للحياة فى بريطانيا وكيــف تقــارن بالحياة فى البلاد العربية فى ذلك الوقت ..

وينال النص المكتوب إعجاب المسئولين فى الإذاعة البريطانيــة العربيــة ، فيستدعون الشاب عيسى لكى يسجل الحديث بصوته .. يقول " عيسى خليل صــباغ " عن ذلك اليوم :

- فوجئت بأننى لا أسجل وإنما أذيع على الهواء مباشرة .. قدمنى أنور عبد الفتاح وكان مذيعاً مصرياً هائل الشأن فى ذلك الوقت .. وكان يجلس خارج الاستديو يستمع إلى مجموعة من الإنجليز الذين يعرفون اللغة العربية ، مثل " باكستون " الذى ترجم (الأيام) للدكتور " طه حسين " إلى اللغة الإنجليزية .. وبعد أن إنتهيــت مــن إذاعة حديثى إلتفوا حولى وقالوا لى : " عظيم ، هائل ، لماذا إذن إدعيت فى البدايــة أنك لم تدخل ستوديو فى حياتك ولم تر ميكروفون من قبل !؟ .. إنك كنت تمزح قطعاً

!؟ .. قلت : " أبداً والله .. هذه هى الحقيقة " .. وسألنى واحد منهم سؤالاً غريباً ، قال : " فيما كنت تفكر وأنت تقرأ حديثك !؟ .. قلت : " كنت أفكر فى أصدقائى فى فلسطين الذين يستمعون إلىّ الآن ، وكنت أشعر أننى أحدثهم شخصياُ " .. فرد مستر " ماكنزى " قائلا : " هذا هو سر الإذاعة " .. وأقنعونى بأن أعمل معهم ، فاقتنعت .. وكان المفروض أننى بعد أن أنتهى من دراستى فى جامعة (إكستر) أن أعود إلى فلسطين لأعمل مفتشاً للجغرافيا والتاريخ فى مدارسها .. لكن جاء أمر من المندوب السامى البريطانى فى فلسطين بأن أبقى فى إنجلترا وأستمر فى الــ " بيى . بى . سى " .. طبعاً كانت هذه المسألة مدبرة من الــ " بى . بى . سى " كما عرفت فيما بعد ، لأنه قطعاً المندوب السامى البريطانى فى فلسطين لم يكن يعلم بى وهو فى القدس ..

* * *

* جيلك من الإذاعيين فى الــ " بى . بى . سى " !؟ ..

– حين عملت فى الــ " بى . بى . سى " كنت أول واحد غير مصرى يعمل فيها ، فقد كان كل من سبقونى فيها من المصريين : الشيخ محمد محمود جمعة ، أحمد كمال سرور ، محمد عزيز رفعت ، أحمد طاهر ، أنور عبد الفتاح ، بسيونى أحمد بسيونى ، ومحمد الغزاوى نقيب الممثلين فى مصر الآن .. وبعدى جاء إدوار عامون ، وهو مصرى أيضاً ، وبهاء الدين طوقان الأردنى ، الذى أصبح سفيراُ بعد ذلك ، وهو والد المرحومة الملكة " علياء " ملكة الأردن التى توفيت فى حادث طائرة .. وفى الأربعينيات جاءت مجموعة أخرى من المصريين الممتازين : محمود مرسى الممثل السينمائى الكبير فى مصر الآن ، محمد توفيق المخرج والممثل المسرحى الآن أيضاً ، وأحمد فتحى الشاعرالشهير بعد ذلك ، وكامل يوسف ، وعبد الحليم البشلاوى .. وقد عاصرت الــ " بى . بى . سى " فى عز سنوات الحرب يوم كانت الطائرات الألمانية تضرب لندن بالقنابل كل ليلة .. وكانت الــ " بى . بى . سى " – ولا تزال – مدرسة إذاعية عظيمة ، خصوصاً لوضعها الدستورى الذى يجعلها مستقلة تماماً ، وبالتالى فإن الذى يعمل فيها يشعر هو أيضاً بأنه مستقل تماماً ..

* وذكريات الحرب معك !؟ ..

– كثيرة كثيرة كثيرة .. لكن الذى لا يروح من ذاكرتى أبداً هو كأس من البيرة كان هو الذى أبقى على حياتى ، وجعلنى أكون موجوداً لأجلس وأتحدث معك الآن ..

ففى أيام الحرب والغارات اليومية على لندن كانت الـ " بى . بى . سى " تحجز دائماً فى فندق (لانجهام) القريب من الإذاعة لكى تبيت فيه الواردية المسائية بعد أن تنتهى الإذاعة فى ساعة متأخرة ، حتى لا نعود بيوتنا فى أطراف لندن سيراً على الأقدام خلال الغارات .. وفى ليلة خرجنا بعد الإذاعة أنا وزميلى المذيع المصرى " بسيونى أحمد بسيونى " لنذهب إلى الفندق ، وكانت الغارة الجوية الألمانية على لندن شغالة وفى عزها ، لكننا كنا قد ألفنا هذه الغارات واعتدناها وتعودنا عليها ، لذا فقبل أن ندخل توقفنا عند باب الفندق واقترحنا أن نذهب ونشرب كأساً من البيرة قبل أن نصعد لننام .. وفعلاً ذهبنا إلى بار قريب وشربنا كأساً من البيرة وعدنا بعد عشرة دقائق أو ربع ساعة فى طريقنا إلى الفندق مرة أخرى .. لكننا حين عدنا إليه لم يكن الفندق موجوداً فى مكانه .. فقد أصيب إصابة مباشرة بقنبلة ألمانية أحالته إلى أنقاض .. وكان المفروض – لولا كأس البيرة– أن نكون فى داخله وتحت هذه الأنقاض !! ..

* * *

وبعد الحرب عادت الأمور شبه روتينية وتحولت الأخبار العربية إلى أخبار سياسية وأمم متحدة وتحالفت وجامعة عربية .. وفى سنة ١٩٥٠ كنت قد أصبحت أحمل ٣ ألقاب : كبير المذيعيين ، ومدير الإخراج ، والمشرف العام على البرامج العربية ؛ وبالتالى كنت المدير الفعلى للإذاعات العربية كلها فى الـ " بى . بى . سى " .. وكان مرتبى قد وصل إلى ١٢٠ جنيهاً فى الشهر ، وذلك كان أكبر مرتب يعطى لشخص وقتها ، حين كان الجنيه الإسترلينى يساوى ٤ دولارات .. وكنت أسكن فى بيت فى لندن من طابقين وأدفع فيه إيجاراً شهرياً قدره ٢٢ جنيها .. وكان ذلك أيضاً ايجاراً كبيراً جداً جداً فى ذلك الوقت .. لكن لأننى لم أكن أحمل الجنسية البريطانية

فإن الترقيات كانت قد توقفت أمامى بعد ذلك .. فقد وصلت إلى أخر وأقصى ما يمكن ان يصل إليه أجنبى فى بريطانيا .. وكنت خلال تلك السنوات العشر التى قضيتها فى الــ " بى . بى . سى " قد كتبت إستقالتى منها ٣ مرات على قصاصـــة ورق وبقلـــم مكسور .. لكن إستقالتى رفضت فى المرات الثلاث .. لذا فما أن لاحت أمامى فرصة العمل فى (صوت أمريكا) حتى قبلتها على الفور ، وكان ذلك فـــى أواخـــر ســـنة ١٩٤٩..

* * *

* وصوت أمريكا أيضاً !؟ ..

- فى عام ١٩٤٩ ومع ازدياد أهمية منطقة الشرق الأوسط والمنطقة الغربية عموماً ؛ إهتمت وزارة الخارجية الأمريكية بأن تكون لها محطة إذاعة تــذيع باللغــة العربية .. فأوفدت إثنين من رجال الخارجية الأمريكية إلى الشرق الأوسط لاختيـــار أشخاص يعملون فى الإذاعة الجديدة (صوت أمريكا) .. وجاءا للقائى لأن أحد مـــا كان قد رشحنى لهم ، فقابلانى لمدة ساعة ونصف سألانى بعدها إن كنت أقبل العمـــل فى (صوت أمريكا) .. وقبلت طبعاً .. وافتتحنا الإذاعة فى يـــوم أول ينـــاير عـــام ١٩٥٠ .. وكان مقرها وقتئذ فى نيويورك ..

* هل تذكر ماذا قدمتم فى يوم افتتاح إذاعة (صوت أمريكا) !؟ ..

- طبعاً .. كنت أنا مدير الإذاعة .. فقدمت لها ســـائلاً رضـــا الله ورضـــا المستمعين .. ثم افتتحنا بآيات الذكر الحكيم وبكلمات من جماعات الوفود العربية فـــى الأمم المتحدة وواحد يمثل جامعة الدول العربية .. وكنا قد طلبنا من الشاعر " إيليا أبو ماضى " أن ينظم قصيدة للمناسبة ، فنظم قصيدة مطلعها : (أيها الصوت إن يومـــك عرس ، أدرك الدهر عابساً فتبسم) .. وكانت هناك مطربة لبنانية حديثة العهد بأمريكا إسمها " كهرمان " غنت أيضاً فى يوم الإفتتاح .. وبدأت إذاعة (صـــوت أمريكـــا) بنصف ساعة يومياً تدرجت إلى ساعة ونصف الساعة وبعدها قفـــزت أيـــام حـــرب السويس عام ١٩٥٦ إلى ١٥ ساعة ونصف نتيجة الأحداث ، ثم عادت بعدها فانكمشت لتستقر الآن على ٦ ساعات ونصف على امتداد اليوم .. وفى العـــام ١٩٥٣ قـــدمت

سلسلة أحاديث من مصر ، مع اللواء " محمد نجيب " رئيس الجمهورية فـــى مصـــر وقتها ، ومع " جمال عبد الناصر " و" محمد فوزى " ..

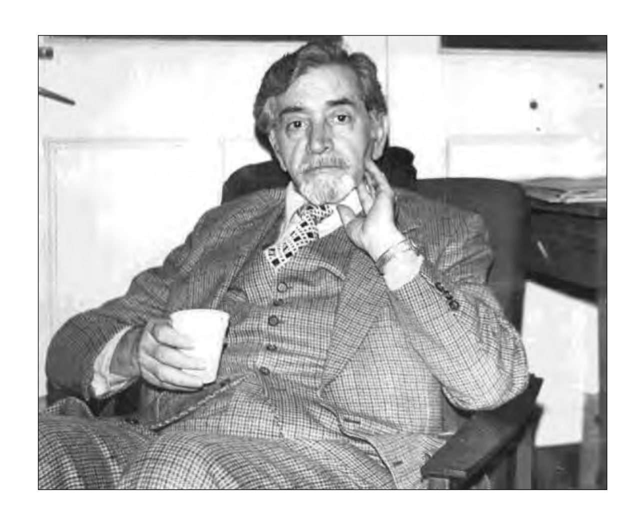
* * *

ويواصل " عيسى خليل صباغ " حديث الذكريات ..

– خلال السنوات الأولى لوجودى فى أمريكا حصلت على الجنسية الأمريكية وتزوجت من أمريكية سويدية الأصل تتكلم اللغة العربيـــة زى العفاريـــت ، وتطـــبخ الملوخية أشطر من أى ست مصرية .. وفى عام ١٩٥٨ حين إنتقلـــت مـــن الخدمـــة المدنية كما يسمونها إلى العمل فى السلك السياسى ؛ كان مرتبـــى قـــد وصـــل إلـــى ١٤٠٠٠ دولار فى السنة .. وفى السلك السياسى كان أول تعيين لى مديراً للشـــئون العامة بالسفارة الأمريكية فى المملكة السعودية .. وبقيت فى هذا الموقع ٧ سنوات .. ومن السعودية إلى الكويت .. ثم إلى واشنطن لأعمل فى وكالة الإعلام الأمريكية " يو . إس . اى . إيه " .. ثم إلى الكويت مرة أخرى ، إلى بيروت ، إلى السعودية مـــرة ثانية حتى ٤ شهور مضت .. حين عدت مرة ثانية إلى وزارة الخارجيـــة الأمريكيـــة وعدت إلى العمل فى السفارة الأمريكية فى جدة مستشاراً ومســـاعداً خاصـــاً للســـفير الأمريكى فى السعودية ..

* عملت مترجماً للرئيس الأمريكى فترة !؟ ..

– ليس بالضبط .. إنما حدث حين جاء الأمير " فيصل بن عبد العزيز " قبل أن يصبح ملكاً ، وكان وقتها ولياً للعهد ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية السعودية .. حين جاء إلى أمريكا لمقابلة الرئيس " كيندى " طلب منى أن أكون حلقة الوصل بينهما .. ولصقت بى هذه المسألة وقتاً طويلاً بعد ذلك .. فكلما جـــاء مســـئول ســـعودى أو سورى لمقابلة الرئيس الأمريكى كنت أقوم بمهمة الترجمة بينهما .. واستمر ذلك حتى عهد الرئيس " كارتر " .. حتى حدث مرة أن كنت معه على نفس الطائرة فقـــال لـــى الرئيس " كارتر " : " سمعت أنك سوف تترك العمل !؟ " .. فقلت : " مش بمزاجي .. إنما أنا مضطر إلى أن أتقاعد فى سن الستين فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ " .. فقال : " لا .. بل تبقى معنا فى وزارة الخارجية " .. وقد كان ؛ وانتقلت إلى وزارة الخارجية ولم أتقاعد تنفيذاً لتعليمات الرئيس كارتر ..



* أنت أمريكى إذن منذ ما يقرب من ٢٥ سنة ، وتعمل فى الخارجيـــة منـــذ زمن بعيد ، وفيك كل مقومات السفير .. لماذا لم تصبح سفيراً !؟ ..

- لأننى عربى وأنفى فوق وكبريائى فوق .. وكان ممكناً أن أكـــون ســـفيراً رغم كونى عربياً .. فـــ " هيرمان ايلتس " السفير الأمريكى فى القاهرة أصله ألمانى ومتجنس بالجنسية الأمريكية .. وأنا " / [illegible] " فى وزارة الخارجية الامريكيـــة ، وهناك سفراء كثيرون فى المنطقة أقل منى فى المرتبة وأصبحوا سفراء .. لكن لأننى عربى ومتحمس للعروبة وشايلها على دماغى فى كل مكان ، وعلـــى رأى زوجتـــى الأمريكية السويدية التى تقول لى دائماً : " أنت تحمل سلم العروبة بالعرض " ..

نشر فى جريدة (المنار) اللندنية – العدد ١٢ – بتاريخ ١٤ / ١ / ١٩٧٨

عبد الحليم حافظ .. السودانى !!

الأغنية السودانية الوحيدة التى أحتفظ بها فى مكتبة تسجيلاتى هى أغنية (المامبو السودانى) للمطرب " سيد خليفة " ، وأهديت لى ولم أشتريها .. لذا فأنا مستمع لا قيمة له على الإطلاق بالنسبة للفن السودانى .. ومع ذلك فإن إسم " أحمد المصطفى " مرتبط فى ذهنى دائماً بأنه أشهر مطربى السودان ..

* * *

أحمد المصطفى هو المطرب السودانى الأشهر فى مصر وفى البلاد العربية .. ورغم أنه فى الخامسة والخمسين من عمره الآن إلا أنه يبدو شاب جداً .. رصيده من الأغنيات ٢٠٠ أغنية مسجلة فى إذاعة السودان والإذاعات العربية المختلفة ، وبالإضافة إلى ذلك فهو رجل أعمال أيضاً ووكيل لعدد من شركات البترول الأجنبية فى السودان !!

أحمد المصطفى فى لندن الآن فى واحدة من زيارته العديدة المنتظمة لإنجلترا التى يتردد عليها عدة مرات كل سنة .. وعن الفن السودانى وعن علاقة الفن السودانى بالفنون العربية الإفريقية والفنون العالمية أيضاً ؛ كان حديثى مع نقيب الفنانيين السودانيين ..

* نقيب الفنانين السودانيين !؟ ..

□ من زمان ، من نحو ٢٠ سنة وبالتحديد منذ ســنة ١٩٥٧ حتــى الآن .. تخللتها ٣ سنوات فقط كنت خلالها بعيداً عن السودان□

*□□□ أغنية لك مسجلة فى الإذاعات السودانية والعربية .. أشهرها !؟ ..

□ كل أغنياتى مشهورة ، لكن أشهرها هى أغنيات (بنت النيل) و(ما أحلى ساعات اللقا) و(أيام وليالى)"و(سفرى سبب لى عنايا) و(الوسيم الجلــب راده) وأغنية " أحمد رامى " (راحل مقيم) التى مطلعها (حبيب لست أنساه جعلت القلــب مأواه . نأى عنى وغادرنى ، وفي الأحلام لقياه) ، إلى أن تنتهى بــ (محاسن هذه الدنيا كتاب أنت معناه) ..

* * *

* الفنان أحمد المصطفى .. الأغنية الهندية إنتشرت فى العــالم كلــه الآن ، والأغنية اللبنانية إنتشرت أيضاً فى العالم كله ، على الأقل فى الدول التى فيها تجمعات عربية .. لماذا لم تنتشر الأغنية السودانية عالمياً !؟ ..

□ التقصير فى الدعاية الكافية وعدم وجــود الفــيلم الســودانى والأســطوانة السودانية ، فقد تصادف مع بداية نضج الفن السودانى والغناء السودانى قيام الحــرب العالمية العظمى الثانية سنة ١٩٣٩ فتوارى الفن السودانى جانباً حتى إنتهت ســنوات الحرب ، وبعد إنتهاء الحرب ظللنا فترة طويلة فى السودان وليســت لــدينا شــركات اسطوانات تطبع أغانينا وتوزعها ، ومؤخراً فقط أصبح هناك طبع إسطوانات الأغانى السودانية ، وتوزع فى كل أفريقيا تقريباً وفى البلاد العربية كلها وفى مصر .. وأمامنا فقط سنوات قليلة حتى تتاح لها الفرصة الكافية للذيوع والإنتشار ويتعرف الناس عليها فى كل مكان ، وبعدها سيغزو الفن السودانى والأغنية السودانية العالم كله□

* هل من الممكن فعلاً أن تنتشر الأغنية السودانية على المستوى العالمى !؟

□ قطعاً .. وفى الإذاعة البريطانية الــ (..ا) قــالوا لــى إن الفنــانيين الأجانب حين يستمعون إلى الأغنيات السودانية والموسيقى السودانية تطربهم جــداً ،

ويعتبرونها قريبة جداً من الفن الأسكتلندى .. وبرغم أن الموسيقى السودانية علـــى (السلم الخامس) إلا أن فيها ألحان والإيقاع الدافئ الراقص.

* وعلاقة الفن السودانى بالفن الإفريقى !؟ ..

الإيقاعات هى سمة الفن الإفريقى عموماً ، السامبا والرومبا وغيرهمـــا .. لكن عندنا فى السودان الكلمة مهمة جداً .. كلمات الأغنية لها الإعتبار الأول عندنا .

* ذلك معناه أن فى السودان شعراء أغانى ممتازين !؟ ..

كثيرون من الشعراء القدامى الممتازين : عبيد عبد الرحمن ، سيد عبـــد العزيز ، عمر البنا ، خليل فرح ، محمد بشير عتيق ، أحمد محمد الشـــيخ ، إبـــراهيم العبادى ، ومحمد الرضى .. وغيرهم كثيرون .. ومن الشعراء المحدثين حسن عوض أبو العلا ، محمد عوض الكريم الفرشى ، عبد المنعم عبد الحى ، وإسماعيل حسن.

* لم تذكر " الهادى آدم " لا فى القدامى ولا بين المحدثين !؟ ..

الحقيقة أن الهادى آدم رغم أنه شاعر جيد ، إلا أنه لم تظهر له سوى اغنية واحدة التى غنتها له السيدة " أم كلثوم " ، أغنية (أغدا ألقاك) .. وكان المفروض بعد هذه الأغنية أن تنتشر أغانيه على ألسنة كل المطربين والمطربات فى السودان ؛ لكن للدهشة الشديدة فإن ذلك لم يحدث ، وظلت أغنية أم كلثوم هى الوحيدة التى غنيت لـــه !! ..

* ولم لم تغن له أنت شخصيا !؟ ..

فى الحقيقة أيضاً أنا لم أغن له لأننى لم أعرفه شخصياً ، وأنـــا أحـــب أن أغنى للشاعر الذى أعرفه ويعرفنى وبيننا صلات ود وصداقة ومحبة وخطوط واصلة تجعلنى أنفعل وأحس بما أنفعل به هو وأحس حين كتب الأغنية التى سأغنيها ، وذلك للأسف لم يحدث بينى وبين الهادى آدم.

* * *

* غيرك ؛ من هم مطربو السودان المشهورون الآن !؟ ..

- حسن عطية ، عثمان حسين ، سيد خليفة ، محمد وردى ، إبراهيم عوض ، عبد العزيز المبارك ، صلاح مصطفى ، صلاح إبن البادية ، حسن الريح ، وعدد آخر كبير من المطربين المعروفين فى السودان يضيق المجال عن ذكر أسمائهم جميعاً.

* ومن المطربات !؟ ..

□ كانت المرحومة " عائشة الغلاتية " تعتبر أم كلثوم السودان .. وقد ماتت شابة فلم تكن قد تجاوزت الخمسين .. الآن أشهر المطربات فى السودان (البلابل) وهن ٣ شقيقات يقدمن أعمالاً فنية ممتازة ، وهن مثل (الثلاثى المرح) فى مصر يغنين معاً ثلاثتهن .. وهناك أيضاً (ثنائى النغم) ثم " منى الخير "□

* بمناسبة أم كلثوم السودان " عائشة الغلاتية " ؛ أنت أيضاً يطلق عليك لقب (عبد الوهاب السودانى) .. لماذا !؟ ..

ويضحك الفنان السودانى أحمد المصطفى حين أذكره بذلك ويجيب (

- لأنني كنت وما زلت أحفظ كل أغانى عبد الوهاب ، وبالذات القديمة منها ، مثل أغنيات أفلامه (يوم سعيد) و(يحيا الحب) و(ممنوع الحب) و(رصاصة فى القلب) وغيرها□

* أم كلثوم السودان وعبد الوهاب السودان ، من هو عبد الحليم حافظ السودان !؟

مرة أخرى يضحك " أحمد المصطفى " ويبدو عليه الحرج (

□ إعذرنى فى الإجابة على هذا السؤال فإن وضعى كنقيب الفنانين فى السودان يجعلنى ويضعنى فى موقف المحايد الذى لا أملك فيه تقييم وترتيب الفنانين على هذه الصورة ، خصوصاً وأننى منهم وما زلت أغنى□□ لكن الذى أستطيع أن أقوله بالنسبة للمطربات أو الأصوات النسائية فإن (البلابل) فى القمة الآن بالنسبة لطلبات الإستماع إليهن فى الإذاعة وبالنسبة لتوزيع إسطواناتهن وباقى مقاييس الشهرة والإنتشار المتعارف عليها□



سألت أحمد المصطفى :

* والسينما فى السودان !؟ ..

☐ السينما فى السودان لم تبدأ إلا مؤخراً جداً ، بفيلم (عرس الزين) قصة الأديب السودانى الشهير " الطيب صالح " الذى كان يعمل فى إذاعة (ا..) العربية فى لندن قبل عدة سنوات .. (عرس الزين) هو أول فيلم روائى طويل سودانى ، وكل الفنانين المشتركين فيه سودانيين .. وأبطاله تحية رزق وعلى مهدى .. وهو يعتبر بداية عصر السينما فى السودان . ومعروض الآن فى كل دور السينما هناك .

* ولماذا تأخرت السينما فى السودان حتى الان !؟ ..

☐ التقاليد فى السودان صعبة بالنسبة للعمل السينمائى . لأن أصحاب رؤوس الأموال الذين يمكنهم تمويل إنتاج فيلم سينمائى كانوا يعتبرون السينما عملاً غير شرعى أو حرام ، وبالتالى فإن عائده وأرباحه أيضاً حرام .. على العموم النظرة الآن تغيرت وبدأت عجلة السينما تدور فى السودان.☐

* أفهم من ذلك أنه لم تكن تعرض فى السودان أفلام سينمائية !؟ ..

– بالعكس .. الأفلام المصرية منتشرة جداً فى السودان .. وعـن طريقهـا عرفنا أخانا المصرى وأختنا المصرية .. وأنا شخصياً أعتبر أن عبد الوهاب ويوسف وهبى وزكى رستم وأنور وجدى وأم كلثوم وليلى مراد وأمينة رزق ونجيب الريحانى ، أعتبرهم كأنهم أساتذة فى الجامعة التى تعلمنا فيها الفن فى السـودان ، ووجـودهم واضح وقوى جداً فى حياة السودانيين عمومـاً والفنـانين السـوادنيين علـى وجـه الخصوص .

* إشتركت بالتمثيل فى السينما المصرية !؟ ..

☐ فى أكثر من فيلم مصرى .. وفى فيلم (وهبتك حياتى) غنيت أنا والفنانة صباح أغنية دويتو بعنوان (رحماك يا ملاك) وانتشرت هذه الأغنية جداً وغنيتها فى حفلات كثيرة فى مصر وفى السودان مع الفرقة الماسية وأحمد فؤاد حسن☐

* غير الأغانى السودانية ؛ ما أشهر الأغانى عند المستمع السودانى !؟ ..

☐ الأغنية المصرية هى أشهر الأغانى عند المستمع السودانى ، بعدها تـأتى الأغنية اللبنانية ، أغنيات فيروز ووديع الصافى وصباح .. لكننا بصراحة ملتصـقين جداً بمصر فى الفنون وفى كل شئ وبيننا إرتباط تاريخى أزلى☐

* آخر أغنية لك !؟ ..

– أغنية مطلعها (صورتك اللى أهديتها لى هى أكثر من هدية) ..

نشر فى جريدة [المنار] اللندنية – العدد ١٣ – بتاريخ ٢١ / ١ / ١٩٧٨

سقطت فى إمتحان الإذاعة ؛

فأصبحت كبير المذيعين !! ..

أعرف " همت مصطفى " منذ أن كانت (المذيعة الجديدة الآنسة همت مصطفى) ، المخطوبة لليوزباشى – النقيب – " حسين العشرى " ؛ حتى صارت الـ (جِدّة) همت مصطفى رئيسة التليفزيون المصرى وحرم اللواء – بالمعاش – " حسين العشرى " ، و (يا همت يا بنتى) فى سلسلة أحاديثها المطولة مع الرئيس السادات ، ثم خرجت هى أيضا إلى المعاش منذ سنوات قليلة .. وعلى امتداد علاقتنا التى استمرت طوال حياتها الوظيفية وطوال حياتى الصحفية والإعلامية ؛ لم نلتق أبداً كصحفى وإعلامية .. لم أكتب عنها حرفاً واحداً فى أى صحيفة أو مجلة ، ولم تقدم لى ، أو معى ، برنامجاً واحداً فى الإذاعة أو فى التليفزيون .. ورغم أنها قضت فى التليفزيون أكثر من ٢٣ سنة تدرجت خلالها فى مناصبه حتى وصلت إلى موقع (رئيسة التليفزيون) ؛ إلا أننى لم أعرف أبداً أين يقع مكتبها فى المبنى الكبير ..

ثم ؛ جاءت الظروف التى جمعتنا فى الغربة الإنجليزية : هى المستشار الإعلامى بالسفارة المصرية فى لندن ، وأنا مراسل الإذاعة المصرية فى إنجلترا وأقدم فى الراديو برنامجاً أسبوعياً بعنوان [حسين قدرى يحييكم من لندن] .. فأصبحنا نلتقى كل يوم .. حتى جاءاليوم الذى قررت أنا فيه أن (أبيع المية فى حارة السقايين) وأعمل مذيعاً وأجلس " همت مصطفى " أمامى لتكون هى ضيفة برنامجى وترد على

أسئلتى .. فكان هذا اللقاء الذى أذيع فى عيد ميلاد الإذاعة الخمسين فى ٣١ مايو سنة ١٩٨٤ ..

* * *

مستمعو الراديو الذين عمرهم الآن ٣٠ سنة أو أقل لم يسمعوها من خلال الراديو أبداً .. لم يحدث فى أى فترة خلال طفولتهم أو صباهم أو شبابهم أن استمعوا إليها ؛ لكنهم عرفوها قطعاً كمذيعة تليفزيون لامعة .. وظلت فى التليفزيون حتى أصبحت رئيسة التليفزيون .. ثم كان آخر منصب رسمى لها قبل أن تخرج إلى المعاش هو (المستشارة الإعلامية بالسفارة المصرية فى لندن) ..

* * *

– إسمى الكامل " همت مصطفى على سليمان الخواص " .. جدى الشيخ " على الخواص " .. من ميت غمر بمحافظة الدقهلية .. فترة دراستى الإبتدائية وأنا طفلة كانت فى مدرسة (الأمير فاروق الإبتدائية) فى مدينة زفتى .. فكنت أعبر النيل كل يوم من ميت غمر إلى زفتى ، وبالعكس ، مرتين يومياً لكى أذهب إلى المدرسة وأعود منها .. وحين كان عمرى ١٠ سنين جئنا إلى القاهرة والتحقت بمدرسة (النيل الثانوية) فى شبرا ، ثم مدرسة (الأميرة فوزية الثانوية) فى حى السبتية ، اللى هى الآن (قاسم أمين الثانوية) على ما أظن .. ثم تخرجت فى قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة (فؤاد الأول) ، اللى هى جامعة القاهرة الآن ..

* * *

أتذكر وأنا طفلة صغيرة فى ميت غمر ، بضفيرتين ولابسة المريلة الصغيرة بتاعة المدرسة ؛ أننى كنت باعتبر نفسى بأعمل عملاً شجاعاً أننى بأعبر النيل من البيت فى ميت غمر إلى المدرسة فى زفتى فى مركب صغير .. وكانت واحدة من مدرساتى بتقوم بدور (عربية المدرسة) فتفوت تاخدنى فى إيدها من الباب للباب ، من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت ، وتركبنى المركب معاها رايح جاى

.. ولازلت أذكر حتى الآن من رفيقات طفولتى زميلاتى فى المدرسة الإبتدائى فى زفتى " علية غراب " و" إنصاف غراب " بنات حضرة الناظر اللى كنا كلنا بنخاف منه جداً .. وفى الثانوى بأذكر من زميلاتى " إيميلى رياض " و" فوزية عبد العزيز " و" حكمت عباس " – وهى غير زميلتنا المذيعة الآن – و" كاميليا عبد الفتاح " اللى هى الآن عميدة كلية التربية فى إحدى الجامعات المصرية ، وقد زارتنى فى التليفزيون أكثر من مرة .. لكن " علية وإنصاف غراب " ماشفتهمش منذ افترقنا ونحن أطفال ، رغم أننى كنت بأحبهم جداً ، وأتمنى لو أراهم الآن بعد ماكلنا كبرنا وبقينا على وش معاش ..

وقد ظللت أذهب أنا وأولادى كل أسبوع إلى ميت غمر لغاية ما توفى المرحوم والدى عام ١٩٦٥ .. يعنى من حوالى ٣٠ سنة لم أدخل ميت غمر وانقطعت الصلة بينى وبينها تماماً بوفاة بابا ..

* * *

بعد أن تخرجت فى كلية الآداب إشتغلت صحفية فى دار الهلال لمدة ٤ شهور .. كانت إتعملت مسابقة فى القصة أيام الجامعة وحصلت على الجائزة الأولى فى هذه المسابقة .. فتوسم فىّ أستاذى فى قسم التاريخ الدكتور " حسين مؤنس " إنى ممكن أشتغل صحفية ؛ فساعدنى فى الإلتحاق بمجلة (المصور) ، وكان بيمرننى فيها الأستاذ " صبرى أبو المجد " الله يرحمه .. لكن أنا شعرت إنى مش حاقدر أستمر فى الصحافة ، ولو استمريت لن أكون صحفية ناجحة ، لأنه لم يكن من طبيعتى أن أذهب لأعمل تحقيقات صحفية وأقابل الناس وأتكلم معاهم .. الصحفى مطلوب منه أن يكون جريئاً فى حين أننى إنسانة خجولة وهادئة وفى حالى .. فعرفت أننى مش حانفع كصحفية ، فاتجهت للعمل فى الإذاعة ..

* * *

فمن وأنا صغيرة خالص كنت طول ما أنا فى البيت ، حتى وأنا قاعدة أذاكر ، ماعرفشى أذاكر إلا إذا كان الراديو مفتوح جنبى .. وكنت أحب أسمع الأغانى وأسمع

المذيعات .. لكننى لم أتصور إطلاقاً أن أكون مذيعة .. فقد كان ذلك أملاً مستحيلاً لدرجة أنه حتى لم يخطر على بالى .. لكن وأنا باشتغل فى دار الهلال حدث أن أعلنت الإذاعة عن طلب مذيعين ومذيعات .. فقلت فى نفسى ليه ما أقدمشى فى الإمتحان ، هو أنا حاخسر إيه لو قدمت !؟ .. فتقدمت فعلاً .. وسقطت فى الإمتحان !! .. اللجنة اللى إمتحنتنى قالت إن صوتى طفولى ، صوت طفل !! ..

ثم ، بعد ٤ شهور أخرى أجرت الإذاعة إمتحاناً آخر ، نجحت فيه هذه المرة بتفوق !! .. وعلى قدر ذاكرتى الآن فإن اللجنة الأولى اللى سقطتنى كانت هى نفسها اللجنة الثانية اللى نجحتنى .. وكانت اللجنة مكونة من أساتذتنا الكبار اللى ربوا جيلنا كله : الأساتذة محمد فتحى وعلى خليل وعبد الحميد الحديدى وعبد الحميد يونس ومحمد محمود شعبان (بابا شارو) وعلى الراعى وأنور المشرى وحسنى الحديدى اللى كان كبير المذيعين وقتها .. بالإضافة إلى أساتذة آخرين من خارج الإذاعة كان على رأسهم الدكتور مهدى علام ..

* * *

وكانت امتحانات الإذاعة وقتها صعبة جداً ، وعدد المتقدمين لامتحانات المذيعين كان كبيراً جداً .. لأن الإذاعة وقتها كانت المجال الإعلامى الوحيد الذى تتركز عليه كل الأضواء ، وكان نجوم الإذاعة هم نجوم عصرهم ، لذا كانت الإذاعة هى أمل كل الشباب الطموحين اللى عايزين يبقوا نجوم .. وكانت أسئلة إمتحانات الإذاعة وقتها صعبة جداً ، لتصفية الأحسن والأفضل من بين كل هذا العدد الضخم من المتقدمين ، ولأن كان لازم المذيع تكون عنده مواهب وعلم فى اللغة العربية .. ورغم أننى كنت خريجة قسم تاريخ لكن كنت طول عمرى شاطرة فى اللغة العربية ، وفى اللغات عموماً .. رغم أننى كنت واخدة التوجيهية – الثانوية العامة الآن – قسم علمى مش قسم أدبى .. لأن أهلى كانوا يريدون لى أن ألتحق بكلية الطب وأكون (الدكتورة همت مصطفى الخواص) .. ويمكن لنفس السبب وجهت أنا بنتى الوحيدة إلى كلية الطب لكى أحقق لأهلى فى بنتى الأمنية التى لم أستطع أن أحققها لهم أنا لأننى لم

أحصل على المجموع الذى يكفى لأن ألتحق بكلية الطب ، فدخلت كلية الآداب .. لم يكن على أيامنا فيه (مكتب التنسيق) .. فكان الطالب من طلبة القسم العلمى اللى مايجيبشى مجموع كفاية يدخله الكلية العلمية اللى هو عايزها ، ياخد أوراقه تحت باطه ويروح دوغرى إلى الكليات النظرية – الآداب أو الحقوق أو التربية – لأنها كانت بتاخد مجموع أصغر .. فحمدت ربنا إنى ماجبتش مجموع ، لأنى أصلاً ماكنتش باحب المواد العلمية ولا الرياضية .. ولغاية الآن أنا ضعيفة جداً فى الحساب لدرجة إنى باتلخم لما آجى أحسب الجنيه فيه كام قرش وإتصرف منه قد إيه ويبقى فاضل فيه قد إيه ، وأعد على صوابعى .. لكن كنت أقرأ كثيراً فى الأدب والتاريخ الإسلامى والتاريخ الرومانى والتاريخ الفرعونى وأقرأ الروايات والمجلات ، وكنت قد بدأت أكتب القصة .. لذا فلما دخلت امتحان الإذاعة وجدت اللجنة إنى كويسة جداً فى المعلومات العامة ، ودى كانت مسألة هامة جداً فى امتحانات الإذاعة ، ووجدت كمان إنى كويسة جداً فى اللغة العربية وإلقائى سليم .. وفوجئت بأن اللجنة اللى سقطتنى أول مرة هم نفسهم اللى قالوا لى (برافو) فى المرة التانية .. ونجحت فى المرة التانية والحمد لله .. ولغاية الآن مش عارفة إزاى سقطونى أول مرة باعتبار إن صوتى طفولى ، مع إن صوتى قطعاً مش ممكن يكون لحق يتغير وينضج ويكبر فى مدة ٤ شهور فقط اللى مرت بين الإمتحانين .. ولغاية دلوقتى لا أظن أن صوتى قد تغير كثيراً عما كان فى بداية إلتحاقى بالإذاعة .. وإنت قطعاً فاكر لأنك عاصرتنى فى بداية حياتى الإذاعية لما انضميت لنا فى الإذاعة كمهندس سنة ١٩٥٤..

* * *

سألت " همت مصطفى " :

* ماذا كان شكل امتحانات الإذاعة وقتها !؟ ..

لم يكن هناك إمتحان تحريرى إنما كان الإمتحان كله شفوى .. واللجنة كانت (تخض) لأنها كانت كلها فطاحل وأساتذة فى العلم الإذاعى وفى الثقافة العامة وفى الأدب .. وكانوا بيعصروا المتقدم بالساعات ويطلعوا كل اللى جواه .. علشان كده

الأستاذ " حسنى الحديدى " كان بيسجل هذه الإمتحانات دون أن يشعر المتقدمين ، وقدم منها برنامجاً كان ظريفاً وجذاباً جداً ، كان بيعرض فيه مستوى ثقافة خريجى الجامعات .. وكان المستوى عالياً جداً فعلاً لأن الناس فى الوقت ده كان عندهم وقت كفاية للقراءة .. فلم يكن التليفزيزن قد دخل مصر بعد فانشغل الناس به عن القراءة .. بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك وقتها (مكتب تنسيق) للجامعات كما ذكرت ؛ فكان الطالب بيلتحق بالكلية اللى هو بيحبها فعلاً ويريدها فعلاً .. لذا كان معظم طلاب الجامعة متفوقين فى دراستهم لأنهم إختاروا كلياتهم عن هواية وعن حب ..

أيضاً كنا نحن المذيعين نتدرب على الأعمال الهندسية لأننا كنا بنقوم بتشغيل الإسطوانات على الهواء من داخل الأستديو .. وكان اللى دربنى على الأعمال الهندسية من الفنيين القدامى وقتها مسيو " زكى حنا " ومسيو " يوسف نفاع " ومسيو " هنرى صدفجيان " ..

* * *

وحين التحقت بالإذاعة سنة ١٩٥١ كان مديرها وقتها الأستاذ " حسنى نجيب " شقيق الفنان " سليمان نجيب " .. وحين قامت الثورة فى مصر عام ١٩٥٢ تولى إدارة الإذاعة الأميرالاى – عميد الآن – " محمد كامل الرحمانى " ، ثم الأستاذ " محمد أمين حماد " الذى كان قاضياً ، وظل مديرها حتى تركت أنا الإذاعة إلى التليفزيون عام ١٩٥٩ ..

وكانت ساعات الإرسال فى ذلك الوقت : نفتح الإذاعة الصبح بدرى ٧ صباحاً لمدة ساعتين ، ونقفل ٩ صباحاً .. ثم نفتح تانى الساعة ٢ ظهراً بفرقة موسيقى الإذاعة بقيادة " على فراج " أو " محمد حسن الشجاعى " ، ونقفل بعد ساعة واحدة الساعة ٣ العصر بنشرة الأخبار المحلية وأسعار الإقفال فى بورصة مينا البصل والقطن قصير التيلة وطويل التيلة وحاجات كده .. ثم نفتح مرة ثالثة الساعة ٥ عصراً لغاية الساعة ١١ بالليل .. وينتهى الإرسال بنهاية نشرة الأخبار الثالثة والأخيرة .. يعنى كانت مدة الإرسال كلها ٩ ساعات أول عن آخر ..



وكان المذيع الذى يتولى تقديم فترة الإرسال الأولى بتاعة ٧ صباحاً بتـروح سيارة الإذاعة تاخده من بيته قبل الفجر تجيبه الإذاعة ، وكنا بنسميه من باب الهزار (بتاع اللبن) .. والمذيع اللى بيقدم فترة الإرسال الأخيرة اللى بتنتهى حـوالى ١١ر١٥ ليلاً كانت سيارة الإذاعة بتوصله لغاية بيته فى نهاية السـهرة .. وكـانوا المـذيعين درجات : المذيع الخايب أوى هو اللى بيذيع الفترة الصباحية .. والمذيع الكويس هـو اللى يذيع نشرة أخبار ٢ر٣٠ ظهراً .. والمذيع الكويس أوى هو اللى يذيع نشرة أخبار ٨ر٣٠ مساءً .. والمذيع الخايب التانى هو اللى يقدم نشرة الأخبار الأخيرة الساعة ١١ ليلاً علشان يكونوا الناس ناموا فماحدش كتير يسمعه !! .. وطبعاً كلنا فى بداية حياتنا كمذيعين مررنا بفترة الإذاعة الصباحية بدرى .. أكتر من كده كنا بنيجى عدة مـرات كل أسبوع الساعة ٢ بعد منتصف الليل نقدم فترة إذاعة كانت موجهة إلـى الجاليـات العربية فى أمريكا اللاتينية باللغة العربية ولا تسمع فى مصر .. وكنا بنرحـب أوى بفترة أمريكا اللاتينية دى لأننا كنا بنتقاضى عنها مكافأة قدرها جنيه واحد فى الليلة كنا بنفرح بيه أوى لأن المرتبات وقتها كانت صغيرة جداً ..

* * *

قلت لـ " همت مصطفى " :

* على قدر ذاكرتى ، ونحن من جيل واحد تقريباً وعملنا معاً فى الإذاعة فى نفس الفترة ؛ أذكر أن الأستاذ " حسنى الحديدى " الذى كان كبير المذيعين وقتها ؛ كان بيتعامل معكم – مجموعة المذيعين والمذيعات – وكأنه ناظر مدرسة وأنتم تلامذة ، وكنتم بتموتوا رعباً منه لدرجة أن بعض المذيعات كن يبكين من قسوة تعامله !! ..

– مضبوط .. والأستاذ " حسنى الحديدى " – الله يرحمه – لم يكن بالنسبة لنا ناظر مدرسة فقط ؛ بل كان أشبه بضابط برتبة لواء فى كتيبة عسكرية واحنا كنا العساكر الصغيرين أوى بتوعه .. يعنى كان يكاد يوقفنا (وشنا فى الحيط) لو مذيع أخطأ أى خطأ صغير .. وكان بيسجل لنا (نشرة الأخبار) دون أن نعرف وبعدين يبعت يجيبنى فى مكتبه ويقول لى : " إتفضلى إسمعى حضرتك قلتى إيه فى النشرة " .. ويعدد لى الأخطاء اللى وقعت فيها .. يعنى كان بيقوم بعملية تصحيح وتقويم لنا نحن المذيعين الشبان .. وكان فيه ثواب للمذيع الذى يجيد وعقاب للمذيع الذى يخطئ .. وكانت الإذاعة وقتها مسموعة جداً ، خصوصاً بعد أن قامت الثورة ، فكان كل واحد منا حريصاً على ألا يخطئ ، لأن خطأه كان بيستمع إليه عدد كبير جداً من المستمعين الفاهمين ..

ومع قسوة الأستاذ " حسنى الحديدى " وشدته معانا إحنا المذيعين ؛ إلا أنه كان لا يسمح لأى حد من خارج دائرة المذيعين أن يتعرض لمذيع ، وكان شديد الحرص على كرامة المذيع ..

* ماذا كانت مهمة المذيع وقتها !؟ ..

– لأنه لم يكن هناك برامج ، فقد كانت مهمة المذيع هى الربط وإذاعة نشرات الأخبار فقط .. ثم بدأت البرامج وبدأ كل مذيع – معظم المذيعين يعنى – يقدموا برامج .. لكن كانت أقصى حاجة ممكن أن يصل إليها المذيع هى أن يقرأ نشرة الأخبار .. والمذيع الذى كان يقدم برنامجاً كان يشترط فيه أن يكون موهوباً وخلاقاً فى تقديم البرامج .. لذا تجد أن هناك مذيعين مشهورين جداً دخلوا الإذاعة وخرجوا منها دون أن يقدموا أية برامج على الإطلاق ..

قلت لـــ " همت مصطفى " :

– سأذكرك أنا بحاجة مش عارف إذا كنتى فاكراها أم لا .. الفنان الكبيـــر الأستاذ " محمد عبد الوهاب " كان له رأى فى صوتك كمذيعة ، رغم أنه لم يكن قـــد رآك شخصياً وقتها ، قاله لى شخصياً ثم قرأته منشوراً بعدها .. كان يقول أن صوتك وأنت بتتكلمى فى الراديو بيطربه جداً وبيسعده جداً ، وأنه كان ينتظر نشرة الأخبـــار التى تقرأينها لكى يسعد بسماع صوتك !! ..

– ده رأى أنا أعتز به من فنان وأستاذ كبير مثل الأســـتاذ " محمـــد عبـــد الوهاب " ، رغم أننى أنا شخصياً لما كنت أسمع نفسى ماكنتش بانبسط ، وكنت أشعر أن أصوات زملائى المذيعين أحسن من صوتى بكتير .. لكن أنا يمكن صوتى رايـــق وواضح النبرات .. وبعد ذلك حين أصبحت كبيرة المذيعين وكنـــت أدرب المـــذيعات الجدد كنت أقول لهن أن مذيع الراديو بمجرد أن ينطق الكلمة مش حايعيدها تـــانى ، والمستمع الذى تفوته كلمة من المذيع لن يستطيع أن يطلب منه أن يقولها تانى .. لـــذا فأول نصيحة كنت أقولها للمذيعين الجدد هى أن تكون نبرات الصـــوت ســـليمة وأن يكون كل حرف ، مش بس كل كلمة ، واضحة النبرات حتى لا تختلط الكلمـــات فـــى أذن المستمع فيسمع الكلمة كلمة أخرى غير المقصودة وغير التـــى قالهـــا المـــذيع أو المذيعة .. فالمذيع الذى (يأكل الكلام) لا يصلح لأن يكون مذيعاً ..

* * *

سألت " همت مصطفى " :

– كان ترتيبك السيدة رقم كام أمام الميكروفون !؟ ..

السيدة " عفاف الرشيد " كانت أول مذيعة دخلت الإذاعة فى البداية تماماً عام ١٩٣٤ .. لكنها لم تستمر أكثر من شهور معدودة ثم تزوجت الأستاذ " مدحت عاصم " وتركت الإذاعة .. بعدها بنحو ١٠ سنوات عينت السيدة " صفية المهندس " ثم السيدة " تماضر توفيق " ثم السيدة " عواطف البدرى " التى أحمل لها كل تقدير وإعزاز ومحبة لأنها هى التى علمنى ودربتنى وكانت أستاذتى فعلاً .. ثم السيدات " مديحة نجيب " و "

سعاد خشيلة " اللى يمكن المستمعين مايفتكروهاش أوى لأنها لم تبق طويلاً أمام الميكروفون وتولت بعد ذلك مسئوليات فنية وإدارية ثم انتقلت إلى التليفزيون ليس كمذيعة إنما كوكيلة ثم مديرة لمعهد التليفزيون الذى كان يقوم بتدريب مذيعى ومذيعات التليفزيون الجدد فى بداية تعيينهم .. هؤلاء كن المذيعات اللاتى دربننى ، لكن الزملاء الرجال الذين دربونى كانوا الأساتذة " عباس أحمد " و" أنور المشرى " و" حسنى الحديدى " ، الله يرحمهم جميعاً ..

وقعدت سنة كاملة أدخل الأستديو لمجرد إنى أقعد أتفرج فقط على المذيع وهو يقرأ نشرة الأخبار .. وبعد سنة كاملة قرأت أول نشرة أخبار فى حياتى .. وكان زميلى فى قراءة هذه النشرة هو أيضاً يقرأ أول نشرة أخبار فى حياته : الأستاذ " جلال معوض " .. ولعل هذه مناسبة لكى أقول لك أننى المذيعة الوحيدة ، ليس فقط فى مصر ؛ لكن يمكن فى العالم كله ، التى ظلت تقرأ نشرة الأخبار أمام الميكروفون طوال حياتها الوظيفية منذ بدأتها فى الإذاعة حتى آخر يوم لى فى التليفزيون ، حين تركته إلى منصب المستشار الإعلامى بالسفارة المصرية بلندن ، حتى وأنا رئيسة التليفزيون .. ولو كنت قد خيرت بين رئاسة التليفزيون وقراءة النشرة لاخترت على الفور ودون أى تردد قراءة النشرة ، ولو كانت رئاستى للتليفزيون سوف تمنعنى عن قراءة النشرة لاعتذرت عن رئاسة التليفزيون ورفضتها ..

قلت لـ " همت مصطفى " أحرك ذاكرتها :

* فى هذه الحالة سأستأذنك فى أن أستغل معلوماتى ، كصحفى يتمتع بذاكرة يحسده عليها أى كومبيوتر ؛ لأذكرك بأنك قد أوقفت عن العمل أمام الميكروفون مرتين .. هل تتذكرين أنت هاتين المرتين !؟ ..

وسكتت " همت مصطفى " قليلاً كأنما تستحث ذاكرتها ، ثم قالت :

– آه طبعاً أذكرهما .. فقد كانت كل منهما نتيجة موقف نستطيع أن نسميه موقفاً طريفاً .. الموقف الأول حدث أثناء فترة تدريبى ، وكانت وقتها كل الفقرات تذاع على الهواء مباشرة وليست مسجلة .. فالسيدة " سعاد خشيلة " التى كانت تدربنى

قالت لى أن الشيخ فلان سوف يلقى آذان الظهر ، فأنت تفتحين الميكروفون ثم تضغطى على يد الشيخ فيبدأ هو فى إلقاء الآذان .. ليه أضغط على يده ولا أشير له بيدى من بعيد !؟ .. لأنه كان ضريراً فلن يرى يدى ولا إشارتى ، فلازم ألمسه لكى أنبهه فيبدأ الآذان .. وتركتنى " سعاد خشيلة " فى الأستديو مع الشيخ وخرجت لكى ترى كيف سأتصرف .. والشيخ فلان بالذات كان قديماً أمام الميكروفون ومتمرساً وعارف هذه المسألة كويس وليست جديدة عليه .. فقلت له : " يا مولانا لما ييجى موعد الآذان سأفتح الميكروفون ثم أضغط على يدك فتبتدى تؤذن على طول " .. قال : " حاضر " .. ولما جاء موعد الآذان فتحت الميكروفون وضغطت على يد الشيخ ففوجئت به يسألنى والميكروفون مفتوح على الهواء وكل الناس سامعة : " هه !؟ .. أؤذن !؟ " .. فقفلت الميكروفون بسرعة وقلت له : " يا مولانا أنا حافتح الميكروفون ولما ألمسك تبتدى الآذان على طول من غير ما تقول حاجة تانية .. فاهم يا مولانا !؟ " .. قال : " فاهم يا بنتى " .. وفتحت الميكروفون مرة تانية وضغطت على يد الشيخ ففوجئت به بيسألنى تانى : " هه .. خلاص فتحتى الميكروفون !؟ " !! .. فاتلخمت أنا وعرقت وبقيت مش عارفة أعمل إيه .. لكن الشيخ بدأ الآذان .. بعدها طلبنى الأستاذ " حسنى الحديدى " وأوقفنى عن العمل لمدة أسبوع ..

* * *

المرة التانية كنت مذيعة التنفيذ فى ستديو الربط ، وكانت فرقة موسيقى الإذاعة بتعزف ، على الهواء برضه ، كل يوم الساعة ٢ ظهراً .. فدخلت الأستديو اللى كانت الفرقة قاعدة فيه جاهزة للعزف .. وأنا بطبعى خجولة خصوصاً حين أجد نفسى أمام عدد كبير من الناس .. ففتحت الميكروفون وقلت : " سيداتى آنساتى سادتى ، نقدم لكم الآن فرقة موسيقى الإذاعة بقيادة محمد حسن الشجاعى تعزف مقطوعة كذا " ، ثم بدأت أقدم أسماء العازفين الموسيقيين ، فقلت : " يعزف على العود جورج ميشيل ، يعزف على القانون محمد عبده صالح ، يعزف على الناى فلان الفلانى " .. وكانت أسماء العازفين وأسماء الآلات الموسيقية مكتوبة فى ورقة فى إيدى أقرأ منها ،

لكن كان فيه آلات موسيقية عمرى ما سمعت عنها قبل كده ، فقرأت أسماءها كما هى مكتوبة فى الورقة اللى فى إيدى ، فكان مفروض أن أقول : (ويعزف على الأوبــوا عبد الحليم شبانة) لكن أنا عمرى ماكنت سمعت على آلة إسمها (الأوبوا) ، فقرأتها (يعزف على الأيوا عبد الحليم شبانة) بالــ (ى) بدلاً من الــ (ب) .. ففوجئــت بالفرقة الموسيقية كلها ، والميكروفون مفتوح على الهواء ، تنفجر ضــاحكة بقهقهــة شديدة عالية جداً على حكاية (الأيوا) دى !! .. فاتخضيت أنا ومــا عــرفتش همــا بيضحكوا ليه .. فقفلت الميكروفون بسرعة وشخطت فيهم : " إيه ده !؟ .. بتضــحكوا على إيه !؟ .. بطلوا ضحك وابتدوا إعزفوا " .. ورحت فاتحة الميكروفون تانى وهم لسه برضه ميتين من الضحك ومش قادرين يمسكوا نفسهم ولا يبطلوا قهقهة .. وطلع الضحك ده كله على الهواء والمستمعين سمعوه .. فاتلخمت جداً وماعرفتش أعمل إيه .. فتركت الفرقة والميكروفون مفتوح والضحك شغال وخرجت من الأستديو وقعــدت أعيط لوحدى برة !! ..

والمرة دى إتوقفت شهر بحاله مش أسبوع واحد بس ....

بالمناسبة : عازف الأوبوا عبد الحليم شبانة هو نفسه اللى بعد كده بقى عبــد الحليم حافظ ..

* * *

سألت " همت مصطفى " :

* من هم زملاء دفعتك الذين دخلوا الإذاعة معك !؟ ..

– جلال معوض اللى كان زميلى أيضاً فى قسم تاريخ فى كليــة الآداب ، ودخل معايا إمتحان الإذاعة ثم كان تدريبنا أيضاً مع بعض ، وســميرة الكيلانــى .. فهمى عمر وصلاح زكى وطاهر أبو زيد كانوا قبلى بشهور قليلة لذا بنعتبــر نفســنا دفعة واحدة ، وكنا بمجرد إنتهاء فترة تدريبنا بنقرأ نشرة الأخبار .. أما أبناء وبنــات دفعتى اللى دخلوا الإذاعة معايا لكنهم إتجهوا ، أو وجهوا ، إلى تقديم البرامج ولــيس لقراءة نشرة الأخبار ، فهم سامية صادق وثريا عبد المجيد وفوزية المولــد ومديحــة

نجيب وآمال فهمى .. وبعدنا بنحو سنتين جاء أحمد فراج ونبيل بدر وفضيلة توفيق وسعد زغلول نصار وصلاح مبروك والمأمون أبو شوشة .. لكن كان عدد اللى بيتقدموا لامتحانات الإذاعة كبير جداً جداً ، بالآلاف .. علشان كده كان الواحد منا بينبسط جداً لما ينجح فى امتحان الإذاعة .. لأنه بيشعر أنه خلاصة الخلاصة ونقاوة النقاوة .. واحد من آلاف ..

* ومين كانوا المذيعين القدامى عندما التحقت أنت بالإذاعة !؟ ..

– كانوا الأساتذة عبد الحميد الحديدى وعبد الحميد يونس وعلى الراعى وأنور المشرى .. بابا شارو كان لامع جداً .. صفية المهندس وتماضر توفيق وعواطف البدرى وسعاد خشيلة وعباس أحمد وسعد لبيب .. ولم أر " عبد الوهاب يوسف " لأنه توفى فى اليوم التالى مباشرة لالتحاقى بالإذاعة .. الأستاذ حافظ عبد الوهاب كان وقتها رئيس قسم الموسيقى والغناء ، وكان بيشتغل معاه فى ذلك الوقت الأستاذ كمال الطويل ، وكان الأستاذ أحمد سعيد فى البرامج الثقافية .. ولم تكن هناك إذاعة أخرى غير البرنامج العام .. يعنى حتى (صوت العرب) لم يكن قد بدأ بعد ..

ولم يكن هناك برامج كثيرة فى ذلك الوقت ، البرامج اللى مالية الإذاعات الآن ومددها تتراوح بين ٥ دقائق وساعة .. لكن كان فيه برامج ظريف جداً إسمها (الصور الغنائية) : السوق ، ونزهة وسوق يا اسطى لحد الصبحية على راسى يا هانم وعينيا .. ده غير البرامج الغنائية : عوف الأصيل وعلى بابا وخوفو وراوية والدندرمة وقِسَم بتاع تاج الجزيرة : السلطانية !! ..

وكان أول من قدم البرامج الإذاعية بشكلها المعروف الآن جيل من الإذاعيين المصريين اللى كانوا قد عملوا فترة فى القسم العربى فى الإذاعة البريطانية الـ ا.. ونقلوا عنها أفكار هذه البرامج إلى إذاعة القاهرة .. وكان على رأس هذا الجيل الأستاذ " أحمد طاهر " اللى كان أول من قدم برنامج (على الناصية) قبل أن تتولاه السيدة " آمال فهمى " ، والأستاذ " إسماعيل عبد المجيد " اللى كان أول من أدخل وقدم

(ما يطلبه المستمعون) فى الإذاعة ، ثم تولته بعده السيدة " سامية صادق " .. إنــت كده رجعتنى لورا مليون سنة ويتفكرنى بكل أيام زمان ....

* * *

قلت لـــ " همت مصطفى " :

* كان أستاذنا الكبير محمد فتحى متخصصاً فى إذاعة حفلات أم كلثوم على الهواء .. وكان يلقى بصوته وطريقته المميزة أغانيها على جمهور المســتمعين فــى الراديو قبل أن تغنيها أم كلثوم لجمهور الحفل .. حتى أنه قد أطلق عليه لقب (كروان الإذاعة) .. ثم تعاقب على إذاعة حفلات أم كلثوم بعده عدد من المذيعين الرجــال ، حتى جاءت همت مصطفى ......

– كنت أول مذيعة سيدة قدمت حفلة لأم كلثوم ، وبعدى قــدمتها الســيدة " بديعة رفاعى " .. فقد كان اللى بيذيع أو بيقدم حفلات أم كلثوم باستمرار هــو كبيــر المذيعين ، وكنت أول سيدة تصل إلى منصب كبير المذيعين ، وبعدى الســيدة بديعــة رفاعى .. وفيما عدا ذلك فكل من تولوا منصب (كبير المذيعين) كانوا مذيعين رجال .. لذا كنت أنا وبديعة رفاعى فقط اللى قدمنا حفلات أم كلثوم .. وأذكر أننى فى ذلــك الوقت دخلت للأستاذ حسنى الحديدى وقلت له أنا عايزة أقدم حفلات أم كلثــوم مثــل زملائى المذيعين الرجال .. فقد كانت حفلات أم كلثوم حتى ذلك الوقت يتبادل تقديمها ثلاثة مذيعين رجال فقط : حسنى الحديدى وصلاح زكى وجلال معوض .. فضحك " حسنى الحديدى " كثيراً وقال لى : خلاص .. إنت حاتقدمى حفلة أم كلثوم القادمة بدلاً منى " !! .. وذهبت فعلاً وقدمت الحفلة ، وكانت أم كلثوم تغنــى ليلتهــا لأول مــرة أغنيتين جديدتين هما (أروح لمين) و(ثورة الشك) .. وبلغنى بعدها أن أم كلثوم قد تضايقت حين قيل لها أن التى ستذيع حفلتها الليلة مذيعة جديدة غير الثلاثة مذيعين اللى هى تعرفهم ومتعودة عليهم .. لكنها إنبسطت لما سمعتنى ، حتى أنها حين جاءت إلىّ الإذاعة بعدها لكى تعمل مونتاج للأغنيتين وعرفت إنى موجودة فى ستوديو التنفيــذ ؛ جاءت لغاية عندى لكى تحيينى وقالت لى : " هو إنت بأه المذيعة الجديدة اللى قــدمت

الحفلة بتاعتى !؟ .. برافو عليكى " .. وكان ده بعد ٣ أو ٤ سنين من إلتحاقى بالإذاعة .. لأن المدة اللى قعدتها كلها فى الإذاعة كانت ٩ سنين ، من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٩ .. وكان من حق أم كلثوم أن تتدخل فى اختيار المذيعين اللى يقدموا حفلاتها .. أنا كنت صغيرة وقتها وماعنديش فكرة بالضبط ، لكن كـ (سياسة عليا) فذلك كان من حقها فعلاً ..

* * *

قلت لـ " همت مصطفى " :

* من كانوا أبرز الشخصيات التى قدمتيها أمام ميكروفون الإذاعة !؟ ..

– من رجال الدين قدمت الشيخ محمود شلتوت والشيخ أبو زهرة والشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ طه الفشنى والشيخ مصطفى إسماعيل ، اللى ناس كتير كانوا فاكرين إنى بنته ، وهو نفسه قال لى هذا الكلام .. فقد قال إن الناس بتسأله هل همت مصطفى المذيعة تبقى بنتك !؟ .. فقلت له إن لى الشرف إن الناس تنسبنى إليك ..

حاجة طريفة أخرى أتذكرها الآن : زمان كانت الإذاعة بتقدم الصبح بدرى (تمرينات الصباح الرياضية) على الهواء .. فكان الأستاذ " بليغ صفوت " يقف فى الأستديو يقول : " هوب هوب ، واحد إتنين ، شمال يمين ، فوق تحت ، ثنى مد " .. وأنا أقف أتنطط قدامه فى الأستديو وأعمل اللى هو بيقوله .. كنت بالاقيها فرصة ألعب شوية رياضة الصبح !! ..

وكانت الأغانى اللى بنقدمها وقتها معظمها مسجلة على إسطوانات .. لكن كان فيه (حفلات غنائية) بنقدمها من الأستديو : يقف المطرب أو المطربة أمام الميكروفون ووراه الفرقة الموسيقية ويغنى ، والناس تسمعه على الهواء مباشرة .. فقدمت محمد عبد المطلب وعبد الحليم حافظ اللى كان بيغنى فى (ركن العمال) .. وفاكرة له أغنية إسمها (بدلتى الزرقا) ..

* خلال مشوارك فى الإذاعة ؛ من هى الأسماء اللامعة التى فقدتها الإذاعة ..!؟

– المرحوم عبد الوهاب يوسف ، المرحوم أنور المشرى ، المرحوم حسنى الحديدى ، المرحوم المأمون أبو شوشة ، والمرحوم عثمان أباظة اللى كان بيقدم (ركن الريف) ..

* والإذاعيين اللى تركوا الإذاعة إلى وظائف أخرى بعيداً عن الإذاعة والتليفزيون !؟..

– الأستاذ على خليل راح الأمم المتحدة ، الأستاذ محمد فتحى عين مستشاراً ثقافياً فى إنجلترا ثم فى ألمانيا ، الأستاذ على الراعى ، الأستاذ عبد الرحمن صادق إنتقل إلى الجامعة العربية ثم إلى مجلس الأمة ، الأستاذ حسنى الحديدى عين مديراً لمكتب السيد على صبرى أحد كبار المسئولين وقتها ، الأستاذ نبيل بدر راح وزارة الخارجية وهو الآن سفير ، صلاح مبروك وعبد المنعم زكى وعبد المنعم الحفنى ، وزملاء آخرين لا أذكرهم الآن ..

* كان فيه برنامج أوروبى فى الإذاعة وقتها !؟ ..

– آه طبعاً .. إنجليزى وفرنساوى وتركى .. كان فيه سليم رزق الله بيذيع إنجليزى ، ومذيعة فرنسية إسمها ميشلين ، وكانت فاطمة فهمى بتذيع البرنامج التركى ، وبعدها أصبحت بنتها جولار عرفان مذيعة فى نفس البرنامج ..

* البرامج اللى قدمتيها فى الإذاعة !؟ ..

– برنامج واحد مفيش غيره : (الأسبوع فى ساعة) ، الذى كنت أقدمه كل يوم جمعة ليلاً وعمل لى شهرة كبيرة جدا .. قدمته إبتداءً من سنة ١٩٥٤ لغاية آخر يوم تركت فيه الإذاعة سنة ١٩٥٩.. ولم أكن أول من قدم هذا البرنامج ؛ لكن قدمه قبلى ، على قدر ذاكرتى الآن ، المرحوم المأمون أبو شوشة .. وعلى فكرة : فقد كنت أنا الذى أكتب البرنامج بنفسى ولم يكن يعده لى (معد) .. وكل برامجى اللى قدمتها بعد ذلك فى التليفزيون كنت أكتبها بنفسى ولم أتعامل مع أى معد على الإطلاق ..

* * *

وتركت الإذاعة فى أواخر عام ١٩٥٩ إلى التليفزيون .. وأرسلونا فى بعثات لدراسة التليفزيون فى الخارج ، فذهبت إلى ألمانيا لمدة ٤ شهور أنا ومجموعة من الزملاء .. لكننى أذكر أننى بعد أن أصبحت كبيرة مذيعات التليفزيون عدت إلى ميكروفون الإذاعة مرة أخرى بناء على طلب الزميل الأستاذ " فاروق خورشيد " الذى كان قد أصبح مديراً لإذاعة الشعب وقتها ؛ فطلب من كل مجموعة المذيعين الذين كانوا قد تركوا الإذاعة أن يعودوا لقراءة (نشرة الأخبار) فى (إذاعة الشعب) ، فكنت أقرؤها مرتين أسبوعياً .. وكان ذلك يسعدنى كثيراً لأننى أحب قراءة نشرة الأخبار جداً .. وكما قلت لك أننى لو كنت قد خيرت بين قراءة نشرة الأخبار ورئاسة التليفزيون لاخترت نشرة الأخبار واعتذرت عن رئاسة التليفزيون ..

* كيف تلقيت خبر نقلك من الإذاعة إلى التليفزيون !؟ ..

– طبعاً إنبسطت جداً ، لأننى شعرت أن التليفزيون مجال جديد حاقدر أتعلم فيه حاجة جديدة وأحقق ذاتى أكثر .. فكلما شعرت أننى متصلة بالناس أكثر ، الناس المشاهدين أو المستمعين ، كلما شعرت أننى نجحت فى مهمتى ..

* وبعد أن تركت الإذاعة ؛ هل كنت تتابعين أخبارها وتطوراتها !؟ ..

– طول عمرى لم أنفصل عن الإذاعة .. وطوال فترة عملى فى التليفزيون ، من كبيرة المذيعات حتى رئاستى للتليفزيون ؛ كنت أقعد فى مكتبى وأنا فاتحة الراديو جنبى وأستمع إليه طول الوقت .. والإذاعة تطورت جداً جداً الآن عن أيامنا ..

* * *

قلت لـ " همت مصطفى " :

* على قدر ذاكرتى ، وأنا ذاكرتى زى الحديد ، أستطيع أن أقول أنك أول مذيعة مصرية ظهرت على شاشة التليفزيون فى مصر .. وكان ذلك قبل دخول التليفزيون نفسه مصر بعدة سنوات .. فاكرة الحكاية دى !؟ ..

وضحكت " همت مصطفى " كثيراً وهى تقول :

– آه طبعاً .. ده كان فى المعرض الزراعى الصناعى اللى كان بيقام كل سنة فى أرض المعارض بالجزيرة قبل أن تصبح الآن دار الأوبرا .. كانوا بيعملوا فيه دائرة تليفزيزنية مغلقة لتذيع داخل المعرض فقط ، وستديو صغير يجلس فيه المذيع أو المذيعة ، وعدد من شاشات التليفزيون منتشرة فى أرجاء المعرض .. وكنا بنقدم إعلانات عن الأشياء المعروضة فى المعرض .. وكنا بنفرح جداً بهذا التكليف لأننا كنا بنتقاضى ٤ جنيهات فى المرة الواحدة .. وكانت كل الناس اللى فى المعرض بتشوفنى ماعدا أنا فقط اللى ما أقدرشى أشوف نفسى .. لأنه كان بيذاع على الهواء مباشرة ولم يكن هناك تسجيل تليفزيونى ولا فيديو فى ذلك الوقت ..

لكننى بالفعل كنت أول وجه على الإطلاق يراه المشاهد المصرى حين بدأ التليفزيون المصرى إرساله فى يوم ٢١ يوليو ١٩٦٠ .. حين ظهرت على الشاشة بمجرد بدء الإرسال لكى أقدم الدكتور " محمد عبد القادر حاتم " الذى قدم التليفزيون للمشاهدين فى مصر .. ثم إنتقلنا إلى إذاعة خارجية من مجلس الأمة ، الذى هو مجلس الشعب الآن ..

ولم أكن خايفة ولا هايبة ولا مخضوضة يومها .. لأن الرهبة أساساً تكون من الميكروفون وليست من الكاميرا ، وأنا كنت وقتها خلاص متمكنة تماماً من الميكروفون وأكون فى غاية السعادة والراحة والإطمئنان والثقة وأنا قاعدة قدامه ..لذا فلم تكن عندى أى رهبة على الإطلاق ..

* من كانت المجموعة التى إنتقلت معك من الإذاعة إلى التليفزيون !؟ ..

– على رأس الجميع أستاذنا الكبير عبد الحميد يونس ، الله يرحمه .. ثم الأساتذة سعد لبيب وعباس أحمد وأنور المشرى وسميرة الكيلانى وصلاح زكى وسميحة عبد الرحمن وأمانى ناشد .. وبابا شارو جاء إلى التليفزيون فترة ثم عاد إلى الإذاعة مرة أخرى ..

* قضيت فى الإذاعة ٩ سنوات ، وما يقرب من ٢٣ سنة فى التليفزيون .. بتعتبرى نفسك بنت الإذاعة والا بنت التليفزيون !؟ ..

- بنت الإذاعة طبعاً ..

أذيع فى البرنامج العام فى إذاعة القاهرة فى عيد ميلاد الإذاعة الخمسين فى ٣١ مايو ١٩٨٤
نشر فى كتاب [حكايات صحفية] – دار الأمل – بتاريخ ٧ / ٨ / ٢٠٠٨
توفيت همت مصطفى فى ١٤ / ١٢ / ١٩٩٥ ..

الوجه الآخر ..

أسوأ شئ فى الدنيا أن يستغرق العمل إنساناً ما فيستولى على كل وقته بحيث لا يتبقى له أى وقت يروح فيه عن نفسه فيقرأ كتاباً أو يذهب إلى سينما أو مسرح أو يشاهد التليفزيون أو يمارس هواية ما مهما كانت بسيطة .. فنحن لا نعيش لكى نعمل فقط ، وإذا حدث ذلك فسيجئ علينا يوم نكتشف فيه أننا لم نستمتع بحياتنا على الإطلاق وأن حياتنا توشك أن تنتهى من قبل أن تبدأ فعلاً ، وأن ما فاتنا كثير كثير ولم يعد هناك وقت لتعويضه أو لاستدراك ما فات ..

هؤلاء المشاهير والأعلام فى مختلف المجالات الذين لا نرى منهم ولا نعرف عنهم إلا جانب العمل فى حياتهم ؛ ماذ عنهم بعد ساعات العمل الرسمية !؟ .. ماذا عن الجانب الآخر من حياتهم الذى لا نراه ولا نعرفه !؟ ..

* * *

الجانب الذى لا نعرفه عن السفير المصرى فى لندن " يوسف شرارة " ملئ بالمفارقات الطريفة التى يندر أن تحدث مجتمعة لشخصٍ واحد .. أول هذه المفارقات أن هذه هى أول مرة يشغل فيها منصب السفير فعلاً ، وإن كان قد عين سفيراً مرة من قبل وإستمر هذا التعيين سنة كاملة دون أن يتسلم عمله فعلياً ، بل ودون أن يضع قدمه على الإطلاق فى الدولة التى عين سفيراً فيها !! ..

المفارقة الثانية فى حياة يوسف شرارة أن حلم حياته حين كان تلميذا فى المرحلة الثانوية هو أن يصبح أديباً ، وبدأ يعد نفسه لذلك فعلاً ، فالتحق بكلية الآداب ، لكنه مع ذلك تخرج فى كلية التجارة ، وإبتعد عن حلمه الكبير أكثر من ٣٠ سنة ، ثم عاد إليه الآن وهو على بعد سنوات قليلة من المعاش ليبدأ فى نشر أول كتبه بعد أن يخرج فعلاً إلى المعاش !! ..

المفارقة الثالثة فى حياة يوسف شرارة هو أنه واحد من ثلاثة أشقاء جميعهم سفراء !! .. ومع أنه ليس أكبرهم سناً إلا أنه كان أسبقهم إلى العمل الديبلوماسى .. ولكن : لماذا لا نبدأ الحكاية من البداية ..

* * *

كان حلم حياة يوسف شرارة وهو تلميذ فى المرحلة الثانوية أن يصبح كاتباً مغامراً مثل الكاتب الأمريكى الشهير " إرنست هيمنجواى " يلف العالم ويضع نفسه فى قلب الأحداث الحقيقية ويشارك فى صنعها مغامراً ومحارباً ، ثم يكتب عنها بعد ذلك أدباً وروايات وقصصاً .. لذا فبمجرد أن حصل على الشهادة التوجيهية – الثانوية العامة الآن – كان يأخذ طريقه إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وقسم اللغة الإنجليزية بالذات لكى يزود نفسه بلغة أجنبية تكون لسانه وهو يطوف العالم أديباً كاتباً .. لكنه بعد أن أمضى سنتين فى كلية الآداب إكتشف فجأة أن لا أحد فى مصر يستطيع أن يعيش من مهنة الأدب وحدها .. فقد كان كل الأدباء أصحاب الأسماء الكبيرة اللامعة على الساحة الأدبية موظفين : طه حسين موظف ، توفيق الحكيم موظف ، أحمد أمين موظف ، نجيب محفوظ ويوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ومحمدعبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جودة السحار كلهم موظفون .. لذا قرر أن يعدل مسار حياته ويختار لنفسه طريقاً آخر يوصله إلى وظيفة محترمة يستطيع إلى جوارها أن يمارس الأدب ؛ فتحول إل كلية التجارة قسم العلوم السياسية وتخرج فيها عام ١٩٥٣ .. وفى نفس العام إلتحق بالعمل بوزارة الخارجية ، وفى الوقت نفسه إلتحق أيضاً طالباً فى معهد الدراسات السياسية بجامعة القاهرة من دون أن يكون ذلك شرطاً ولا نتيجة لالتحاقه بالعمل الديبلوماسى ..



مفارقة أخرى من المفارقات الكثيرة فى حياة يوسف شرارة ؛ هى أنه كان ضمن أول دفعة من الشبان الذين تعينوا فى وزارة الخارجية المصرية بعد إمتحان !! .. أسأله مندهشاً : " وهل كان الإلتحاق بالعمل الدبلوماسى قبلك يتم بلا إمتحان !؟ " .. فيجيب ضاحكاً : " نعم .. فلكى تلتحق بوزارة الخارجية وقتها كان يكفى أن تكون قريباً أو نسيباً لأحد المسئولين لكى تعين على الفور .. لكن دفعتنا كانت أول دفعة من الشبان العاديين تمر بأول إمتحان عقد فى الخارجية عام ١٩٥٣ بعد ثورة يوليو مباشرة .. والـ ٥٢الذين نجحوا فى ذلك الإمتحان جميعهم الآن سفراء لمصر فى مختلف دول العالم .. ولم يكن يوسف شرارة ضمن أول دفعة فقط لكنه كان (الأول) على الدفعة كذلك ، وكان الثانى على الدفعة هو عبد الرءوف الريدى سفير مصر فى واشنطن الآن ..

شئ آخر طريف فى حياة يوسف شرارة ؛ هو أن نجاحه فى إمتحان وزارة الخارجية وتعيينه ملحقاً دبلوماسياً كان حافزاً لشقيقيه الأكبر والأصغر منه لكى يتطلعا إلى العمل الدبلوماسى أيضاً ، فتقدما كلاهما إلى الإمتحان بعده ، ونجحا ، وعينا فى الخارجية .. والأشقاء الثلاثة الآن سفراء لمصر فى دول مختلفة !! ..

* * *

وبدأ يوسف شرارة مشواره فى لخارجية عضواً فى وفد مصـــر فـــى الأمـــم المتحدة فى نيويورك .. وهناكحضر العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .. وعاد إلى مصر فى عام١٩٥٩ ليبقى فيها ثلاث سنوات قبل أن يعين فى الطـــرف الآخـــر المتناقض تماماً : فى السفارة المصرية فى موسكو .. وفيهـــا حضـــر بـــزوغ نجـــم "خروشوف " وارتفاعه وتألقه ، ثم سقوطه أيضاً !! .. وعاد إلى مصر عـــام ١٩٦٦ لينقل مرة أخرى إلى واشنطن عام ١٩٧٠ ليعمل فى قسم رعاية المصالح المصـــرية هناك ، لأن العلاقات الديبلوماسية بين مصر وأمريكا كانت مقطوعة نتيجـــة حـــرب يونيو ١٩٦٧ .. لكنه وهو فى واشنطن وقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبعـــدها عـــادت العلاقات الديبلوماسية بين مصر وأمريكا مرة أخرى ، وعاد يوسف شرارة إلى مصر ليقضى فيها ثلاث سنوات ، قبل أن يعود إلى أمريكا للمرة الثالثة : قنصلاً عاماً فـــى نيويورك .. ثم يعود إلى مصر ليقضى ثلاث سنوات قبل أن يصدر قرار تعيينه سفيراً – لأول مرة فى حياته – لمصر فى أستراليا .. ولكن تحـــدث مفارقـــة أخـــرى مـــن المفارقات الكثيرة فى حياته : فقد كان يشغل منصب (مدير المعهـــد الديبلوماســـى) التابع لوزارة الخارجية حين عين سفيراً لمصر فى أســـتراليا وقبلـــت الملكـــة أوراق إعتماده وأصبحت المسألة مسألة أيام يسافر بعدها ليتسلم مهام منصبه سفيراً لأول مرة فى حياته ، قمة السلك الديبلوماسى وحلم حياة كل ملحق شاب يبدأ طريقه فى الخارجية .. لكن السفير المصرى الذى كان موجوداً فى أستراليا فى ذلك الوقت تأخر فى إنهاء أعماله هناك ، وبالتالى بقى يوسف شرارة فى مصر إنتظاراً لعودة اســـفير الموجـــود هناك ، فلا يجوز (بروتوكولياً) أن يكون هناك سفيران لبلد واحد فى سفارة واحة فى وقت واحد .. وعاد السفير السابق إلى مصر ، لكن قبل أن يســـافر الســـفير الجديـــد يوسف شرارة كان وزير خارجية أستراليا على وشك أن يزور مصـــر ، ولابـــد أن يكونفى إستقباله فى مصر السفير المصرى ف أستراليا ، فبقى يوسف شـــرارة فـــى مصر حتى إنتهت زيارة وزير الخارجية الأسترالى وعاد إلى بلاده .. لكن مرة أخرى قبل أن يسافر السفير الجديد إلى أستراليا طلبت منه وزارة الخارجية المصرية أن ينظم

قبل سفره سلسلة من الندوات يعقدها المعهد الدبلوماسى للدبلوماسيين الأفارقة فى مصر ، فبقى فى مصر حتى تم تنظيم هذه الندوات .. وهكذا ظل يوسف شرارة سنة كاملة فى مصر سفيراً على الورق فقط دون أن يرى أستراليا أو يعرفشكل مبنى سفارة مصر فيها !! ..

وفى تلك الأثناء صدرت حركة تنقلات ديبلوماسية جديدة فى مصرشملت بعض السفراء .. وكان صلاح بسيونى قد عين سفيراً لمصر فى لندن ولم يتسلم مهام أعماله فيها بعد ، لكن العلاقات الديبلوماسية بين مصر والإتحاد السوفييتى كانت قد عادت بعد فترة إنقطاع طويلة ، وكانت رغبة صلاح بسونى فى الأساس أن يذهب إلى موسكو ، فحققت له الحركة الديبلوماسية الجديدة هذه الرغبة ، فشغر منصب السفير المصرى فى لندن ، فنقلت الحركة الجديدة يوسف شرارة من أستراليا التى كان قد تسلم عمله فيها على الورق فقط ولم يكن قد رآها قط ؛ إلى لندن !! ..

* * *

كان ذلك ، على طرافته ، هو الجانب الرسمى للسفير المصرى فى بريطانيا .. وأسأله : وماذا عن الجانب الآخر للسفير الذى لا يعرفه الناس الذين يتعاملون معه كسفير فقط ويعرفه الأهل والأسرة والأصدقاء المقربون .. ماذا يفعل السفير بعد ساعات العمل الرسمية !؟ ..

يجيب يوسف شرارة ضاحكاً :

ساعات العمل الرسمية هذه حين أكون موجوداً فى مصرفقط .. أما وأنا فى الخارج فأنا إما فى الشغل أو (تحت الطلب) .. لأن العمل بالنسبة لى كسفير ، ولكل أعضاء السفارة ، لا يتوقف فى الساعة الرابعة أو الخامسة عصراً ، إنما من الممكن أن يستمر لأى وقت وبلا حدود ..

أقول للسفير :

* ومع ذلك فمن المؤكد أنه لا يخلو الأمر من ساعات تقضيها مع نفسك تمارس فيها هواية ما أو عملاً بعيداً عن العمل الديبلوماسى ..

- مؤكد نعم .. قد تكون هذه الساعات قليلة أو نادرة إنما لا شك فى أنها موجودة ، لكنها على أى حال لا تكفى لكل ما أريد أن أفعله .. فمثلاً جاءتنى إبنتى الكبرى يوماً ما من نحو سنة ونصف لتقول لى : " تعرف يا بابا أنه لو جاءت سنة ٢٠٠٠ وأنت لا تعرف شيئاً عن الكومبيوتر فسوف تعتبر مياً كما لو أنك لا تعرف القراءة والكتابة " !! .. ومع أن سنة ٢٠٠٠ حين تجئ سأكون قد خرجت إلى المعاش ؛ إلا أننى لم أشأ أن أعتبر أمياً وأنا فى المعاش .. لذا فقد إشتريت لنفسى جهاز كومبيوتر ووضعته فى غرفة فوق سطح السفارة كانت مهملة وتستخدم كمخزن للكراكيب والأشياء القديمة مثل المكاتب وقطع الأثاث المستهلكة وأشياء لا أحد يعرف ماذا كانت بالضبط ، فجئت بنجار أصلح منها ما يمكن إصلاحه ليعاد إستخدامه من جديد ، وتخلصت من الباقى .. وهكذا تكون لدىّ من الأثاث القديم المهمل غرفة جديدة كاملة نظيفة خصصتها لهواياتى عموماً ، وخصوصاً هوايتى الجديدة : الكومبيوتر ، الذى يشغل وقت فراغى تماماً وأنا فى البيت ، فألاعبه الشطرنج مثلاً ، والشطرنج فى الكومبيوتر على ١٠ درجات أو ١٠ مستويات متصاعدة .. أنا أستطيع أن أغلبه حتى المستوى الثالث فقط ، أما بقية المستويات السبعة فهو يغلبنى بشدة دون أن يجاملنى كسفير ..

وكنت فى أيام الدراسة فى ثانوى وفى الجامعة قد لعبت لفريق كرة القدم بنادى المعادى كساعد هجوم أيمن ، ومثلت هذا النادى أيضاً فى فرق الهوكى وتنس الطاولة ، كما مثلت كلية التجارة فى كرة المضرب والسباحة وكرة الماء ..

أسأل السفير :

* وماذا بقى من كل هذه الرياضات الآن !؟ ..

- كرة المضرب والسباحة ، لكننى لا أمارسهما بانتظام نظراً لضيق الوقت .. أى أن آخر مرة لعبت فيها كرة المضرب كانت منذ شهر كامل ، لكننى كنت أسبح صباح اليوم بالذات .. وطول عمرى لم أمارس رياضة الجرى ، فأنا أرى أن الجرى

يجب أن يكون ضمن رياضة أخرى ، لكننى غير مقتنع بأن الجرى من غير سبب هذا لا يمكن أن يعتبر رياضة فى حد ذاته ..

* * *

فى مبنى السفارة المصرية طاولة (بنج بونج) .. وكلما إتسع الوقت يجتمع أعضاء السفارة ليلاعبوا بعضهم بعضاً ، والسفير يغلبهم جميعاً .. وإن كان لا يعرف حتى الآن إذا كان هو الذى يلعب جيداً أم أنهم يتركونه يغلبهم بحكم منصبه ..

أيضاً صيد السمك حكاية أخرى فى حياة السفير يوسف شرارة ؛ إذ ظل يحدثنى عن صيد السمك ساعة كاملة وهو يعرض علىّ أدوات الصيد التى لديه .. وكنت أظن أن هاوى صيد السمك لا يلزمه إلا سنارة وخيط وقطعة من الفلين و(طعم) ؛ لكننى إكتشفتمن حديث السفير أن هناك العديد من أنواع السنانير – جمع سنارة – والعديد من أنواع الخيط والعديد من أنواع ودرجات وأوزان الفلين والرصاص التى تستخدم فى الصيد .. عالم كبير إكتشفت أننى كنت بعيداً عنه تماماً ، والحمد للهأننى كذلك ، فلم يكن صيد السمك طول عمرى من الهوايات التى تستهوينى ..

أسأل السفير يوسف شرارة :

* وماذا غير الكومبيوتر والرياضة !؟ ..

– المكتبات هنا فى لندن ، خصوصاً المكتبات التى تبيع الكتب القديمة الـ (سكند هاند) هى متعة لا تعادلها متعة ، التى أقضى فيها عدة ساعات كل يوم سبت .. وحتى لو لم أشترى شيئاً .. وتشاركنى فى هواية الكتب بناتى الثلاث على إختلاف نوعية قراءة كل منهم بحكم دراستها .. أنا من هواة قاءة التاريخ المصرى القديم .. ومن الأشياء التى أحاولها الآن إثبات أن " فرويد " قد إستمد أغلب أفكاره من التاريخ المصرى القديم ، خصوصاً فكرة الـ (كا) والـ (بـا) ، وفكرة (القرين) أو الشخصية الخارجية والشخصية الداخلية للإنسان ، وأجرى بحثاً كبيراً فى هذا الموضوع عن علاقة " فرويد " بالحياة المصرية القديمة ، أى عملية التزاوج بين علن النفس والحضارة الفرعونية القديمة ..

أسأله عن حلمه القديم بأن يكون كاتباً مغامراً .. فيقول أنه بحكـم الظـروف الآن سوف يتخلى عن نصف الحلم : حكاية أن يكون مغامراً ، ويكتفى بأن يكون كاتباً فقط .. لكن ذلك على أى حال لن يكون الآن ولن يكون إلا بعد أن يخرج إلى المعاش .. ومع ذلك فقد تجمعت لديه الآن مجموعة من القصص القصيرة من الحياة الإنسانية يكتبها فى وقت فراغه منذ كان تلميذا فى ثانوى ، وينوى جمعها فى كتاب ليكون كتابه الأول بعد خروجه إلى المعاش .. وقد بدأ يكتب مذكرته وهو هنا فى لندن عن الحـاة الدبلوماسية التى عاشها وعايشها منذ بدء عمله فى السلك الدبلوماسـى عـام ١٩٥٣ حتى الآن .. ويناول فيها ليس فقط قصة حياته كدبلوماسى ؛ ولكـن كـل الأزمـات والحكايات والمشاكل التى صادفته خلال عمله .. وهذه المذكرات موجهة أصلاً إلـى القارئ العادى وليس إلى القارئ المتخصص .. وأيضاً هذه المذكرات لن ترى النـور إلا بعد خروجه إلى المعاش ..

أسأل السفير يوسفشرارة : هل هو والموسيقار عطية شرارة من أسرة واحدة !؟ .. فيقول ضاحكاً :

– للأسف لا .. لكنك ذكرتنى الآن بشئ آخر كنت قد نسيته ، وهو أننى كنت أعزف على الكمان وأتلقى دروساً مرتين أسبوعياً على يد المرحوم أنور منسى .. كل يوم للتدريب على العزف .. فبالنسبة للكمان بالذات فإنك إن لم تكن مستمراً ومواظبـاً على التدريب يومياً فسيجئ اليوم الذى تجد نفسك فيه ناسياً تماماً كل ما تعلمته من قبل .. فأضطررت آسفاً إلى أن ألغى من حياتى الكمان ..

* * *

السفيرة ، أو زوجة السفير ؛ هى مذيعة التليفزيون المصرى السابقة " زينـب حياتى " .. أسأله كيف تعرفا !؟ ..

فيقول ببساطة أنه كان يعجب بهاكثيراً عندما كان يراها على شاشة التليفزيون كمذيعة فى عام ١٩٦٠ ، فقد كانت واحدة من ثلاث مذيعات اللاتى بدأ بهن التليفزيون المصرى إرساله ، مع للى رستم والمرحومة سلوى حجازى .. ثم إلتقيا بالصدفة فـى

مناسبة عائلية فإكتشف أنها أظرف كثيراً فى حياتها العادية منها على شاشة التليفزيون .. فكلم والده فى ذلك ، ووالده كلم والدها ، وإلتقت الأسرتان ، وحاز القبول ، فتمــت الخطبة والزواج وشهر العسل فى موسكو ، و ٣ بنات : إثنتان منهن تدرسان الآن فى جامعة لندن والثالثة تلميذة فى الثانوى .. وإستقالت زينب حياتى من التليفزيون بعد أقل من سنة واحدة من بدء عملها فيه لتتفرغ لحياتها الزوجية الديبلوماسية ..

نشر فى مجلة (الشرق الأوسط) اللندنية – العدد ٥٨ – بتاريخ ٨ / ٨ / ١٩٨٧ ..

مع السفير السعودى فى لندن ..

مشوار العمر ومحطاته ..

أمتع شئ فى الدنيا هو حديث الذكريات ، خصوصاً إذا كانت ذكريات سعيدة .. فأن تجلس إلى شخصٍ ما يحدثك عن ذكرياته أو تحدثه عن ذكرياتك فتلك هى متعتين وليست متعة واحدة : متعة أن تستحضر من ذاكرتك الأيام الخوالى القديمة وتعيشها مرة أخرى ، ومتعة أن تجد شخصاً ترتاح إليه يستمع إليك وأنت تقلب أمامه أوراق ذكرياتك .. وتصبح المتعة مضاعفة إذا كانت هذه الذكريات مشتركة بصورة ما ؛ كأن تكونا أبناء جيل واحد وتجربة مماثلة وشكل حياة متقارب ..

حديث الذكريات هذا كان مع الأستاذ " ناصر المنقور " سفير المملكة العربية السعودية فى بريطانيا ، الذى لخص ذكريات ٤٠ عاماً فى ساعتين ..

* * *

العائلة هى عائلة " المنقور " ، وهى عائلة قديمة ترتبط بقبيلة " تميم " .. والبلدة هى (حوطة سدير) التى تبعد نحو ١٥٠ كيلومتراً عن الرياض .. (سدير) وادى طويل ممتد حوله مجموعة من القرى التى كبرت مع الزمن لتصبح الآن مدناً صغيرة ، ومنها (حوطة سدير) التى يبلغ تعداد سكانها نحو ٥٠ ألفاً .. الوالد كان رجل دين فقيهاً زاهداً يخطب فى مسجد القرية ويقضى كل وقته فى القراءة ، والوالدة من قرية مجاورة .. لم ينجبا غير ثلاثة أبناء : الأكبر عمل فى وزارة المعارف ملحقاً

تعليمياً فى بيروت ثم وكيلاً للحرس الوطنى للمنطق الشرقية قبل أن يتقاعد .. الثانى رجل أعمال .. الثالث والأصعر كان الوحيد فى الأشقاء الثلاثة ، بل وأول واحد من أبناء القرية كلها ، يذهب إلى الجامعة ، والوحيد فى الأسر كلها : لا قبله ولا بعده ؛ الذى عمل فى السلك الديبلوماسى ..

درس الإيتدائى والثانوى فى مكة المكرمة .. وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة فى مكة فى ذلك الوقت التى تدار على النظام التعليمى المصرى وتعطى شهادة (التوجيهية) المصرية – الثانوية العامة الآن – وبالتالى تؤهل خريجيها للإلتحاق بالجامعة فى مصر .. ولأنه لم تكن هناك جامعات فى السعودية فى ذلك الوقت فقد كانت بعثات الطلاب السعوديين توفد للدراسة فى مصر منذ عام ١٩٤٦ .. ولازالت بعثات الطلاب السعوديين توفد للدراسة إلى مصر حتى الآن على الرغم من وجود سبع جامعات فى السعودية الآن ..

وذهب الشاب السعودى الصغير " ناصر " إلى القاهرة وعمره ١٨ سنة ليلتحق بكلية الآداب بجامعة (فؤاد الأول) ، لكنه حين تخرج منها فى عام ١٩٥٢ كانت الثورة المصرية قد قامت وغيرت ضمن الكثير الذى غيرته إسم الجامعة لتصبح شهاة الليسانس التى حصل عليها تحمل إسم (جامعة القاهرة) !! ..

ولا تمر سنوات الدراسة فى القاهرة فى حديث السفير الشيخ " ناصر لمنقور " مروراً عابراً ؛ إنما يتوقف عندها كثيراً وهو يستعذب الحديث عنها وكأنه يعيشها مرة أخرى ..

– عشت سنوات الدراسة الجامعية فى القاهرة حسب النظام السعودى الذى كان معمولاً به فى ذلك الوقت .. وهو أن تعيش السنتين الأوليين فى مبنى واحد للقسم الداخى الذى يضم كل الطلاب السعوديين الذين يدرسون فى مصر ، وكان عددهم على وقتى ٩٠ طالباً .. ولا زلت أذكر عنوان ذلك المبنى حتى الآن : رقم ١٦ شارع حافظ إبراهيم فى حى الروضة فى القاهرة ، ثم إنتقلنا بعد ذلك إلى حى المنيل ، ثم إلى شارع عبد المنعم فى حى الدقى ، كل ذلك فى خلال سنتين فقط .. وعندما ينجح

الطالب السعودى وينتقل إلى السنة الثالثة الجامعية يخير بين الإستمرار فى الداخلية أو الخروج منها ليسكن مستقلاً .. فخرجت وإستأجرت شقة مع زميلين سعوديين واحد منهما زميلى فى كلية الآداب والثانى فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ..

وكان من بين أساتذتنا الدكتور " أمين الخولى " والدكتور " أحمد الشايب " والدكتورة " سهير القلماوى " والدكتور " أحمدأمين " والدكتور " يوسف خليف " والدكتور " شوقى ضيف " والدكتور " محمد محمود الصياد " الذى كان يلقب بـ (شاعر الجغرافيا) ، والدكتور " حسين مؤنس "والدكتور " جمال سرور " والدكتور " حسن إبراهيم " .. وحضرت كل محاضرات الدكتور " طه حسين " التى كان يلقيها فى كلية الآداب تحت إسم (حديث الأربعاء) .. ولا زلت أرى من أساتذتى القدماء الدكتور " حسين مؤنس " ، خصوصاً وأننا قد تزاملنا بعدها فى أسبانيا حين كنت سفيراً للسعودية هناك وكان هو مديراً للمعهد المصرى الإسلامى فى مدريد ..

كما لازلت أحتفظ حتى الآن بصداقات مصرية من مرحلة الدراسة فى مصر .. فقد كان من زملائى فى كلية الآداب وقتها الدكتور " عز الدين إسماعيل " ، وزوجته أيضاً كانت زميلتنا فى نفس الكلية ، والشاعر " صلاح عبد الصبور " رحمه الله ، و" فاروق خورشيد " الإذاعى والأديب المعروف ..

* * *

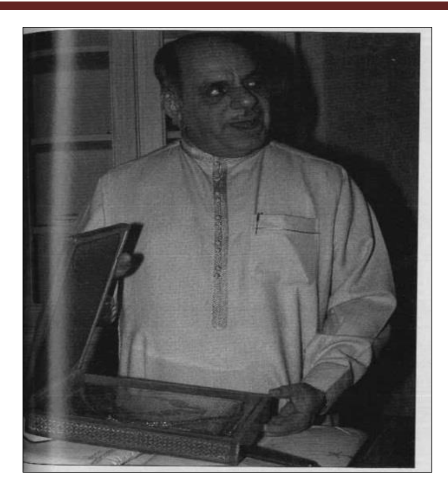
يستطرد السفير الشيخ " ناصر المنقور " مقلباً صفحات الذكريات :

– كانت سنوات الدراسة فى القاهرة بالنسبة لى سنوات سعيدة بلا شك .. لأن القاهرة فى ذلك الوقت لم تكن مزدحمة بالشكل التى هى عليه الآن .. وكانت متعة كبيرة مجرد السير على الأقدام من الدقى حتى شارع فؤاد – ٢٦ يوليو الآن – وأن تعبر ميدان الإسماعيلية – التحرير الآن – إلى شارع سليمان باشا – طلعت حرب الآن – إلى العتبة فشارع عبد العزيز .. كل هذه الأماكن كانت جميلة ونظيفة وغير مزدحمة .. وكنا نفضل أن نمشى هذه المسافة من الدقى إلى وسط البلد ثم العودة إلى الدقى مرة أخرى سيراً على الأقدام أيضاً ، لأن المشى فى هذه الأماكن كان متعة ما

بعدها متعة كما ذكرت ، عصر الخميس بالذات .. فقد كان يوم الخميس بالذات هو يوم الإنطلاق والفسحة بالنسبة إلينا نحن طلاب القسم الداخلى السعوديين .. فهو أجازة من أكل القسم الداخلى الذى كان لا يقدم لنا أى وجبات فى ذلك اليوم .. لذا كنا نذهب إلى السينما فى حفلة الماتينيه من ٦ إلى ٩ مساءً ، ثم نتناول العشاء فى أى مكـان قبـل العودة إلى القسم الداخلى .. فكنا نتناول عشاءنا صاندوتشات من مطعم صغير إسمه (رأس البر) فى شارع مسدود متفرع من شارع سليمان باشا ، الصـاندوتش بثلاثـة تعريفة – قرش ونصف – وفى أول الشهر كنا نتعشى (كباب) عند الحاتى الكبابجى ، أو فى مطعم (الدهان) .. والذى يحدد ما إذا كان العشاء كباباً أو صاندوتشات هو موقع يوم الخميس من الشهر : أول الشهر كباب وآخره صاندوتشات بقرش ونصـف .. !!

وأيضاً السهرة فى السينما كانت تعتمد على الميزانية المتاحة : سينمت (مترو) فى أول الشهر ، وسينما (أوليمبيا) فى آخر الشهر .. كان نجوم السينما فى ذلـك الوقت راقية إبراهيم ويوسف وهبى ومحمد عبد الوهاب ومحسن سـرحان وحسـين صدقى وعماد حمدى وزكى رستم ونور الهدى وفاطمة رشدى ورجاء عبـده وإلهـام حسين وكاميليا وعزيزة أمير وزوجها محمود ذو الفقار .. وكنا نـذهب أيضـاً إلـى مسرح (الريحانى) فى شارع عماد الدين – محمد فريـد الآن – ونسـتمتع كثيـراً بمسرحياته .. لم يكن واحد منا فى ذلك الوقت يطمح إلى أن يكون ممثلاً ؛ لكن أحـد زملاءنا وإسمه " عبد الله مراد " – وقد تخرج مهندساً بعد ذلك – كـان يجيـد تقليـد يوسف وهبى تماماً فى صوته وفى حركاته .. وكنا نقيم حفل سمر مرة كل شهر نلقى فيه قصائد وأشعار وخواطر نثرية ..

وأنا تلميذ كنت تلميذاً هادئاً ، وكنت سكرتيرا للجنة الثقافية التى تقيم نـدوات وتنظم رحلات داخلية كل أسبوع .. ولا تخلو كل مجموعة من الأصدقاء مـن واحـد فيهم شقى وعفريت يحب عمل المقالب فى زملائه .. وكان ذلك الواحد فى مجموعتنا هو الأخ " أسعد جمجوم " الذى كان شهيراً بمقالبه ، حتى أن زميلنا " حسين نصيف " – الدكتور الآن – سجل مقالب ونوادر " جمجوم " فى كتاب ..



وكنا نقضى أجازة الصيف فى الإسكندرية إذا كان عندنا (ملاحق) .. أما إذا كنا ناجحين فنعود لقضاء شهرين فى السعودية مع أسرنا .. وهكذا تستطيع أن تقول أننى قضيت أجازة الصيف فى الإسكندرية مرتين فقط خلال فترة الدراسة بالجامعة (!!) .. لكن علاقتى بالإسكندرية إستمرت بعد تخرجى من الجامعة وعودتى إلى السعودية ، فقضيت فى الإسكندرية نحو ٢٠ صيفاً بعد ذلك .. ولا أستطيع أن أحصى عدد المرات التى ذهبت فيها إلى مصر بعد تخرجى ، ولا أريد أن أحصيها ، لأننى أريد أن أزيد من عددها قدر ما أستطيع ..

بعد تخرجى من جامعة القاهرة عام ١٩٥٢ وكان عمرى وقتها ٢٢ سنة ؛ عدت إلى السعودية لكى أعين على الفور فى وزارة الخارجية كملحق ديبلوماسى .. كان الخريج وقتها هو الذى يختار المكان الذى يريد أن يعين فيه .. ولم تكن هناك وزارت بالمعنى المفهوم غير ثلاث وزارات فقط ، هى الخارجية والداخلية والصحة .. أما الباقى فكان عبارة عن (مديريات) .. لكننى لم أستمر فى وزارة الخارجية أكثر من بضعة شهور .. فبناءً على رغبة الملك سعود رحمه الله فى أن يعين كل خريج فى المنطقة التى ولد فيها لكى يكون مع أسرته ؛ فقد نقلت إلى مديرية المعارف فى منطقة (نجد) ، ثم تحولت المديرية إلى وزارة ، وكان أول وزير للمعارف هو صاحب السمو الملكى الأمير " فهد " – الملك " فهد " الآن – فعملت معه فترة .. وتدرجت فى وظائف وزارة المعارف من مدير تعليم إلى مدير تعليم عام مساعد فى

مكة إلى مدير عام لوزارة المعارف ، حتى عينت مديرا لجامعة الرياض خلفاً للمرحوم " عبد الوهاب عزام " رحمه الله ، وكان عمرى وقتها نحو ثلاثين عاماً ..

* * *

وهو يعمل فى وزارة المعارف تزوج : كان له زميلان فى كلية الآداب فـــى جامعة القاهرة : طالب سعودى وطالبة مصرية ، تعارفا أثناء الدراســة وتزوجــا .. وبحكم زمالته وصداقته لهما معاً كان يزورهما كثيراً .. وعندهما إلتقى بقدره ونصيبه : الأخت الصغيرة لزميلته زوجة زميله ، لكى تزداد العلاقة توطداً ورسوخاً .. فقــد أصبحا (نسايب) بعد أن تزوج من الأخت الصغرى ، وقضيا معاً شهر العسل بـــين سفح الهرم فى القاهرة و(بحمدون) فى لبنان .. وكان حصيلة هذا الزواج بعد أكثــر من ٣٠ سنة ثلاثة أبناء : أحمد الذى تخرج مهندساً مدنياً من جامعة (لوس أنجيليس) فى أمريكا ويعمل الآن فى البرتغال ، و" نورا " درست اللغات وتخرجت من جامعة (بورتلاند) فى ولاية (أوريجان) فى أمريكا أيضاً ، وتزوجت منذ نحو عام ونصف ، والأصغر " هانى " يدرس الآن إدارة أعمال فى جامعة (أشبيلية) فى أسبانيا ..

* * *

يستطرد السفير الشيخ " ناصر المنقور " فى حديث الذكريات :

– وتركت جامعة الرياض إلى وزارة الخارجية مرة أخـــرى ، لكـــى أعـــين سفيراً للسعودية فى اليابان التى قضيت فيها خمس سنوات ، ثم خمس سنوات أخـــرى فى السويد ، وثمانى سنوات فى أسبانيا ، وها أنذا معكم فى بريطانيا منذ ٧ سنوات من عام ١٩٨٠ حتى الآن ..

* * *

وينتقل بنا الحديث إلى الوقت الذى يخلو فيه السفير الشيخ " ناصر المنقــور " إلى نفسه بعيداً عن المكتب والأوراق والسكرتيرات والتليفونات والمقــابلات والعمــل اليومى الذى يتطلبه منصب السفير ..

– القراءة هى هوايتى الأولى ، وأنقل مكتبتى معى إلى كل مكان أذهب إليه ، وأحافظ عليها وأحتفى بها وأعنى بها أكثر مما أعنى بأى شئ آخر .. ففيها الآن نحو ٢٠٠٠ كتاب أغلبها أدب وتاريخ وشئون سياسـية ومراجـع .. ومجموعـات مثـل مجموعة العقاد ومجموعة طه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم .. كمـا أحـتفظ ببعض المجلات الأدبية مثل مجلة (العربى) منذ أول عدد صدر منها عـام ١٩٥٩ حين كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور " أحمد زكى " حتى آخر عدد صدر منهـا هذا الشهر ، وأحرص على تجليدها كل سنة .. عندى مجموعة مجلـة (الرسـالة) للمرحوم " الزيات " ومجموعة (الأديب) ومجموعة (العرب) للشيخ " محمد الجاسر " منذ صدورها ، وكتب فى التراث والشئون الإسلامية والفتاوى وفقه اللغة وغير ذلك .. وقد كلفت متخصصاً فى المكتبات لكى يصنف مكتبتى ويضع لها فهرساً .. وأرجو أن ينتهى من ذلك خلال شهرين أو ثلاثة .. وأنا أقرأ لكل أجيال الكتاب المحـدثين ، سواء ما يكتبونه فى الصحف والمجلات أو فى كتبهم المنشـورة .. ووقـت القـراءة المفضل عندى هو فى المساء بعد العشاء أو بعـد إنتهـاء السـهرة مـع الضـيوف والأصدقاء ؛ فأقرأ حتى الثانية صباحاً .. أما الصحف والمجلات العربية والإنجيزيـة فأقرؤها فى فترة الصباح لأنها لا تحتاج إلى تركيز كبير .. وأحياناً أحتاج إلى نوع من القراءة الخفيفة لمجرد التسرية وإراحة الذهن ؛ فأحاول أن أحل فى المجلات المصورة تلك الرسوم التى تتشابه مع عدة إختلافات فى أحد الرسمينن عن الرسم الآخر فيطلب منك أن تكتشف تلك الإختلافات فى خلال ثمانى أو عشر دقائق .. وأتابع أخبار الفـن والفنانين عن طريق الصحف والمجلات فقط ، خصوصاً الفنانين الذين شهدت أفلامهم فى مطلع الصبا أيام مجدهم .. وذلك لا يمنع من أننى أعـرف بـاقى الفنـانين مـن صورهم ، فأعرف أن هذه هى " بوسى " وتلك هى " يسرا " وتلك " آثـار الحكـيم " وذلك هو " عادل إمام " .. وعندى القدرة على التعرف وتمييز الفنانين فـى الراديـو بمجرد سماع أصواتهم وقبل أن تذكر أسماؤهم .. ونادراً ما أجلس أمام جهاز الفيـديو إلا إذا رشح لى أحد الأصدقاء فيلماً معيناً أو مسرحية معينة .. فشهدت مثلاً مسرحية

عادل إمام (شاهد ماشفشى حاجة) أكثرمن مرة ، وشهدت مسرحيات كويتيـــة لعبــد الرضا ، مثل (باى باى لندن) و(عزوبى السالمية) ومسرحبات خفيفة من هذا النوع .. لكننى لا أرى كل الأفلام ولا كل المسرحيات .. وأحياناً لا أكمل مشاهدة المسرحية أو الفيلم إذا لم يجتذبنى موضوعهما ..

وأكتب فى أوقات فراغى ، وهى نادرة .. أكتب أى حدث أنفعــل بــه فـــى لحظتها ، آتى الورق والقلم وأكتب على الفور وأفرغ تلك الشـــحنة علـــى الـــورق .. وأحياناً أحتفظ بهذه الأوراق وأحياناً أمزقها ولا أحتفظ بها .. ولا أكتب مذكرات يومية إلا إذا كان هناك شئ يستحق التسجيل فى مذكراتى اليومية فعلاً .. بعضـــها سيلســـية وبعضها إجتماعية ..

وأمارس رياضة السباحة والجولف الذى ألعبه منذ أن كنت فى اليابان .. كما أمارس (الإسكواش) فى مصحٍ قريب من لندن أذهب للراحة فيه أسبوعين كل ثلاثة شهور ..

نشر فى مجلة (الشرق الأوسط) اللندنية – العدد ٥٢ – بتاريخ ٣٠ / ٦ / ١٩٨٧ .

" أبو كلثوم " .. فى ليفربول !! ..

حين ذهبت إلى مدينة [ليفربول] لأحضر الأسبوع العربى هناك ؛ لم يكن يخطر على بالى على الإطلاق أننى سوف ألتقى هناك بمفاجأة .. وحين قدموه لى على أنه : الدكتور طبيب " حسن المعصرانى " توقعت أن نتكلم فى أى شئ : طب ، سياسة ، أدب ، تاريخ ، جغرافيا .. أى شئ إلا أن يرفع عقيرته فجأة وينطلق صوته ليغنى ؛ لأكتشف أننى فعلاً أمام : " أبو كلثوم " !! ..

* * *

أن تذهب لتزور طبيباً فى بيته ؛ خصوصاً طبيب تخرج فى جامعات إنجلترا ويعمل ويعيش فيها منذ أواخر الخمسينيات – نصف قرن الآن – منذ كان تلميذاً فى المدرسة الثانوية ؛ فإنك تتوقع أن تجد جدران بيته مزينة بالجماجم أو الهياكل العظمية ، وربما بعض الجثث ، أو أشياء من هذا القبيل التى تشير إلى (أمجاده) فى عالم الطب .. وأضعف الإيمان أن تجد جدران بيته مكتبة من الأرض إلى السقف مليئة بالكتب والمراجع والقواميس الطبية والعلمية .. لكن أن تجد بدلاً من هذه المكتبة العلمية مكتبة إسطوانات عربية كلها لفنانين ومطربين عرب .. أن تجد ١٠٠ إسطوانة لأم كلثوم و١٠٠ إسطوانة لعبد الوهاب ومثلها لفريد الأطرش وأسمهان وفيروز ووديع الصافى وغيرهم ؛ وولا كتاب طبى واحد ؛ فإن ذلك هو الغريب فعلاً ..

وقبل أن أبدى ملاحظتى هذه للدكتور " حسن المعصرانى " ؛ وضع شـــريطاً فى جهاز التسجيل وأداره ؛ فأتانى صوت " أم كلثوم " مجلجلاً يشدو بأغنية (من أجل عينيك عشقت الهوى) .. وأطربنى صوت " أم كلثوم " كما يطربنى دائماً ، وإن كنت قد لاحظت أن لهجة " أم كلثوم " وهى تغنى هذه الأغنية الآن وكأن بها (لكنة) عربية خفيفة لا تلحظها إلا الأذن السميعة .. وسألنى الدكتور " المعصرانى " :

- هل عرفت من الذى يغنى !؟ ..

قلت على الفور :

* أم كلثوم طبعاً ..

قال :

- لأ ..

قلت :

* إذن هى مطربة عربية تقلد أم كلثوم ، كما تفعل سعاد محمد أحياناً ونجاح سلام أحياناً وياسمين الخيام أحياناً .. ولعل هذا هو سبب اللكنة الشامية الخفيفة إلى حدٍ ما فى هذا التسجيل ..

قال :

- أبداً ..

* من الذى يغنى إذن !؟ ..

وفوجئت بالرد :

- أنا ..

* أنت شخصياً !؟ ..

- أنا شخصياً ..

* لكن الصوت الذى يغنى صوت نسائى ، وهو مطابق تمامـــاً لصـــوت أم كلثوم

- هكذا صوتى عندما أغنى ..

الدكتور " حسن المعصرانى " طبيب سورى من حلب ، جاء من سوريا إلى ليفربول وهو فى السادسة عشرة من عمره ليدرس الطب فى جامعتها ، ثم استقر فى المدينة الإنجليزية الشهيرة بعد تخرجه وعاش هنا واحداً من أشهر أطبائها منذ أواسط الستينيات حتى الآن ، وتزوج من ممرضته الأيرلندية الظريفة " آنا آجنس " .. ومنذ بداية تلمذته فى ليفربول وحتى الآن لم ينقطع مرة واحدة عن الغناء فى الحفلات والليالى العربية التى تقام فى الجامعة أكثر من مرة فى كل عام .. ودائماً يغنى أغنيات أم كلثوم ، وأم كلثوم وحدها فقط لا غير .. الغريب أن صوته يكاد يكون مطابقاً تماماً لصوت أم كلثوم حتى أنه من الصعب التفرقة بينهما للأذن العادية أو المستمع غير الخبير .. صوت حلو حقيقة منطلق فعلاً ومن نفس طبقات صوت أم كلثوم ونفس معدنه ، بالرغم من أنه هو رجل وهى إمرأة ..

* أليست مسألة مستغربة إلى حدٍ ما أن تغنى أغنيات أم كلثوم وأنت رجل !؟

– ولماذا الإستغراب !؟.. طبيعى جداً أن تغنى كل الناس أغنيات أم كلثوم .. ألا تدندن بها أنت نفسك أحياناً !؟ ..

* أنا أدندن بها فى الحمام ، لكنك أنت تغنيها لجمهور مستمعين فى حفلات الجامعة ، وهى حفلات عامة .. هذه الإجادة وهذا الإتقان وهذا التطابق بين صوتك وصوت أم كلثوم الذى يقترب بك من المحترفين ..

– أم كلثوم لا تغنى لها النساء فقط ، لكن الرجال أيضاً .. والشباب يستمتعون بأغانى أم كلثوم ..

* يستمتعون حاجة وأن يقلدونها بهذا الإتقان حاجة تانية .. خصوصاً الطبقة التى تقارب طبقة صوت أم كلثوم إلى هذا الحد .. المفاجأة الثانية بالنسبة لى أنك طبيب ..

– هذا صحيح .. لكن إذا كان الطب هو التعامل مع أوجاع الناس الصحية ؛ فالغناء – والفنون عموماً – هو التعامل مع الناس أيضاً لكن من ناحية مشاعرهم

وأحاسيسهم وأذواقهم المرهفة .. الطب (علاقة علمية) بين الطبيب والناس ، أما الفن فهو (علاقة وجدانية) وعلاقة مشاعر وأحاسيس بين الفنان والجمهور ..

* كيف بدأت معك حكاية تقليد أم كلثوم !؟ ..

– فقط أريد أن أصحح شيئاً صغيراً .. أنا لا أقلد أم كلثوم لكنى أغنى ، فقط ، أغانيها .. أغنيها بأسلوبى أنا وبطريقتى أنا ..

*هل معنى ذلك أنك تتصرف فى اللحن أو فى الكلمات أو فى طريقة الأداء !؟

– لأ طبعاً ..

* إذن أنت تغنى اللحن كما هو دون تصرف ، وتغنى الكلمات كما هى دون تصرف ، وتغنى الأداء كما هو دون تصرف .. تبقى بتقلدها !! ..

– وأنا صغير كنت أعجب بصوت أم كلثوم ، وكان أبى وأمى يحبان الموسيقى جداً ومعجبان أيضاً بصوت أم كلثوم .. وقبل سن ذهابى إلى المدرسة وأنا طفل كنت طوال فترة الصباح أستمع إلى والدتى وهى تدندن بأغنيات أم كلثوم فى البيت وتترنم بها طول اليوم وأنا معها ، أحاول أن أقلدها وأفعل مثلما تفعل .. حتى جاء الوقت الذى صرنا فيه أنا وأمى نغنى معاً وأصبحت أمى تطرب لسماعى كما أطرب أنا لسماعها .. ولما كبرت قليلاً إستمع إلىّ بعض أساتذتى فى مدينة حلب واقترحوا علىّ أن أغنى فى الإذاعة السورية ، لكن أسرتى عارضت ذلك ومنعتنى من الغناء تماماً .. لكن حين جئت هنا إلى جامعة ليفربول كطالب فى كلية الطب فى أواخر الخمسينيات ؛ بدأت أغنى من جديد على راحتى بعد أن بعدت عن رقابة الأسرة .. وغنيت فى كل حفلات جامعة ليفربول من وقتها حتى الآن ، يعنى من أول وأنا طالب صغير وحتى بعد أن أصبحت خريجاً قديماً وبعد أن أصبحت طبيباً منذ منتصف الستينيات .. أم كلثوم مطربة غير عادية وصوتها ملائكى وتعبر عن الكلمات والمعانى بشكل غير عادى ، وذلك هو سر عظمتها .. وذلك هو ما أغرانى أكثر بأن أغنى أغانيها هى أكثر من أى مطرب آخر أو مطربة أخرى ..



* المفترض أساساً أنه حين يهوى شاب الغناء ؛ فإنه يبـدأ بتقليـد صـوت مطرب رجل أو يغنى أغنيات مطرب رجل وليس مطربة سيدة : يقلد عبـد الوهـاب مثلاً أو عبد الحليم حافظ أو فريد الأطرش ، لكن أن يقلد صوت سيدة مطربـة بمـا يحمله طبيعة صوت المرأة من نعومة ورقة وأحياناً دلال ودلع وأنوثة ؛ فـذلك هـو المستغرب والصعب إلى حدٍ ما ، بل إلى حدٍ كبير .. أما المستغرب جداً والأصـعب كثيراً فهو أن يختار قمة الغناء العربى أم كلثوم ليقلدها ، الشـئ الـذى فشـلت فيـه مطربات أخرى كبيرات ، كثيرات !! ..

– لكن ، علمياً ، حين يقلد شاب صوت مطرب رجل ، كعبد الوهاب أو عبد الحليم أو فريد الأطرش مثلاً ؛ فإنه يفقد مقومات صوته هو شخصـياً .. ونصـحنى بعض أساتذتى فى كلية الطب هنا بألا أغنى لمطرب رجل حتـى لا أفقـد شخصـية صوتى

* أيهما بدأ قبل الآخر : حبك للغناء أصلاً ، أم حبك لأم كلثوم شخصياً !؟ ..

– أنا أحب الغناء جداً ، وحين أحب أن أغنى فإننى أغنى لأم كلثوم وحـدها فقط ..

* يعنى كنت ستغنى لأم كلثوم سواء نصحك الأطباء أو لم ينصحوك !؟ ..

– هذا صحيح .. ورغم مرور كل هذه السنوات علىَّ فى إنجلترا الآن ؛ إلا أننى لازلت أغنى فى كل حفلات جامعة ليفربول ، وكما رأيت أنت بنفسك فقد غنيت فى حفل ختام الأسبوع العربى الذى أقامته الجامعة فى الأسبوع الماضى .. يعنى لازلت أغنى حتى الآن ، وأغنى طول الوقت .. وأسعد الأوقات عندى هى التى أستمع فيها إلى الغناء الجيد ، والأسعد منها هى التى أغنى فيها أنا شخصياً ، لأننى أجد فى الغناء لذة روحية ونفسية وأستمتع جداً حين أغنى لأننى أحب الغناء جداً ..

* * *

* مادمت تغنى طول الوقت ومتعلق بالغناء كل هذا التعلق ؛ فهل من الممكن أن تنقلب معك الهواية إلى إحتراف ، كما حدث مع الكثيرين من الأطباء قبلك : " مصطفى محمود " مثلاً ترك الطب وقفل عيادته وتفرغ للأدب والكتابة والصحافة والتصوف والتعمق فى أمور الإسلام حتى أصبح من كبار الكتاب الإسلاميين فى الوطن العربى كله ، الدكتور " يوسف إدريس " فعل نفس الشئ : قفل عيادته وتفرغ للأدب حتى أصبح عميد القصة القصيرة فى الوطن العربى ، الدكتور " حسين فوزى " ترك الطب وأصبح رائد أدب الرحلات الحديث وواحد من أكبر كتاب جريدة (الأهرام) ، الدكتور " إبراهيم ناجى " شاعر (الأطلال) الشهير كان شاعراً عظيماً وطبيباً (نص نص) ، الدكتور " سعيد عبده " صاحب باب (خدعوك فقالوا) فى الصحف المصرية طبيب سابق ، الطبيب " فاروق عجرمة " ترك الطب إلى السينما ممثلاً ثم مخرجاً ممتازاً فى السينما العالمية ، الطبيب " عبد العظيم عبد الحليم " ترك الطب ليصبح قائداً لفرقة موسيقية تعزف وراء كل المطربين والمطربات الكبار، الطبيب " عزت أبو عوف " طلق الطب بالثلاثة وأصبح مغنياً ثم ممثلاً ثم مقدم برامج تليفزيونية ، الطبيب " يحيى الفخرانى " ترك الطب إلى التمثيل وأصبح من أشهر ممثلى مصر ، زوجته الطبيبة " لميس جابر " واحدة من أشهر كتاب السيناريو فى مصر الآن .. الدكتور " حسن المعصرانى " : هل من المحتمل فى وقت من الأوقات أن تتحول من طبيب إلى إلى مطرب محترف !؟ ..

– أنا أحب الطب جداً ، لكنى أحب الغناء أكثر .. ومع ذلك فأنا لم أفكر فى هذه المسألة من قبل .. والسبب أنه كان علىُ ضغط عائلى حتى لا أغنى قبل حضورى إلى إنجلترا .. وحينما كنت فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرى حاول أحد أساتذتى " مجدى العقيلى " وهو معروف كموسيقى وله موشحات كثيرة تذاع من الإذاعة السورية ومن إذاعات القاهرة أيضاً ؛ حاول عدة مرات أن يجعلنى أغنى الموشحات التى يؤلفها ، لكن أسرتى منعتنى من ذلك حتى لا أنصرف عن الدراسة .. وإن كان ذلك لم يمنعنى من الإستمرار فى حب الغناء والتعلق به جداً .. أسعد اللحظات فى حياتى هى حين أغنى ، سواء لنفسى أو للناس ..

* فإذا طرحت عليك فكرة الإحتراف الآن !؟ ..

– إذا أتيحت لى الفرصة لأكون مطرباً جيداً فقد أترك الطب تماماً وأتفرغ للغناء ، لأن فى الحقيقة أن حبى للغناء أكثر من حبى للطب .. ولو أتيحت لى الفرصة لأحتراف الغناء فسوف أفعل ..

* معلومة عرفتها بالصدفة عن الدكتور " المعصرانى " ؛ هو أن صافى دخله السنوى من عيادته كطبيب معروف فى مدينة ليفربول هو ١٠٠ر٠٠٠ جنيه إسترلينى ، بمتوسط ٨٣٣٠ جنيهاً فى الشهر الواحد .. لكى نقدر ما الذى سوف يفقده إذا إحترف الغناء فعلاً !! ..

* دكتور حسن .. هل لديك فعلاً الإستعداد لأن تترك هذا الدخل الكبير لتتحول إلى مطرب محترف لا أحد يدرى إذا كنت سوف تستطيع أن تحقق نفس هذا الدخل مرة أخرى نتيجة الغناء !؟ ..

– حتماً حين يكون الواحد فى مركزى كطبيب لازم يفكر .. لكن تصورى أننى إذا حدث وغنيت كمحترف فسوف أتعامل مع أفضل الملحنين وأحسن مؤلفى الأغانى وأرقى مستوى من الموسيقيين والعازفين ، لكى أستطيع أن أحقق النجاح الذى أتمناه لنفسى منذ البداية .. صحيح أن النجاح يعتمد فى النهاية على مدى تقبل الجمهور والمستمعين لى ، لكنى أيضاً سوف أستعمل عقلى وتفكيرى بصورة صحيحة ..

* قطعاً أنت سوف تستعمل عقلك بصورة صحيحة ؛ لكن المطـــربين فـــى بلادنا يبدأون السلم الفنى عادة من أوله ثم يتدرجون بعد ذلك صعوداً حتـــى يصـــلوا لفوق .. و – بينى وبينك – ١٠٠ر٠٠٠ جنيه إسترلينى كدخل سنوى ، وإضرب هذا المبلغ فى ١١ بالعملة المصرية مثلاً ؛ يعنى مليون جنيه مصرى فى السنة ؛ صـــعب جداً تحقيقه من الغناء فى سنة واحدة ، خصوصاً فى سنوات البداية ..

_ أنا عارف ذلك لكن ربنا يوفقنى للخير .. ثم أننى لم أقرر الإحتراف بعد .

* * *

* دكتور حسن المعصرانى .. هل غنيت فى الإذاعة من قبل !؟ ..

– غنيت فى الإذاعة السورية مرات عديدة عندما كنت فى أجازات قضـــيتها فى حلب .. غنيت من أغنيات أم كلثوم (بعيد عنك حياتى عذاب) .. ولم يكن لى حظ الإستماع لهذا اللقاءات عندما أذيعت لأننى كنت قد عدت إلى ليفربول قبل إذاعتهـــا .. وغنيت فى إذاعة الشرق الأوسط فى القاهرة عدة مرات ، فكلما كنت فى أجازة فـــى مصر قدمتنى السيدة " مديحة نجيب " مديرة الإذاعة فى برنامجها الأسبوعى (ألوان) .. وهذه الأحاديث أحتفظ بنسخ منها فى مكتبتى بعد أن سجلها لى صـــديق مصـــرى وأرسلها لى من القاهرة ..

* أنت تعيش فى إنجلترا الآن ؛ وفى إنجلترا إذاعة بريطانية شـــهيرة تـــذيع باللغة العربية هى إذاعة الـــ ..! للبلاد العربية .. هل تعاونت معها أو غنيت فـــى برامجها !؟ ..

_ لم أغن فى الإذاعة البريطانية .. وذلك لسببين : السبب الأول أننى أخشى أن يستخدموا صوتى بما يسئ إلى الوطن العربى .. وأنت أدرى منـــى بـــذلك لأنـــك صحفى وإذاعى وعارف ..

* لأ مش عارف .. عرفنى ..

– قد يضعون مثلاً أغنية لى ثم يضعون بعدها خبراً أو بعض العبارات التى تسئ إلى الوطن العربى .. وذلك يحدث هنا فعلاً فى الـــ ..! ..

* حتى لو كان ذلك يحدث فإنه لا يسئ للمطرب ؛ لأن المطرب ليس هـــو الذى يختار أو يحدد وقت إذاعة أغانيه وليس مسئولاً عما يذاع قبلها أو بعدها ..

- الإحتياط واجب برضه ..

* يعنى .. والسبب الثانى !؟ ..

_ أنهم ، أصلاً ، لم يطلبوا منى أن أغنى فى الـــ   ا.. !! ..

* * *

* زوجتك الأيرلندية .. ما رأيها وهى تسمعك طول اليوم تغنى أغنيات بلغة لا تعرفها هى ولا تفهمها .. هل هى مقدرة قيمة زوجها كفنان صاحب صوت جميـــل لكنها لا تفهم ما يغنى أو ما يقول !؟ ..

- هى تقدر حبى وإعجابى بأم كلثوم لأننى أحدثها عنها كثيراً .. وهى تستمع دائماً لأم كلثوم إما من خلال تسجيلاتها التى أديرها دائماً فى البيت ، أو مـــن خـــلال صوتى أنا وأنا أغنى فى البيت طول اليوم .. وهى تقول ، وأنا أصدقها ؛ أنها تحب أم كلثوم وصوت أم كلثوم .. وليس عند المرأة الأوروبية مايجعلها تكذب مجاملة لزوجها أو لأى حد ..

* لكن يتبقى السؤال قائماً : هل هى تفهم ماذا تغنى !؟ ..

- لا تفهمه .. لكن صوت أم كلثوم يؤثر فى الحجر وفى أى إنسان فى الدنيا وليس فقط فى أيرلندية أو فى الأيرلنديين ..

* الذى أريد أن أقوله : كون أننى أسمع كلاماً لا أفهمه ، أو كون زوجتـــك تسمع أغانى لا تفهم ماذا تقول ؛ هل ذلك كافياً لأن يجعلها تحب الصوت فى حد ذاته !؟ .. الصوت المجرد يعنى !؟ ..

- صوت أم كلثوم ملائكى وفيه خاصية غير عادية تجعل كل إنسان يسمعه يتأثر به حتى لو لو يكن يعرف اللغة نفسها .. وحين غنت أم كلثوم فى باريس كتبـــت صحف ومجلات أوروبا - التى أحتفظ بها عندى حتى الآن - أن صوت أم كلثوم هو أجمل صوت فى العالم .. فهل كل النقاد الذين كتبوا عنها ذلك يعرفون اللغة العربية أو

يفهمونها !؟ .. أنهم (أحسوا) و(شعروا) بصوت أم كلثوم وبمدى عظمته حتى ولو لم يفهموا ما تقول .. فأم كلثوم لم تكن صوتاً ملائكياً ونادراً فقط ؛ إنما كانـت هـي نفسها شخصية نادرة أيضاً سواء على مستوى الشخصيات الفنية أو الشخصيات العامة الأخرى .. كانت أم كلثوم ، ككل ، إمرأة غير عادية قل أن يجود الزمان بمثلها .. فلا عجب إذن أن أكون – وعشرات الملايين غيرى – معجباً بها إلى درجة الإنبهار وإلى درجة أن أعتبرها أعظم إمرأة فى العالم .. وعندى صديق مصـرى عنـده صـديقة إنجليزية فنانة تشكيلية ، رسامة وأستاذة فى كلية الفنون الجميلة ، لا تعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ؛ ومع ذلك فهى تعشق صوت الشيخ محمد رفعت ، وتبكـي وهـي تستمع إلى صوت عبد الوهاب يغنى أغنية [من غير ليه] .. فبم تفسر ذلـك ؛ إلا أن الصوت وحده قادر أحياناً على اختراق شغاف القلب .. ذلك هو صوت أم كلثوم ..

نشر فى جريدة (المنار) اللندنية – العدد ٣٣ – بتاريخ ١٠ / ٠٦ / ١٩٧٨ ..

الأديب الإنجليزى ، إبن السيدة زينب !! ..

بقلم عبد الفتاح فرج .

في الثانية عشرة من عمره قرر أن يصبح كاتباً .. كان فى ذلك السن يظن أن الكاتب يكتب كتاباً واحداً فقط .. قرأ كتاباً لمصطفى أمين بعنوان [أمريكا الضاحكة] أعجبه جداً فقرر أن يكتب كتاباً مثله حين يكبر .. وحين كبر فعلاً كتب ٢٥ كتابـاً ، وفى أدراج مكتبيه فى القاهرة وفى لندن ١٠ كتب أخرى فى الطريق إلـى النشـر .. ويقول أن فى ملفات على مكتبيه مشروعات لـ ١٠ كتب أخرى يرجو أن يستطيع أن يكتبها خلال الـ ١٠ سنوات القادمة .. ربنا يدى له طولة العمر ..

لكن : لندن !؟ .. وبيته فى لندن !؟ ..

ليس كاتباً إنجليزياً على الرغم من أنه يحمل الجنسية الإنجليزية ؛ بـل هـو بلبيسى شرقاوى نشأ وكبر وتربى فى أعماق حى السيدة زينب القاهرى .. كاتب أدب الرحلات المصرى حسين قدرى ، لكن كتبه السبعة عن لندن وعن بريطانيا جلبت له الشهرة ، وجلبت له أيضاً الجنسية الإنجليزية إلى جانب جنسيته المصرية ..

- ليس (إلى جانب الجنسية المصرية) بل بعدها بأميال .. فأنا مصـرى من الأرض إلى السقف .. ليس فىّ شئ إنجليزى واحد إلا جواز سفر لا أسـتعمله إلا نادراً ، وبيتى الصغير جداً فى لندن .. وأنا أعيش فى بيتى القاهرى - الكبير جـداً -

معظم شهور السنة وأعتبر بيتى فى لندن مجرد مكتبى الذى أختلى بنفسى فيه لأكتب كتبى ومقالاتى بعيداً عن زحمة الحياة فى مصر وزحمة الأصدقاء فى مصر ..

* * *

– الحكاية من البداية كانت فى عام ١٩٦٤ وكنت وقتها صحفياً فى مجلة [بناء الوطن] ، حين قمنا أنا والزميلة " سامية حمام " والمصورين " أحمد فؤاد " و" كمال راشد " بمغامرة صحفية شبابية مسحنا فيها كل الصحارى المصرية : سيناء شمالاً وجنوباً – وكانت وقتها محافظة واحدة – والصحراء الشرقية من السويس حتى علبة وحلايب والشلاتين وشمال السودان ، والصحراء الغربية لغاية السلوم و(أمساعد) أو(كابوتزو) فى ليبيا ، والواحات المصرية كلها : سيوة والداخلة والخارجة والفرافرة وباريس وجغبوب حتى الوادى الجديد إلى أسوان .. نزلنا كل المناجم وكل المحاجر ودخلنا كل الأديرة وقابلنا كل القبائل .. ونشرت هذه الرحلة المغامرة بعنوان [١١٧ يوماً فى الصحراء] فى مجلة [بناء الوطن] على امتداد سنة ونصف .. هذه الرحلة وضعت قدمى على بداية الطريق ككاتب أدب رحلات .. ثم كان من حظى بعد ذلك رحلة أخرى لا تقل غرابة ومغامرة : من الصحراء إلى الماء .. كانت رحلة إلى المحيط الأطلنطى على سفينة صيد سمك صغيرة جداً لمدة شهرين كاملين لم نر فيهما إلا الماء والسماء والسمك ، نشرتها فى مجلة [الإذاعة والتليفزيون] على امتداد ٣ شهور بعنوان [راكبان على السفينة] ، وكان الراكبان هما أنا والزميل المصور " عبد المنعم طاهر " .. ولقيت هذه الرحلة صدىً كبيراً عند القراء حتى أنها عندما نشرت فى سلسلة [كتاب اليوم] بعد ذلك فاز الكتاب بجائزة أحسن كتاب صدر فى أدب الرحلات فى ذلك العام ..

ثم كان من حظى أيضاً أننى كنت أول صحفى مصرى يضع قدميه على أرض جزر الكناريا الأسبانية ونشرت عنها كتاباً بعنوان [رحلة إلى جزر كناريا] ، ثم [رحلة إلى دولة ترانزستور] .. ثم كانت المغامرة أو المباراة الأدبية الجديدة جداً من نوعها التى لا أظن أنها سبقت أو تكررت بعد ذلك : أن يقوم كاتبان معاً برحلة

واحدة فى نفس الوقت ، فنرى نفس الأشياء ونمر بـــنفس الأحـــداث ونلتقـــى بـــنفس الشخصيات ، ثم يكتب كل من الأديبين هذه الرحلة من وجهة نظره ورؤيته الأدبية .. كتبت عنها أنا كتابى [يوميات سفينة مجنونة] وكتب الزميل الأديب " خيرى شلبى " كتابه [فلاح مصرى فى بلاد الفرنجة] .. ورغم أن هذه الرحلة كانت أول مرة يسافر فيها " خيرى شلبى " إلى أبعد من قليوب شمالاً والجيزة جنوباً ؛ إلا أن كتابه عنها فاز بجائزة الدولة التشجيعية فى أدب الرحلات ..

* * *

* وهل فزت أنت بجائزة الدولة التشجيعية بعد كتبــك الــــ ٢٥ فـــى أدب الرحلات !؟ ..

– لم يحدث .. فطول عمرى لم أضع الجوائز الرسمية فى اعتبارى لأننـــى أعتبر نفسى أديباً هاوياً حتى الآن .. لكننى فزت بما هو أهم : جائزة القراء التقديرية .. فكتبى والحمد لله هى الأكثر توزيعاً وانتشاراً حتى أن معظمها طبع عدة طبعــات ، وكتابى [مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لنـــدن] يـــدرس فـــى الجامعـــة الأمريكية كنموذج لأدب الرحلات الحديث ، وندوتى الأسبوعية التى تقام كلما كنت فى مصر [أمسية الخميس فى برج رمسيس] حاشدة دائماً بالأصدقاء من الأدباء الكبـــار والشبان وأيضاً بالقراء من مختلف الأعمار من سن ١٨ إلى سن ٩٠ ، من " رحـــاب لؤى " و" رفيدة ياسين " الطالبتان فى كلية الإعلام إلـــى أســـاتذتنا الكبـــار " يوســـف الشارونى " و" أنور عبد الله " و" المهندس الأديب " جمال الشـــافعى " نائـــب وزيـــر الإسكان .. وأنا شديد الفخر والإعتزاز بهذا الكم من الأصدقاء الذين يحيطون بى كلما كنت فى مصر .

* نعود إلى البداية مرة أخرى ..

– ولدت فى مدينة بلبيس فى محافظة الشرقية لأب مصرى وأم نصف تركية شديدة المصرية .. وأنا الوحيد بين أخوتى الثلاث الذى ولدت خارج القاهرة لأن أبـــى كان موظفاً يتنقل بين أقاليم مصر .. وعشت فى بلبيس حتى دخلت المدرسة الإبتدائية

فقضيت سنة أولى إبتدائى فقط فى مدرسة بلبيس الإبتدائية الأميرية ، وكان جارى فى نفس (التختة) فى فصل أولى أول هو التلميذ الصغير " مجدى يعقوب " – الـــ " سير " مجدى يعقوب جراح القلب العالمى فيما بعد وجارى الآن فى لندن أيضاً – قبـــل أن تنتقل الأسرة إلى القاهرة لنعيش فى حى السيدة زينب طوال مراحل دراستى بعد ذلك من سنة ثانية إبتدائى إلى ما بعد تخرجى بـــ ٤ سنوات .. وحين حصلت على الشهادة الإبتدائية كان ترتيبى السابع على مصر كلها ، وكان بينى وبين الأول ٣ درجات فقط ، وحصلت فى مادة الرسم على ٤ درجات من ٢٠ مع الرأفة ، وكانت هـــذه الـــــ ٤ درجات هى النهاية الصغرى لأننى كنت – ولازلت – أخيب بنى آدم فى العـــالم فـــى الرسم ، لا أستطيع أن أرسم كرة بنج بونج أو بيضة مسلوقة ، ولو كنت شاطر فـــى الرسم شوية وحصلت على ٨ درجات فقط من ٢٠ لكان ترتيبى الأول على الشـــهادة الإبتدائية ودخل تاريخ الأسرة شئ يفتخر به ..

* ثم أصبحت كاتباً !؟ ..

– أخذت حب القراءة عن أمى التى كانت مكتبتها الصـــغيرة ، الرومانســـية كلها ، أهم ركن فى البيت ، وكانت (حواديت قبل النوم) لطفلها الصغير – اللى هو أنا – هى [ماجدولين] أو [تحت ظلال الزيزفون] و[غادة الكاميليا] و[أنا كارنينا] و[مدام بوفارى] و[نساء صغيرات] و[روميو وجولييت] و[نانا] و[سيرانو دى بيرجيراك] و[الفرسان الثلاثة] و[قصة مدينتين] و[أحدب نوتردام] و[ذهب مـــع الريح] .. وحين كنت فى الثانية عشرة من عمرى قرأت كتاب [أمريكا الضـــاحكة] للأستاذ مصطفى أمين فانبهرت به وبأسلوبه ؛ فقررت أن أصبح كاتباً مثله حين أكبر .. وهكذا كان ..

فى مرحلة الدراسة الثانوية درس لى عدد من المدرســـين أصـــبح معظمهـــم نجوماً فيما بعد : " نور الدمرداش " درس لى اللغة الإنجليزية ، " على أحمد باكثير " درس لى اللغة العربية ، " نظيم شعراوى " كان مدرس التربية الرياضية ، ودرس لى مادة التاريخ الأستاذ " أحمد حسين الصاوى " الذى أصبح بعد ذلك " الدكتور " أحمـــد حسين الصاوى أشهر أساتذة الصحافة أكاديمياً فى العالم العربى .. وكان الفنان " كمال الشناوى " مدرس الرسم لكن فى مدرسة الجيران !! ..



عشت طفولتى وصباى ومطلع شبابى فى حى السيدة زينب ، الـــذى أعتبـــره أجمل وأعرق أحياء مدينة القاهرة ، وتنقلت بين بيوته القديمة العريقة فـــى (شـــارع التلول) و(درب البهلوان) و(حارة البهلـــوان) .. ولا زلـــت أحـــتفظ حتـــى الآن بصداقات الطفولة والصبا التى نشأت معى فى حى السيدة زينب ، ولازال رفاق شلتى القديمة يجتمعون فى بيتى القاهرى مساء الخميس كل أسبوع حتى الآن كلما كنت فـــى مصر : محمود عايش وعبد الخالق عبد السلام الخياط ، رفاقى فى سنة تانية وتالتـــة ورابعة إبتدائى وفى سنة أولى ثانوى .. وفى حى السيدة زينب إجتذبتنى الرياضة فى مرحلة مبكرة من حياتى قبل أن تجتذبنى الصحافة والكتابة ؛ فبدأت ألعب كرة السـلـة فى [نادى السيدة زينب لأبناء الشعب] الذى كان معروفاً بإسم [نادى شفشق] نســبة إلى رئيسه المرحوم " محمد رشاد شفشق " لاعب كرة السلة الدولى الذى مثل مصـــر فى أوليمبياد برلين عام ١٩٣٦ .. ومن [نادى شفشق] إلى النـــادى الأهلـــى فنـــادى الزمالك فالنادى الأهلى مرة أخرى حيث رأست فريق كرة السلة فى الناديين لســنوات طويلة ، حتى أخذتنى الصحافة تماماً من الرياضة بعد تخرجى بـــ ٤ سنوات ..

تخرجت عام ١٩٥٤ وعملت مهندساً لمدة ٤ سنوات .. ولو كنت قد ظللـــت أعمل مهندساً لكنت قد حصلت على جائزة الدولة التقديرية كأخيب مهندس فى مصر ، ويمكن فى العالم .. حتى توفيت أمى التى كنت أحبها كثيراً وأحترمها كثيراً ولم أكـــن

لأعصى لها أمراً ، ولو كانت قد طلبت منى أن أحمل جبل المقطم على كتفى وأمشى به من القاهرة إلى أسوان لفعلت ذلك دون تردد لكى أرضيها وأسعدها ، فقد كانت أماً عظيمة رائعة ، ولم تكن أمى تريدنى أن أتحول من مهندس إلى صحفى .. وفى يـــوم وفاتها تلقيت العزاء فيها وفى الهندسة معاً وطلقت الهندسة بالثلاثة وأصبحت صـــحفياً محترفاً ..

كانت بداية تعلقى بالصحافة من خلال مجلة أطفال إسمهـــا [البلبـــل] وأنـــا تلميذ صغير عمرى ١٢ سنة ، كتبت فيها صفحة بعنوان [الركن الثقافى] كانت كلها ترجمات عن مجلات الأطفال الإنجليزية .. واستمر ذلك عدة سنوات طيلـــة مرحلـــة دراستى الثانوية .. ثم كانت البداية الحقيقية كصحفى محترف فى عام ١٩٥٨ فى مجلة [التحرير] التى كانت تصدر وجريدة الجمهورية من نفس الدار .. بعدها عملت فـــى عدد من الصحف والمجلات المصرية ووكالة أنباء الشرق الأوسط ، حتى استقر بى المطاف فى النهاية فى مجلة [الإذاعة والتليفزيون] لمدة ٢٨ سنة ، وفيهـــا إنطلقـــت ككاتب أدب رحلات ونشرت فيها معظم رحلاتى الصحفية التى تحولت بعد ذلك إلـــى كتب صنعت شهرتى التى أنا سعيد جداً بها ، ووضعت إسمى ضمن قائمة أشهر كتاب أدب الرحلات فى مصر والعالم العربى .. وفـــى عـــام ١٩٩٤ إعتزلـــت الصـــحافة وتفرغت لكتابة مزيد من الكتب ..

* لعب الراديو والإذاعة دوراً فى حياتك ..

– فى عام ١٩٧٧ ، بعد ٢٠ سنة من إعداد وتقديم برامج فى إذاعات القاهرة ، أوفدت كأول مراسل للإذاعة المصرية فى واشنطن / أمريكا ثم فى لندن ، وقدمت [حسين قدرى يحييكم من لندن] الذى استمر ١٤ سنة متصلة ، حتى – مرة أخرى – إستغرقتنى الكتابة فتركت الراديو .. ومن وقتها وأنا أعيش فى إنجلترا حتـــى الآن – ٣٧ سنة – وحصلت على الجنسية الإنجليزية عام ١٩٨٣ دون أن أتنازل عن جنسيتى المصرية .. وفى إنجلترا عشت أكبر وأهم تجربة فى حياتى الصحفية ، تجربة الهجرة ، سجلتها فى ٧ كتب : [مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن] و[مذكرات

مهاجر مصرى فى لندن] و[حكايات أوروبية] و[حكايات لندنية] و[ليست لنـدن وحدها] و[حكايات من الشرق والغرب] و[جمهورية بريطانيا العربية] ..

وفى لندن أيضاً عملت فى الصحافة العربية التى كانت قد بدأت تصدر فـى إنجلترا بشكل مكثف فى أواخر السبعينيات : نائب رئيس تحرير جريـدة [العـرب] اليومية ، مدير التحقيقات الصحفية فى جريدة [المنار] الأسبوعية ، المشرف علـى صغحات الفن والأدب فى مجلة [الدستور] ، مدير تحرير مجلة [الحوادث] اللبنانية فى صدورها من لندن ، المحرر الأول لمجلة [المسلمون] ، مراسل مجلة [الحيـاة السياحية] فى لندن ، وكانت المجلة تصدر من باريس ، وكاتب فى مجلـة [الشـرق الأوسط] الأسبوعية ..

* كتبك التى صدرت حتى الآن !؟ ..

– غير التى جاء ذكرها فى حديثنا : [رحلة إلى دولة ترانزستور] و[عبد الناصر والذين كانوا معه] و[هروب إلى الفضاء] وهى رواية من الخيال العلمـى ، و[مغامرات خالد] و[مذكرات سائح مصرى فى مصر] و[حكايات صـحفية] و[لعبة الأيام] و[حوارات حسين قدرى] ..

* وكتبك القادمة التى ذكرت لى أنها فى طريقها إلى النشر !؟ ..

– كتاب [فى الحب وفى غير الحب] الذى أهديتـه إلـى روح زوجتـى الراحلة الدكتورة فاطمة سليم ، [مذكرات مهاجر مصرى فـى مصـر] ، [لارا .. إعترافات إمرأة متزوجة] و[حكاية بنت إسمها مخالى .. إعترافات إمـرأة مطلقـة] وهما روايتان كتبتهما باللغة الإنجليزية ، [رسائل من المهجر] ، [مذكرات زوجـة أجنبية فى مصر] ، [الصندوق الأسود] وهى رواية من الخيـال العلمـى أيضـاً ، وجزء ثان من [حكايات صحفية] ، وجزءان من [أيام من حياتهم] و٣ أجزاء أخرى من [حكايات أوروبية] ..

* عشت فى أمريكا سنة ، وتعيش فى أوروبا منذ ٣٧ سـنة .. مـاذا عـن الأدب العربى فى أمريكا وفى أوروبا !؟ ..

– في تقديرى ، وأنا أتكلم من وجهة نظرى أنا ؛ أن الأمريكيين أكثر تقبلاً للآداب الأجنبية – ومنها الأدب العربى – من الأوروبيين .. الأمريكيون بحكم أنهم شعب كله من المهاجرين أصلاً وكل أمريكى له أصل وجذور فى مكان آخر من العالم ، لذا فهم منفتحين على آداب أصولهم وأصول الآخرين .. الأوروبيون لا يرون فى العالم إلا أنفسهم وينظرون ويتعاملون مع الآداب الأخرى بكثير من الكبرياء والتعالى وبنظرة (متحفية) .. الأدب العربى عندهم (ألف ليلة وليلة) وقصص القرآن والتوراة ، لكن فوز نجيب محفوظ كأديب مصرى بجائزة نوبل لا يجعلهم يسارعون بترجمة كل أعماله وأعمال بقية الأدباء المصريين إلى لغاتهم .. وحين تترجم أعمال قليلة متفرقة لأدباء مصريين أو عرب إلى اللغة الإنجليزية مثلاً ؛ فهى تترجم على سبيل (العينة) ويكون قراؤها هم الباحثون ودارسى الآداب العالمية وليست للقارئ العادى الذى يشترى الكتاب من مكتبات محطات المترو وليس لديه مكتبة فى بيته .. فالأوروبى بطبيعته قارئ صحف أكثر مما هو قارئ كتاب .. ورغم المئات من العناوين والكتب الجديدة التى تصدر فى أوروبا كل عام ؛ لكن أكثر من ٩٥ % منها للقارئ العادى وليست للقارئ المتخصص ..

* والترجمة ، هل هى تعطى الشكل الأصلى للعمل الأدبى المصرى أو العربى !؟

– الذى يلفت النظر بشدة أن هذه الترجمات كلها قد صدرت عن دور نشر أوروبية أو أمريكية ، وبأقلام مترجمين أجانب (يعرفون) اللغة العربية وليست لغتهم الأم .. لذا فهم – فى تقديرى – غير قادرين على توصيل (روح العمل) فى الأدب العربى فى لغته الأصلية .. وكان المفروض – وذلك ليس صعباً بأى حال – أن تقوم دار نشر عربية بمترجمين عرب لغتهم الأصلية هى اللغة العربية ، بترجمة الأدب العربى إلى اللغات الأوروبية .. فليس أقدر على استيعاب والإحساس بأدب " نجيب محفوظ " – مثلاً – من مترجم مصرى ذواق يعيش نفس الظروف ويشعر بنفس الأحاسيس ورأى وعايش نفس الأماكن التى يكتب عنها " نجيب محفوظ " ..

* أرى أنك لم تكتب شيئاً عن أمريكا التى عشت فيها سنة كاملة .. أليس ذلك مستغرباً !؟ ..

– وأقضى شهرين كل سنة الآن فى أمريكا ، لكنه القلب وما يهوى .. لقد كرهت شكل الحياة فى أمريكا حتى أننى طلبت نقلى منها إلى لندن .. واستخسرت أن أكتب عنها كلمة واحدة .. رغم أن بداية تعلقى بالكتابة كما ذكرت لك فى بداية حديثنا كان قراءتى لكتاب الأستاذ مصطفى أمين [أمريكا الضاحكة] وأنا طفل .. لكن ليس من رأى كمن سمع أو كمن قرأ ..

* هل لديك أقوال أخرى !؟ ..

– غد بظهر الغيب واليوم لى

وكم يخيب الظن بالمقبل

ولست بالغافل حتى أرى

جمال دنياى ولا أجتلى ..

حين ماتت زوجتى المرحومة فاطمة أمام عينىّ وبين ذراعىّ فى المستشفى فى لندن ولم يكن قد مر على زواجنا غير تسعة شهور فقط ؛ ظننت أن الحياة قد توقفت لغاية هنا وأننى سوف أقضى بقية حياتى أجتر أحزانى على فاطمة التى أحببتها كثيراً منذ كانت صبية صغيرة تكبر أمام عينىّ كل يوم .. لكن يبدو أن الله يريد لى شيئاً آخر وأن الحب لا علاقة له بالسن أو بالعمر .. سوف أتزوج مرة أخرى قريباً جداً !! ..

حديث مع الأديب المهاجر حسين قدرى ..

بقلم : **منى أبو رحاب** .

أول شئ لفت نظرى فى كتاباته : السلاسة .. فقلمه سلس متدفق ، أشعر بــه يكتب بسهولة فائقة وبتلقائية يحسد عليها .. بصراحة أغبطه وأتمنى أن تكون عنــدى هذه السلاسة وهذا التدفق .. أيضاً لفت نظرى أسلوبه المرح وطريقته التى يغلب عليها خفة الظل .. وأنت تقرأ له تشعر أن الذى كتب هذا الكتــاب رجــل لا يحمــل همــاً ويستمتع بكل شئ حتى الثمالة ، ينظر إلى الحياة بنظرة المتفائل دائماً ، كلمة التشــاؤم لا توجد فى قاموسه ؛ إنما هو قاموس ملئ بكلمات من أمثال (الحب) ثم (الحــب) ثم (الحب) ، ثم الإستمتاع بالحياة والضحك والأمل والإستبشار ..

هذا ما لاحظته من كتبه .. وعندما رأيته والتقيــت بــه لاحظــت أول شــئ الإبتسامة الجذابة التى تملأ وجهه ، ولسانه الذى يتدفق مثل قلبه بكلمــات المجاملــة والترحاب فرفعنى إلى سابع سماء وجعلنى أتصور أننى أحسن وأهــم صــحفية فــى العالم.

هذا هو كاتب أدب الرحلات " حسين قدرى " .. مهاجراً من مصر منــذ ٣٨ عاماً ، سنة واحدة فى أمريكا والباقى فى بريطانيا .. إصطدته فــى إحــدى زياراتــه لمصر لأجرى معه هذا الحوار ، وأسأله : ما سبب هذا الخصام مع مصر !؟ .. لماذا تركها إلى بلاد الإنجليز واستقر بينهم وترك وطنه ، وتركنا !؟ ..

وكان اللقاء فى شرفة شقته الواسعة المطلة على وسط القـاهرة فـى ميـدان رمسيس من الطابق الثانى عشر ، والتى يطل عليها بعشق المتيم لمحبوبته .. الإثنـين معاً : القاهرة والشرفة !! ..

* الأستاذ حسين قدرى .. لماذا الهجرة ، ولماذا الإبتعاد عن مصر !؟ ..

_ لم يكن فى مشروعاتى فى يوم من الأيام أن أكون مهاجراً ، فقد كان ذلك آخر شئ يخطر على بالى .. بالعكس ؛ فعندما كنت فى مصر كتبت كثيراً ضد الهجرة .. ولعلى كنت السبب فى عودة عدد من الأصدقاء الذين كانوا قد هـاجروا ، بعـد أن قرأوا ما كتبته وهم فى الغربة فى مهجرهم ..

لكننى سافرت بالصدفة ، وعلى أساس أن المدة ستكون سنة واحدة فقط أعود بعدها إلى مصر ، لكن السنة جرت وراءها سنة أخرى ثم سنة ثالثة ، ثم فوجئت بعد السنة الرابعة بأن من حقى الإقامة الدائمة فى بريطانيا ، ثم منحت الجنسية الإنجليزية ، ففكرت فى أن أشترى بيتاً فى لندن أقضى فيه أجازاتى بعد ذلك .. يعنى أنه حتـى ذلك الوقت لم تكن نية الإستقرار فى إنجلترا موجودة .. يعنى تقدرى تقولى أن هجرتى (هجرة مؤقتة) سوف تنتهى يوماً ما .. لكن متى تنتهى !؟ .. لا أدرى ..

* ماذا كان السبب أصلاً وراء هجرتك ، أو سفرك !؟ ..

– السبب الأصلى وراء سفرى إلى الخارج كـان خلافـاً مـع رئاسـاتى الصحفية ، فقرر وزير الإعلام وقتها أن (نشيل ده من ده يرتـاح ده عـن ده) وأن يبعدنى عن مصر لبعض الوقت حتى يبدو الأمر وكأنها (ترقية) وليست (إبعاداً) .. فانتدبنى للعمل كمراسل للإذاعة المصرية فى واشنطون بأمريكا ، حيث عملت هنـاك لمدة سنة واحدة ، لكن الحياة فى أمريكا لم تعجبنى ، فطلبت نقلى إلى إنجلترا لأن لى فيها صداقات وعلاقات – وذكريات – أحببت أن أعود إليها مرة أخـرى ، فوافـق وزير الإعلام .. ومن وقتها – ٣٧ سنة – وأنا فى إنجلترا دون أن يطلب منى أحـد العودة إلى مصر .. يعنى تقدرى تقولى إنهم نسيونى هناك ..

* لماذا طلبت نقلك من أمريكا !؟ ..



- أنا رجل بطبيعتى عشرى أحب الناس وأحب أن يكون حولى أصـــدقاء ، وأن يرن جرس تليفونى طول اليوم وكذلك جرس باب بيتى طول اليوم ، وفلسفتى فى الحياة أن الحياة قصيرة جداً جداً مهما طالت ونحن فيها عابرون بسرعة جـداً ، لـذا ينبغى أن نستمتع بحياتنا ونعيشها إلى أقصى حد ، دون أن نزعج أحداً طبعاً .. وجزء كبير من متعتى أن أكون مع أصدقائى .. فى أمريكا لم أستطع أن أكون صـداقات .. الصداقة الوحيدة عند المهاجرين فى أمريكا هى صداقتهم للـدولار .. وأنـا الـدولار والإسترلينى واليورو وأى عملة فى الدنيا ليسوا أصدقائى ولا أهتم بأمرهم .. أنا رجل قنوع جداً ومتواضع جداً وأعيش وحدى ودخلى دائماً - الحمد لله - أكثر كثيراً مـن إنفاقى .. فأنا لا أشرب المنكر بأنواعه ولا أدخن ولا ألعب قمار ولا هلاس ، وليست عندى أوجه إنفاق أكثر من أكلى وشربى ولبسى وسكنى وسفرى .. فلست محتاجاً إلى أن أكسب أكثر مما أكسبه فعلاً ، ولا أعمل ٢٤ ساعة فى اليوم لكى أجنى فلوس أكثر ؛ وكل ما يهمنى هو أن أكتب كل ما أتمنى أن أكتبـه ، وأن أرى أصـدقائى حـولى باستمرار .. فى أمريكا لم يكن ذلك ممكناً ، فى لندن ممكن .. أما مصر فهى أم الدنيا حقيقة فى مسألة الحب والصداقة والمودة .. وأحتفظ بأصدقاء لى فى مصر منذ كنـا معاً فى سنة ثانية إبتدائى ثم على إمتداد حياتى الدراسية كلها وإمتداد حياتى الصحفية كلها حتى الآن ، ويزيدون باستمرار .. ففى محيطى الآن أصدقاء قدامى عمرهم مـن

عمرى ، وأصدقاء جدد صحفيون وصحفيات شبان ، وأصدقاء أحدث لا زالوا طلبة وطالبات فى كليات الإعلام ، وأصدقاء من قرائى .. كل كتاب جديد من كتبى يجئ لى بعدد جديد من القراء ينضمون إلى قائمة أصدقائى ..

* ماذا عن تطورك الوظيفى فى إنجلترا !؟ ..

– الصحفى لا تستطيع أن تقول أن له (تطور وظيفى) .. الصحفى صحفى منذ أن يكون (تحت التمرين) وحتى يصبح رئيساً للتحرير .. لكن إذا كان سؤالك بدأت بإيه وانتهيت إلى إيه ؛ فأنا بدأت فى لندن نائباً لرئيس تحرير جريدة [العرب] اليومية ، إلى مدير تحرير مجلة [الحوادث] اللبنانية أكبر وأشهر مجلة عربية صدرت فى أوروبا ، مروراً بجريدة [المنار] الأسبوعية ، ومجلة [الدستور] الأسبوعية ، ومجلة [المسلمون] الأسبوعية ، ومجلة [الشرق الأوسط] الأسبوعية وكلها كانت تصدر من لندن ، ومجلة [الحياة العربية] التى كانت تصدر فى باريس .. كل ذلك وأنا فى داخلى صحفى فقط ، يعنى أن (المنصب الصحفى) ليس هو الذى يهمنى ؛ وإنما (صحفى) فقط هى الأصل وهى الأساس .. وأنا شديد الفخر والإعتزاز بها وهى وسام على صدرى أعتز به تماماً .. ولو كنت وزيراً أو رئيساً للوزراء أو حتى رئيساً للدولة ؛ فيوماً ما سأصبح [سابقاً] .. لكن مع صحفى فأنا صحفى دائماً ، إلى الأبد وإلى أن أموت ..

* فى خلال الـ ٣٧ سنة التى قضيتها مغترباً فى المهجر الإنجليزى ؛ كم كتاباً أصدرته !؟ ..

– قبل خروجى إلى أمريكا ثم إنجلترا كان قد صدر لى خمسة كتب ، الآن عدد كتبى التى صدرت خمسة وعشرين ، وفى المطابع الآن ستة كتب ستصدر تباعاً ، وستة كتب أخرى جاهزة للنشر فى انتظار أن يطلبها ناشر ما .. ومشروعات ١٠ كتب أخرى فى أدراج مكتبى فى لندن وفى القاهرة ، باستمرار أمامى على المكتب واحد منها أكتب فيه .. فأنا لا أتوقف عن الكتابة أبداً .. وأتمنى من الله أن يطيل فى عمرى حتى أنتهى من كتابتها كلها + ما قد يستجد !! ..

* كم كتاباً منها عن أمريكا أو أوروبا !؟ ..

– كتاباً واحداً عن أمريكا لم يصدر بعد .. و١٥ كتاباً عن أوروبا ..

* ولو أتيح لك أن تزور نفس هذه البلاد مرة ثانية الآن ؛ هل ستكتب نفس الكتب بنفس الطريقة ؛ أم بشكل أفضل !؟ ..

– سأكتبها بشكل مختلف وليس بشكل أفضل .. والإختلاف هنا سيكون منى أنا وليس من ناحية أسلوبى .. فالكتاب الذى كتبته عندما كان عمرى ٣٠ سنة سيختلف قطعاً عندما أكتبه وأنا عمرى ٥٠ سنة مثلاً .. يعنى أن الأشياء التى إنبهرت لها وكدت أقع من طولى من الدهشة لها وأنا عمرى ٣٠ سنة ؛ سوف أمر أمامها الآن أو تمر أمامى دون أن ألاحظها أو تلفت نظرى لأنها خلاص قد أصبحت معتادة ومألوفة ولا تثير دهشة ولا إستغراباً .. كتبت كتاباً عن لندن سنة ١٩٧٣ إسمه [مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن] ، وكتبت كتاباً آخر عن لندن بعده بـ ٢٠ سنة تقريباً ، سنة ١٩٩٣ ، الكتابين مختلفين تماماً ولا تجد فى الكتاب الثانى أى ملمح يذكرك بالكتاب الأول .. مسألة سن وخبرات وتجارب تتراكم على مر السنين فتنتج أدباً مختلفاً قطعاً ، وإلا فلا يكون هناك تقدم ..

* تكتب بشكل أداء مختلف عن بقية الكتاب ، ذلك ما أجمع عليه النقاد الذين كتبوا عنك أو تكلموا عنك .. ما هو هذا الإختلاف !؟ ..

– كل كتبى أقرب إلى اليوميات .. فأنا أكتب يومياً ولا أضع نفسى فى فراشى لأنام كل ليلة إلا بعد أن أكتب يومياتى وكل ما حدث لى فى يومى بالتفصيل الكامل .. ثم عندما أجلس إلى مكتبى لأكتب كتاباً للنشر فأنا أرجع إلى يومياتى وأختار منها ما يتماشى مع الخط الذى أريد أن أقوله فى الكتاب .. إذن شكل أدائى لا يتغير ، الذى يتغير هو المادة التى أضعها فى الكتاب ، ويكون أمامى ٢٠٠ أو ٣٠٠ صفحة فى اليوميات أختار منها ما أريد ؛ مع بعض الإضافة وبعض الحذف وبعض التعديل هنا وهناك ، لذا تشعرى – ويشعر القارئ – أن ما يقرأه صادق تماماً وعفوى تماماً .. لأننى أكتب لنفسى قبل أن أكتب للقارئ .. فالقارئ يضع نفسه مكانى ويشعر أن هو

أنا وأننى أحكى له شخصياً .. ذلك هو أنا منذ أن بدأت الكتابة وحتى أتوقف أو أعتزل الكتابة ..

* كتاب أدب الرحلات فى مصر الآن ، غيرك !؟ ..

- غيرى !؟ .. غيرى كثيرون وأنا مجرد واحد منهم .. من أبناء جيلى صبرى موسى كاتب رائع ، عبد الله الطوخى كاتب ممتاز ، خيرى شلبى كاتب ممتاز ، محمد سعيد ، ومن الشباب دينا ريان وجيهان الغرباوى وأسامة غريب .. جمال الغيطانى كاتب رحلات أديب ، بينما أنا كاتب رحلات صحفى ..

* وما الفرق بين كاتب الرحلات الأديب وكاتب الرحلات الصحفى !؟ ..

- الكاتب الصحفى ينظر إلى الأشياء ويسجلها بشكل أداء صحفى وبعين الناقد دائماً المؤيد أحياناً ، ينبهر أو يمتعض ، يكتب لقارئ أسبوعى غالباً .. الكاتب الأديب يحول هذه النظرة المنبهرة أو الممتعضة إلى عمل أدبى أو شكل أدبى ليس من الضرورى أن ينشر فوراً إنما قد ينشر بعد فترة .. جمال الغيطانى وخيرى شلبى من أبرز الكتاب الرحالة الآن ..

* خلاصة تجربتك فى المهجر الإنجليزى !؟ ..

- لا أستطيع أن أقول أننى قد أصبحت أكتب الآن بشكل الأداء الأوروبى ؛ لكن ما حدث أننى قد تأثرت به .. الجمل السريعة القصيرة ، المباشرة غالباً ، لو أضفت إليه النكهة المصرية – ولا أقول العربية – فأنا أكتب الآن بشكل مختلف إلى حدِ ما عن قبل إستقرارى فى أوروبا .. وذلك أيضاً نتيجة التعامل اليومى مع الصحافة الإنجليزية والتليفزيون الإنجليزى .. لا شك فى أننى إستفدت منهما كثيراً ..

* ما الذى يجب أن يتوافر فى الصحفى أو الكاتب حتى يكون كاتب رحلات !؟

- أن يكون كاتب رحلات !! .. هذه موهبة لا يتعلمها التلميذ فى المدرسة ولا الطالب فى الجامعة .. وكأنك تسألين كيف يمكن أن يكون الشخص مطرباً أو

رساماً أو لاعب كرة .. لابد أن تكون الموهبة موجودة أولاً ، ثم تصقل بالممارسة والتجربة ، والسفر ..

* كيف ، بالتحديد !؟ ..

- يعنى زمان كان الأستاذ الكبير محمد ثابت يعتبر من رواد كتابة أدب الرحلات فى مصر ، لكن كان ذلك بما يناسب عصره وجيله .. لم يكن يسافر ولم يكن عنده جواز سفر أصلاً ؛ لكنه كان يقرأ عدة كتب عن النرويج ، مثلاً ، ثم يجلس إلى مكتبه ليكتب كتاباً فى أدب الرحلات يسميه (جولة فى ربوع النرويج) يقول فيه [تتميز نساء النرويج بالشعر الأصفر والعيون الزرقاء والبشرة البيضاء والقوام الفارع ، والنرويج فيها ناس وحيوانات ومزارع وحقول وأشجار وغابات وأنهار وشوارع مرصوفة وبيوت جميلة وقرى وفلاحين ومناظر خلابة] .. فتشعرين أنك تقرأين كتاباً فى الجغرافيا .. كتاب الرحلات الآن يسافرون إلى المكان نفسه ويلتقون بالبشر فيه ويتعاملون معهم ويسجلون إنطباعاتهم وآرائهم وما يحدث لهم ومعهم فيه .. الأستاذ محمد ثابت كان كاتب رحلات (من منازلهم) .. كتاب الرحلات الآن يسافرون ..

* هل معنى ذلك أن أى واحد يسافر إلى أى مكان ويكتب إنطباعاته ومشاهداته يعتبر كاتب أدب رحلات !؟ ..

- بالضبط .. المهم أن تسافر وتكتب عن المكان من المكان نفسه .. أما أن تكون كتابتك جذابة وشيقة ومقروءة فهنا يأتى الخلاف أو المقدرة أو – كما قلت لك قبلاً – موهبة الكتابة .. حضرتك وحضرتى نسافر فى رحلة واحدة إلى مكان واحد ولا نفترق ٢٤ ساعة فى اليوم ونرى نفس الأشياء ونقابل نفس الناس ، ثم نجلس لنكتب ؛ فنكتب مادتين مختلفتين تماماً .. لأنك أنت تضعين على الورق ما إستقر بداخلك وأنا أضع على الورق ما إستقر بداخلى .. داخلى وداخلك مختلفين .. هذه هى المسألة ..

وقد قمنا بهذه التجربة بالذات فى عام ١٩٧٦ أنا والأديب الكبير المرحوم خيرى شلبى .. قمنا معاً برحلة إلى أوروبا لعدة شهور كنا فيها مع بعض ٢٤ ساعة

فى اليوم لا نفترق أبداً .. رأينا نفس الأشياء وقابلنا نفس الناس ومـــرت بنـــا نفـــس الأحداث .. وعدنا ليكتب كل منا كتاباً عن هذه الرحلة .. هو كتب [فلاح مصرى فى بلاد الفرنجة] وأنا كتبت [يوميات سفينة مجنونـــة] .. حـــين تقـــرأين الكتـــابين لا تتصورى أبداً أنها كانت رحلة واحدة .. الكتابين مختلفين تماماً تماماً .. خيرى شـــلبى كاتب رحلات (أديب) ، وأنا كاتب رحلات (صحفى) ..

* أستاذ حسين قدرى ؛ بعد كم سنة من عملك فى الصحافة أصبحت كاتـــب أدب رحلات !؟ ..

- قمت بأول رحلة كبيرة لى بعد ست ســـنوات مـــن عملـــى الصـــحفى .. الصحفى يبدأ حياته الصحفية بأن يتلكأ فى كل قسم من أقسام الصحيفة شوية يبحث عن المجال الذى يرتاح فيه صحفياً ويجد نفسه فيه .. يعنى – مثلاً – يبدأ كمحـــرر فنـــى يكتب عن الممثلة لواحظ عوضين والمطربة تفيدة حسنين والراقصة سنية شخلع ، ثـــم ينتقل إلى قسم الحوادث فإلى الرياضة أو الأدب ثم إلى السياسة والبرلمان والأحـــزاب .. مررت بكل هذه الأقسام ما عدا السياسة والحمد لله .. حتى وجدت نفسى فى كتابـــة الرحلات فى عام ١٩٦٤ ، حين قمت أنا والزميلة المرحومة " سامية حمام " والزميلين المصورين " كمال راشد " و" أحمد فؤاد محمود " ، برحلة غطينا فيها كل الصـــحارى المصرية من سيناء شمالاً وجنوباً ، إلى الصحراء الشرقية حتى وصلنا إلـــى شـــمال السودان ، ثم الصحراء الغربية حتى وصلنا إلى ليبيـــا ، مروراً بكل الواحات والأديرة والمناجم والمحاجر وآبار البترول وكل شبر فى صحراواتنا .. ونشرنا هـــذه الرحلـــة تحت عنوان [١١٧ يوماً فى الصحراء] لأن الرحلة إستغرقت فعلاً ١١٧ يوماً لم نر فيها أو خلالها بيوتنا مرة واحدة .. وكانت هذه الرحلة هى بداية تفرغى تماماً لكتابـــة الرحلات ، بعد ٦ سنوات من بداية عملى الصحفى .. بعدها جاءت [رحلة إلى جزر الكناريا] و[راكبان على السفينة] و[رحلة إلى دولة ترانزستور] و[صـــعلكة فـــى بيروت] و[مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن] و[يوميات سفينة مجنونة] و[حكايات أوروبية] و[حكايات لندنية] و[مذكرات مهاجر مصرى فى لندن] و[

مذكرات سائح مصرى فى مصر] و[ليست لنـــدن وحـــدها] ووووو .. وتوالـــت الرحلات والكتب ، حتى الآن ..

* سمعت منك مرة أن أدب الرحلات قد إستهواك منذ كنت فى العاشرة مـــن عمرك ، حين قرأت كتاب [أمريكا الضاحكة] للأستاذ مصطفى أمين ، وتمنيت وقتها أن تكتب كتاباً مثله .. هل كان لهذه الأمنية أثر فى إتجاهك لكتابة أدب الرحلات !؟ ..

- بل كانت هى السبب فى إشتغالى بالصحافة أصلاً .. فقد قرأت هذا الكتاب وأنا تلميذ فى إبتدائى ، فانبهرت به .. بل تستطيعى أن تقولى أنـــه (تعشـــش) فـــى داخلى ولم أستطع أن أتركه من يدى سنوات طويلة وقرأته عشرات المرات .. ولكـــى أكتب كتاباً مثله فلابد أن أكون مثل مصطفى أمين .. مصطفى أمين صحفى ، فـــلازم أكون صحفى مثله لكى أكتب كتاباً مثله .. وقد كان .. تعلقت بالصحافة نتيجة تعلقـــى بكتاب مصطفى أمين ثم تعلقى بمصطفى أمين نفسه بعد ذلك .. رغـــم أننـــى حـــين إشتغلت بالصحافة لم أعمل معه فى أخبار اليوم نفسها إلا أسبوعاً واحداً فقط لا غيـــر ..!!

* أستاذ حسين قدرى .. أنت الآن تعيش فى المهجر الإنجليزى منذ ٣٧ سنة .. حدثنى عن المصريين فى إنجلترا !؟ ..

- فى بريطانيا ما يقرب من ١٢٠ ألف مهاجر مصرى ، شرعى أو غيـــر شرعى ، وكل أسرة مكونة من ٥ أفراد فى الغالب ، إذن ممكـــن أن نقـــول أن فـــى بريطانيا ما بقرب من نصف مليون مصرى ما بين أطفال وكبار .. ينقسمون إلـــى ٣ فئات أو ٣ نوعيات : الفئة الأولى مصريين ناجحين جداً ولامعين ومهمـــين يتحـــدث عنهم – وتفخر بهم – إنجلترا قبل مصر ..

الفئة الثانية : ناس فى مرحلة الوسط يعملون فى وظائف ومهن عادية ، لكنهم مرتاحين وعايشين كويس ، يعنى ناس كويسين ومحترمين وفى حالهم لا بيهشـــوا ولا بينشوا ..

الفئة الثالثة ، وهم نسبة كبيرة جداً من الــ ١٢٠ ألف مصرى فى إنجلتــرا ، يعملون فى أعمال متواضعة وبسيطة : سائقين وطباخين وجرســونات فــى مطــاعم وكافيتيريات وما إلى ذلك ، لكن هذه هى حدود إمكانياتهم وقدراتهم التى لا يستطيعون تجاوزها أو الصعود عنها إلى طبقة أعلى أو مستوى أعلى .. يعنى أنهم فى الطبقــة دون المتوسطة الإنجليزية .. لكن الطبقة (دون المتوسطة) الإنجليزية أعلى كثيــراً جداً من الطبقة (المتوسطة) فى مصر .. يعنى يسكنون فى بيوت جيدة وأولادهم فى مدارس إنجليزية جيدة ومعظمهم يملكون بيوتهم وعندهم سيارات وعندهم كل شــئ ، لكن برضه يظلون من الطبقة دون المتوسطة ..

* الصحافة العربية فى إنجلترا ؛ هل هى كافية !؟ ..

– كافية !؟ .. دى زيادة عن اللزوم .. وفى وقــت مــن الأوقــات أطلــق المصريون هناك تشنيعة على إنجلترا أن إسمها قد أصبح [جمهورية بريطانيا العربية] ، لأن عدد الصحف العربية التى تصدر فى إنجلترا كانت أكثر من عــدد الصــحف التى تصدر فى أى وطن عربى ، بما فى ذلك مصر نفسها .. هناك عدد كبير جداً من الصحفيين المحترفين يعمل فى إنجلترا ، وعدد أكبر كثيراً من الذين إلتصقوا بالصحافة كالطفيليات ويطلقون على أنفسهم صحفيين .. أعرف طباخاً تحــول إلــى صــحفى ، وساعى فى جريدة عربية تحول إلى صحفى ، وجرسون فى مطعم تحول إلى صحفى ، وسائق فى سفارة عربية تحول إلى مطرب ثم إلى صحفى .. فى إنجلترا ما أســهل أن يصبح الطباخ صحفياً إذا وجد ممولاً يصدر له جريدة أو مجلــة ويجعلــه رئــيس تحريرها .. الطباخ الذى قلت لك عنه الآن حالاً كان أول عمل له فى الصحافة رئيس تحرير !!

* إنتشار أو كثرة الصحف العربية فى إنجلترا ؛ هل هو نتيجة لتوفر رؤوس أموال فقط ، أم تكون وراءها أغراض أخرى يريدون تحقيقها !؟ ..

– تستطيع أن تقول : سهولة إصدار صحيفة أو مجلة .. فليس هناك أى جهة مطلوب أن تستأذنيها فى إصدار صحيفة أو مجلة .. ليس فى إنجلترا (مجلس أعلــى

للصحافة) ولا جهة ما رقابية تقول آه أو لأ .. قررتِ إصدار مجلة ؛ غداً صباحاً تكون المجلة فى السوق ..

ثانياً ؛ إستعداد جهات كثيرة لتمويل أى صحيفة تتكلم بلسانها وتدافع عن وجهات نظرها ، وعن أخطائها .. هناك دائماً جهات ، وناس ، جاهزة لكى تفتح خزائنها ويعطونكِ الفلوس التى تطلبينها لتصدرى المجلة أو الجريدة التى يريدونها هم !! ..

* ما هى النصيحة التى توجهها للشباب المصرى الذى يريد السفر إلى إنجلترا !؟ ..

– أن يشترى تذكرة الطائرة ويجهز شنطته ويسافر فوراً !! ..

* يا سلام .. هل الشغل هناك متوفر إلى هذا الحد !؟ ..

– لم يكن هذا سؤالك .. أنت قلت : الذى يريد أن يسافر ولم تقولى الذى يريد أن يعمل هناك .. الذى يريد أن يعمل هناك أنصحه أن يشيل هذه الفكرة من دماغه الآن ولعدة سنوات كثيرة قادمة .. هناك صعوبات شديدة فى أن يعمل أحد فى بريطانيا فى الوقت الحالى بينما فيها ٣ر٥ مليون إنجليزى عاطل .. واللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع وعلى الكنيسة ، فإذا وجدت الآن فرصة عمل واحدة فسوف يشغلها عاطل إنجليزى وليس عاطل أجنبى لسة جاى النهاردة .. الحصول على عمل الآن إذن مسألة صعبة جداً ، ليس فى بريطانيا وحدها لكن فى كل أوروبا ؛ ما لم يكن خبرة نادرة تحتاج أوروبا إليها .. أحمد زويل أو فاروق الباز أو مجدى يعقوب مثلاً .. وهؤلاء وصلوا إلى مكانتهم الحالية بعد سنوات طويلة جداً فى المهجر ، وفى زمان غير زماننا الآن ..

* يحضرنى سؤال الآن : لماذا الإستمرار فى بريطانيا حتى الآن .. بمعنى آخر : هل إستمرت خلافاتك مع رئاساتك الصحفية فى مصر كل هذه السنين ، أكثر من ٣٨ سنة !؟ ..

– المسئولين الذين كنت مختلفاً معهم ، والمسئولين الذين أوفدونى للعمل فى أمريكا ثم إنجلترا تغيروا منذ عشرات السنين ، وبعضهم توفى إلى رحمة الله منذ زمن ، لكن المسئولين الذين جاءوا بعدهم نسونى فى إنجلترا ولم يطلبوا عودتى إلى مصر ، بل ولعل المسئولين الآن ليس عندهم أى فكرة عن سبب وجودى فى الخارج ويمكن لا يعرفون أصلاً أننى أتبعهم .. وعلى أى حال فقد خرجت إلى المعاش وظيفياً منذ سنوات طويلة ولم أعد أتبع أحداً وليس من سلطة أى حد فى مصر الآن أن يطلب عودتى ، هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى فأنا لا زلت موجوداً فى إنجلترا لأننى لا زلت لم أشبع أو أرتوى بعد فنياً وثقافياً وصحفياً .. لندن هى عاصمة العالم الثقافية .. أينما أتلفت أجد الثقافة تحيط بى من كل جانب .. التليفزيون الإنجليزى وحده ، بقنواته الخمس الرئيسية ، جامعة مفتوحة ٢٤ ساعة فى اليوم أتعلم منه كل يوم شئ وأشياء جديدة ، وحرية الرأى وحرية الفكر شئ خطير جداً ومدرسة أتعلم منها جديداً كل يوم .. لى فى إنجلترا الآن ٣٧ سنة ولا زلت لم أشبع بعد ..

* معنى ذلك أن فكرة عودتك إلى مصر غير واردة الآن !؟ ..

– فكرة عودتى إلى مصر واردة كل يوم ومن أول يوم .. وسوف يجئ يوم أحسم فيه الأمر وأقرر العودة .. لكن فى الوقت نفسه فلأن شقتى هناك ملكى ، إشتريتها منذ ٢٨ سنة ، وستظل ملكى لن أتركها حين أعود إلى مصر عاجلاً أو آجلاً ؛ فسوف أعود إليها عدة مرات كل سنة لكى أقضى أجازاتى فيها وللترويح والإستجمام وكأنها شقة المصيف فى الإسكندرية مثلاً .. أنا رجل عشرى وأحببت شكل حياتى كلها .. والبلد الذى عشت فيه ٣٧ سنة لا أستطيع أن أنساه أو أتركه إلى الأبد وكأننى لم أره ولم أعرفه ولم تكن لى فيه ذكريات جميلة وحميمة ..

حســــين قـــــــدرى ..

الإسم بالكامل " حسين قدرى محمد محمود " ، وإسم الشهرة " حســين قــدرى " ، وهو إسمه الشخصى ، فوالده هو " محمد محمود " وليس " قدرى " .. مصنف ككاتــب أدب رحلات لأن معظم كتبه المنشورة – ٣٠ كتاباً ، حتى الآن – فى أدب الرحلات ، ما عدا كتابين فقط : كتاب عن الزعيم جمال عبد الناصر كتبه بعد وفاته – وفاة جمال عبد الناصر طبعاً وليس وفاة حسين قدرى – ومجموعة قصص للأطفال كتبها هديــة لابنته فى عيد ميلادها العاشر ..

وُلد فى مدينة بلبيس فى محافظة الشرقية فى أول يناير ١٩٣٤ ، لأبٍ مصــرى وأم نصف تركية شديدة المصرية .. وهو الوحيد بين أخوته الثلاثة الذى ولد خارج القاهرة ، لأن الأب كان موظفاً يتنقل بين أقاليم مصر .. وعاش " حسين قدرى " فــى بلبــيس حتى دخل المدرسة الإبتدائية ، فقضى سنة أولى إبتدائى فقط فى مدرسة بلبيس الإبتدائية الأميرية ، وكان جاره فى نفس (التختة) فى فصل أولى أول هو التلميذ الصغـــير " مجــدى يعقــوب " – الــ " سير " مجدى يعقوب جراح القلب العالمى فيما بعد – قبل أن تنتقل الأسرة إلى القاهرة مع بداية الحرب العالمية الثانية .. وحــين حصــل علــى الشهــادة الإبتــدائية كان ترتيبه السابع على (المملكة المصرية) فلم يكــن إســمها (جمهورية مصر) فى ذلك الحين .. وكان بينه وبين الأول ٣ درجات فقط ، وحصل فى

مادة الرسم على ٤ درجات من ٢٠ ، وكانت الــ ٤ درجات هذه هى النهاية الصغرى لأنه كان – ولا زال – أخيب بنى آدم فى العالم فى الرسم ، ولو كان شاطر فى الرسم شوية وحصل على ٨ درجات فقط من ٢٠ لكان ترتيبه الأول على الشهادة الإبتدائية ودخل تاريخ الأسرة شئٌ يُفتخر به .

أخذ حب القراءة عن أمه التى كانت مكتبتها الصغيرة ، الرومانسية كلها ؛ أهم ركن فى البيت ، وكانت (حواديت قبل النوم) لطفلها الصغير هى (ماجدولين) أو(تحت ظلال الزيزفون) و(غادة الكاميليا) و(أنا كارنينا) و(مدام بوفارى) و(نساء صغيرات) و(ذهب مع الريح) و(روميو وجولييت) و(نانا) و(سيرانو دى برجراك) و(الفرسان الثلاثة) .. وحين كان فى الثانية عشرة من عمره قرأ كتاب (أمريكا الضاحكة) لــ " مصطفى أمين " فانبهر به وبأسلوبه ؛ فقرر أن يكتب كِتاباً مثله حين يكبر .. وهكذا كان .

فى مرحلة الدراسة الثانوية دَرَسَ له عدد من المدرسين أصبح معظمهم نجوماً فيما بعد : " نور الدمرداش " درس له اللغة الإنجليزية ، " على أحمد باكثير " درس له اللغة العربية ، " نظيم شعراوى " كان مدرس التربية الرياضية ، ودرس له مادة التاريخ " الأستاذ " أحمد حسين الصاوى " الذى أصبح بعد ذلك " الدكتور أحمد حسين الصاوى " أشهر أساتذة الصحافة أكاديمياً فى العالم العربى . وكان الفنان " كمال الشناوى " مدرس الرسم فى مدرسة الجيران !! ..

عاش طفولته وصباه ومطلع شبابه فى حى السيدة زينب الذى يعتبره أجمل وأعرق أحياء مدينة القاهرة ، وتنقل بين بيوته القديمة العريقة فى (شارع التلول) و(درب البهلوان) و(حارة البهلوان) .. ولازال يحتفظ حتى الآن بصداقات الطفولة والصبا التى نشأت معه فى السيدة زينب ، ولازال رفاق شِلَتِه القديمة يجتمعون فى بيته القاهرى مساء الخميس كل أسبوع حتى الآن كلما كان فى أجازة فى مصر .. وفى حى السيدة زينب إجتذبته الرياضة فى مرحلة مبكرة من حياته قبل أن تجتذبه الصحافة والأدب ، فبدأ يلعب كرة السلة فى (نادى السيدة زينب لأبناء الشعب) الشهير بــ (نادى شفشق

) نسبة إلى رئيس ومؤسس النادى لاعب كرة السلة الدولى " محمد رشــاد شفشــق " ، ومنه إنطلق إلى النادى الأهلى فنادى الزمالك فالنادى الأهلى مرة أخرى ، حيــث رأس فريق كرة السلة فى الناديين لسنوات طويلة ، حتى أخذته الصحافة تماماً من الرياضــة بعد تخرجه بـــ ٤ سنوات

تخرج عام ١٩٥٤ ، وعمل مهندساً لمدة ٤ سنوات .. ويقول عن نفسه أنه لو كــان قد استمر فى العمل فى الهندسة لكان قد حصل على جائزة الدولة التقديريــة كأخيــب مهندس فى مصر ، ويمكن فى العالم .. حتى توفيت أمه التــى كــان يحبهــا كثيــراً ويحترمها كثيراً ولم يكن ليعصى لها أمراً ، ولو كانت قد طلبت منه أن يحمــل جبــل المقطم على كتفه وينقله من القاهرة إلى أسوان لفعل دون تردد لكى يرضيها ، ولم تكن أمه تريده أن يتحول من مهندس إلى صحفى .. وفى اليوم التالى لوفاتها طلق الهندســة بالثلاثة وأصبح صحفياً محترفاً ..

كانت بداية تعلقه بالصحافة من خلال مجلة أطفال إسمها مجلة (البلبل) وهو تلميذ صغير عمره ١٢ سنة ، كتب فيها صفحة بعنوان (الركن الثقافى) كانت كلها ترجمات عن مجلات الأطفال الإنجليزية .. واستمر ذلك طيلة مرحلة دراسته الثانوية .. ثم كانت البداية الحقيقية كصحفى محترف فى عام ١٩٥٨ فى مجلة (التحرير) التــى كانت تصدر عن (دار التحرير / الجمهورية) .. وعمل وكتب فى جميــع الصــحف والمجلات المصرية ، ووكالة أنباء الشرق الأوسط .. حتى استقر فى النهاية فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) لمدة ٢٨ سنة ، وفيها إكتشف نفسه ككاتب أدب رحلات ونشــر فيها معظم رحلاته الصحفية التى تحولت إلى كتب صنعت شهرته ووضعت إسمه ضمن قائمة أشهر كُتّاب أدب الرحلات فى مصر والعالم العربى .. وفى عام ١٩٩٤ إعتــزل الصحافة وتفرغ لكتابة المزيد من الكتب

فى عام ١٩٧٧ – بعد ٢٠ سنة من إعداد وتقديم برامج فى إذاعات القاهرة – أصبح أول مراسل للإذاعة المصرية فى أمريكا ثم فى أوروبا كلها ، وقــدم (حسين قــدرى يحييكم من لندن) أسبوعياً الذى استمر ١٦ سنة ، حتى – مرة أخــرى – إســتغرقته

الكتابة فترك الراديو .. ومن وقتها وهو يعيش فى إنجلترا حتـــى الآن - ٣٨ ســـنة - وحصل على الجنسية الإنجليزية عام ١٩٨٣ دون أن يتنازل عن جنسيته المصرية .. وفى إنجلترا عاش أهم تجربة فى حياته الصحفية : تجربة الهجرة ، سجلها فـــى عـــدة كتب : (مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن) و(مذكرات مهاجر مصرى فى لندن) و(حكايات لندنية) و(حكايات أوروبية) و(ليست لندن وحدها) ، وقبلها عاش أخطر تجربة فى حياته الصحفية والأدبية حين عـــاش علـــى ســـطح المحـــيط الأطلنطى فى سفينة صيد سمك لمدة شهرين كاملين لم ير فيهمـــا إلا المـــاء والســـماء والسمك .. وسجلها فى كتابه (راكبان على السفينة) ثم (يوميات سفينة مجنونة) ..

فى لندن عمل أيضاً فى الصحافة العربية التى كانت قد بدأت تصدر فى لندن بشكل مكثف فى أواخر السبعينيات : نائب رئيس تحرير جريدة (العرب) اليوميـــة ، مـــدير التحقيقات الصحفية فى جريدة (المنار) الأسبوعية ، محرر صفحات الفن فى مجلـــة (الدستور) الأسبوعية ، مدير تحرير مجلة (الحوادث) الأسبوعية ، المحـــرر الأول لمجلة (المسلمون) الأسبوعية ، مراسل مجلة (الحياة السياحية) فى لندن ، وكانت المجلة تصدر من باريس ، وكاتب فى مجلة (الشرق الأوسط) الأسبوعية فى لندن

تزوج ٣ مرات ، كلهن مصريات ، توفيت زوجته الأولـــى الصـــحفية ، وزوجتـــه الثالثة دكتورة الإقتصاد

عضو نقابة الصحفيين المصريين ، واتحاد كُتاب مصر ، ونادى القصة .. وعضو نقابة الصحفيين الإنجليز ، عضو اتحاد الصحفيين العرب ، واتحاد الصحفيين العالمى

*** عن (موسوعة أدباء مصر) . القاهرة - ٢٠٠٠

كتبه المنشورة :

• رحلة إلى جزر كناريا	دار المعارف – ١٩٧٣.
• مذكرات شاب مصرى	
يغسل الأطباق فى لندن	دار المعارف – ١٩٧٤.
	طبعة ثانية – ١٩٧٥.
	طبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• رحلة إلى دولة ترانزستور	دار الشعب – ١٩٧٥.
• راكبان على السفينة	أخبار اليوم – ١٩٧٦
	طبعة ثانية – ١٩٩٧.
• هو .. والذين كانوا معه	القاهرة للثقافة العربية –١٩٧٦
	وطبعة ثانية – ٢٠٠٠.
	وطبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• هروب إلى الفضاء	دارالمعارف – ١٩٨٢
(رواية من الخيال العلمى)	طبعة ثانية – ١٩٩٩.
	طبعة ثالثة – ٢٠٠٧
	طبعة رابعة – ٢٠١٥
• مغامرات خالد	دار الهلال – ١٩٨٥.
(مجموعة قصص أطفال)	طبعة ثانية – ١٩٩٨.
	طبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• مذكرات سائح مصرى	دار المعارف – ١٩٩٢.
فى مـــصـــر	طبعة ثانية – ٢٠٠٧
• يوميات سفينة مجنونة.	دار التعاون – ١٩٩٣.
• حكايات أوروبية ..	دار الشعب – ١٩٩٦.
• حكايات لندنية ..	الثقافة الجماهيرية – ١٩٩٧

- مذكرات مهاجر مصرى فـــى لـــنـــدن — دار الأمل - ٢٠٠٥
- حكايات صحفية . — دار الأمل – ٢٠٠٦
- عبد الناصر .. والذين كانوا معه — كتاب الجمهورية - ٢٠٠٧
- أيام من حياتهم .. — كتاب الجمهورية - ٢٠٠٨
- أيام الزمن الجميل :

بيروت ٧١ / لندن ٧٣ .. — كتاب الجمهورية – ٢٠٠٨

- ليست لندن وحدها .. — دار المعارف - ٢٠١٠
- لعبة الأيام ..
- حكاية صورة قديمة — الهيئة العامة للكتاب – ٢٠١١
- حكايات من الشرق والغرب — كتاب الهلال – ٢٠١٣
- جمهورية بريطانيا العربية — كتاب الجمهورية – ٢٠١٥
- صعلكة فى بيروت ٧١ — إتحاد الكتاب – ٢٠١٥
- حوارات حسين قدري — دار يسطرون - ٢٠١٥
- الكتاب التذكاري — دار يسطرون - ٢٠١٥

(كتاب حسين قدري)

كتب تحت للطبع ..

- فضفضة حسين قدرى ٥٠ سنة صحافة
- بهيجة .. بنت الباشا الوزير
- الرحلة العذراء
- أيام من حياتهم .. الجزء الثانى و الثالث و الرابع

كتب جاهزة للنشر :

- فى الحب .. وفى غير الحب ..
- مذكرات مهاجر مصرى .. فى مصر ..
- حكايات أوروبية .. الأجزاء الثانى والثالث والرابع ..
- لارا .. إعترافات إمرأة متزوجة .. (رواية باللغة الإ نجليزية)
- حكاية بنت إسمها مخالى .. إعترافات إمرأة مطلقة .. (رواية باللغة الإنجليزية)
- رسائل من المهجر ..
- المهاجرون ..
- أوراق قديمة .. صفحات من الذكريات والمذكرات ..
- ١١٧ يوم فى الصحراء ..
- يوميات أمريكية ..
- ٣٥ سنة فى المهجر .. إنجلترا ..
- مذكرات زوجة أجنبية فى مصر ..
- الصندوق الأسود .. (رواية من الخيال العلمى) ..

الفهرس

للتواصل مع الكاتب :

حسين قدرى ..

مصر : برج رمسيس – ميدان رمسيس – القاهرة

تليفونات : (   )

فاكس : (   )

(   )

(   )

موبايل :

٠١٠٠ ـ ٥٢٤٥٥٣٨

٠١١١ ـ ٩٥٢٤٠٩٠

London :

Mr Hussein Kadry.
46 , Columbia Point
Canada Estate – Rotherhithe
LONDON SE16 7BG .

Telphones :

(0044) 0207-2321387

(0044) 0771 210 1616

(0044) 0777 5523349

e-mail : husseinkadry34@gmail.com